

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام الرضا (عليه السلام) والمؤمن

دراسة العلاقة بين الإمام الرضا (عليه السلام) والمؤمن

بقلم

عبدالكريم العارفي

الطبعة الأولى

١٧ ربيع الأول ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

سرشناسه : كوراني، علي، ١٩٤٤م - Kurani, Ali
عنوان و نام پديدآور : الامام الرضا (ع) و المأمون : دراسة العلاقة بين الامام الرضا (ع) و المأمون / بقلم علي الكوراني العاملي.
مشخصات نشر : قم: نشر معروف، ١٤٤٤ ق. = ٢٠٢١ م. = ١٤٠١.
مشخصات ظاهري : ٤٢٩ ص.
شابک : ٩٧٨-٦٠٠-٨٩١٦-٥٨-١
وضعيت فهرست نویسی : فيبا
يادداشت : زبان: عربي.
عنوان ديگر : دراسه العلاقة بين الامام الرضا (ع) و المأمون.
موضوع : علي بن موسى (ع)، امام هشتم، ١٥٣-٢٠٣ ق.
موضوع : علي بن موسى (ع)، امام هشتم، ١٥٣-٢٠٣ ق. -- سياست و حكومت
موضوع : **Ali ibn Musa, Imam VIII -- Politics and government**
موضوع : مامون، خليفه عباسي، ١٧٠-٢١٨ ق.
رده بندي كنگره : BP/٤٧-٣٥ - رده بندي ديويي : ٢٩٧/٩٥٧ - شماره كتابشناسي ملي : ٩٠٦٩٦٩٥
اطلاعات ركورد كتابشناسي : فيبا

الإمام الرضا والمأمون

المؤلف: علي الكوراني العاملي.
الناشر: دارالمعروف، قم المقدسة.
الطبعة: الأولى.
تاريخ النشر: ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م
المطبعة: باقرى - قم المقدسة.
عدد المطبوع: ٢٠٠٠ نسخة.
ردمك: ٩٧٨-٦٠٠-٨٩١٦-٥٨-١



دارالمعروف
للطباعة والنشر

فهرس موضوعات الكتاب

١٣ مقدمة
 الفصل الأول: حقيقة شخصية المأمون
١٧ الأب والأم والمربي
١٧ هارون المسمى بالرشيد
١٩ أم المأمون مراحل جارية خراسانية
٢١ أولاد هارون: إخوة المأمون وأخواته
٢٢ ١. البرامكة أخطر الوزراء الفرس على الدولة الإسلامية!
٢٢ ٢. البرمك: سادن بيت النار عند المجوس!
٢٥ ٣. زعم أولاد برمك أنهم أسلموا
٢٥ ٤. أراد البرامكة بكيدهم تمجيس الأمة الإسلامية!
٢٧ ٥. من مكائد يحيى البرمكي ضد الإمام الكاظم <small>عليه السلام</small> !
٣٢ ٦. نشأ هارون في بيت يحيى البرمكي
٣٣ ٧. وتربى المأمون على يد جعفر بن يحيى البرمكي
٣٤ أوصاف المأمون البدنية
٣٥ خلاصة عن حياة المأمون
٣٨ كان المأمون واسع الثقافة
٣٩ قال المأمون: تعلمت التشيع من أبي!
٤٠ كان المأمون يناظر الفقهاء ورؤساء المذاهب والأديان!

- ٤٠..... كان المأمون متعصباً للتشيع نظرياً وعدواً له عملياً
- ٤١..... منشور المأمون في ذم معاوية والبراءة منه
- ٥٢..... كان المأمون مدمناً للخمر مغرماً بالجواري واللهم
- ٦٠..... كان المأمون شاذاً جنسياً !
- ٦٢..... كان المأمون يرى أن كل شخصيات العباسيين مأبونون !
- ٦٨..... كان المأمون علمانياً يرى أن علم النبوة كعلم التنجيم !
- ٦٩..... كان المأمون ملحداً لا دين له
- ٧٠..... هدف المأمون الاستراتيجي : خلافة عباسية بثقافة شيعية !
- ٧٣..... في حديث اللوح القدسي : المأمون عفريت مستكبر
- ٧٦..... مات المأمون غريباً ذليلاً !
- ٧٨..... أحمد بن أبي دؤاد عراب بيعة المعتصم وعزل ابن المأمون
- ٧٩..... ومات العباس بن المأمون غريباً ذليلاً !
- ٨١..... أفاق المعتصم من خمره فانتصر لعمورية !

الفصل الثاني: خلافة الأمين بعد هلاك هارون

- ٨٥..... كان هارون يتفقد شرقي مملكته
- ٨٦..... الحالة الصحية لهارون
- ٨٧..... خرجت في بطن هارون غدة فكان أولاده يراقبونها !
- ٨٩..... اتهم هارون بخثيشوع بالخيانة وأراد أن يفصله !
- ٩٠..... دفنوه في دار حميد بن قحطبة الطائي عامله على خراسان
- ٩٠..... تولى الأمين الخلافة فعزل أخاه المأمون عن ولاية العهد
- ٩٤..... العباسيون يخلعون المأمون !
- ١٠٠..... أخبر هارون أنه سيكون صراع بين ولديه الأمين والمأمون !
- ١٠١..... المسعودي يصف هزيمة الأمين وقتله
- ١٠٤..... بايع العباسيون المأمون ولما جعل الرضا عليه السلام ولي عهده خلعه !
- ١٠٦..... قصة شعار لبس السواد والخضرة

الفصل الثالث: رجوع المأمون الى بغداد

- ١١١ دخل المأمون بغداد فانهزم جيش عمه الخليفة المعني!
- ١١٢ سياسة المأمون في بغداد
- ١١٤ المأمون أسد في طوس نعمة في بغداد!
- ١١٦ موقف العباسيين المتعجرف من ولاية عهد الرضا عليه السلام
- ١١٧ حرم العباسيون إسم بني هاشم على غيرهم من الهاشميين!
- ١١٨ عرس المأمون الكسروي على بوران بنت الحسن بن سهل!
- ١٢٢ دس المأمون السم للحسن بن سهل ففقد عقله وعاش طويلاً ذليلاً!
- ١٢٣ اخترع المأمون للفهاء والمتكلمين امتحاناً لإسقاطهم!
- ١٢٦ الإمام الهادي عليه السلام يشرح مسألة خلق القرآن
- ١٢٨ المأمون يناظر الفقهاء والمتكلمين بعقيدته في علي عليه السلام
- ١٤٢ مناظرة المأمون برواية الصدوق
- ١٤٤ ملاحظات على مناظرات المأمون
- ١٤٦ المأمون يُعرّف العباسيين بالإمام الجواد عليه السلام
- ١٤٧ أبلغ المأمون العباسيين بتزويج ابنته للجواد عليه السلام فاستنفروا
- ١٥٣ ملاحظات على هذه الرواية
- ١٥٥ أعطى المأمون الحرية للإمام الجواد عليه السلام فذهب الى المدينة!

الفصل الرابع: الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

- ١٥٩ بشر النبي صلى الله عليه وآله بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام بأسائهم
- ١٦٦ ولادة الإمام الرضا عليه السلام وشهادته
- ١٦٧ كلام الشيخ المفيد في شهادة الإمام الرضا عليه السلام
- ١٦٨ كان اسمه الرضا قبل ولاية العهد
- ١٦٨ مع أبيه الإمام الكاظم عليه السلام في ثورة فخر
- ١٧٢ الإمام الرضا عليه السلام في زمن هارون
- ١٧٤ في أيام سجن أبيه ببغداد

- ١٧٥ في الحج مع أبيه الكاظم
- ١٧٥ في الحج بعد أبيه
- ١٧٦ كان زكريا بن آدم زميله في الحج
- ١٧٧ بشارته بالإمام الجواد عليه السلام ونصه على إمامته
- ١٧٧ إخباره عن نكبة البرامكة
- ١٨٢ أخبر الإمام عليه السلام أن قبره سيكون جنب قبر هارون!
- ١٨٤ من أخلاق الإمام الرضا عليه السلام وعبادته
- ١٨٥ قائد السرية رجاء يصف عبادة الإمام عليه السلام وأخلاقه

الفصل الخامس: الظرف السياسي الذي أحضر المأمون فيه الإمام عليه السلام

- ١٩١ كثرت ثورات العلويين في آخر عهد هارون
- ١٩٣ موسم ثورات العلويين سنة ١٩٩ - ٢٠٠
- ١٩٤ أكبرها ثورة أبي السرايا
- ٢٠٢ صورة أخرى من قتال أبي السرايا
- ٢٠٤ ثورة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام
- ٢٠٨ ثورة زيد النار أخ الإمام الرضا عليه السلام
- ٢١١ ثورة ابراهيم أخ الإمام الرضا عليه السلام
- ٢١١ علاقة إحضار الإمام الرضا عليه السلام بهذه الثورات؟

الفصل السادس: أجبره المأمون على الحضور الى طوس

- ٢١٣ قائد السرية: رجاء بن أبي الضحاك وليس الجلودي
- ٢١٥ ودع الإمام عليه السلام بيت الله الحرام
- ٢١٧ ودع عائلته وقبر جده الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٢١٨ معجزات الإمام في طريق خراسان
- ٢١٨ في البصرة - قرأ الإمام عليه السلام ما في ذهن الرجل!
- ٢١٩ آمن به الطيب الأهوازي فخافوا من افتتان الناس به!

- ٢٢١ اتصل المؤمن بالإمام بتفكيره فعرف الإمام عليه السلام طلبته وأجابه !
- ٢٢٢ غرس الإمام شجرة في نيشابور فكانت آية !
- ٢٢٣ عين الرضا وحمام الرضا عليه السلام في نيشابور
- ٢٢٣ حديث سلسلة الذهب لجمهور علماء نيشابور
- ٢٢٦ حديث سلسلة الذهب حديث صحيح متواتر
- ٢٢٨ لماذا سمي حديث سلسلة الذهب؟
- ٢٢٩ وصل الإمام الى مرو فأنزله في قصر حميد بن قحطبة
- ٢٣٠ حرز الإمام الرضا عليه السلام

الفصل السابع: مداولته مع المأمون قبل ولاية العهد

- ٢٣٣ عرض المأمون على الرضا عليه السلام أن يتنازل له عن الخلافة !
- ٢٣٤ رفض الإمام عليه السلام ولاية العهد وأصر عليه المأمون !
- ٢٣٨ جواب الإمام عليه السلام للصوفية على قبوله ولاية العهد
- ٢٣٨ سبب قرار المأمون جعل ولاية العهد للإمام عليه السلام
- ٢٣٨ نص مرسوم ولاية العهد
- ٢٤٤ مجلس مراسم البيعة للإمام عليه السلام بولاية العهد
- ٢٤٨ تهنئة الشاعر دعبيل الخزاعي للإمام عليه السلام
- ٢٥٣ أبو نواس الحسن بن هاني بن عبد الأول
- ٢٥٥ طلب المأمون من الإمام عليه السلام أن يصلي صلاة العيد
- ٢٥٧ ثم طلبوا من الإمام عليه السلام أن يصلي صلاة الاستسقاء
- ٢٥٩ معجزة للإمام الرضا عليه السلام بعد صلاة الاستسقاء !

الفصل الثامن: حشد المأمون أنواع العلماء ليكسر الإمام عليه السلام !

- ٢٦٣ المناظرة الكبرى التي أعدها المأمون للإمام عليه السلام !
- ٢٦٥ الحضور الذين ناظرهم الإمام عليه السلام
- ٢٦٦ كانت المناظرة عدة أيام ومواضيعها متعددة
- ٢٦٦ اليوم الأول من المناظرة

- مع سليمان المروزي متكلم خراسان ٢٨٩
 مع علي بن محمد بن الجهم ٣٠٢
 مع رجل من الزنادقة ٣٠٦

الفصل التاسع: الإمام الرضا عليه السلام يخلص المأمون من براثن الفضل !

- نشاط الحزب الكسروي في تاريخنا الإسلامي ! ٣٠٩
 الفضل بن سهل الكسروي يتبنى المأمون ! ٣١٢
 كان الفضل يحب أخبار المسلمين عن المأمون ! ٣١٥
 أخطر موقف للإمام الرضا عليه السلام ٣١٧
 استعمل الإمام عليه السلام المعجزة لتفريق أنصار الفضل ! ٣١٨
 ملاحظات ٣٢٤
 علماء الخلافة يمدحون الفضل بن سهل ! ٣٢٧
 كان الفضل بن سهل يؤمن بالنجوم على طريقة الفرس ! ٣٢٩
 كلمة في التنجيم والمنجمين ٣٣٠
 كان ذو الرياستين يسأل أسئلة من لا يؤمن ٣٣٦
 الرسالة الجامعة التي أملاها الإمام عليه السلام للمأمون ٣٣٦
 مؤامرة الفضل على الإمام عليه السلام لقتله ! ٣٤٣
 المأمون يرتكب جريمة سم الرضا عليه السلام قبل عودته الى بغداد ! ٣٤٤
 الصحيح أن وفاته عليه السلام في الحادي وعشرين من رمضان ٣٤٤

الفصل العاشر: الصراع الصامت بين المأمون والإمام عليه السلام !

- بدأ الصراع من أول قدوم الإمام عليه السلام ٣٤٧
 المأمون يبهت بعلم الرضا عليه السلام ولذلك نوى قتله ! ٣٥٢

الفصل الحادي عشر: كيف قتل العفريت المستكبر الإمام الرضا عليه السلام

- حاول المأمون قتل الإمام الرضا مرات ! ٣٦١
 الذين رووا شهادة الإمام الرضا عليه السلام ٣٦٣

- رواية هرثمة بن أعين في شهادة الإمام عليه السلام ٣٦٤
- هرثمة بن أعين راوي شهادة الإمام عليه السلام ٣٦٩
- رواية أبي الصلت الهروي في شهادة الإمام الرضا عليه السلام ٣٧٣
- اتفق علماءنا على توثيق أبي الصلت الهروي ٣٧٧
- أبو الصلت الهروي عالم جليل ٣٧٨
- الفروقات بين رواية هرثمة ورواية أبي الصلت ٣٨٠
- رواية ياسر الخادم في شهادة الإمام عليه السلام ٣٨٦
- ياسر الخادم مولى حمزة بن البسج الأشعري ٣٨٧
- ملاحظات على رواية ياسر الخادم لشهادة الإمام عليه السلام ٣٨٧

الفصل الثاني عشر: أقوال المأمون وسياسته حجة للشيعنة

- كان المأمون يقول: تعلمت التشيع من أبي! ٣٨٩
- وكان المأمون يقول: أهل البيت خلّو من هذا الخلق! ٣٩٠
- قال المأمون: هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم! ٣٩٠
- قال المأمون: لا يوجد العلم الصحيح إلا عند أهل البيت ٣٩٠
- قال المأمون: يا أبا الحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك! ٣٩٣
- من رسالة المأمون إلى بني العباس! ٣٩٤
- أقوال المأمون بعد مناظرة الإمام الرضا عليه السلام ٣٩٥
- قال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن ٣٩٧
- قال المأمون: فرجت عني فرج الله عنك ٣٩٧
- قال المأمون: أمرني سيدي أبو الحسين! ٣٩٨
- لما كتب المأمون كتاب الحبوة للفضل بن سهل ٣٩٨
- قتل المأمون الفضل فحاصره أتباعه فاستغاث بالإمام عليه السلام ٣٩٩
- لما رأى المأمون الآيات التي أخبر عنها عليه السلام الرضا في دفته ٣٩٩

الفصل الثالث عشر: نتائج ولاية العهد على الأمة

- ٤٠١ كل شيء في الكون بتخطيط إلهي !
- ٤٠٢ بشر الإمام الصادق بالإمام الرضا وبركاته على الأمة عليه السلام
- ٤٠٢ نتائج ولاية العهد على العلويين
- ٤٠٨ كانت ولاية العهد فرصة لإظهار علم أهل البيت عليهم السلام
- ٤٠٩ انتهت حملات الإبادة ضد الشيعة في الخلافة العباسية !
- ٤١٠ صارت أقوال المأمون في التشيع والإمام الرضا والجواد حجة للشيعة
- ٤١٠ بالغ المأمون في إظهار حزنه على الإمام الرضا عليه السلام
- ٤١١ قتل الإمام الرضا عليه السلام ويكي عليه
- ٤١٢ شهد المأمون بهلاك أبيه وسوئه
- ٤١٣ كشف الإمام فساد حكم الخلافة بشرطه عدم التدخل !

الفصل الرابع عشر: بعدد الأنبياء الأطفال بعث الله أئمة أطفالاً !

- ٤١٥ صار الناس ينظرون بإجلال وتقديس للأئمة وأطفالهم عليهم السلام
- ٤١٧ شق الإمام الجواد عليه السلام طريقه في الإمامة بسهولة !
- ٤٢٠ صار الإمام الجواد ابن ثمان سنين خليفة لأبيه عليه السلام
- ٤٢١ قتل المعتصم الإمام الجواد عليه السلام بالسم بيد زوجته بنت المأمون !
- ٤٢٤ ثم صار الإمام الهادي ابن ثمان سنين خليفة لأبيه
- ٤٢٥ فشلت خطة المعتصم في فرض الإقامة الجبرية على الإمام الهادي عليه السلام ؟
- ٤٢٦ كان الواثق ليناً مع العلويين ومعجباً بالإمام الهادي عليه السلام

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام ،

على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد ، فقد كتبوا عن الإمام الرضا صلوات الله عليه عشرات الكتب ، والحمد لله .
ومن حق سيرته الغنية بأبعاها المتعددة ، أن تؤلف فيها مجلدات عديدة .

لكنني أردت التركيز على بعد واحد هو علاقته عليه السلام مع المأمون ، وتأثير هذه العلاقة
على مجتمع عصره ، وعلى تاريخ الأمة .

فكان لا بد من رسم شخصية المأمون كما هي من المصادر التاريخية الموثوقة ، وقد
استوجب ذلك الإطالة على شخصية أبيه هارون ، وشخصية أخيه الأمين .

ثم بحثت الظروف التي طلب فيها المأمون من الإمام الرضا عليه السلام أن يكون ولي عهده ،
وكيف أجبره على ذلك وبعث سرية عسكرية الى المدينة فأنت به ، ثم هددته بالقتل إن
لم يقبل في مداولاته معه ، فقبل الإمام عليه السلام بشرط أن لا يتدخل في شئ من أمور
الخلافة ، وشؤون سياستها ومؤسساتها ! فقبل المأمون شرطه هذا .

وقد كانت ولايته عليه السلام لعهد المأمون سنتين ، من شهر رمضان سنة ٢٠١ هجرية الى

رمضان سنة ٢٠٣ هجرية ، وهو رأي الصدوق عليه السلام ، وقد حققنا أن شهادته عليه السلام كانت في الحادي والعشرين من شهر رمضان وليس في صفر .

كانتا سنتين لا كالسنوات ، فقد فاض علم الإمام الرضا عليه السلام على الأمة ، وروى عنه الناس أنواع العلوم ، وجمع له المأمون رؤساء الأديان والمذاهب والمقالات من أرجاء الدولة الإسلامية ، وناظرهم وكلمهم بلغاتهم وكتبهم ومصطلحاتهم ، فدهشوا من إحاطته بعلومهم ، وقوة منطقته ، وبعضهم أسلم على يده كعمران الصابي ، العلماني الملحد .

ثم ختمنا الكتاب بإمامة صغار السن من أئمة أهل البيت عليهم السلام لأن المأمون نظر لإمامة محمد الجواد عليه السلام رغم صغر سنه ، وكان يفتخر به أمام العباسيين والفقهاء ويتحداهم بعلمه ، ويحضر العلماء ليسألوه ويروا علمه ، وكان المأمون يقول: (ويحكم إن أهل هذا البيت خلّو من هذا الخلق! (أي ليسوا مثلهم) أو ما علمتم أن رسول الله بايع الحسن والحسين وهما صبيان غير بالغين ولم يبايع طفلاً غيرهما ! أو ما علمتم أن علياً آمن بالنبي وهو ابن عشر سنين، فقبل الله ورسوله منه إيمانه ولم يقبل من طفل غيره ، ولا دعا النبي طفلاً غيره إلى الإيمان! أو ما علمتم أنها ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم)!

(الإختصاص للمفيد/٩٨). وروى منها ابن عبد البر في العقد الفريد (٢/٢٤٠).

وبذلك مهد المأمون لإمامة الجواد عليه السلام وكان عمره بعد أبيه سبع سنين، وكذلك مهد لإمامة ابنه علي الهادي عليه السلام وكان عمره بعد قتل أبيه الجواد سبع سنين ، ثم لإمامة المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام وكان عمره بعد قتل أبيه ست سنين.

وهم ثلاثة أئمة صغار السن ، بعدد الأنبياء صغار السن، وقد احتج الأئمة عليهم السلام

لصغر سن الإمام بيحيى وعيسى عليه السلام حيث أتى الله كلاهما الحكم صبياً وبسليمان عليه السلام الذي آتاه الله الملك وهو ابن عشر سنين ، وفي رواية إحدى عشرة !
أملني بالله تعالى ببركة الإمام الرضا صلوات الله عليه أن ينفع بهذا الكتاب ، وما تضمنه
من أفكار جديدة حول شخصية الإمام الرضا عليه السلام وعلاقته بالمأمون .

حرره: علي الكوراني العاملي

في الحادي عشر من ربيع المولد ١٤٤٤





الفصل الأول

حقيقة شخصية المأمون

الأب والأم والمربي

أبوه هارون المسمى بالرشيد وسترى أنه غير رشيد . وأمه جارية خراسانية نرجح أنها من بنات الملوك ، تسمى مراحل لأنها كانت ترجل شعرها دائماً . ومربيه من صغره جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من ذرية برمك سادن نار المجوس ، وقد كان لهم سلطان في الخلافة العباسية .

هارون المسمى بالرشيد

قال الذهبي في تاريخه (١٠ / ٤٠): «هلك الخليفة موسى الهادي من قرحة أصابته في جوفه، وقيل سمته أمه الخيزران لما أجمع على قتل أخيه الرشيد . وكانت أيضاً حاکمة مستبدة بالأمر الكبار فمنعها ، وكانت المواكب تغدو إلى بابها ، فردهم عن ذلك وكلمها بكلام فجع وقال: إن وقف بدارك أمير لأضربن عنقه ، أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرک ، أو سبحة ! فقامت ما تعقل من الغضب ، فقيل إنه بعث إليها بطعام مسموم ، فأطعمت منه كلباً فانتشر ! فعملت على قتله لما وُعك بأن غموا وجهه بيساط جلسوا على جوانبه ، وكان يريد إهلاك الرشيد ليولي العهد ولده وهو صغير، له عشر سنين . وكانت خلافته سنة وربع ، وعاش ستاً وعشرين سنة» .

وروى الطبري في تاريخه (٤٢١/٦) تفاصيل كثيرة عن الصراع على السلطة بين موسى الهادي وأمه الخيزران ، وفيها أن موسى اتهم الخيزران بعبد الله بن مالك وأراد قتلها فقتلته ! وعندما قتلت ابنها موسى قالت ليحيى بن خالد البرمكي: إن الرجل قد توفي فاجدد في أمرك ولا تقصر. أي رتب الأمر لهارون فرتب البيعة له وبايعه أهل القصر ثم الناس وصار هو رئيس وزرائه! وكان ذلك في سنة ١٧٠ ، وعاشت خيزران إلى سنة ١٧٣. (الذهبي: ١١/١٠٩) .

أقول: يتحدثون عن أزهى عصور الإسلام في عصر هارون ، لكنهم ينظرون فقط الى توسع الدولة وسيطرتها ويتناسون الظلم والقمع الذي قامت عليه الدولة ، فقد كان هارون جباراً عنيفاً سفاكاً للدماء !

وروى محبوه أنه ظل يتلذذ بتقطيع الأشلاء إلى آخر دقيقة من حياته!

وأن أولاده كانوا يكرهونه ويريدون موته ليكونوا مكانه !

وروا أنه رأى معجزات الإمام الكاظم عليه السلام وصرح بأن العلم الصحيح عنده ، وأنه أولى الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومع ذلك اضطهده وسجنه ! ولم يقنع بذلك حتى قتله بالسم وهو في سجنه !

في عيون أخبار الرضا عليه السلام: (٢/٨٥) وصف المأمون الإمام الكاظم عليه السلام : (فقام الرشيد لقيامه وقبل عينيه ووجهه ، ثم أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤمن فقال: يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم إمشوا بين يدي عمكم وسيدكم ، خذوا بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله ، فأقبل عليّ أبو الحسن موسى بن جعفر سرّاً بيني وبينه فبشرني بالخلافة فقال لي: إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى وُلدي ، ثم انصرفنا وكنت أجزاً وُلد أبي عليه فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد أعظمته

وأجللته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأعدته في صدر المجلس وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له ؟ قال: هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده . فقلت: يا أمير المؤمنين أليست هذه الصفات كلها لك وفيك ؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حق ، والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعاً ! والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك ، فإن الملك عقيم !

فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بضرة سوداء فيها مائتا دينار ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال له: إذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك أمير المؤمنين: نحن في ضيقه وسيأتيك برنا بعد الوقت، فقامت في صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مأتي دينار أحسن عطية أعطيتها أحداً من الناس! فقال: أسكت لا أم لك فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت أمنت أن يضرب وجهي غداً ببائه ألف سيف من شيعته ومواليه . فقرأ هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم!

وهذا اعتراف صريح من أعلى هرم الخلافة بمكانة الأئمة من العترة النبوية ﷺ .

أم المأمون مراحل جارية خراسانية

المأمون أذكى خلفاء بني العباس وأعلمهم جميعاً . وقد جاءه الذكاء من أبيه هارون وأعمامه العباسيين ، ومن خوؤولته الفرس . فأمه جارية من بادغيس وهي عاصمة خراسان القديمة واليوم ولاية من أفغانستان ، وتقع بين مشهد وبلخ قرب هراة ، ومعناها بالفارسية مهب الرياح . وكانت مراحل جارية لزبيدة ، وقالوا في ذمها وقذارتها، لكن ذلك من مكذوبات زبيدة ، وقد تكون مراحل من بنات ملوك الفرس وشخصياتهم ، فقد أخفى هؤلاء أنفسهم

وخدموا الخلفاء في قصورهم ، وتبوؤوا مكانة كبيرة كالبرامكة . فلا بد أن تكون مراجل من ذرية شخصيات الفرس ذات اللون الأبيض ، وكان البرامكة يعلمون جوارٍ جميلات الغناء ويهدونهن الى الخلفاء ليثبتوا نفوذهم بذلك كالجارية دنانير التي أغرم بها هارون .

وقد روى أبو الفرج (الأغاني: ١٨ / ٣٠٥) أن مراجل كانت من عشر جوارٍ منتخبة اختارتهن أم جعفر البرمكي ، قال: (وأهدت إلى الرشيد عشر جوارٍ، منهن ماردة أم المعتصم ، ومراجل أم المأمون ، وفاردة أم صالح).

وقال الدميري في حياة الحيوان (١ / ١١٦): (ذكر صاحب عيون التواريخ وغيره أن المأمون مرَّ يوماً على زبيدة أم الأمين فرآها تحرك شفيتها بشيء لا يفهمه فقال لها: يا أمه أتدعين عليّ لكوني قتلت ابنك وسلبته ملكه؟ فقالت: لا والله يا أمير المؤمنين! قال فما الذي قلته؟ قالت: يعني أمير المؤمنين، فألح عليها وقال: لا بد أن تقولي، قالت: قلت قَبَّحَ اللهُ الملاححة. قلت: وكيف ذلك؟ قالت: لأني لعبت يوماً مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا، فغلبنى فأمرني أن أتجرد من أثوابي وأطوف القصر عريانة فاستعفني فلم يعفني ، فتجردت من أثوابي وطفقت القصر عريانة ، وأنا حنقة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبنه ، فأمرته أن يذهب إلى المطبخ فيطأ أقبح جارية وأشوهها خلقة فيه فاستعفاني من ذلك فلم أعفه ، فبذل إليّ خراج مصر والعراق فأبيت وقلت: والله لتفعلن ذلك فأبى فألححت عليه وأخذت بيده وجئت به للمطبخ، فلم أر جارية أقبح ولا أقدر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل ، فأمرته أن يطأها فوطأها ، فعلقت منه بك فكنت سبياً لقتل ولدي وسلبه ملكه . فولى المأمون وهو يقول: لعن الله الملاححة أي التي ألح عليها حتى أخبرته بهذا الخبر) !

وهذا الخبر موضوع ، وضعته زبيدة لتشفي غيظها من ضررتها ومن المأمون قاتل ابنها ! فمراجل من الجواري التي اختارهن هارون على رغم زبيدة وكان ينام معهن، وقد رزق من

بعضهن أولاداً .

هذا، وذكر المؤرخون أن مراجل أم المأمون ماتت في نفاسها وهو الأقوى ، وشذ الحميري في الروض المعطار/ ٧٣، فقال في كلامه عن بادغيس: (ومنها كانت مراجل أم المأمون بن الرشيد ، وهلكت بعد مولد المأمون بمدة مديدة ، ولقبها صواحبتها بمراجل لأنها كانت حسنة الشعر مولعة بترجيله وخدمته).

أولاد هارون: إخوة المأمون وأخواته

كان هارون من الذكور:

- محمد الأكبر وهو الأمين ، أمه زبيدة .
- وعبد الله المأمون ، وأمّه أم ولد يقال لها مراجل .
- والقاسم ، وأمّه أم ولد يقال لها قصف .
- ومحمد المعتصم ، وأمّه أم ولد يقال لها ماردة .
- وعليّ ، أمه أمة العزيز .
- وصالح ، وأمّه أم ولد يقال لها رثم .
- ومحمد أبو عيسى ، وأمّه أم ولد يقال لها عرابة .
- ومحمد أبو يعقوب ، وأمّه أم ولد يقال لها شذرة .
- ومحمد أبو العباس ، وأمّه أم ولد يقال لها خبث .
- ومحمد أبو سليمان ، أمه أم ولد يقال لها رواح .
- ومحمد أبو علي ، وأمّه أم ولد يقال لها دواج .
- وأبو محمد وهو إسمه ، ولقبه كريب ، وأمّه أم ولد يقال لها شجر .
- ومحمد أبو أحمد ، أمه أم ولد يقال لها كتمان .

وأبو يعقوب ، وأبو أيوب بنو هارون الرشيد ، وكلُّ إسمه محمد .

وكان لهارون من الإناث :

سكينة وهي أخت القاسم من أمه ، وأم حبيب وهي أخت المعتصم لأمه .

وأم الحسن وهي أخت أبي عيسى لأمه ، وخديجة وهي أخت كرب لأمه .

وأم محمد وهي حمدونة ، وفاطمة وأمها غصص ، وأم سلمة وأمها رحيق ، وأم القاسم

وأمها حزق ، ورملة أم جعفر وأمها حلي ، وأم علي وأمها أنيق ، والغالية وأمها سمندل ،

وريطه وأمها زينة). (الطبري: ٦/٥٤٠ ، والمتنظم لابن الجوزي: ٨/٣١٩).

١. البرامكة أخطر الوزراء الفرس على الدولة الإسلامية !

قرب العباسيون البرامكة وجعلوهم وزراءهم من أول دولتهم ، وخلطوهم بأنفسهم ، وربوا لهم أولادهم وغرسوا فيهم من أفكارهم ! واتخذوهم وزراء ، وأطلقوا أيديهم في حكم المسلمين .

واستمر حكمهم حتى تنبه هارون الى خطرهم بتنبيه الإمام الكاظم عليه السلام بواسطة وزيريه الشيعيين علي بن يقطين وجعفر بن محمد بن الأشعث ، فانقلب هارون عليهم وعزلهم وقتلهم ، لكن كان لهم تلاميذ وصنائع يشبهونهم ، ويعملون بأسلوبهم الخبيث ، ولا يمدحون البرامكة علناً . ومنهم الفضل بن سهل ، وأخوه الحسن بن سهل ، وسيأتي ذكرهما .

٢. البرمك: سادن بيت النار عند المجوس !

ذكر المسعودي (مروج الذهب: ٢/٢٢٨) أن بيوت النار المعبودة عند المجوس سبعة ، وذكر أولها البيت الحرام بصيغة: يقال ، ولا يمكن قبوله ، فلم يعهد عن ملك فارسي

أو أحد من الفرس أنهم زاروه ! ثم قال: (وبيت ثان معظم: على رأس جبل بأصبهان يقال له مارس ، وكانت فيه أصنام الى أن أخرجها منه يستأسف الملك لما تمجّس وجعله بيت ناره ، وذلك على ثلاثة فراسخ من أصبهان ، وهذا البيت معظم عند المجوس الى هذه الغاية .

والبيت الثالث: مندوسان ببلاد الهند: وهذا البيت تعظمه الهند وله قرابين تقرب، وفيه أحجار المغناطيس الجاذبة والدافعة والمنفرة من أوصاف لا يسعنا الإخبار عنها ، فمن أراد أن يبحث عن ذكرها فليبحث ، فإنه بيت مشهور ببلاد الهند.

والبيت الرابع: هو النوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر، وكان من يلي سدانته تعظمه الملوك في ذلك الصقع ، وتنقاد الى أمره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الأموال ، وكانت عليه وقوف ، وكان الموكل بسدانته يدعى البرمك ، وهو سمة عامة لكل من يلي سدانته ، ومن أجل ذلك سميت البرامكة ، لأن خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت ، وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييداً ، وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقاق الحرير الأخضر طول الشقة مائة ذراع فما دونها ، قد نصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح بما عليها من الحرير، فيقال والله أعلم: إن الريح خطفت يوماً بعض تلك الشقاق ورمته به ، فأصيب على مسافة خمسين فرسخاً ، وقيل أكثر من تلك المسافة ، وهذا يدل على زيادته في الجو وتشيد بنيانه ، وكان الحيز المحيط بهذا البنيان أميالاً لم نذكرها ، إذ كان أمر ذلك مشهوراً من وصف علو السور وعرضه .

والبيت الخامس: بيت غمدان الذي بمدينة صنعاء من بلاد اليمن ، وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة وخربته عثمان بن عفان فهو في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين

وثلاث مائة خراب قد هدم فصار تلاً عظيماً ، وقد كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح حين نفي الى اليمن وصار الى صنعاء بنى فيه سقاية وحَفَر فيه بئراً . ورأيت غمدان ردماً وتلاً عظيماً قد انهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه لم يكن ، وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان النازل بها وصاحب مخالفين اليمن في هذا الوقت وهو المعظم في اليمن أراد أن يبني غمدان ، فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسيني أن لا يتعرض لشيء من ذلك ، إذ كان بناؤه على يدي غلام يخرج من أرض سبأ وأرض مأرب ، يؤثر في صقع من هذا العالم تأثيراً عظيماً .

والبيت السادس كاوسان: بناه كاوس الملك بناء عجيبياً على اسم المدبر الأعظم من الأجسام السماوية وهو الشمس ، بمدينة فرغانة من مدائن خراسان ، وخرَّبه المعتصم .
والبيت السابع بأعلي بلاد الصين: بناه ولد عامور بن سوبل بن يافث بن نوح ، وأفرده لليلة الأولى ، إذ كان منشأ هذا الملك ومبدأه وباعث الأنوار اليه ، وقيل: إنما بناه بعض ملوك الترك في قديم الزمان وجعله سبعة أبيات في كل بيت منها سبع كُوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة كوكب من الخمسة والنيرين من أنواع الجواهر المضافة الى تأثير تلك الكواكب ، من ياقوت أو عقيق أو زمرد على اختلاف ألوان الجواهر ، ولهم في هذا الهيكل سرٌّ يسرونه في بلاد الصين ، بما قد زَخَرَف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ، ولهم في هذا الهيكل علوم في اتصال الأجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذي تحدثه ، وما يحدث فيه من الحركات والأفعال عند تحرك الأجسام السماوية.. الى آخر كلامه).

وفي معجم البلدان (٥ / ٣٠٧): (نُوبهار: بالضم ثم السكون..وكانت الفرس تعظمه وتحج إليه ، وكانوا يسمون السادن الأكبر برمك ، وكانت سَتَّهم إذا هم وافوه أن

يسجدوا للصنم الأكبر ويقبلوا يد برمك ، كان برمك يُعَمِّر النوبهار ويقوم به ، وهو إسم لبيت النار الذي كان يبلغ يعظم قدره بذلك ، فصار ابنه خالد بن برمك بعده).
أقول: خالد بن برمك المشهور متأخر عن برمك جده أكثر من مائة سنة ، فبرمك كان قبل فتح بلخ ، وخالد بن برمك انضم الى ثورة أبي مسلم الخراساني سنة ١٣٢ هجرية ، وصار مستشاراً للقائد قحطبة ، فلا بد أن يكون برمك جده الأعلى .
ففي البدء والتاريخ / ٤٧٩: (إن السفاح استوزر بعد أبي سلمة خالد بن برمك).
فهو من ذرية جده الأعلى برمك ، وليس ابنه ولا حفيده المباشر !

٣. زعم أولاد برمك أنهم أسلموا

لكن لم تخرج المجوسية من قلوبهم ، قال الشاعر فيهم (البيان والتبيين / ٥٧٤):
إذا ذكر الشرك في مجلس أنارت وجوه بني برمك
وإن تليت عندهم آية أتوا بالأحاديث عن مزدك
وظلوا هم ومن تأثر بهم يحنون الى بيوت النار ! ففي خزانة الأدب (٨ / ١٧٩): (أن ابن المقفع
مر ببيت نار المجوس بعد إسلامه فتمثل:
يا بيت عاتكة الذي أتغزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل
إنى لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأميل)
وبعضهم كان يجاهر بمجوسيته مثل أنس ابن أبي شيخ: (كان كاتباً للبرامكة قتله الرشيد
على الزندقة في سنة نكبة البرامكة). (النهاية: ١٠ / ١٩٠).

٤. أراد البرامكة بكيدهم تمجيس الأمة الإسلامية !

وقد طمعوا في زمن هارون أن يدفعوا بالأمة الإسلامية خطوة خطيرة نحو المجوسية،
فاقترحوا على هارون أن تبخر الكعبة والمساجد وأن يكون فيها مجمر فيه نار وعود في

الطعبة والمساجد طول السنة ، أرادوها خطوة نحو عبادة النار !

قال البغدادي في الفرق بين الفرق (١/ ٢٧٠): (ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغي أن تجمر المساجد كلها ، وأن يكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود في كل حال! وكانت البرامكة قد زينوا للرشيدي أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبداً ، فعلم الرشيدي أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة وأن تصير الكعبة بيت نار) !

والذي حذر هارون فأفاق هو الإمام الكاظم عليه السلام بواسطة وزيره ابن يقطين ووزيره جعفر بن محمد بن الأشعث، ولذا كان البرامكة يكيدون لها ويجرون عليها هارون! ويحقدون على الإمام الكاظم عليه السلام حتى قتلوه !

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين/٣٣٣: (قالوا: كان السبب في أخذ موسى بن جعفر عليه السلام أن الرشيدي جعل ابنه محمداً في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث ، فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك وقال: إن أفضت الخلافة إليه زالت دولتي ودولة ولدي . فاحتال على جعفر بن محمد وكان يقول بالإمامة حتى داخله وأنس به وأسر إليه ، وكان يكسر غشيانه في منزله فيقف على أمره ويرفعه إلى الرشيدي ويزيد عليه في ذلك بما يقدر في قلبه) !

وكان خالد حاقداً على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وهو الذي دفع هارون الى قتل الإمام الكاظم عليه السلام (الإرشاد: ٢ / ٢٣٧) .

وقد حملهم الإمام الرضا عليه السلام مسؤولية قتل أبيه الكاظم عليه السلام وكان يدعو عليهم في عرفات! (كان أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه ، فسئل عن ذلك؟ فقال: إني كنت أدعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي فاستجاب الله لي اليوم فيهم!

فلما انصرف لم يلبث إلا يسيراً حتى بُطش بجعفر ويحيى ..). (العيون: ١/٣٥٤).
وقد نكل بهم هارون أفضع تنكيل، فقتل جعفر، وقسمه نصفين، وصلب كل نصف
في مكان بارز في بغداد، ثم أحرقه!
وألقي يحيى مع بقية أبنائه في سجون، وصادر أموالهم المنقولة وغير المنقولة.

٥. من مكائد يحيى البرمكي ضد الإمام الكاظم عليه السلام!

كان هشام بن الحكم مولى بني شيبان، أبرز مناظري الشيعة لخصومهم، وكان
الملاحدة، والخوارج، والمخالفون يهابونه ويحترمونه، لسرعة بديته وقوة حجته.
وقد سكن بغداد بعد الكوفة واشتهر بها، فاغتمها يحيى بن خالد البرمكي صاحب
هارون، فأخذ يعقد مجالس المناظرة ويدعوه المناظرين من الأديان والمذاهب، ويدعو
هشام بن الحكم.

وغرضه أن يزيد الاختلاف والعداء بين فرق المسلمين، وأن يأخذ من هشام
مستمسكاً يدفع به هارون لقتل إمامه موسى الكاظم عليه السلام.

وقد نقلت كتب الإحتجاج مناظراته، منها في مواقف الشيعة للأحمدي (١/٣٥١) قال: (عن
علي الأسواري قال: كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلمون من كل
فرقة وملة يوم الأحد، فيتناظرون في أديانهم ويحتج بعضهم على بعض، فبلغ ذلك
الرشيد، فقال ليحيى بن خالد: يا عباسي ما هذا المجلس الذي بلغني في منزلك
يحضره المتكلمون؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما شيء مما رفعني به أمير المؤمنين وبلغ من
الكرامة والرفعة أحسن موقعاً عندي من هذا المجلس، فإنه يحضره كل قوم مع
اختلاف مذاهبهم، فيحتج بعضهم على بعض ويعرف المحق منهم، ويتبين لنا فساد

كل مذهب من مذاهبهم . قال له الرشيد: فأنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم من غير أن يعلموا بحضوري فيحتشمون ولا يظهرون مذاهبهم .

قال: ذلك إلى أمير المؤمنين متى شاء . قال: فضع يدك على رأسي (أخفني) ولا تعلمهم بحضوري ففعل . وبلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا فيما بينهم وعزموا أن لا يكلموا هشاماً إلا في الإمامة لعلمهم بمذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالإمامة ... وجاء فيه:

قال ضرار: كيف تعقد الإمامة؟ قال هشام: كما عقد الله النبوة .. قال: فمن أين قلت إنه أشجع الناس؟ قال: لأنه فئة للمسلمين الذين يرجعون إليه في الحروب وقال الله عَزَّجَلَّ: وَمَنْ يُؤَلِّمْهُم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَكُذِّبَ بَاءً بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ، فَإِن لَّمْ يَكُنْ شِجَاعاً فَرًّا، فَيَبُوءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ، فَلَا يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ يَبُوءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ حِجَّةَ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ ...

فقال عند ذلك ضرار: فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت؟ فقال: صاحب العصر أمير المؤمنين! وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كله فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النورة! ويحك يا جعفر وكان جعفر بن يحيى جالساً معه في الستر من يعني بهذا؟ قال: يا أمير المؤمنين يعني موسى بن جعفر ، قال: ما عنى بها غير أهلها!

ثم عض على شفته وقال: مثل هذا حي ويبقى لي ملكي ساعة واحدة؟ فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف! فغمزه ، فعلم هشام أنه قد أتى (يعني وقع) فقام يريهم أنه يبول أو يقضي حاجة فلبس نعليه وانسل! ومر ببنيه وأمرهم بالتواري ، وهرب ومر من فوره نحو الكوفة ونزل على بشير النبال ، وكان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام .. الخ).

وفي مواقف الشيعة (١/٣٤٦): (عن يونس بن عبد الرحمن قال: كان يحيى بن خالد

البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة ، وأحب أن يغري به هارون ونصرته على القتل ، قال: وكان هارون لما بلغه عن هشام مال إليه . وذلك: أن هشاماً تكلم يوماً بكلام عند يحيى بن خالد في إرث النبي ﷺ فنقل إلى هارون فأعجبه ، وقد كان قبل ذلك يحيى يسترق أمره عند هارون ويرده عن أشياء كان يعزم عليها من أذاه ، فكان ميل هارون إلى هشام أحد ما غير قلب يحيى على هشام ، فشيعة عنده وقال له: يا أمير المؤمنين ! إني قد استبطنت أمر هشام ، فإذا هو يزعم أن الله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة ! قال: سبحان الله ! قال: نعم ، ويزعم أنه لو أمره بالخروج لخرج ، وإنما كنا نرى أنه ممن يرى الإلباد بالأرض .

فقال هارون ليحيى: فاجمع عندك المتكلمين وأكون أنا من وراء الستر بيني وبينهم لئلا يفتنوا بي ، ولا يمتنع كل واحد منهم أن يأتي بأصله لهيبي .

قال: فوجه يحيى وأشحن المجلس من المتكلمين ، وكان فيهم ضرار بن عمرو ، وسليمان بن جرير ، وعبد الله بن يزيد الإباضي ، ومؤيد بن مؤيد ، ورأس الجالوت ، قال: فتساءلوا فتكافؤوا وتناظروا ، وتقاطعوا وتناهوا إلى شاذ من شاذ الكلام ، كل يقول لصاحبه: لم تجب ، ويقول: قد أجبت ، وكان ذلك عن يحيى حيلة على هشام إذ لم يعلم بذلك المجلس ، واغتنم ذلك لعة كان أصابها هشام بن الحكم .

فلما تناهوا إلى هذا الموضع قال لهم يحيى بن خالد: أترضون فيما بينكم هشاماً حكماً؟ قالوا: قد رضينا أيها الوزير! فأنى لنا به وهو عليل؟ فقال يحيى: فأنا أوجه إليه ، فأرسله له أن يتجشم المشي فوجه إليه فأخبره بحضورهم وأنه إنما منعه أن يحضروه أول المجلس إبقاءً عليه من العلة ، وأن القوم قد اختلفوا في المسائل والأجوبة وتراضوا بك حكماً بينهم ، فإن رأيت أن تتفضل وتحمل على نفسك فافعل . فلما صار

الرسول إلى هشام ، قال لي: يا يونس! قلبي ينكر هذا القول ولست آمن أن يُكِن هاهنا أمراً لا أقف عليه ، لأن هذا الملعون يحيى بن خالد قد تغير عليّ لأمر شتى ، وقد كنت عزمت إن من الله علي بالخروج من هذه العلة أن أشخص إلى الكوفة وأحرم الكلام بته وألزم المسجد ، ليقطع عني مشاهدة هذا الملعون يعني يحيى بن خالد .

قال قلت: جعلت فداك! لا يكون إلا خيراً ، فتحرز ما أمكنك ، فقال لي: يا يونس! أترى التحرز عن أمر يريد الله إظهاره على لساني؟ أنى يكون ذلك! ولكن قم بنا على حول الله وقوته . فركب هشام بغلاً كان مع رسوله ، وركبت أنا حماراً كان لهشام ، قال فدخلنا المجلس فإذا هو مشحون بالمتكلمين! قال: فمضى هشام نحو يحيى فسلم عليه وسلم على القوم وجلس قريباً منه ، وجلست أنا حيث انتهى بي المجلس .

قال فقال هشام: ما الموضوع الذي تناهت به المناظرة؟ فأخبره كل فريق منهم بموضع مقطعه فكان من ذلك أن حكم لبعض على بعض ، فكان من المحكومين عليه سليمان بن جرير ، فحقدتها على هشام .

قال: ثم إن يحيى بن خالد قال لهشام: إنا قد أعرضنا عن المناظرة والمجادلة منذ اليوم، ولكن إن رأيت أن تبين عن فساد اختيار الناس الإمام وأن الإمامة في آل بيت الرسول دون غيرهم؟ قال هشام: أيها الوزير العلة تقطعني عن ذلك ، ولعل معترضاً يعترض فيكتسب المناظرة والخصومة. قال: إن اعترض معترض قبل أن تبلغ مرادك وغرضك فليس ذلك له ، بل عليه أن يحفظ المواضع التي له فيها مطعن فيقفها إلى فراغك ولا يقطع عليك كلامك . فبدأ هشام وساق الذكر لذلك وأطال.. فلما فرغ مما قد ابتدأ فيه من الكلام في فساد اختيار الناس الإمام..

قال يحيى لسليمان بن جرير: سل أبا محمد عن شيء من هذا الباب؟

قال سليمان لهشام: أخبرني عن علي بن أبي طالب مفروض الطاعة؟ فقال هشام: نعم، قال: فإن أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه؟ فقال هشام: لا يأمرني، قال: ولم إذا كانت طاعته مفروضة عليك وعليك أن تطيعه؟ فقال هشام: عد عن هذا فقد تبين فيه الجواب. قال سليمان: فلم يأمرك في حال تطيعه وفي حال لا تطيعه؟ فقال هشام: ويحك! لم أقل لك: إني لا أطيعه فتقول: إن طاعته مفروضة، إنما قلت لك: لا يأمرني.

قال سليمان: ليس أسألك إلا على سبيل سلطان الجدل، ليس عليّ الواجب أنه لا يأمرك، فقال هشام: كم تحول حول الحمى؟ هل هو إلا أن أقول لك: إن أمرني فعلت؟ فتنقطع أقبح الإنقطاع ولا يكون عندك زيادة! وأنا أعلم بما يجب قولي وما إليه يؤول جوابي. قال: فتغير وجه هارون، وقال هارون: قد أفصح، وقام الناس واغتمها هشام فخرج على وجهه إلى المدائن.

قال: فبلغنا أن هارون قال ليحيى: شد يدك بهذا وأصحابه. وبعث إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فحبسه، فكان هذا سبب حبسه مع غيره من الأسباب، وإنما أراد يحيى أن يهرب هشام فيموت مخفياً ما دام لهارون سلطان.

قال: ثم صار هشام إلى الكوفة وهو يعقب عليه ومات في دار ابن شرف بالكوفة، رحمه الله تعالى. قال: فبلغ هذا المجلس محمد بن سليمان النوفلي وابن ميثم، وهما في حبس هارون فقال النوفلي: أرى هشاماً ما استطاع أن يعتل، فقال ابن ميثم: بأي شيء يستطيع أن يعتل وقد أوجب أن طاعته مفروضة من الله قال: يعتل بأن يقول: الشرط علي في إمامته أن لا يدعو أحداً إلى الخروج حتى ينادي مناد من السماء..)

وفي معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (٢٠/٢٩٨ و٢٩٩ و٣٠٥): (هشام بن الحكم كان من

خواص سيدنا مولانا موسى بن جعفر عليه السلام ، وكانت له مباحثات كثيرة من المخالفين في الأصول وغيرها ، وكان له أصل أخبرنا به جماعة ، عن أبي جعفر بن بابويه ، عن ابن الوليد ، عن الصفار ، عن يعقوب بن يزيد ، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن ابن أبي عمير ، وصفوان بن يحيى ، عنه . وله من المصنفات كتب كثيرة، منها: كتاب الإمامة ، وكتاب الدلالات على حدوث الأشياء ، وكتاب الرد على الزنادقة ، وكتاب الرد على أصحاب الإثنين (المجوس) وكتاب التوحيد).

(ورفعه الصادق عليه السلام في الشيوخ وهو غلام وقال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده ، وقال عليه السلام: هشام بن الحكم رائد حقنا ، وسائق قولنا ، المؤيد لصدقنا ، والدافع لباطل أعدائنا).

(زعم هشام ليونس أن أبا الحسن عليه السلام بعث إليه فقال له: كفَّ هذه الأيام عن الكلام فإن الأمر شديد . قال هشام: فكففت عن الكلام حتى مات المهدي وسكن الأمر ، فهذا الأمر الذي كان من أمره وانتهائي إلى قوله عليه السلام).

٦. نشأ هارون في بيت يحيى البرمكي

كان يحيى بن خالد البرمكي مربي هارون ، وقد نشأ في بيته ، وكان يدعوه أبي ويدعو جعفرًا والفضل ابنيه: أخي .

وفي شذرات الذهب (٣٢٧/١): (وكان المهدي قد جعل الرشيد في حجر يحيى فعلمه الأدب وكان يدعوه أبا ، فلما ولي دفع إليه خاتمه وقلده أمره) .

وقال الطبري (٤٦١/٦): (وفي هذه السنة (سنة ١٨٧) فوض الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك) !

ولما أراد موسى الهادي عزل أخيه هارون من ولاية العهد حبسه مع يحيى بن خالد ، فقتلت

الخيزران ابنها موسى الهادي وأخرجت هارون من السجن وقالت ليحيى رتب له البيعة . قال المسعودي في التنبيه والإشراف/ ٢٩٩: (واستوزر هارون يحيى بن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل ثم نكبهم في صفر سنة ١٨٧، وقتل جعفر بن خالد وذلك لسبع عشرة سنة خلت من خلافته ، ودفع خاتم الخلافة بعد إيقاعه بهم إلى علي بن يقطين).

٧. وترى المأمون على يد جعفر بن يحيى البرمكي

قال ابن كثير في النهاية (١٣/ ٦١٤): (في سنة ١٨٢ أخذ الرشيد لولده عبد الله المأمون البيعة بولاية العهد من بعد أخيه محمد بن زبيدة الأمين ، وذلك بالرقعة بعد مرجعه من الحج ، وضم ابنه المأمون إلى جعفر بن يحيى البرمكي ، ثم أرسله إلى بغداد ومعه جماعة من أهل الرشيد خدمة له) .

أي كان عمر المأمون يومها إحدى عشرة سنة ، لأنه ولد في سنة ١٧٠ .

وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (١٣/ ٢٨٣): (وماتت أمه في نفاسها ، وقيل بعد ولادته بأيام ، فضمه هارون إلى سعيد الجوهري مولاهم ، فأرضعته امرأته حية بلبان ابنها يحيى بن سعيد، ثم ترعرع فجمع له أبوه العلماء من الآفاق ، وأدبه أبو محمد اليزيدي، وبرع في العلوم ، وحفظ القرآن والحديث والفقهاء والعربية والطب والنجوم وعلوم الأوائل).

أقول: يظهر أنهم أعطوه أول الأمر الى مولاهم سعيد ، لكن تحت نظر جعفر بن خالد البرمكي ، وأتى له باليزيدي معلماً تحت نظره أيضاً .

وفي تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٢): (قال أبو محمد اليزيدي: كنت أؤدب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري قال: فأتيته يوماً وهو داخل فوجهت إليه بعض خدمه يعلمه بمكاني فأبطأ عليّ ، ثم وجهت إليه آخر فأبطأ ، فقلت لسعيد إن هذا الفتى ربما تشاغل

بالبطالة وتأخر؟ قال: أجل، ومع هذا إنه إذا فارقك يعرم على خدمه ، ويلقون منه أذى شديداً ، فقومه بالأدب ، فلما خرج أمرت بحمله فضرته سبع درر ، قال: فإنه ليدلك عينه من البكاء ، إذ قيل هذا جعفر بن يحيى قد أقبل ، فأخذ منديلاً فمسح عينيه من البكاء ، وجمع ثيابه وقام إلى فراشه فقعد عليها متربعا ثم قال: ليدخل ، فدخل فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه فألقى منه ما أكره ، قال: فأقبل عليه بوجهه وحديثه حتى أضحكك وضحك إليه ، فلما هم بالحركة دعا بدابته وأمر غلمانه فسعوا بين يديه، ثم سألت عني فجئت فقال: خذ علي ما بقى من جزئي ، فقلت أيها الأمير أطل الله بقاءك لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى ، ولو فعلت ذلك لتنكر لي ، فقال: أتراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذه ؟ فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه إني أحتاج إلى أدب؟ إذا يغفر الله لك بعد ظنك ووجيب قلبك ، خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً ، ولو عدت في كل يوم مائة مرة!

أقول: هذه هي المؤثرات في شخصية المأمون ، وقد ورث منها شرب الخمر وحب اللهو والفساد الجنسي ، وسوء الظن بكل الناس حتى بأبيه ولي نعمته ! وكان مع ذلك يحافظ على المظهر الحسن ، والسلوك الإسلامي .

ومهما يكن من تأثير لتربيته ، تبقى صفاته الذاتية أهم من تربيته ، وهي صفات ميزته على كل خلفاء بني العباس بالذكاء والعلم والشيطنة !

أوصاف المأمون البدنية

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣ / ٢٨٣): (وكان المأمون أبيض ربعة حسن الوجه ، قد وَخَطَه الشيب ، يعلوه صفرة ، أعين ، طويل اللحية رقيقها ، ضيق الجبين ، على خده خال . يكنى أبا العباس).

خلاصة عن حياة المأمون

قال المسعودي في التنبيه والإشراف/ ٣٠٤: (وتوفي المأمون على عين البدندون من أرض الروم ، مما يلي طرسوس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ وله تسعة وأربعون سنة ، ودفن بطرسوس فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً. وكان أبيض تعلوه صفرة ، أجنى طويل اللحية ، ضيق الجبين، كاملاً عالماً ، جواداً ، عظيم العفو ، كريم المقدر ، ميمون النقيبة ، حسن التدبير ، جليل الصنائع ، لا تحدعه الأمانى ، ولا تجوز عليه الخدائع ، علمه بما بعد عنه من ملكه كعلمه بما حضره ، وربها حرك منه الغضب فعجل بالعقوبة .

واستوزر الفضل بن سهل ، ثم أخاه الحسن بن سهل . فلما أظهر العجز عن الخدمة لعوارض من العلل ولزم منزله ، عدل المأمون إلى استكتاب كتاب لعلمه بكتابتهم وجزالتهم ، وأنه ليس في عصرهم من يوازيهم ولا يداينهم ، فاستوزرهم واحداً بعد واحد أولهم أحمد بن أبي خالد الأحول . وكان ينوب عن الحسن بن سهل لما تخلف في منزله ، فلما دعاه المأمون إلى أن يستوزره قال: يا أمير المؤمنين إجعل بيني وبين الناس منزلة يرجوني لها صديقي ، ويخافني بها عدوى ، فما بعد الغايات إلا الآفات .

ثم أحمد بن يوسف ، ثم أبا عباد ثابت بن يحيى ، وعمرو بن مسعدة بن صول ، وكان يجرى مجراهم ، ولا يعده كثير من الناس في الوزراء ثم استوزر بعد هؤلاء محمد بن يزيد بن سويد . وتوفي المأمون ، وهو على وزارته .

وكان نقش خاتمه الله: ثقة عبد الله ، وبه يؤمن .

وقاضيه: محمد بن عمر الواقدي ، ويحيى بن أكثم .

قال المسعودي: أعجبه برد ماء العين وصفافؤها ، وطيب الموضع وكثرة الخضرة . وقد

طرح له درهم في العين ، فقرأ ما عليه لفرط صفائها . ولم يقدر أحد أن يسبح فيها لشدة بردها . فرأى سمكة نحو الذراع كأنها الفضة . فجعل لمن يخرجها سيفاً ، فنزل فرّاش فاصطادها وطلع ، فاضطربت وفرت إلى الماء فتنضح صدر المأمون ونحره وابتل ثوبه .

ثم نزل الفرّاش ثانية وأخذها ، فقال المأمون: تقلى الساعة، ثم أخذته رعدة فغطى باللحف وهو يرتعد ويصيح فأوقدت حوله نار . ثم أتى بالسمكة فما ذاقها لشغله بحاله . فسأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه عن مرضه ، فجسأه ، فوجدوا نبضه خارجاً عن الاعتدال منذراً بالفناء ، ورأيا عرقاً سائلاً منه كلعاب اللاغية فأنكراه ، ولم يجدها في كتب الطب .

ثم أفاق المأمون من غمرته ، فسأل عن تفسير اسم المكان بالعربي ، فقيل له: مد رجليك ، فتطير به ! وسأل عن اسم البقعة فقيل الرقة ، وكان فيما عمل من مولده أنه يموت بالرقة ، فكان يتجنب النزول بالرقة . فلما سمع هذا من الروم عرف وأيس ، وقال: يا من لا يزول ملكه إرحم من قد زال ملكه . وأجلس المعتصم عنده من يلقنه الشهادة لما ثقل . فرفع الرجل بها صوته ، فقال له ابن ماسويه: لا تصح ، فوالله ما يفرق الآن بين ربه وبين ماني .

ففتح عينيه وبهما من عظم التورم والإحمرار أمر شديد ، وأقبل يحاول بيديه البطش بابن ماسويه ، ورام مخاطبته فعجز ، فرمق بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعاً وقال في الحال: يا من لا يموت إرحم من يموت . ثم قضى ومات في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة . فنقله ابنه العباس وأخوه المعتصم لما توفي إلى طرسوس ، فدفن هناك في دار خاقان خادم أبيه).

وكان يتبنى التشيع والقول بوصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام بالخلافة ، ويناظر بذلك العلماء ، ليغيض بني العباس ، لأنهم عزلوه عن ولاية العهد .

وقد استطاع أن ينتصر على أخيه الأمين ويقتله ، فبعد عزل الأمين إياه أخذت أخواله الخراسانيين الغيرة له ، واستفاد من أنه يتقن الفارسية ، وكان والياً على خراسان . ونهض الفضل بن سهل وأخوه الحسن بن سهل وكانا من أبناء ملوك الفرس ، ومن تلاميذ خالد البرمكي . فكون جيشاً من الخراسانيين وحارب الأمين وانتصر عليه وقتله وجاء برأسه للمأمون ! ثم أجبر المأمون الإمام الرضا عليه السلام على قبول ولاية عهده ليخوف العباسيين بأنه سينقل الخلافة إلى بني علي عليه السلام . وبعد نحو ثلاث سنين تصالح مع العباسيين فقام بقتل الفضل بن سهل والإمام الرضا عليه السلام ، وعاد إلى بغداد منتصراً ، فخضع له أكثر العباسيين ! كما كان المأمون عدواً لدوداً للمؤمنين وعقيدتهم في التشبيه والتجسيم ، فكتب منشور براءة من معاوية فيه مخازبه وكفره ، لكنه أخر نشره وأمر بنشره المعتضد بعده .

ولما رجع إلى بغداد وجد أن الفقهاء والمحدثين الذين أيدوا أخاه الأمين ، يقولون بقدوم القرآن ، وأنه كلام الله غير مخلوق لأنه صفة ذاتية لله ، أو لأنه جزء من ذات الله عند من يقول إن الله تعالى وجود مركب ، فاتخذها حجة للانتقام منهم ، ورفع شعار أن القول بقدوم القرآن شرك بالله تعالى ، لأنه يعني وجود شيء قديم مع الله تعالى قبل الخلق ! فأمر بامتحان المشايخ ، فمن قال إن القرآن مخلوق قربته وشغله في وظائف الدولة ، ومن قال غير مخلوق حبسه وحرمه ، أو قتله !

ودام هذا الإمتحان بضع عشرة سنة ، لأن المأمون بدأ بتنفيذه سنة ٢١٨ ، لما كان بطرطوس ، ثم تبناه المعتصم والواثق ، إلى أن ألغاه المتوكل سنة ٢٣٢ .

وهو امتحان بأمر مبهم يمكن الحكم بإدانته من يجيب فيه بالنفي أو بالإثبات ! فقد أجاب بعضهم في زمن المأمون بأن القرآن قديم فقيل له أنت كافر تجعل مع الله شريكاً

وأجاب بعضهم في زمن المتوكل بأن القرآن مخلوق فقيل له تقول إن كلام الله مختلق، أو تقول إن الله مخلوق ، لأن كلامه منه !

فكانت مادة امتحان المأمون ، نفسها مادة امتحان معاكس عند المتوكل !

قال اليعقوبي (٢/ ٤٦٧): (وصار المأمون إلى دمشق سنة ٢١٨ ، وامتحن الناس في العدل والتوحيد ، وكتب في إشخاص الفقهاء من العراق وغيرها ، فامتحنهم في خلق القرآن، وأكفر من امتنع أن يقول القرآن غير مخلوق ، وكتب أن لا تقبل شهادته ، فقال الكل بذلك ، إلا نفرأ يسيراً) .

أما الحقيقة فهي أن المأمون ملحد لا يؤمن بشيء ، ولا يؤمن بأن القرآن من عند الله تعالى حتى يسأل هل هو مخلوق أو غير مخلوق ، وقد غرس الإلحاد فيه مربيه وأبوه جعفر البرمكي، وكان يؤمن بالنجوم ، ثم اتجه الى مذهب الفلاسفة اليونانيين وأوفد مجموعة الى أثينا وروما مثل الكندي وإسحاق بن حنين ، فترجموا عدداً من كتب اليونان وأتوا بعدد منها.

كان المأمون واسع الثقافة

فقد كان ملماً بالثقافة الرائجة في عصره الثقافة اليونانية ، وطابعها فلسفي مادي . ففي الموفقيات لابن بكار/ ٤٠: (حدثني محمد بن جعفر الأنطاقي ، وكان أحد الفقهاء العشرة قال: تغدينا في يوم عيد مع المأمون ، فأظنه قد وضع على المائدة بين يديه أكثر من ثلاث مائة لون! قال: فكلما وضع لون ، نظر اليه المأمون وقال: هذا نافع لكذا ضار من كذا ، فمن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا ، ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض لهذا . ومن أحب الزيادة في لحمه فليأكل من هذا ، ومن قصده قلة الغذاء فليقتصر على هذا . قال: فو الله إن تلك حاله في كل لون يقدم ، حتى رفعت الموائد . قال فقال له يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين إن خضنا في الطب كنت جالينوس

في معرفته ، أو في النجوم كنت هرمس في حسابه ، أو في الفقه كنت علي بن أبي طالب في علمه ، أو في السخاء فأنت حاتم طيئ في جوده ، أو صدق الحديث فأنت أبو ذر في صدق لهجته . أو الكرم فأنت كعب بن مامة في إثارة على نفسه . قال: فسراً بذلك المأمون وقال: يا أبا محمد ، إن الانسان إنما فضل على غيره من الهوام بفعله وعقله وتمييزه ، ولولا ذلك لم يكن لحم أطيب من لحم ، ولا إدام أطيب من إدام).

قال المأمون: تعلمت التشيع من أبي!

في مناقب آل أبي طالب (٣/٤٢٥): (قال الريان بن شبيب قال المأمون: استأذن الناس على الرشيد فكان آخر من أذن له موسى بن جعفر، فلما نظر إليه الرشيد تحرك ومد بصره وعنقه إليه حتى دخل البيت الذي كان فيه ، فلما قرب منه جثى الرشيد على ركبتيه وعانقه ثم أقبل يسأل عن أحواله وأبو الحسن يقول: خير خير . فلما قام عانقه وودعه، فقلت يا أمير المؤمنين لقد رأيتك عملت بهذا الرجل شيئاً ما عملته مع أحد قط فمن هذا الرجل ! فقال: يا بني هذا وارث علم النبيين هذا موسى بن جعفر بن محمد إن أردت العلم الصحيح فعند هذا . قال المأمون: فعند ذلك انغرس في قلبي حبهم).

وفي رواية عيون أخبار الرضا عليه السلام: (٢/٨٥): (قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد أعظمته وأجللته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له! قال: هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده . فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني إنه لاحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعاً ! ووالله لو نازعتني هذا الأمل لأخذت الذي فيه عينك فإن الملك عقيم)!

وفي رواية: (فقال يا بني هذا وارث علم النبيين هذا موسى بن جعفر بن محمد إن أردت العلم الصحيح فعند هذا قال المأمون: فحيثئذ انغرس في قلبي محبتهم) .
أقول: نعم تعلم المأمون التشيع من أبيه . لكن تعلم منه أكثر قاعدة: الملك عقيم ، فأفتى نفسه بأن يقتلهم لكن بأساليب خفية ! وهكذا فعل مع الإمام الرضا عليه السلام مع تقديسه له !

كان المأمون يناظر الفقهاء ورؤساء المذاهب والأديان!

قال المسعودي في مروج الذهب (٢/٤٤): (قال يحيى بن أكثم: كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ، أدخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم: إنزعوا أحفافكم ، ثم أحضرت الموائد وقيل لهم: أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ، ومن خفه ضيق فليزرعه ، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها ، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فُبُخِّروا وطُيبوا ، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه ويناظرهم أحسن مناظرة ، وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين ، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس ، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون) .

كان المأمون متعصبا للتشيع نظريا وعدواً له عملياً

كان يقول: تعلمت التشيع من أبي هارون ، وكان يجهر بالقول إن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله ، وقد جمع أهم فقهاء العراق ومتكلميه وناظرهم في أفضلية علي عليه السلام وأنه أولى من أبي بكر بخلافة النبي صلى الله عليه وآله ! وأثبت لهم مقولته: إن علياً وأولاده خلؤ من الناس ! ومما احتج به عليهم أن النبي صلى الله عليه وآله دعاه الى الإسلام قبل بلوغه ولم يدع صبيّاً غيره ، لأنه لا تصح دعوة الصبيان ، وكانت دعوته له بأمر الله تعالى ولم يتكلّف ذلك من نفسه ، فإن الله يقول: وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ !

وكان المأمون يقول: (ويحكم إن أهل هذا البيت خِلُّوْ (غير) من هذا الخلق! أوَمَا

علمتم أن رسول الله بايع الحسن والحسين وهما صبيان غير بالغين ولم يبايع طفلاً غيرهما! أو ما علمتم أن علياً آمن بالنبي وهو ابن عشر سنين، فقبل الله ورسوله منه إيمانه ولم يقبل من طفل غيره، ولا دعا النبي طفلاً غيره إلى الإيمان! أو ما علمتم أنها ذرية بعضها من بعض، يجري لأخراهم ما يجري لأولهم! (الإختصاص/٩٨). وروى بعضها ابن عبد البر في العقد الفريد (٢/٢٤٠).

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٩٩) أن الإمام الرضا عليه السلام كان يقول لأصحابه الذين يثق بهم: لاتغتروا منه بقوله فما يقتلني والله غيره! ومعناه أن المأمون كاذب، يناظر العلماء في فضل علي والأئمة عليهم السلام ثم يقتلهم! كما كان يبغض بني أمية وكتب منشور براءة من معاوية، لكنه لم ينشره لأن بعض وزرائه نصحوه بأن ذلك يحرك عليه بعض الناس، ثم نشره المعتضد بعده بسنين!

منشور المأمون في ذم معاوية والبراءة منه

قال المسعودي في مروج الذهب (٢/٥٤): (وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادي المأمون: برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وتنازع الناس في السبب الذي من أجله أمر بالنداء في أمر معاوية فقليل في ذلك أقاويل: منها أن بعض سماره حدث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي، وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن بكار في كتابه في الأخبار المعروفة بالموفقيات التي صنفها للموفق، وهو ابن الزبير، قال: سمعت المدائني يقول: قال مطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنه ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء فرأيتته مغتماً فانتظرت ساعة، وظننت أنه لشيء

حدث فينا أو في عملنا فقلت له: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة . قال: يا بني ، إني جئت من عند أخبث الناس! قلت له: وما ذاك. قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت المنى يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت ، ولونظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه . فقال لي: هيهات هيهات! ملك أخوتيم فعدل وفعل ما فعل ، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره ، إلا أن يقول قائل: أبوبكر.

ثم ملك أخوعدي ، فاجتهد وشمر عشر سنين ، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره ، إلا أن يقول قائل: عمر .

ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه ، فعمل ما عمل وعمل به ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به .

وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله! فأبي عمل يبقى مع هذا لا أم لك ، والله إلا دفناً دفناً!

وإن المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ما وصفنا ، وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر ، فأعظم الناس ذلك وأكبروه ، واضطربت العامة منه ، فأشير عليه بترك ذلك ، فأعرض عما كان هم به .

وقال الطبري في تاريخه (٨/١٨٢): (وفي هذه السنة (٢٨٤ هجرية) عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس ، فخوفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة وأنه لا يأمن أن تكون فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك . وذكر أن أول شيء بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقدم إلى العامة بلزوم أعمالهم وترك الإجتماع والقضية والشهادات عند السلطان، إلا أن

يسألوا عن شهادة إن كانت عندهم. وبمنع القصاص من القعود على الطرقات، وعملت بذلك نسخ قرئت بالجانين بمدينة السلام في الأرباع والمحال والأسواق، فقرئت يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى من هذه السنة، ثم منع يوم الجمعة لأربع بقين منها القصاص من القعود في الجامعين، ومنع أهل الحلق في الفتيا أو غيرهم من القعود في المسجدين، ومنع الباعة من القعود في رحابهما..

وتقدم إلى الشُّراب والذين يسقون الماء في الجامعين أن لا يترحموا على معاوية ولا يذكره بخير، وتحدث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر، فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ. فذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية فأخرج له من الديوان فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب، وذكر أنها نسخة الكتاب الذي أنشئ للمعتضد بالله:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله العلي العظيم الحليم الحكيم العزيز الرحيم، المنفرد بالوحدانية، الباهر بقدرته، الخالق بمشيئته وحكمته، الذي يعلم سوابق الصدور وضائر القلوب، لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى، قد أحاط بكل شئ علماً، وأحصى كل شئ عدداً، وضرب لكل شئ أمداً، وهو العليم الخبير.

والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته، وخلق عباده لمعرفة، على سابق علمه في طاعة مطيعهم وماضي أمره في عصيان عاصيهم، فبين لهم ما يأتون وما يتقون، ونهج لهم سبل النجاة، وحذرهم مسالك الهلكة، وظاهر عليهم الحججة، وقدم إليهم المعذرة، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم وأكرمهم به، وجعل المعتصمين بحبله والتمسكين

بعروته أوليائه وأهل طاعته والمعاندين له والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ .

والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع بريته ، واختاره لرسالته ، وابتعثه بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذن له بالنصر والتمكين ، وأيده بالعز والبرهان المتين ، فاهتدى به من اهتدى ، واستنقذ به من استجاب له من العمى ، وأضل من أدبر وتولى ، حتى أظهر الله أمره وأعز نصره ، وقهر من خالفه ، وأنجز له وعده ، وختم به رسله ، وقبضه مؤدياً لأمره ، مبلغاً لرسالته ناصحاً لأئمة ، مرضياً مهتدياً إلى أكرم مآب المنقلين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين وعباده الفائزين . فصلى الله عليه أفضل صلاة ، وأتمها ، وأجلها ، وأعظمها ، وأزكاها وأطهرها ، وعلى آله الطيبين . والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين وسلفه الراشدين المهتدين ورثة خاتم النبيين وسيد المرسلين ، والقائمين بالدين ، والمقومين لعباده المؤمنين ، والمستحفظين ودائع الحكمة ، ومواريث النبوة والمستخلفين في الأمة والمنصورين بالعز والمنعة والتأييد والغلبة ، حتى يظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم ، وفساد قد لحقهم في معتقدهم ، وعصية قد غلبت عليها أهواؤهم ونطق بها ألسنتهم ، على غير معرفة ولا روية ، وقلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة إلى الأهواء المتدعة ، قال الله عز وجل: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . خروجا عن الجماعة ، ومسارعة إلى الفتنة ، وإيثارا للفرقة ، وتشتيئا للكلمة ، وإظهاراً لموالاته من قطع الله عنه الموالاته ، وبتر منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن صغر الله حقه ،

وأوهن أمره وأضعف ركنه ، من بني أمية ، الشجرة الملعونة ، ومخالفة لمن استتقدهم الله به من الهلكة ، وأسبغ عليهم به النعمة ، من أهل بيت البركة والرحمة ، قال الله عَزَّجَلَّ: **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.**

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك، ورأى في ترك إنكاره حرجاً عليه في الدين، وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين ، وإهمالاً لمن أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين ، وتبصير الجاهلين وإقامة الحججة على الشاكين، وبسط اليد على المعاندين . وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشر الناس، بأن الله عَزَّجَلَّ لما ابتعث محمداً بدينه ، وأمره أن يصدع بأمره ، بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربه ، وأنذرهم وبشرهم ونصح لهم وأرشدهم ، فكان من استجاب له وصدق قوله واتبع أمره ، نفر يسير من بني أبيه ، من بين مؤمن بما أتى به من ربه وبين ناصر له وإن لم يتبع دينه إعزازاً له وإشفاقاً عليه لماضي علم الله فيمن اختار منهم ونفذت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافته وإرث نبيه ، فمؤمنهم مجاهد ببصيرته، وكافرهم مجاهد بنصرته وحميته يدفعون من نابذه ويقهرون من عازيه وعانده ، ويتوثقون له ممن كانفه وعاضده ، ويبايعون له من سمح بنصرته ، ويتجسسون له أخبار أعدائه ، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين ، حتى بلغ المدى وحن وقت الإهداء، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والايان به بأثبت بصيرة وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة وأهل بيت الدين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ومعدن الحكمة ، وورثة النبوة ، وموضع الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة ، وألزم العباد لهم الطاعة ، وكان ممن عانده ونابذه وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر، والسواد الأعظم يتلقونه بالكذب والتثريب ، ويقصدونه بالأذية والتخويف ، ويبارزون بالعداوة ،

وينصبون له المحاربة ، ويصدون عنه من قصده ، وينالون بالتعذيب من اتبعه .
وأشدّهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة، وأولهم في كل حرب ومناصبه، لا يرفع
على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها ، في كل مواطن الحرب ، من
بدر وأحد والخندق والفتح ، أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في
كتاب الله ، ثم الملعونين على لسان رسول الله ﷺ في عدة مواطن وعدة مواضع ،
لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم ، فحارب مجاهداً ، ودافع
مكابداً وأقام منابداً ، حتى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون ، فتقول بالإسلام
غير منطوق عليه ، وأسّر الكفر غير مقلع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون ،
وميزله المؤلفة قلوبهم ، فقبله وولده على علم منه ، فما لعنهم الله به على لسان
نبيه ﷺ وأنزل به كتاباً قوله: **وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**.
ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية .

ومنه قول الرسول ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ، ويزيد ابنه يسوق
به: لعن الله القائد والراكب والسائق!

ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة
ولا نار، وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله ، كما لحقت الذين كفروا من بني
إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره ، وقوله لقائده : ههنا ذبنا
محمداً وأصحابه .

ومنه الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجم لها فما روى ضاحكاً بعدها، فأنزل الله: **وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**. فذكروا أنه رأى نفاعاً من بني أمية ينزون على منبره.

ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لحكايته إياه ، وألحقه الله بدعوة رسوله آية باقية ، حين رآه يتخلج فقال له: كن كما أنت! فبقي على ذلك سائر عمره ، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الاسلام ، واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها ، أو أريق بعدها.

ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر: **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**. من ملك بنى أمية.

ومنه أن رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه فدافع بأمره واعتل بطعامه ، فقال النبي: لا أشبع الله بطنه فبقي لا يشبع ، ويقول والله ما أترك الطعام شبعاً ولكن أعيأ.

ومنه أن رسول الله ﷺ قال: يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي فطلع معاوية .

ومنه أن رسول الله ﷺ قال إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه .

ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال: إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ، ينادي يا حنان يا منان: **الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** .

ومنه انبرأؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الاسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبقاً أحسنهم فيه أثراً وذكراً ، علي بن أبي طالب ، ينازعه حقه بباطله ، ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته ، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله ، وجحود دينه: **وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**. يستهوي أهل الغباوة ، ويموه على أهل الجهالة ، بمكره وبغيه الذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنها فقال لعمار: تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار! مؤثراً للعاجلة كافراً بالآجلة ، خارجاً من ربة الإسلام ، مستحلاً للدم الحرام ، حتى سفك في فتنته وعلى سبيل ضلالته ما لا

يحصى عدده من خيار المسلمين ، الذابين عن دين الله ، والناصرين لحقه مجاهداً لله مجتهداً في أن يعصى الله فلا يطاع ، وتبطل أحكامه فلا تقام ، ويخالف دينه فلا يدان ، وأن تعلق كلمة الضلالة، وترتفع دعوة الباطل ، وكلمة الله هي العليا ، ودينه المنصور، وحكمه المتبع النافذ ، وأمره الغالب ، وكيد من حاده المغلوب الداحض ، حتى احتمال أوزار تلك الحروب وما اتبعها ، وتطوق تلك الدماء وما سفك بعدها ، وسن سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع الحقوق أهلها ، واغتره الإملاء واستدرجه الإمهال ، والله له بالمرصاد.

ثم مما أوجب الله له به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة ، مثل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي ، فمن قتل أمثالهم ليكون له العزة والملك والغلبة ، والله العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا.

ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سمية جرأة على الله والله يقول: أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ، ورسول الله ﷺ يقول: ملعون من ادعى إلى غير أبيه وانتمى إلى غير مواليه . ويقول: الولد للفراش والعاهر الحجر ، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ جهاراً ، وجعل الولد لغير الفراش ، والعاهر لا يضره عهره ، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي ﷺ ، وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله ، وأثبت بها قربي قد باعدها الله ، وأباح بها ما قد حضره الله مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله ، ولم ينل الدين تبديل شبهه .

ومن إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير ، صاحب الديوك

والفهود والقروود ، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد ، والإخافة والتهديد والرغبة ، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه ، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره فلما تمكن منه ما يمكنه منه ووطأه له وعصى الله ورسوله فيه ، طلب بثارات المشركين وطوائهم عند المسلمين ، فأوقع بأهل الحرة الواقعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش، مما ارتكب من قتل الصالحين فيها وشفى بذلك غليله وظن أن قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله فقال مجاهراً بكفره:

ليت أشياخي بيدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتكم	وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تسل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحى نزل

هذا هو المروق من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ، ولا إلى كتابه ، ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ، ولا بما جاء من عند الله .

ثم من أغلظ ما انتهك وأعظم ما احترم سفكه دم الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع موقعه من رسول الله ﷺ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل ، وشهادة رسول الله ﷺ له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة، اجترأ على الله وكفراً بدينه، وعداوة لرسوله ، ومجاهدة لعترته واستهانة بحرمته ، فكأنها يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمة ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره واجتث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعد له من عذابه وعقوبته ما

استحققه من الله بمعصيته .

هذا إلى ما كان من بنى مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه ، واتخاذ مال الله دولاً بينهم ، وهدم بيته ، واستحلال حرامه ، ونصبهم المجانيق عليه ورميهم إياه بالنيران ، لا يألون له إحراقاً وإخراباً ، ولما حرم الله منه استباحة وانتهاكاً ، ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً ، ولمن آمنه الله به إخافة وترشيداً ، حتى إذا حقت عليهم كلمة العذاب ، واستحقوا من الله الانتقام ، وملؤوا الأرض بالجور والعدوان ، وعموا عباد الله بالظلم والإقتسار ، وحلت عليهم السخطة ، ونزلت بهم من الله السطوة ، أتاح الله لهم من عتره نبيه وأهل وراثته من استخلصهم منهم بخلافته ، مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين ، فسفك الله بهم دماءهم مرتدين كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين ، وقطع الله دابر القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين ، ومكن الله المستضعفين ورد الله الحق إلى أهله المستحقين كما قال جل شأنه: **وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**.

واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل إنما أمر ليطاع ، ومثل ليمثل ، وحكم ليقبل ، وألزم الأخذ بسنة نبيه ﷺ ليتبع ، وإن كثيراً ممن ضل فالتوى وانتقل من أهل الجهالة والسفاهة ، ممن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وقد قال الله عز وجل: **فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ**.

فانتهوا معاشر الناس عما يسخط الله عليكم ، وراجعوا ما يرضيه عنكم وارضوا من الله بما اختار لكم ، والزموا ما أمركم به ، وجانبوا ما نهاكم عنه ، واتبعوا الصراط المستقيم والحجة المبينة ، والسبيل الواضحة ، وأهل بيت الرحمة الذين هداكم الله بهم بديئاً ، واستنقذكم بهم من الجور والعدوان أخيراً ، وأصاركم إلى الخفض والأمن

والعز بدولتهم ، وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم ، والعنوا من لعنه الله ورسوله ، وفارقوا من لا تنالون القربة من الله إلا بمفارقتة .

اللهم العن أبا سفيان بن حرب ، ومعاوية ابنه ، ويزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم وولده. اللهم العن أئمة الكفر ، وقادة الضلالة ، وأعداء الدين، ومجاهدي الرسول ، ومغيري الأحكام ، ومبدلي الكتاب ، وسفاكي الدم الحرام . اللهم إنا نتبرأ إليك من موالاتة أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك كما قلت: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

يا أيها الناس: اعرفوا الحق تعرفوا أهله ، وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها ، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم ويلحقهم بالضلال أو الصلاح آباؤهم ، فلا يأخذكم في الله لومة لائم، ولا يميلن بكم عن دين الله استهواء من يستهويكم، وكيد من يكيدكم، وطاعة من تخرجكم طاعته إلى معصية ربكم.

أيها الناس: بنا هداكم الله ونحن المستحفظون فيكم أمر الله، ونحن ورثة رسول الله، والقائمون بدين الله ، فقفوا عندما نوقفكم عليه، وأنفذوا لما نأمركم به ، فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمة الهدى على سبيل الإيثار والتقوى ، أمير المؤمنين يستعصم الله لكم ، ويسأله توفيقكم ، ويرغب إلى الله في هدايتكم لرشدكم ، وفي حفظ دينه عليكم حتى تلقوه به مستحقين طاعته ، مستحقين لرحمته ، والله حسب أمير المؤمنين فيكم، وعليه توكله وبالله على ماقلده من أموركم ، واستعانته ولا حول لأمر المؤمنين ولا قوة إلا بالله . والسلام عليكم . وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة ٢٨٤ .

وذكر أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضي ، وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد!

فمضى يوسف بن يعقوب فكلم المعتضد في ذلك وقال له: يا أمير المؤمنين إني أخاف أن تضطرب العامة ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة. فقال إن تحركت العامة أو نطقت وضعت سيفي فيها!

فقال يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون ويميل إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ومآثرهم، وفي هذا الكتاب إطراؤهم أو كما قال، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل، وكانوا أبسط ألسنة، وأثبت حجة منهم اليوم! فأمسك المعتضد، فلم يرد عليه جواباً، ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء).

كان المأمون مدمناً للخمر مغرماً بالجواري واللهم

تبلغ أخبار المأمون مع الجواري والخمر والغناء ومجالس اللهم أكثر من مجلد! ونكتفي بنهاج منها تدلك على الوجه الآخر للمأمون في لياليه وأيامه، وعلى أنه عبد شهواته! فقد كتبنا في كتاب الإمام محمد الجواد عليه السلام / ١٣١:

١. قال الطبري في تاريخه (٧ / ١٥٧): (كان يجرب المأمون على النبيذ فتح الخادم، ويأسر يتولى الخلع، وحسين يسقي، وأبو مريم غلام سعيد الجوهري يختلف في الحوائج. فركب طاهر إلى الدار فدخل فتح فقال: طاهر بالباب، فقال: إنه ليس من أوقاته، إذن له. فدخل طاهر فسلم عليه فرد عليه وقال: إسقوه رطلاً، فأخذه في يده اليمنى وقال له: أجلس، فخرج فشربه ثم عاد وقد شرب المأمون رطلاً آخر فقال: إسقوه ثانياً، ففعل كفعله الأول، ثم دخل فقال له المأمون: أجلس، فقال: يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشرطة أن يجلس بين يدي سيده، فقال له المأمون: ذلك في مجلس العامة، فأما مجلس الخاصة فطلق).

٢. في الأغاني (٣١٤ / ١٠): (عن أبي أحمد بن الرشيد قال: كنت يوماً بحضرة المأمون

وهو يشرب ، فدعا بياسر وأدخله فسار به بشئ ومضى وعاد . فقام المأمون وقال لي: قم ، فدخل دار الحرم ودخلت معه فسمعت غناء أذهل عقلي ، ولم أقدر أن أتقدم ولا أتأخر. وفتن المأمون لما بي فضحك ثم قال: هذه عمته عليّة تطارح عمك إبراهيم).
وعلية وإبراهيم أولاد الخليفة المهدي ، وهما مغنيان خماران !

٣. في الأغاني (١٠ / ٣٣٢): (دخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرب فقال له: بحياتي وبحقي عليك يا أبا محمد إلا شربت معي قدحاً ، وصب له من نبيذه قدحاً ، فأخذه بيده وقال له: من تحب أن يغنيك؟ فأوماً إلى إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون: غنه يا عم ، فغناه..).

٤. في الوافي للصفدي (١٧ / ٣٤٥): (وقال محمد بن حبيب: كان عبد الله بن موسى الهادي معربداً ، وكان قد أعضل المأمون مما يعربد عليه إذا شرب معه فأمر به أن يجلس في بيته فلا يخرج منه ، وأقعد على بابه حرساً) .

٥. في الأغاني (١٧ / ٥٦): (ذكر أحمد بن أبي طاهر أن محمد بن علي بن طاهر بن الحسين حدثه أن المأمون كان يوماً قاعداً يشرب ويبيده قدح ، إذ غنت بَذل: ألا لا أرى شيئاً ألد من الوعدِ . فجعلته: ألا لا أرى شيئاً ألد من السحق! فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها ، وقال: بلي يا بذل النيك ألد من السحق، فخافت غضبه، فأخذ قدحه ثم قال: أمتي صوتك).

وفي الأغاني (٧ / ٢١٥): (كان سبب موت بذل هذه ، أنها كانت ذات يوم جالسة عند المأمون فغنته ، وكان حاضراً في ذلك المجلس موسوس (مجنون) يكنى بأبي الكركدن، من أهل طبرستان يضحك منه المأمون ، فعبثوا به فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق أحد حتى هرب المأمون ، وبقيت بذل جالسة والعود في حجرها ، فأخذ

العود من يدها وضرب به رأسها فشجها في شابورثها اليمنى فانصرفت وحمّت ، وكان سبب موتها).

٦. في تاريخ دمشق (٦٩ / ٢٦٧) : (عَرِيب المأمونية: قيل إنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، لما انتهت دولة البرامكة سُرقت وهي صغيرة وبيعت ، واشتراها الأمين ثم اشتراها المأمون ، وكانت شاعرة مجيدة ، ومغنية محسنة ، وقدمت دمشق مع المأمون).

وفي الأغاني (٢٠/ ٣٨٠) قال اليزيدي: (دخلتُ على المأمون وهو يشرب وعنده عريب ومحمد بن الحارث بن بسخر، يغنيانه ، فقال: أطعموا محمداً شيئاً ، فقلت: قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين ، فقال: أما ترى كيف عتق هذا الشراب حتى لم يبق إلا أقله ما أحسن ما قيل في قديم الشراب.. ثم قال: إسقوا محمدا رطلين ، وأعطوه عشرين ألف درهم) .

وفي نهاية الإرب (٢٢ / ٢٢٤) : (فأخذت العود وغنت فشربنا عليه رطلاً ، ثم ثانياً وثالثاً ، فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال ، ارتاح وطرب) .

وفي الأغاني (٢١ / ٤٠) : (ما رأيت امرأة أضرب من عريب ، ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجهاً ، ولا أخف روحاً ، ولا أحسن خطاباً ، ولا أسرع جواباً ، ولا ألعب بالشطرنج والنرد ، ولا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلها في امرأة غيرها . قال حماد: فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي فقال: صدق أبو محمد هي كذلك ، قلت: أفسمعتها؟ قال: نعم هناك ، يعني في دار المأمون).

وفي الأغاني (٢١ / ٤٩) : (حدثني إبراهيم بن رباح قال: كنت أتولى نفقات المأمون فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلبي عريب فأمره أن يشتريها ، فاشتراها بمائة ألف

درهم ، فأمرني المأمون بحملها ، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى ، ففعلت ذلك ولم أدر كيف أثبتها ، فحكيت في الديوان أن المائة الألف خرجت في ثمن جوهرة ، والمائة الألف الأخرى خرجت لصائغها ودلالها ، فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون ، وقد رأى ذلك فأنكره وسألني عنه ، فقلت: نعم هو ما رأيت ، فسأل المأمون عن ذلك وقال: أوجب وهب لدلال وصائغ مائة ألف درهم ، وغلظ القصة ، فأنكرها المأمون فدعاني وذنوت إليه ، وأخبرته أنه المال الذي خرج في ثمن عريب وصلة إسحاق ، وقلت: أيما أصوب يا أمير المؤمنين: ما فعلت أو أثبت في الديوان أنها خرجت في صلة مغن و ثمن مغنية؟ فضحك المأمون وقال: الذي فعلت أصوب ، ثم قال للفضل بن مروان: يا نبطي لا تعترض على كاتبني هذا في شيء !

وفي الأغاني (٥٧/٢١): (عتب المأمون على عريب فهجرها أياماً ، ثم اعتلت فعادها فقال لها: كيف وجدت طعم الهجر؟ فقالت: يا أمير المؤمنين لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل ، ومن ذم بدء الغضب حمد عاقبة الرضا ، قال: فخرج المأمون إلى جلسائه ، فحدثهم بالقصة ثم قال: أترى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيراً). والنظام إمام المعتزلة مات ٢٣١ .

وفي الأغاني (٤٨ / ٢١): (قال ابن المعتز: ولقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قبّل في بعض الأيام رجلها ! قال: فلما مات المأمون بيعت في ميراثه ، ولم يبع له عبد ولا أمة غيرها ، فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم .

وفي الأغاني (٥٧ / ٢١): (قال لي الفضل بن العباس بن المأمون: زارتني عريب يوماً ومعها عدة من جواربها ، فوافقتنا ونحن على شرابنا فتحدثنا ساعة . وسألتها أن تقيم عندي فأبت وقالت: دعاني جماعة من إخواني من أهل الأدب والظرف ، وهم

مجتتمعون في جزيرة المؤيد ، فيهم إبراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ، ويحيى بن عيسى بن منارة ، وقد عزمت على المسير إليهم ، فحلفت عليها فأقامت عندنا ، ودعت بدواة وقرطاس فكتبت :

بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة لم تزد عليها وهي : أردت ، ولولا ، ولعلي . ووجهت به إليهم ، فلما وصلت الرقعة عيوا بجوابها ، فأخذ إبراهيم بن المدبر الرقعة فكتب تحت أردت : ليت ، وتحت لولا : ماذا ، وتحت لعللي : أرجو . ووجهوا بالرقعة فصفقت ونعرت وشربت رطلاً وقالت لنا : أترك هؤلاء وأقعد عندكم؟ إذا تركني الله من يديه ، ولكني أخلف عندكم من جواربي من يكفيكم وأقوم إليهم ففعلت ذلك وخلفت عندنا بعض جواربها وأخذت معها بعضهن وانصرفت).

وفي الأغاني (٢١ / ٦٠) : (قال ابن المعتز : وحدثني أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات قال : حدثني أبي قال : كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب وعريب حاضرة ، إذ غنى بعض من كان هناك :

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً من وجه ذاك المستنير اللائح

فضحكت عريب وصفقت وقالت : ما على وجه الأرض أحد يعرف خبر هذا الصوت غيري ، فلم يقدم أحد منا على مسألتها عنه غيري ، فسألتها فقالت : أنا أخبركم بقصته ، ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم إن أبا محلم قدم بغداد فنزل بقرب دار صالح المسكين في خان هناك ، فاطلعت أم محمد ابنة صالح بن هارون يوماً فرأته يبول فأعجبها متاعه ، وأحبت مواصلته ، فجعلت لذلك علة بأن وجهت إليه تقترض منه مالاً وتعلمه أنها في ضيقة وأنها ترده إليه بعد جمعة ، فبعث إليها عشرة آلاف درهم وحلف أنه لو ملك غيرها لبعث به ، فاستحسن ذلك وواصلته ، فكانت

تدخله إليها ليلاً وكنت أنا أغني لهم ، فشربنا ليلة في القمر وجعل أبو محلم ينظر إليه ثم دعا بدواة ورقعة ، وكتب فيها قوله:

يا بدر إنك قد كسيت مشابهاً من وجه أم محمد ابنة صالح) .

أقول: تدل الرواية على عدم خوف عريب من التشهير بحفيدة هارون . وتدل على الفساد المفرط في بيوت الخلفاء ، فأم محمد هي بنت صالح بن هارون ، وأبو محلم الشيباني أعرابي يحفظ من شعر العرب وقصصهم . (الأعلام: ٧ / ١٣١).

وفي الأغاني (٢١ / ٥٧) عن حمدون قال: (كنت حاضراً مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق ، فقال لي المأمون: إركب الساعة فرس النوبة وسر إلى عسكر أبي إسحاق يعني المعتصم فأد إليه رسالتي في كيت وكيت قال: فركبت ولم تثبت معي شمعة وسمعت وقع حافر دابة فرهبت ذلك وجعلت أتوقاه ، حتى صك ركابي ركاب تلك الدابة ، وبرقت بارقة فأضاءت وجه الراكب فإذا عريب فقلت: عريب؟ قالت: نعم ، حمدون؟ قلت: نعم . ثم قلت: من أين أقبلت في هذا الوقت؟ قالت: من عند محمد بن حامد ، قلت: وما صنعت عنده؟ قالت عريب: ياتكش ، عريب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة وراجعة إليه ، تقول لها: أي شئ عملت عنده؟ صليت معه التراويح! أو قرأت عليه أجزاء من القرآن ، أو دارسته شيئاً من الفقه!

يا أحق ، تعاتبنا وتحادثنا واصطلحنا ، ولعبنا وشربنا وغنينا وتنايكننا ، وانصرفنا! فأخجلتني وغازتني ، وافترقنا ومضيت فأديت الرسالة ، ثم عدت إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتناشد الأشعار ، وهممت والله أن أحدثه حديثها ، ثم هبتة فقلت: أقدم قبل ذلك تعريضاً بشئ من الشعر فأنشدته: ألا حي أطلالاً لواسعة الحبل ..).

وتكش: لفظ مغولي . يعني قالت عريب: أيها الغلام المغولي الجاهل!
وفي الأغاني (٧٥ / ٢١) قال ابن اليزيدي: (خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الروم ،
فرأيت عريب في هودج ، فلما رأته قالت لي: يا يزيد أنشدني شعراً قلته حتى أصنع
فيه لحناً ، فأنشدتها:

ماذا بقلبي من دوام الخفق إذا رأيت لمعان البرق

قال: فتنفست تنفساً ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه ، فقلت: هذا والله تنفس
عاشق ، فقالت: أسكت يا عاجز ، أنا أعشق ! والله لقد نظرت نظرة مريية في مجلس ،
فادعاها من أهل المجلس عشرون رئيساً طريفاً) .

أي غمزت بعينها في مجلسهم ، فتصور عشرون شخصاً ، كل واحد أنها تريده !
وفي الأغاني (٥٢ / ٢١): (حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات قال: كنت يوماً
عند أخي أبي العباس ، وعنده عريب جالسة على دست مفرد لها ، وجواربها يغنين
بين يدينا وخلف ستارتنا ، فقلت لأخي وقد جرى ذكر الخلفاء: قالت لي عريب:
نكت منهم ثمانية ، ما انتهيت منهم أحداً إلا المعتز فإنه كان يشبه أبا عيسى بن
الرشيد! قال ابن الفرات: فأصغيت إلى بعض بني أخي فقلت له: فكيف ترى شهوتها
الساعة ؟ فضحك ، ولمحته فقالت: أي شيء قلت ؟ فجحدها . فقالت لجواربها:
أمسكن ففعلن ، فقالت: هن حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما لينصرفن جميعاً وهن حرائر
إن حردت (غضبت) من شيء جرى ولو أنها تسفيل (وصف بالسفالة)! فصدقتها .
فقالت: وأي شيء في هذا ؟ أما الشهوة فبحالها ، ولكن الآلة قد بطلت . أو قالت: قد
كلت . عودوا إلى ما كنتم فيه) .

أي قالت له: قل ما تحدثتاه به ولو كان علي ، وإمائي حرائر إن غضبت منكم !

وكانت عريب تربي مغنيات ، ففي المنتظم لابن الجوزي (١٣/١٥٢): (بدعة: جارية عريب مولاة المأمون: كانت مغنية ، وقد كان إسحاق بن أيوب بذل لمولاتها في ثمنها مائة ألف دينار ، وللسفير بينهما عشرين ألف دينار ، فدعتها فأخبرتها بالحال فلم تؤثر البيع فأعتقتها من وقتها ، وماتت لست بقين من ذي الحجة من هذه السنة وصلى عليها أبو بكر بن المهدي ، وخلفت مالا كثيراً وضيعاً) .

وفي الطبري (٧ / ٢٢٢): (دعا بنا (المأمون) فلما أخذ فيه النبيذ قال: غنوني ، فسبقني مخارق فاندفع فغنى صوتاً لابن سريج ، في شعر جرير:

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلها بلدا

فضرب بالقدح الأرض وقال: مالك عليك لعنة الله ! ثم قال: يا غلام أعط مخارقاً ثلاثة آلاف درهم ، وأخذ بيدي فأقمته وعيناه تدمعان ، وهو يقول للمعتصم: هو والله آخر خروج ، ولا أحسبني أن أرى العراق أبداً . قال: فكان والله آخر عهده بالعراق) .

وفي الأغاني (٥ / ٢٢٤): (قال لي صالح بن الرشيد: كنا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنين ، فيهم إسحاق وعلويه ومخارق وعمرو بن بانه ، فغنى مخارق.. فقال له المأمون: لمن هذا اللحن؟ قال: لهذا الهزبر الجالس يعني إسحاق ، فقال المأمون لمخارق: قم فاقعد بين يدي وأعد الصوت ، فقام فجلس بين يديه وأعاد فأجاده ، وشرب المأمون عليه رطلاً. ثم التفت إلى إسحاق فقال له: غن هذا الصوت، فغناه فلم يستحسنه كما استحسنه من مخارق).

وفي الأغاني (٧ / ٢١٧): (سمع علي بن هشام (نديمه) قدام المأمون من قلم ، جارية زبيدة صوتاً عجيباً ، فرشى لمن أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار ، حتى صار إلى

داره وطرح الصوت على جواريه. ولو علمت بذلك زبيدة لاشتد عليها ، ولو سأها
أن توجه به ما فعلت).

كان المأمون شاذاً جنسياً !

فقد اتخذ شاباً خراسانياً مشهوراً باللواط صديقه الحميم ، وهو يحيى بن أكنم! وقربه
حتى جعله مع الشهود على ولاية عهد الإمام الرضا عليه السلام. ثم جعله قاضي قضاء
البصرة فشكاه أهل البصرة للمأمون بأنه أفسد صبيانهم فهو يغريهم باللواط ، فقال
لهم المأمون أقبل الشكوى عليه في غير اللواط ! ثم نقله الى بغداد واتخذة نديماً ووزيراً،
ومدبراً لكل الدولة، مع علمه بفسقه وشدوذه ! وكان يدخله معه في فراشه فينام معه!

وكان يدافع عنه ويبيئ له أدوات الفسق والشدوذ ، وأن يجمع حوله الغلمان!
وهذا يوجب الشك في شدوذ المأمون نفسه ! فالجو الذي نشأ فيه في حجر جعفر
البرمكي ، ليس بعيداً عن ذلك ، وقد رباه وكان يخاطبه بأبي !

قال المسعودي في مروج الذهب (٣/٤٣٤): (وكان يحيى بن أكنم قد ولي قضاء البصرة
قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون ، فرفع إلى المأمون أنه أفسد أولادهم بكثرة لواطه ،
فقال المأمون: لو طعنوا عليه في أحكامه قبل ذلك منهم ، قالوا: يا أمير المؤمنين قد
ظهرت منه الفواحش وارتكاب الكبائر واستفاض ذلك عنه... فأمر بإخراجهم عنه،
وعزل يحيى عنهم . يقول ابن أبي نعيم:

يا ليت يحيى لم يلبده أكنمهُ ولم تطأ أرض العراق قَدْمُهُ

أَلْوَطَّ قَاضٍ فِي الْعِرَاقِ نَعْلَمُهُ..

قال له المأمون يوماً: يا أبا محمد من الذي يقول:

قاضي يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس
ما أحسب الجور ينقضني وعلى الأمة وال من آل عباس
فنفى المأمون ابن أبي نعيم إلى السند!

وكان يجيى إذا ركب مع المأمون في سفر ركب معه بمنطقة وقباء وسيف بمعاليق
وساسية (تشكيلات الرؤساء) وإذا كان الشتاء ركب في أقيية الخزّ وقلانس السّمور
والسروج المكشوفة ، وبلغ من إذاعته ومجاهرته باللواط أن المأمون أمره أن يفرض
لنفسه فرضاً يركبون بركوبه ويتصرفون في أموره ، يفرض أربع مائة غلام مُرداً
اختارهم حسان الوجوه ، فافتضح بهم ..
وفيه يقول راشد ابن إسحاق:

وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهراً فأعقبنا بعد الرجاء قُنوطُ
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط ؟

وقال الواحدي في كتاب التأسيس (١/١٧٥): (فسأله عن يحيى بن أكثم فقال: لا ينكر
علمه ومحلّه من السلطان ، حتى كان المأمون يدخله معه في فراشه)!

وقال ابن خلكان (١/٨٥): (قدم يحيى بن أكثم قاضياً على البصرة من خراسان من قبل
المأمون في آخر سنة اثنتين ومائتين وهو حدث ، سنة نيف وعشرون . فلما قدم المأمون
بغداد في سنة أربع ومائتين قال ليحيى: إختر لي من أصحابك جماعة يجالسونني
ويكثرون الدخول إلي ، فاختر منهم عشرين فيهم ابن أبي دواد) .

وفي تهذيب التهذيب (١١/١٦١): (غلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده فكانت
الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعته) .

كان المأمون يرى أن كل شخصيات العباسيين مأبونون!

فقد كتب له العباسيون كتاباً يستنكرون فيه عهده بولاية العهد لعلي بن موسى الرضا عليه السلام ، فأجابهم جواباً فاضحاً لترفعهم وتفاهة شخصياتهم !

قال ابن طاووس في الطرائف / ٢٧٣: (ومن الطرائف المشهورة ما بلغ إليه المأمون في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفي مدح أهل بيته عليهم السلام ذكره ابن مسكويه صاحب التاريخ بحوادث الإسلام في كتاب سماه نديم الفريد يقول فيه: حيث ذكر كتاباً كتبه بنو هاشم (العباسيون) يسألون جوابهم ما هذا لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل محمد ، على رغم أنف الراغمين .

أما بعد عرف المأمون كتابكم ، وتدبير أمركم ، ومخض زبدتكم ، وأشرف على قلوب صغيركم وكبيركم ، وعرفكم مقبلين ومدبرين ، وما آل إليه كتابكم قبل كتابكم في مراوضة الباطل ، وصرف وجوه الحق عن مواضعها ونبذكم كتاب الله تعالى والآثار ، وكلما جاءكم به الصادق محمد صلى الله عليه وآله حتى كأنكم من الأمم السالفة التي هلكت بالخسفة والغرق والريح والصيحة والصواعق والرجم: أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا!

والذي هو أقرب إلى المأمون من حبل الوريد لولا أن يقول قائل: إن المأمون ترك الجواب عجزاً لما أجبتمكم من سوء أخلاقكم ، وقلة أخطاركم ، وركاكة عقولكم ، ومن سخافة ما تأوون إليه من آرائكم ، فليستمع مستمع فليبلغ شاهد غائباً . أما بعد فإن الله تعالى بعث محمداً على فترة من الرسل ، وقريش في أنفسهم وأموالها لا يرون أحداً يسامهم ولا يباريهم ، فكان نبينا صلى الله عليه وآله أميناً من أوسطهم بيتاً وأقلهم مالاً ، وكان أول من آمنت به خديجة بنت خويلد فواسته بهاها ، ثم آمن به أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب ابن تسع سنين لم يشرك بالله شيئاً طرفه عين ، ولم يعبد وثناً ولم يأكل رباً ، ولم يشاكل الجاهلية في جهالاتهم ، وكانت عمومة رسول الله إما مسلم مهين أو كافر معاند ، إلا حمزة فإنه لم يمتنع من الإسلام ولا يمتنع الإسلام منه ، فمضى لسبيله على بينة من ربه ، وأما أبو طالب فإنه كفله ورباه ، ولم يزل مدافعاً عنه ومانعاً منه فلما قبض الله أبا طالب هم القوم وأجمعوا عليه ليقتلوه ، فهاجر إلى القوم الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْآيَاتِ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، فلم يقم مع رسول الله أحد من المهاجرين كقيام علي بن أبي طالب فإنه آزره ووقاه بنفسه ونام في مضجعه ، ثم لم يزل بعد متمسكاً بأطراف الثغور وينازل الأبطال ، ولا ينكل عن قرن ، ولا يولي عن جيش ، منيع القلب ، يؤمّر على الجميع ولا يؤمر عليه أحد ، أشد الناس وطأة على المشركين وأعظمهم جهاداً في الله ، وأفقههم في دين الله ، وأقرأهم لكتاب الله وأعرفهم بالحلال والحرام ، وهو صاحب الولاية في حديث خم ، وصاحب قوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وصاحب يوم الطائف . وكان أحب الخلق إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ وصاحب الباب فُتِحَ له وسد أبواب المسجد، وهو صاحب الراية يوم خيبر ، وصاحب عمرو بن عبد ود في المبارزة، وأخو رسول الله حين آخى بين المسلمين ، وهو متبع جزيل ، وهو صاحب آية: وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . وهو زوج فاطمة سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة ، وهو ختن خديجة ؓ وهو ابن عم رسول الله ﷺ ربه وكفله. وهو ابن أبي طالب ؓ في نصرته وجهاده ، وهو نفس رسول الله في يوم المباهلة ، وهو الذي لم يكن أبو بكر وعمر ينفذان حكماً حتى يسألانه عنه ، فما رأى إنفاذه أنفاذه، وما لم يره رده . وهو دخل من بني هاشم في الشورى ، ولعمري لو

قدر أصحابه على دفعه عنه كما دفع العباس رضوان الله عليه ووجدوا إلى ذلك سبيلاً لدفعوه . فأما تقديمكم العباس عليه فإن الله تعالى يقول: أَجَعَلْتُمْ سِقَابَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ. والله لو كان ما في أمير المؤمنين من المناقب والفضائل والآي المفسرة في القرآن خلة واحدة في رجل واحد من رجالهم أو غيره ، لكان مستأهلاً متأهلاً للخلافة ، مقدماً على أصحاب رسول الله ﷺ بتلك الخلة ، ثم لم يزل الأمور تتراقى به إلى أن ولي أمور المسلمين ، فلم يعن بأحد من بني هاشم إلا بعبد الله بن عباس تعظيماً لحقه ، وصلة لرحمه وثقة به ، فكان من أمره الذي يغفر الله له ، ثم نحن وهم يد واحدة كما زعمتم حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا فأخفناهم وضيعنا عليهم وقتلناهم أكثر من قتل بني أمية إياهم! ويحكم! إن بني أمية إنما قتلوا منهم من سل سيفاً وإنا معشر بني العباس قتلناهم جملاً، فلتسألن أعظم الهاشمية بأي ذنب قتلت ، ولتسألن نفوس ألقيت في دجلة والفرات ، ونفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء !!

هيهات إنه مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .

وأما ما وصفتم في أمر المخلوع وما كان فيه من كبس ، فلعمري ما لبس عليه أحد غيركم إذ هونتم عليه النكث ، وزينتم له الغدر ، وقتلتم له ما عسى أن يكون من أمر أخيك ، وهو رجل مغرب ، ومعك الأموال والرجال تبعث إليه فيؤتى به ! فكذبتم ونسيتم قول الله تعالى: ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لَيُصْرَتَهُ اللَّهُ .

وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا عليه السلام فما بايع له المأمون إلا مستبصراً في أمره عالماً بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلاً ولا أظهر عفة ، ولا أروع ورعاً ، ولا أزهد زهداً في الدنيا ، ولا أطلق نفساً ، ولا أرضى في الخاصة

والعامّة، ولا أشد في ذات ، منه ، وإن البيعة له لموافقة رضى الرب عزَّجَلَّ ، ولقد جهدت وما أجد في الله لومة لائم ، ولعمري لو كانت بيعتي له محاباة لكان العباس ابني وسائر ولدي أحب إلى قلبي وأجل في عيني ، ولكن أردت أمراً وأراد الله أمراً ، فلم يسبق أمري أمر الله .

وأما ما ذكرتم مما مسكم من الجفاء في ولايتي، فلعمري كان ذلك إلا منكم بمظافرتكم عليه ، ومما يلتكم إياه ، فلما قتلته تفرقتم عباديد ، فطوراً أتباعاً لابن أبي خالد ، وطوراً أتباعاً لأعرابي ، وطوراً أتباعاً لابن شكلة ، ثم لكل من سل سيفاً عليّ ، ولولا أن شيمتي العفو وطبيعتي التجاوز ، ما تركت على وجهها منكم أحداً ، فكلكم حلال الدم محل بنفسه .

وأما ما سألتكم من البيعة للعباس ابني ، أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ويلكم إن العباس غلام حدث السن ، ولم يؤنس رشده ولم يمهل وحده ، ولم تحكمه التجارب ، تدبره النساء وتكفله الإمام ، ثم لم يتفقه في الدين ، ولم يعرف حلالاً من حرام ، إلا معرفة لا تأتي به رعية ، وتقوم به حجة ، ولو كان مستأهلاً قد أحكمته التجارب ، وتفقه في الدين ، وبلغ مبلغ أميرالعدل في الزهد في الدنيا ، وصرف النفس عنها ، ما كان له عندي في الخلافة إلا ما كان لرجل من عك وحمير ، فلا تكثروا في هذا المقال ، فإن لساني لم يزل مخزوناً عن أمور وأنباء ، كراهية أن تخنث النفوس عندما تنكشف ، علماً بأن الله بالغ أمره ، ومظهر قضاها يوماً .

فإذا أبيتم إلا كشف الغطاء وقشر العطاء ، فالرشيد أخبرني عن آبائه وعمه وجد في كتاب الدولة وغيرها أن السابع من ولد العباس لا تقوم لبني العباس بعده قائمة ، ولا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته ، فإذا أودعت فودعها ، فإذا أودع فودعها ،

وإذا فقدتم شخصي فاطلبوا لأنفسكم معقلاً وهيئات ، ما لكم إلا السيف يأتيكم الحسنى الثائر البائر ، فيحصدكم حصداً ، أو السفىاني المرغم والقائم المهدي ، لا يحقن دمائكم إلا بحقها .

وأما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى بعد استحقاق منه لها في نفسه واختيار مني له ، فما كان ذلك مني إلا أن أكون الحاقن لدمائكم ، والذائد عنكم باستدامة المودة بيننا وبينهم ، وهي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب ، ومواساتهم في الفيء بيسير ما يصيبهم منه ، وإن تزعموا أنني أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة ، فإني في تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم وأبنائكم من بعدكم ، وأنتم ساهون لاهون تائهون في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم ، وما أظلمتم عليه من النعمة ، وابتزاز النعمة ، همة أحدكم أن يمسي مركوباً ويصبح مخموراً ! تباهون بالمعاصي وتبتهجون بها ، وأهتكم البرابط ، مخشون مؤثنون، لا يتفكر متفكر منكم في إصلاح معيشة ولا استدامة نعمة ، ولا اصطناع مكرمة ، ولا كسب حسنة يمد بها عنقه: **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.** أضعتم الصلاة واتبعتم الشهوات وأكببتم على اللذات ، فسوف تلقون غياً !

وأيم الله لربما أفكر في أمركم ، فلا أجد أمة من الأمم استحقوا العذاب حتى نزل بهم لخلّة من الخلال إلا أصيب تلك الخلّة بعينها فيكم ، مع خلال كثيرة لم أكن أظن أن إبليس اهتدى إليها ، ولا أمر بالعمل عليها ، وقد أخبر الله في كتابه العزيز عن قوم صالح إنه كان فيهم: **تَسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ.** فأيكم ليس معه تسعة وتسعون من المفسدين في الأرض قد اتخذتموهم شعاراً وديناً ، استخفافاً بالمعاد وقلة يقين بالحساب ، وأيكم له رأي يتبع أو روية تنفع ، فشاهاه الوجوه وعُفرت الخدود.

وأما ما ذكرتم من العثرة التي كانت في أبي الحسن عليه السلام نور الله وجهه فلعمري إنها عندي للنهضة والإستقلال الذي أرجو به قطع الصراط والأمن والنجاة من الخوف يوم الفزع الأكبر ، ولا أظنني عملت عملاً هو عندي أفضل من ذلك إلا أن أعود بمثلها إلى مثله ، وأين لي بذلك وأنى لكم بتلك السعادة .

وأما قولكم إني سفهت آراء آبائكم وأحلام أسلافكم ، فكذلك قال مشركوا قريش : **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** . ويلكم إن الدين لا يؤخذ إلا من الأنبياء ، فافقهوا وما أراكم تعقلون .

وأما تعييركم إياي بسياسة المجوس إياكم ، فما أذهبكم عن الأنفة من ذلك ولو ساستكم القردة والخنازير! ولعمري لقد كانوا مجوساً فأسلموا كآبائنا وأمهاتنا في القديم ، فهم المجوس أسلموا وأنتم المسلمون الذين ارتدوا ، فمجوسي أسلم خير مسلم ارتد، فهم يتناهون عن المنكر ويأمرون بالمعروف ويتقربون من الخير ويتباعدون من الشر ، ويذبون عن حرم المسلمين ، يتباهجون بما نال الشرك وأهله من النكر ، ويتباشرون بما نال الإسلام وأهله من الخير: **فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** . وليس منكم إلا لاعب بنفسه مأفون في عقله وتدبيره ، إما مغن أو ضارب دف أو زامر .

والله لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا فليل لهم لا تأنفوا في معائب تنالونهم بها ، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاراً ودثاراً وصناعة وأخلاقاً . ليس فيكم إلا من إذا مسه الشر جزع وإذا مسه الخير منع ، ولا تأنفون ولا ترجعون إلا خشية . وكيف يأنف من بيت مركوباً ويصبح بإثمه معجباً ، كأنه قد اكتسب حمداً ! غايته بطنه وفرجه ، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل أو ملك مقرب !

أحب الناس إليه من زين له معصية أو أعانه في فاحشة ، تنظفه المخمورة وتربده المظمورة ، فشتت الأحوال . فإن ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات والفضائح ، وما تهذرون به من عذاب ألسنتكم ، وإلا فدونكم تعلموا بالحديد ولا قوه إلا بالله ، وعليه توكلوا وهو حسبي). ويدلك على صحة هذه الرسالة مطابقتها لوضع بني العباس يومها !

كان المأمون علمانياً يرى أن علم النبوة كعلم التنجيم !

روى الصدوق في العيون (٣/ ٣٤١): (عن عبد الله بن محمد الهاشمي قال: دخلت على المأمون يوماً فأجلسني وأخرج من كان عنده ، ثم دعا بالطعام فطعمنا ثم طيبننا ، ثم أمر بستارة فضربت ، ثم أقبل على بعض من كان في الستارة ، فقال: بالله لما رثيت لنا من بطوس فأخذت تقول:

سقياً لبطوس ومن أضحى بها قطننا من عترة المصطفى أبقى لنا حزننا

قال: ثم بكى فقال لي: يا عبد الله ، أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن نصبت أبا الحسن الرضا علماً ، فوالله لأحدثك بحديث تتعجب منه: جئت يوماً فقلت له: جعلت فداك إن آبائك موسى بن جعفر، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن علي ، وعلي بن الحسين ، كان عندهم علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأنت وصي القوم ووارثهم وعندك علمهم ، وقد بدت لي إليك حاجة ، قال: هاتها ، فقلت: هذه الزاهرية حظيتي ولا أقدم عليها من جواري ، قد حملت غير مرة وأسقطت وهي الآن حامل ، فدلني على ما نتعالج به فتسلم ، فقال: لا تخف من إسقاطها فإنها تسلم ، وتلد غلاماً أشبه الناس بأمه ، ويكون له خنصر زائدة في يده اليمنى ليست بالمدلاة وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلاة ، فقلت في نفسي: أشهد أن الله على كل شيء قدير ، فولدت الزاهرية غلاماً أشبه الناس بأمه ، وفي يده اليمنى خنصر زائدة ليست

بالمدلاة ، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلاة ، على ما كان وصفه لي الرضا ! فمن يلومني على نصبي إياه علماً !).

فالأئمة المعصومون عليهم السلام عند المأمون عندهم علم ما كان وما يكون ، وهم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله الشرعيون ، وهو غاصب لمقامهم ، لكن هذا ليس مهماً عنده ، بل المهم أن يستفيد من علمهم لسلامة حمل جاريته ! ثم إذا رأى أن شعبيتهم تشكل خطراً عليه عمل بقاعدة أبيه: الملك عقيم ، ولو نازعتني أو خفت أن تنازعتني فيه ، لأخذت رأسك ! فهل هناك سوء توفيق أشد من هذا ، وهل هناك انتكاس في الفطرة والعقل ، أسوأ من هذا !

كان المأمون ملحداً لا دين له

قال المسعودي في مروج الذهب (٢/١٧٤ و:٤/٢٢٧): (ثم أفضى الأمر إلى المأمون فكان في بدء أمره لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها، وينقاد إلى موجباتها، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأردشير بن بابك وغيره، واجتهد في قراءة الكتب القديمة، وأمعن في درسها ، وواظب على قراءتها ، فافتن في فهمها ، وبلغ درايتها ، فلما كان من الفضل بن سهل ذي الرياستين ما اشتهر وقدم العراق انصرف عن ذلك كله ، وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد، وجالس المتكلمين، وقرب إليه كثيراً من الجدليين المبرزين والمناظرين كأبي الهذيل وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النّظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم ، وألزم مجلسه الفقهاء ، وأهل المعرفة من الأدباء ، وأقدمهم من الأمصار ، وأجرى عليهم الأرزاق ، فرغب الناس في صنعة النظر ، وتعلموا البحث والجدل ، ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله).

وقال في مروج الذهب (٣/٤٥٨): (وأجلس المعتصم رجلاً يُشَهِّده لما ثقل فرفع الرجل

صوته ليقولها ، فقال له ابن ماسويه: لا تصح ، فوالله ما يفرق بين ربه وبين ماني).

أي لا يفرق بين الله تعالى وبين رب المجوس الذي تعلمه من الفرس .

أقول: ابن ماسويه طيبه الخاص بعد بختيشوع ، وهو أخير بعقيدة المأمون !

وفي رجال الكشي (٧٩٢/٢): (عن معمر بن خلاد ، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إن العباسي زنديق ، وكان أبوه زنديقاً) .

أقول: فسروها بالراوي هشام بن إبراهيم بن هشام الذي لقب بالعباسي لأنه كان مؤدب العباس بن المأمون ، ولا يصح ذلك فلا يقال فلان زنديق وكان أبوه زنديقاً إلا لمن كان أبوه معروفاً له تاريخ كهارون ، أما أبو هشام فلم يذكره أحد ! ولا قرينة على أن المقصود به هشام بن إبراهيم ، فيحمل على المفهوم منه عرفاً .

ومما يؤيد إحداد المأمون أنه لم يحج في كل خلافته أبداً ! وزعم الذهبي أنه حج ، ولا يصح ، فلو كان لبان !



هدف المأمون الاستراتيجي: خلافة عباسية بثقافة شيعية !

تقوم نظرية المأمون على المبادئ التالية:

المبدأ الأول: أن الخلافة لبني عباس بقاعدة الغلبة ، وبقاعدة الملك عقيم ولو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عينك ، فقد تعلمها من أبيه هارون ، وكان يرددها ، وبالفعل لما نازعه أخوه الأمين أخذ رأسه !

المبدأ الثاني: سمع من أبيه أن العلم الصحيح عند آل علي عليه السلام ، فرسخت في نفسه ، ثم لمس ذلك بنفسه ، وقد استحقوا ذلك لأنهم أبناء الرسول ﷺ من فاطمة عليها السلام فكان يقول: علي وأبناؤه خلؤ من الناس ، أي فوق الناس العاديين فلا تقيسوهم بالناس فهم

نوع آخر ، صغيرهم كبير ، وعندهم (العلم الصحيح) أي علم النبي ﷺ وعلم الكتاب ، وعلمهم إلهامٌ من الله تعالى لا يحتاجون الى معلم ، فيجب إكرامهم والإستفادة من علمهم ، كما يستفاد من علم المنجمين النابغين !

المبدأ الثالث: خلافة النبي ﷺ حق شرعي لعلي وأولاده ، لكن الملك عقيم ، وقد أخذها بنو العباس فصارت لهم ، وقد خافوا من أئمة العترة عليهم السلام من أولاد علي وآل أبي طالب كما يسمونهم ، فاضطهدوهم وأفقروهم وقتلوهم حتى تشردوا في البلاد ، فتبعوهم وتفننوا في تقتيلهم بما تقشعر له الأبدان !

وهنا يكمن خطأ العباسيين برأي المأمون ، فقد خسروا بذلك علم بني علي وقطعوا أرحامهم ! فالصحيح أن يبروهم ويكرمهم ويحتوهم !
ولذلك أوصى بأن لا يقتل الثائرون من العلويين وأن يقبضوا عليهم ويرسلوهم له ، فكان يستقبلهم ويعفو عنهم ويكرمهم .

ومنهم محمد بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، واثنان من إخوة الإمام الرضا عليه السلام .
وقد اتخذ محمد بن جعفر جليساً وقال: (هذه رحم مجفوة منذ مائتي سنة ، وقضى دينه، وكان عليه نحواً من ثلاثين ألف دينار). (مقاتل الطالبين: ١ / ٤٤١).

ومازح المأمون زيد أخ الإمام الرضا عليه السلام وكان يسمى زيد النار لأنه أحرق دور العباسيين في البصرة ونخيلهم .

قال في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢ / ٢٥٨): (لما جرى بزيد بن موسى أخي الرضا عليه السلام إلى المأمون وقد خرج بالبصرة وأحرق دور العباسيين وذلك في سنة تسع وتسعين ومائة فسمي زيد النار! قال له المأمون: يا زيد خرجت بالبصرة وتركت أن تبدأ بدور أعدائنا بني أمية وثقيف وعدي وبأهله وآل زياد ، وقصدت دور بني عمك ؟ قال: وكان

مزاحاً أخطأت يا أمير المؤمنين من كل جهة ، وإن عدت بدأت بأعدائنا ! فضحك المأمون وبعث به إلى أخيه الرضا عليه السلام وقال: قد وهبت جرمه لك فلما جاؤوا به عنفه عليه السلام وخلي سبيله ، وحلف أن لا يكلمه أبداً ما عاش .

المبدأ الرابع: إذا أحب المسلمون أولاد علي عليه السلام وصار قسم منهم شيعة لهم ، فلا مانع منه برأي المأمون بشرط أن يحفظوا حق الخلافة لبني عباس ، لكن إذا وصل ذلك الى درجة الإفتتان به ، وخيف منه على الخليفة فله الحق بأن يقتله لكن بطريقة ناعمة يحفظ بها علاقته مع ابنه وبقية آل علي ! بل يجب الجلوس في عزائه والبكاء عليه قبل الباكين وأن يتقبل تعازي الناس به لأنه ابن عمه . ثم يواصل سياسة الإكرام والإحترام والنعومة مع ابنه الإمام بعده !

وهكذا فعل هو مع الإمام الرضا عليه السلام وابنه محمد الجواد عليه السلام .

المبدأ الخامس: أصل هذا المنهج تعظيم علي بن أبي طالب ، وإظهار مناقبه وفضائله ، وتعريف المسلمين بموقعه في الإسلام ، وفي المقابل سوء الذين عزلوه وأبعدوه وحاربوه ، وفضحهم والبراءة منهم !

ولتحقيق ذلك اهتم المأمون بعقد المجالس وكان يجمع الفقهاء والمتكلمين .

روى ابن عبد ربه في العقد الفريد قال (٢/ ٢٤٠): (احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل علي .. قال يحيى بن أئثم قاضي القضاة: إن أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه ، يَفَقَهُ ما يُقال له ويُحَسِّن الجواب ، فسُمُّوا من نَظَنُونَه يَصْلُح لما يطلبُ أمير المؤمنين ...

فغدونا عليه قبلَ طلوع الفجر ، فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا ، فرد السلام وأمرنا بالجلوس فلما استقر بنا المجلسُ تحدر عن فراشه ونَزَعَ عمامته وطيلسانه

ووضع قلنسوته ، ثم أقبل علينا فقال:إنما فعلتُ ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك .. قال: إنما بعثتُ إليكم معشر القوم في المناظرة ..

فقال يحيى بن أكتهم: أحببتُ أن أنبئكم أن أمير المؤمنين أراد مُناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه ، ودينه الذي يدين الله به .

قلنا: فليفعل أمير المؤمنين وفقه الله . فقال: إن أمير المؤمنين يدين الله على أن علي بن أبي طالب خيرُ خلق الله بعد رسوله ﷺ وأولى الناس بالخلافة ..).

في حديث اللوح القدسي: المأمون عفرت مستكبر

حديث اللوح: حديث قدسي رويناہ بأسانيد صحيحة ، منها عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، أنه لوح من الزمرد جاء به جبرئيل الى النبي ﷺ ليعطيه الى فاطمة ؑ فيه أسماء أبنائها الأئمة ؑ ، وذلك لما ولد الحسين ؑ .

قال الإمام الصادق ؑ كما في الكافي (١/٥٢٧) بسند صحيح: (قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلوبك فأسألك عنها ، فقال له جابر: أي الأوقات أحببته فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة ؑ بنت رسول الله ﷺ وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟

فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة في حياة رسول الله ﷺ فهنيتها بولادة الحسين ، ورأيت في يديها لوحاً أخضر ، ظننت أنه من زمرد ، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس، فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله إلى رسول الله ﷺ فيه إسم أبي وإسم بعلي وإسم ابني وإسم الأوصياء من ولدي ، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك ، قال جابر فأعطتني أمك

فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته ، فقال له أبي: فهل لك يا جابر: أن تعرضه عليّ؟ قال: نعم ، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق فقال: يا جابر أنظر في كتابك لأقرأ أنا عليك ، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حرف حرفاً ، فقال جابر: فأشهد بالله أنني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله ، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين ، عظم يا محمد أسمائي ، واشكر نعمائي ، ولا تجحد آلائي ، إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين ، ومديل المظلومين ، وديان الدين ، إني أنا الله لا إله إلا أنا ، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين . فإياي فاعبد ، وعليّ فتوكل . إني لم أبعث نبياً فكملت أيامه وانقضت مدته ، إلا جعلت له وصياً ، وإني فضلتك على الأنبياء ، وفضلت وصيك على الأوصياء ، وأكرمتك بشليك وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه ، وجعلت حسيناً خازن وحيي ، وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة ، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة ، جعلت كلمتي التامة معه ، وحجتي البالغة عنده ، بعترته أثيب وأعاقب ، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين ، وابنه شبه جده المحمود محمد الباقر علمي ، والمعدن لحكمتي .

سيهلك المرتابون في جعفر ، الراد عليه كالراد عليّ ، حق القول مني لأكرم من مثوى جعفر ، ولأسرته في أشياعه وأنصاره وأوليائه .

انتجبت بعده موسى ، وأتيحت بعده فتنة عمياء حندس لأن خيط فرضي لا ينقطع ، وحجتي لا تخفى، وإن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى ، من جحد واحداً منهم فقد

جحد نعمتي ، ومن غير آية من كتابي فقد افتري عليّ.

ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي وليي وناصري ، ومن أضع عليه أعباء النبوة ، وأمتحنه بالإضطلاع بها ، يقتله عفريت مستكبر ، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح ، إلى جنب شر خلقي .

حق القول مني لأسرته بمحمد ابنه وخليفته من بعده ، ووارث علمه ، فهو معدن علمي ، وموضع سري ، وحجتي على خلقي ، لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار .

وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني علي وحبي ، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن ، وأكمل ذلك بابنه محمد رحمة للعالمين ، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب ، فيذل أوليائي في زمانه ، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين ، تصبغ الأرض بدمائهم ، ويفشو الويل والرنة في نسائهم ، أولئك أوليائي حقاً ، بهم أذفع كل فتنة عمياء حندس ، وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ .

أقول: معنى قوله عز وجل في هذا الحديث القدسي: فيذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم ، فيقتلون ويحرقون ، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين ، تصبغ الأرض بدمائهم ، ويفشو الويل والرنة في نسائهم: أن الخلفاء وأتباعهم بظلمهم واضطهادهم يتهادون رؤوس أولياء الله الشيعة ، كما يضطهدون الترك والديلم ويتهادون رؤوسهم . وليس في ذلك إعطاء مشروعية لقتل الترك والديلم ، بل فيه بيان أن إذلال أولياء الله واضطهادهم في غيبة إمامهم كإذلال الشعوب الضعيفة المستعمرة

باسم الفتح واضطهادهم ! وهذا ما رأيناه في تاريخ الشيعة حرفاً بحرف !

مات المأمون غريباً ذليلاً !

في صبح الأعشى (١٤/٤١٤): (فلما دخل المأمون بلاد الروم ونزل على نهر البرذون وكان الزمان حراً ، والفصل صيفاً ، قعد على النهر ودلّى رجله فيه وشرب ماءه ، فاستعذبه واستبرده واستطابه ، وقال لمن كان معه: ما أطيب ما شرب عليه هذا الماء؟ فقال كل رجل برأيه ، فقال هو: أطيب ما شرب عليه هذا الماء رطب إزاز ، فقالوا له: يعيش أمير المؤمنين حتى يأتي العراق ويأكل من رطبها الإزاز ، فما استتموا كلامهم حتى أقبلت بغال البريد تحمل ألطافاً فيها رطب إزاز ، فأتي المأمون بها فأكل منها وأمعن وشرب من ذلك الماء ، فكثرت تعجب الحاضرين منه لسعادته في أنه لم يقم من مقامه حتى بلغ أمنيته ، على ما كان يظن من تعذرها ، فلم يقم المأمون من مقامه حتى حُمّ حُمى حادة كانت فيها منيته).

وفي مروج الذهب (٢/٥٥): (فلم ينش عن غزاته، حتى فتح خمسة عشر حصناً. وانصرف من غزاته فنزل على عين البديدون ، المعروفة بالقشيرة فأقام هنالك حتى ترجع رسله من الحصون ، فوقف على العين ومنبع الماء ، فأعجبه برد مائها وصفائوه وبياضه وطيب حسن الموضع وكثرة الخضرة ، فأمر بقطع خشب طوال وأمر به فبسط على العين كالجسر، وجعل فوقه كالأزج من الخشب وورق الشجر، وجلس تحت الكنيسة التي قد عقدت له والماء تحته ، وطرح في الماء درهم صحيح فقرأ كتابته وهو في قرار الماء لصفاء الماء ، ولم يقدر أحد يدخل يده في الماء من شدة برده ، فبينما هو كذلك إذ لاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة ، فجعل لمن يخرجها سبقاً ، فبحر بعض الفراشين فأخذها وصعد ، فلما صارت على حرف العين أو على الخشب الذي عليه

المأمون اضطربت وأفلتت من يد الفراش فوقعت في الماء كالحجر فنضح من الماء على صدر المأمون ونحره وترقوته فبلت ثوبه ، ثم انحدر الفراش ثانية فأخذها ووضعها بين يدي المأمون في منديل تضطرب ، فقال المأمون: تقلى الساعة ، ثم أخذته رعدة من ساعته، فلم يقدر يتحرك من مكانه، فغطى باللحف والدواويج، وهو يرتعد كالسعفة ويصيح: البرد البرد ، ثم حول إلى المضرب ودثر وأوقدت النيران حوله ، وهو يصيح: البرد البرد ، ثم أتى بالسמكة وقد فرغ من قلبها فلم يقدر على الذوق منها ، وشغله ما هو فيه عن تناول شئى منها ، ولما اشتد به الأمر سأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه في ذلك الوقت عن المأمون وهو في سكرات الموت ، وما الذي يدل عليه علم الطب من أمره ، وهل يمكن برؤه وشفائه ؟ فتقدم ابن ماسويه فأخذ إحدى يديه وبختيشوع الأخرى وأخذاً المجسة من كلتا يديه ، فوجدا نبضه خارجاً عن الاعتدال، منذراً بالفناء والانحلال ، والتزقت أيديها ببشرته لعرق كان يظهر منه من سائر جسمه كالزيت ، أو كلعاب بعض الأفاعي ، فأخبر المعتصم بذلك فسألها عن ذلك فأنكرت معرفته ، وأنها لم يجدوا في شئى من الكتب ، وأنه دال على انحلال الجسد .

فلما ثقل قال: أخرجوني أشرف على عسكري وأنظر إلى رجالي وأتبين ملكي وذلك في الليل، فأخرج فأشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته وما قد أوقد من النيران، فقال: يا من لا يزول ملكه إرحم من قد زال ملكه ، ثم رد إلى مرقده وأجلس المعتصم رجلاً يُشْهَدُه لما ثقل ، فرفع الرجل صوته ليقولها فقال له ابن ماسوية: لا تصح فوالله ما يفرق بين ربه وبين ما في هذا الوقت ففتح المأمون عينيه من ساعته ، وبهما من العظم والكبر الإحمرار ما لم ير مثله قط ، وأقبل يحاول البطش بيديه بابن ماسوية ورام مخاطبته فعجز عن ذلك ! فرمى بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه

دموعاً فانطلق لسانه من ساعته وقال: يا من لا يموت إرحم من يموت ، وقضى من ساعته ، وذلك في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وحمل إلى طرطوس فدفن بها).

وفي مروج الذهب (٣/٤١٦): (دفن بها على يسار المسجد ، سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وهو ابن تسع وأربعين سنة ، فكانت خلافته إحدى وعشرين سنة منها أربعة عشر شهراً كان يحارب أخاه محمداً بن زبيدة ، وكان أهل خراسان في تلك الحروب يسلمون عليه بالخلافة ، ويُدعى له على المنابر في الأمصار والحرمين والكور والسهل والجبل مما حواه طاهر وغلب عليه، ويسلم على محمد بالخلافة من كان ببغداد خاصة).

أقول: ولد المأمون في ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ وتوفي رجب سنة ٢١٨ هـ . وكان قوي البدن سليماً ، فلا نشك أنه سقى السم ، من المعتصم ، تدل على ذلك أوصاف مرضه وأن أطباءه لم يعرفوا نوع المرض الغريب ، وهم جهابذة الطب !

ويدل على ذلك العلاقة الحميمة القديمة بين قاضي القضاة الداهية ابن أبي دؤاد وبين المعتصم، وبعد قتل المعتصم أخاه المأمون رجع الى بغداد أجبر العباس بن المأمون على بيعته ، وقمع المعارضين من وزراء وقادة جيش !

ثم أخذ المعتصم العباس معه الى غزوة عمورية وقتله في طريق عودته بحجة أنه كشف مؤامره لقتل المعتصم واستعادة الخلافة !

وقد وصفوا العباس بن المأمون بأنه كان أبيض جميل الوجه ، ولكنه ضعيف بليد !

أحمد بن أبي دؤاد عراب بيعة المعتصم عزل ابن المأمون

العجيب أن المأمون كان يعرف دهاء ابن أبي دؤاد وعلاقته الخاصة بالمعتصم ولم يتخذ تدبيراً للكم رغم أن يحيى بن أكنم كان يحذره من مؤامرة عليه من المعتصم وعلى ابنه العباس !

قال الدينوري في الأخبار الطوال/٤٠١: (فلما مات على نهر البزندون جمع أخوه أبو إسحاق محمد بن هارون المعتصم بالله إليه وجوه القواد والأجناد ، فدعاهم إلى بيعته فبايعوه. فسار من طرسوس حتى وافى مدينة السلام ، فدخلها ، وخلع العباس بن المأمون عنها ، وغلبه عليها ، وبايعه الناس بها).

في تاريخ يعقوبي ٢ / ٤٦٥ : « وشى يحيى بن أكثم بالمعتصم إلى المأمون ، وقال له : إنه بلغني أنه يحاول الخلع ، فوجه إليه يأمره بالقدوم).

ولم تنفع احتياطات المأمون ، فغلب بعده أخوه المعتصم على ابنه الضعيف العباس وأخذ منه الخلافة وقتله ، وكان أول ما فعله المعتصم أن عزل يحيى بن أكثم ونصب بدله صديقه ابن أبي دؤاد ، ونقل الخلافة من أولاد المأمون إلى أولاده فتولاها ابنه الواثق ، ثم أخوه المتوكل ! قال ابن خلكان في وفيات الأعيان (١ / ٨٥): « ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دؤاد قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن أكثم » .

وابن أكثم ولي نعمة ابن أبي دؤاد ، فهو الذي اختاره وجاء به من البصرة الى بغداد ، وعرفه على المأمون ، ولكن السياسة لا وفاء فيها! فقد فاق ابن أكثم وتسلط على المأمون ، ثم دبر الخلافة للمعتصم وقتل ابن المأمون ، ثم دبرها للواثق وبعده للمتوكل . وحكم ابن أبي دؤاد نحو عشرين سنة ، في خلافة المعتصم والواثق وقسم من خلافة المتوكل ، ثم غضب عليه المتوكل فعزله وأعاد خصمه ابن أكثم ، وأيد ذلك أحمد بن حنبل لأن ابن أكثم وافقه بالقول بعدم خلق القرآن!

ومات العباس بن المأمون غريباً ذليلاً !

كتبنا في سيرة الإمام الجواد عليه السلام / ١٣٦ : لعل أدق نص في غزوة عمورية ، ما كتبه المؤرخ الثبت ابن واضح يعقوبي، قال في تاريخه (٢ / ٤٧٥): (ودخلت الروم زبطرة سنة

٢٢٣ ، فقتلوا وأسروا كل من فيها وأخرجوهم ، فلما انتهى الخبر إلى المعتصم قام من مجلسه نافراً ، حتى جلس على الأرض وندب الناس للخروج ووضع العطاء ، وعسكر من يومه بموضع يعرف بالعيون من غربي دجلة ، وقدم أشناس التركي على مقدمته ، وخرج يوم الخميس لست خلون من جمادى الأولى سنة ٢٢٣ ، ودخل أرض الروم فقصد أرض عمورية ، وكانت من أعظم مدائنهم ، وأكثرها عدة ورجالاً فحاصرها حصاراً شديداً . وبلغ طاغية الروم فزحف في خلق عظيم ، فلما دنا وجه المعتصم بالأفشين في جيش عظيم ، فلقى الطاغية وأوقع به وهزمه ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، فأوفد طاغية الروم من قبله وفداً إلى المعتصم يقول: إن الذين فعلوا بزبطة ما فعلوا تعدوا أمري وأنا أبنيتها بهالي ورجالي، وأرد من أخذ من أهلها ، وأخلي جملة من في بلد الروم من الأسارى ، وأبعث إليك بالقوم الذين فعلوا بزبطة على رقاب البطارقة .

وفتحت عمورية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٢٢٣ فقتل وسبى جميع من فيها ، وأخذ ياطس خال ملك الروم ، وأخرب وأحرق كل ما اجتاز به من بلادهم) .

أقول: قد استغل جماعة العباس بن المأمون طريق سفر المعتصم ، وكان يقود المؤامرة عجيف فتآمر مع عدد من القادة أن يقتلوا المعتصم ويعيدوا الخلافة إلى العباس ولي العهد الشرعي . قال اليعقوبي (٢ / ٤٧٥): (انصرف المعتصم فلما صار بأذنة (أضنة الحالية) حبس العباس ابن المأمون ، لما كان بلغه من المعصية والخلاف واجتماع من اجتمع إليه من القواد ، ووجد له مائة ألف وستة عشر ألف دينار، فأمر أن تفرق على الجند ويؤمروا أن يلعنوه . فأحصوا فوجدوا ثمانين ألف مرتزق فدفع إليهم دينارين دينارين وتم ذلك المعتصم

من عنده ، ودفع العباس إلى الأفشين مقيداً ليسيره ، فلما صار بحمد رأس توفي ، وقيل إن الأفشين أطعمه طعاماً كثير الملح في يوم شديد الحر ، ومنعه الماء فحمل إلى منبج فدفن بها . وسخط المعتصم على عجيف ابن عنبة لأنه كان سبب معصيته ، وحمله من أذنة (أضنة) في الحديد الثقيل في فيه لبود قد خيبت عليه وفي عنقه غل عظيم ، فلما صار بموضع يقال له باعيناثا على مرحلة من نصيبين ، مات ودفن بها ، وسأل ابنه صالح بن عجيف أن لا ينسب إليه ، وأن يدعى صالحاً المعتصمي ولعنه وبرئ منه)! وفي الكامل لابن الأثير (٤٩٢/٦): (وأحضر المعتصم العباس بن المأمون وسقاه حتى سكر ، وحلفه أنه لا يكتمه من أمره شيئاً ، فشرح له أمره كله مثلما شرح الحارث فأخذه وقيده وسلمه إلى الأفشين فحبسه عنده . وتبع المعتصم أولئك القواد وكانوا يحملون في الطريق على بغال بأكف بلا وطاء . وأخذ أيضاً الشاه بن سهل وهو من أهل خراسان فقال له المعتصم: يا ابن الزانية أحسنت إليك فلم تشكر . فقال: ابن الزانية هذا وأوماً إلى العباس وكان حاضراً ، لو تركني ما كنت الساعة تقدر أن تجلس هذا المجلس وتقول هذا الكلام ! فأمر به فضربت عنقه وهو أول من قتل منهم).

أقول: الشاه بن سهل من أبناء ملوك الفرس وأحد قادة المعتصم ، وطبعي أن يكون من المتعصبين للمأمون وابنه العباس ، لأنه من خوئولتها!

وكلامه صحيح فإن سبب انكشاف أمرهم وقبض المعتصم عليهم ، تأخير العباس ساعة الصفر مرات بسبب ضعفه وتردده!

أفاق المعتصم من خمره فانتصر لعمورية!

أما المعتصم وانتصاره لعمورية ، فقد رحم الله المسلمين وأفاق من خمره وتحركت حميته فذهب إلى دفع الروم وكان جيش المسلمين قوياً أضعاف جيش الروم ، وكانت دولة الروم

في مرحلة ضعف لاختلافهم ، وكان المعتصم يجلس بعيداً عن المعركة ويبعث جيشه ، فنصرهم الله تعالى .

ثم لم يقبل المعتصم من عدوه الاعتذار ولا الصلح ، وقتل وأحرق الحصون والقرى والدور والأشجار والحيوانات ، بل أحرق الناس !

روى الطبري (٧ / ٢٧٢) كيف أحرق المعتصم الأسرى فقال: (ثم أقبل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه ، حتى امتلأ العسكر ، فأمر المعتصم بسيل الترجمان أن يميز الأسرى ، فيعزل منهم أهل الشرف والقدر من الروم في ناحية ، ويعزل الباقين في ناحية ، ففعل ذلك بسيل . ثم أمر المعتصم فوكل بالمقاسم قواده ، ووكل أشناس بما يخرج من ناحيته وأمره أن ينادي عليه ، ووكل الأفشين بما يخرج من ناحيته وأمره أن ينادي ويبيع . وأمر إيتاخ بناحيته مثل ذلك ، وجعفر الخياط بمثل ذلك في ناحيته ، ووكل مع كل قائد من هؤلاء رجلاً من قبل أحمد بن أبي دؤاد ، يحصى عليه . فبيعت المقاسم في خمسة أيام ، بيع منها ما استباع ، وأمر بالباقي فضرب بالنار!

وارتحل المعتصم منصرفاً إلى أرض طرسوس.. فلما كان من الغد أمر ألا ينادى على السبي إلا ثلاثة أصوات ليتزوج البيع ، فمن زاد بعد ثلاثة أصوات ، وإلا بيع العلق فكان يفعل ذلك في اليوم الخامس ، فكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة ، والمتاع الكثير جملة واحدة .

وفي رواية: وانصرف المعتصم يريد الثغور ، وذلك أنه بلغه أن ملك الروم يريد الخروج في أثره أو يريد التعبث بالعسكر ، فمضى في طريق الجادة مرحلة ، ثم رجع إلى عمورية وأمر الناس بالرجوع ، ثم عدل عن طريق الجادة إلى طريق وادي الجور ، ففرق الأسرى على القواد ودفع إلى كل قائد من القواد طائفة منهم يحفظهم ، ففرقهم

القواد على أصحابهم ، فساروا في طريق نحواً من أربعين ميلاً ليس فيه ماء ، فكان كل من امتنع من الأسرى أن يمشى معهم لشدة العطش الذي أصابهم ضربوا عنقه! فدخل الناس في البرية في طريق وادي الجور ، فأصابهم العطش فتساقط الناس والدواب ، وقتل بعض الأسرى بعض الجند وهرب ، وكان المعتصم قد تقدم العسكر فاستقبل الناس ومعه الماء قدحمله من الموضع الذي نزله ، وهلك الناس في هذا الوادي من العطش، وقال الناس للمعتصم: إن هؤلاء الأسرى قد قتلوا بعض جنودنا، فأمر عند ذلك بسيل الرومي بتمييز من له القدر منهم ، فعزلوا ناحية ثم أمر بالباقيين فأصعدوا إلى الجبال وأنزلوا إلى الأودية فضربت أعناقهم جميعاً ، وهم مقدار ستة آلاف رجل قتلوا في موضعين بوادي الجور وموضع آخر ، ورحل المعتصم من ذلك الموضع حتى دخل طرسوس .

معناه: أن من يدعي أنه خليفة النبي ﷺ وكَلَّ قادة جيشه بأن يبيعوا أسراهم لمن أراد الشراء من الجيش ، وكان مندوب قاضي القضاة حاضرًا يحصي البيع فيأخذ سهم الخليفة ، ويعطي للقائد سهمه، فاشترى الجيش قسماً من الأسرى وبقي قسم لا يوجد له مشتر . فأمر أن يضربوهم بالنار ، أي يجرقوهم ! أو يضربوا أعناقهم !

وهكذا كان الخليفة وقاضي القضاة وهم أتقى الأتقياء ، ينفذون حكم الإسلام ، في قوله تعالى: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا!

وفي تاريخ أبي الفداء (٢/٣٤): (بلغ المعتصم أن العباس بن المأمون قد بايعه جماعة من القواد وهو يريد أن يثب عليه ويأخذ الخلافة منه فدعا المعتصم بالعباس بن المأمون وأمسكه وسلمه إلى الأفشين خيذر فلما وصل إلى منبج طلب العباس الطعام فأكل ومُنِع الماء حتى مات بمنبج فصلى عليه بعض إخوته).

وفي النهاية لابن كثير (١٠/٣١٧): (مات العباس بن المأمون بمنبج فدفن هناك ، وكان

سبب موته أنه أجاعه جوعاً شديداً ، ثم جئ بأكل كثير فأكل منه وطلب الماء فمنع حتى مات ، وأمر المعتصم بلعنه على المنبر ، وسماه اللعين . وقتل جماعة من ولد المأمون أيضاً) .

قول: وطرد المعتصم عائلة المأمون من قصور الخلافة فسكنوا في أحياء بغداد الفقيرة ، ومنهم أم الفضل زوجة الإمام الجواد عليه السلام وأخوها جعفر ، فقد كانت أكثر وقتها في بغداد ، وكانت لصيقة بأخيها جعفر في حفلات القصور . ولما أراد المعتصم قتل الإمام الجواد عليه السلام أحضرها ووعدا بإرجاعها الى القصور وإعادة امتيازاتها إن قتلته فارتكبت جريمة سمه ، لكن لم تتهنأ ، فقد مرضت وهلكت !





الفصل الثاني

خلافة الأمين بعد هلاك هارون

كان هارون يتفقد شرقي مملكته

كان هارون في أوج عمره (ابن ٤٢ سنة) وأوج سلطانه على رغم الثورات التي يقوم بها العلويون أو حكام الأطراف، فذهب لتفقد شمال إيران ثم خراسان .

في النجوم الزاهرة (١/١٤٣): (سنة ثلاث وتسعين ومائة وافي الرشيد جرجان فأتته بها خزائن على بن عيسى على ألف وخمس مائة بعير. ثم رحل منها في صفر وهو عليل إلى طوس ، فلم يزل بها إلى أن مات ، في ثالث جمادى الآخرة).

أقول: علي بن عيسى بن ماهان من غلمان المهدي والد هارون ، وقد اعتمد عليه هارون وأطلق يده في حكم إيران، وكان ظالماً قاسياً ظلم وطغى فشكاه الناس وخاف منه هارون ، فأرسل له جيشاً بقيادة هرثمة بن أعين ومعه كتاب عزله ، فعزله وصادره وأذله وبعثه الى هارون على بعير بغير وطاء ! ووصلت خزائنه الى هارون وهو في شمال إيران . وحمل ١٥٠٠ بعير تشمل المال والثياب الخاصة وما يقتنيه الملوك .

وصحب هارون معه ابنه المأمون ليوليه على خراسان ، ولما وصل إلى نوقان في طوس وتسمى اليوم شريف آباد ، اشتد مرضه وبقي أياماً وهلك .

الحالة الصحية لهارون

كان الخطر الصحي على هارون من كثرة أكله وشربه الخمر. وقد بلغ به الأمر في الرقة أن أغمي عليه بسبب نهمه ! قال طبيبه الخاص جبريل بن يخشوع (الفرج بعد الشدة للتونخي: ٢/٣٢٥): (كنت مع الرشيد بالرقة ، ومع المأمون ومحمد ، وكان رجلاً كثير الأكل والشرب ، فأكل في بعض الأيام أشياء خلط فيها ، ودخل المستراح فغشي عياله وقوي عليه الغشي حتى لم يشك غلماؤه أنه قد مات ، وحضر ابنه وشاع عند العامة والخاصة خبره ، فأرسل إليّ فحضرت وجسست عرقه فوجدت نبضاً خفيفاً وقد كان قبل ذلك بأيام يشتكي امتلاء وحركة الدم ، فقلت لهم: لم يمت والصواب أن يحجم الساعة . فقال كوثر: لما يعرف من أمر الخلافة وإفنائها إلى صاحبه محمد: يا ابن الفاعلة تقول إحجموا رجلاً ميتاً ! لا يقبل قولك ولا كرامة . فقال المأمون: الأمر قد وقع وليس يضر بأن نحجمه فأحضر ، وتقدمت إلى جماعة من غلمانهم بإمساكه ففعلوا وأقعد ، فقلت للحجام: ضع محاجمك ففعل فلما مصها رأيت الموضع قد أحمر فطابت نفسي بذلك أنه حي ! ثم قلت: أشرط ، فشرط فخرج الدم فسجدت شكراً لله عز وجل ، وكلما خرج الدم يحرك رأسه ويصفر لونه إلى أن تكلم فقال: أين أنا؟ فطبت نفسه وغذينا صدره دارج، وسقيناها نبذاً وما زلت أسعطه بالطيب في أنفه حتى تراجعت إليه قوته ، وأدخل الخاصة والقواد إليه فسلموا عليه من بعد لما كان قد شاع من خبره ، ثم تكاملت قوته، ووهب الله له العافية .

فلما خرج من غلته دعا بصاحب حرسه وصاحب شرطته وحاجبه ، فسأل صاحب الحرس عن غلته في كل سنة فعرف أنها ألف ألف درهم ، وسأل صاحب شرطته عن غلته فعرف أنها خمس مائة ألف درهم . ثم قال لي يا جبرئيل: كم غلتك؟ فقلت: خمسين ألف درهم . فقال: ما أنصفناك حيث غلات هؤلاء وهم يجرسوني ويحجبوني

عن الناس على ما هي عليه وتكون غلتك ما ذكرت ، وأمر باقطاعي ما قيمته ألف ألف درهم فقلت: ياسيدي مالي حاجة إلى الإقطاع ولكن تهب لي ما أشتري الضياع بها ففعل ، وتقدم بمعاونتي على ابتياعها ، فابتعت بهباته وصلاته ضياعاً غلتها ألف ألف درهم ، فجميع ما امتلكته ضياعاً لا إقطاع فيها) .

خرجت في بطن هارون غدة فكان أولاده يراقبونها !

في الطبري(٦/٥٣٤) وغيره من المصادر: (ذكر محمد بن الصباح الطبري أن أباه شيع الرشيد إلى النهروان ، فجعل يحادثه في الطريق إلى أن قال: يا صباح ، لا أحسبك تراني بعدها . فقلت: بل يردك الله سالماً . ثم قال: ولا أحسبك تدري ما أجد . فقلت: لا والله فقال: تعالی حتى أريك . وانحرف عن الطريق وأوماً إلى الخواص فتنحوا ثم قال: أمانة الله يا صباح أن تكتم علي . وكشف عن بطنه ، فإذا عصابة حرير حول بطنه ، فقال: هذه علة أكتمها الناس كلهم . ولكل واحد من ولدي علي رقيب ، فمسرور رقيب المأمون ، وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين ونسيت الثالث ، ما منهم أحد إلا وهو يحصي أنفاسي ويعد أيامي ويستطيل دهري . فإن أردت أن تعرف ذلك فالساعة أذعو برذون ، فيجيئون به أعجف ليزيد في علتي . ثم دعا برذون ، فجاءوا به كما وصف ، فنظر إليّ ثم ركبه وقال: إنصرف . ثم ركب حتى بلغ جرجان في صفر سنة ١٩٣ وقد اشتدت علته . وسار إلى طوس ، واشتد به الوجع)!

وفي الفتوح لابن أعثم (٨/٣٩٩): (ولما صار الرشيد بطوس دعا العباس بن موسى ، فقال له: يا عباس ! في علمنا المدروس أني أموت بطوس !

قال: وكان في سجنه قوم من الأسارى قد كان بعث بهم هرثمة بن أعين فأمر بهم فأخرجوا من السجن حتى وقفوا بين يديه فقال لهم: أعداء الله! أنتم الذين

أزعجتموني عن موضعي وجشتموني المؤونة والتعب والسفر بخروجكم علي ،
والله لأقتلنكم قتلة ما سبقني أحد إليها!
قال: ثم أمر بهم ففصلوا عضواً عضواً حتى آخرهم!

وروى الطبري (٦/٥٣٥): (عن ابن جامع المروزي عن أبيه قال: كنت فيمن جاء إلى
الرشيد بأخ رافع ، قال فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم
الذراع ، وعليه فرش بقدر ذلك أو قال أكثر ، وفي يده مرآة ينظر إلى وجهه ، قال
فسمعتة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ونظر إلى أخ رافع فقال: أما والله يا ابن اللخناء
إني لأرجو أن لا يفوتني حامل ، يريد رافعاً ، كما لم تفتني ! فقال له: يا أمير المؤمنين
قد كنت لك حرباً وقد أظفرك الله بي فافعل ما يجب الله ، أكن لك مسلماً ، ولعل الله أن
يلين لك قلب رافع إذا علم أنك قد مننت عليّ ! فغضب وقال: والله لو لم يبق من
أجلي إلا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت أقتلوه ! ثم دعا بقصاب فقال: لا تشحذ مداك ،
أتركها على حالها ! وفصل هذا الفاسق وعجل لا يحضرنَّ أجلي وعضوان من أعضائه
في جسمه ! ففصله حتى جعله أشلاءً ! فقال: عدّ أعضائه ، فعددت له أعضاؤه فإذا
هي أربعة عشر عضواً ! فرفع يديه إلى السماء فقال: اللهم كما مكنتني من ثأرك وعدوك
فبلغت فيه رضاك ، فمكني من أخيه ! ثم أغمي عليه وتفرق من حضره !).

وفي مروج الذهب (٢/١١): (واشتد ضعفه وأرجف الناس بموته ، فدعا بحمار ليركبه ،
فلما صار عليه سقطت فخذه فلم يثبت على السرج ، فقال: إنزلوني صدق المرجفون ،
ثم دعا بأكفان فاختر منها ما أراد ، وأمر بحفر قبر فلما اطلع فيه قال: ما أغنى عني
ماليه ، هلك عني سلطانيه)!

أقول: تأمل في قيادة أزهى العصور الإسلامية:

كيف تقتل الأم خيزران ابنها ، وتولي الآخر المطيع لها !

وكيف يسلم هارون اللارشيد الدولة الى (أخيه) البرمكي لينصرف هو الى لذاته !

وكيف كان أبناء الخليفة يبغضون أباهم ويتمنون موته ويضعون مراقبين على الغدة السرطانية في بطنه ، ويتظنون البشارة بموته !

وكيف يتلذذ خليفة المسلمين اللارشيد بتقطيع أوصال مساجين قادة ثاروا عليه ! وكيف يقتل (ويفصل) جثامينهم وجثمان أخ رافع بن خديج الأنصاري الذي خرج عليه في خراسان ، لمجرد أنه أخ رافع ! وقد حلف له بأعظم الأيمان أنه من عشرين سنة معتزل أخاه رافعاً ومعتزل كل الناس ، ومنصرف الى العبادة في المسجد ، وأن الناس يشهدون له بذلك فلم تنفعه شهادة الشهود !

وكيف هدد طبيبه الخاص ووزير الصحة في الخلفة بختيشوع بتفصيل أعضائه !

ثم انظر كيف يعترف بظلمه ويقول عن نفسه: مَا أَعْتَى عَنِّي مَالِيَهُ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ فَرَشِحَ نَفْسَهُ لِبَقِيَةِ الْآيَاتِ: خُذُوهُ فَعَلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ. إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ.

فهذا هو أزهى العصور ، وهذا هو الجو الذي نشأ فيه المأمون !

اتهم هارون بختيشوع بالخيانة وأراد أن يفصله!

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء / ٣٢١: (قال الصولي: خلف الرشيد مائة ألف ألف دينار ومن الأثاث والجواهر والورق والدواب ما قيمته ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار. وقال غيره: غلط جبريل بن بختيشوع على الرشيد في علته في علاج عاجله به كان سبب منيته، فهم أن يفصل أعضائه فقال: أنظرني إلى غد فإنك تصبح في عافية، فمات ذلك اليوم! ولما مات بويع لوالده الأمين في العسكر وهو حينئذ ببغداد ، فاتاه

الخبر فصلى الناس الجمعة وخطب ونعى الرشيد إلى الناس وبايعوه . وأخذ رجاء الخادم البرد والقضيب والخاتم ، وسار على البريد في اثني عشر يوماً من مرو حتى قدم بغداد في نصف جمادى الآخرة فدفن ذلك إلى الأمين .)

دفنوه في دار حميد بن قحطبة الطائي عامله على خراسان

في معجم البلدان (٤/٤٩): (وطوس أربع مدن: منها اثنتان كبيرتان واثنتان صغيرتان ، وبها آثار أبنية إسلامية جليلة ، وبها دار حميد بن قحطبة ، ومساحتها ميل في مثله ، وفي بعض بساتينها قبر علي بن موسى الرضا وقبر الرشيد ، وبينها وبين نيسابور قصر هائل عظيم محكم البنيان لم أر مثله علوً جدرانٍ وإحكام بنيان .)

وسياتي ذكر حميد هذا وتقتيله ستين علوياً بأمر هارون!

وقال المؤرخون: دفن هارون بوصيته في حجرة من الدار. وأمر المأمون ببناء قبة فوق قبره ، فلما مات الرضا عليه السلام أمر المأمون بدفنه إلى جنب أبيه هارون !

تولى الأمين الخلافة فعزل أخاه المأمون عن ولاية العهد

قال الصنعاني في نسمة السحر/ ٣٠٥: (وحدث الأصمعي: كان الرشيد لما دنت وفاته عهد إلى أولاده الثلاثة: محمد الأمين وإنما قدمه على صبوة فيه ، لهوى أمه زبيدة بنت جعفر ، وبعده المأمون ، ثم المؤتمن وإسمه القاسم ، وبايع لهم الجند وكتب عهداً بذلك رصعه بالجواهر ، ثم حج وهم معه ، فبايع لهم الناس بالموسم وفرق الأموال ، وعلق العهد على الكعبة ، وأمر السدنة أن يقرؤوه على الناس كل سنة .)

وقال المسعودي في مروج الذهب (٢/٢٢): (وبويع محمد بن هارون في اليوم الذي مات فيه هارون الرشيد ، وهو يوم السبت لأربع ليال خلون من جمادى الأولى ، بطوس ،

سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وتقدم ببيعته رجاء الخادم ، وكان القيم ببيعته الفضل بن الربيع ، وكان محمد يكنى بأبي موسى . وأمه زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر بالرصافة ، وكان مولده بالرصافة . وقتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً . ودفنت جثته ببغداد وحمل رأسه إلى خراسان . وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر).

وفي مروج الذهب (٤/٢٢٦): (ولما أفضى الأمر إلى ولدها الأمين قدّم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ، ككوثر وغيره من خَدَمِهِ ، فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجواري المقدودات الحسان الوجوه ، وعممت رؤوسهن ، وجعلت لهن الطَّرَّ والأصداغ والأقفية ، وألبستهن الأقبية والقراطق والمناطق ، فهاست قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن إليه ، فاختلفن في يديه ، فاستحسنهن واجتذبن قلبه إليهن ، وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجواريَ وألبسوهن الأقبية والمناطق ، وسموهن الغلاميات . فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ، ونادى بأعلى صوته: يا غلام ، قدح على وصف الغلاميات ، فبادر إليه جوارٍ كثيرة قُدُّهن واحد ، توهمتهن غلماناً بالقراطق والأقبية والطرر والأقفية ومناطق الذهب والفضة ، فأخذ الكأس بيده ، فأقبلتُ أتأمل صفاء جوهر الكأس ونورية الشراب وشعاعه ، وحسن أولئك الجواري والحربة بين يديه ، وأسرع في شربه ، فقال: هيه).

وفي تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (٣/٧٣): (وقد أشاع هؤلاء المجان والخلعاء آفة مزرية هي آفة التعلق بالغلماں المرد ، وكان أول من اشتهر بالغزل فيهم والبة بن الحباب ، وهو يصرح بذلك تصريحاً في غير موارد ولا استحياء ، ويقال إنه هو الذي

يتحمل وزر إفساد أبي نواس ، بل هو في رأينا الذي يتحمل وزر العصر كله وما شاع فيه من هذا الغزل المقيت الذي يخنق كرامة الشباب والرجال خنقاً .

وربما كان من أسباب شيوعه كثرة الغلمان الخصيان في بغداد وغيرها من مدن العراق ، وكان منهم من تسقط عنه رجولته حتى ليلبس لبس النساء . وكان من الجوارى من يلبس لبس الغلمان لفتاً للشباب والرجال !

وقال أبو الفداء في تاريخه (١٩/٢): (ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة فيها أبطل الأمين إسم المأمون من الخطبة ، وكان أبوها قد عهد إلى الأمين ثم من بعده إلى المأمون فخطب لهما إلى هذه السنة فقطعها الأمين ، وخطب لابنه موسى بن الأمين ، ولقبه الناطق بالحق ، وكان موسى طفلاً صغيراً ، ثم جهز الأمين جيشاً لحرب المأمون بخراسان .

وقدم عليهم علي بن عيسى بن ماهان ، وكان طاهر بن الحسين مقيماً في الري من جهة المأمون ومعه عسكر قليل . وسار علي بن عيسى بن ماهان في خمسين ألفاً حتى وصل إلى الري والتقى العسكران ، فخلع طاهر بيعة الأمين وبايع المأمون بالخلافة ، وقاتل طاهر علي بن عيسى بن ماهان قتالاً شديداً فانهمز عسكره التابع للأمين ، وقتل علي بن عيسى بن ماهان وحمل رأسه إلى طاهر ، فأرسل طاهر بالرأس وبالفتح إلى المأمون وهو بخراسان .

وفي مروج الذهب (٢٥/٢): (كان العهد الذي كتبه الرشيد بين الأمين والمأمون أن الغادر منهما خارج من الأمر ، أيها غدر بصاحبه ، والخلافة للمغدر).

وفي رواية المسعودي (٣٨٩/٣): (فلما قرب من الري قيل له: إن طاهر بن الحسين مقيم بها وقد كان يظن أن طاهراً لا يثبت له فقال: والله ما طاهر إلا شوكة من أغصاني ،

وشرارة من ناري ، وما مثل طاهر يؤمر على جيش ، وما بينه وبين الموت إلا أن تقع عينه على سوادكم ، فإن السُّخال لا تقوى على نطاح الكباش ، والثعالب لا تقدر على لقاء الأسد !

فقال له ابنه: ابعث طلائع وارثد موضعاً لعسكرك ، فقال: ليس مثل طاهر يستعدُّ له بالملكيد ويستظهر له بالإحتراز والتحفظ ، إنَّ حال طاهر يؤدي الى أمرين: إما ان يتحصن بالري فيشب به أهلها ويكفونا مؤنته ، أو يخليها ويدبر راجعاً ، لو قد قربت خيولنا منه !

فقال له ابنه: إن الشرارة ربما صارت ضراماً فقال: أسكت إن طاهر أليس قرناً في هذا الموضع ، وإنما تحترس الرجال من أقرانها .

وسار علي بن عيسى حتى دنت عساكره من الري.. وأقبل طاهر في نحو من أربعة آلاف فارس وكردَسَ خيله كراديس، وصمد في نحو القلب في سبع مائة من الخوارزمية وغيرهم من فرسان خراسان ، وخرج اليه من القلب العباس بن الليث مولى المهدي وكان فارساً، فقصده طاهر وضم يديه على سيفه فضربه ضربة فأتى عليه، وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بيديه جميعاً للعباس بن الليث ، وبذلك سمي طاهر ذا اليمينين ، لجمعه يديه على السيف..

وكتب الى ذي الرياستين الفضل بن سهل بالخبر فكان في الكتاب: أطال الله بقاءك ، وكَبَتَ أعداك ، كتابي إليك ورأس علي بن عيسى بين يدي وخاتمته في أصبعي ، والحمد لله رب العالمين ، فسر المأمون بذلك ، وسُلم عليه في ذلك الوقت بالخلافة) .

أقول: أخطأ الأمين بنكته عهد أبيه وعزل أخيه المأمون ، وقد شجعه على ذلك العباسيون المتعصبون ، لأن المأمون من أم خراسانية .

وفي المقابل تعصب الخراسانية خوؤلة المأمون له وقادهم الفضل بن سهل وأخوه ، وكان من أولاد ملوك الخراسانيين ، ومن صنائع البرامكة ، فأطاعوه وشكلوا جيشاً للمأمون فقاتلوا جيش الأمين في إيران وهزموه ، ثم قصدوا بغداد وحاصروها حتى قتلوا الأمين وجاؤوا برأسه الى أخيه المأمون !

وبذلك استحكم العداء بين المأمون والعباسيين ، فأحضر الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وأجبره على قبول ولاية عهده ، ليقول للعباسيين إنه سينقل الخلافة منهم الى العلويين وبعد سنين قليلة تصالح مع العباسيين وعزم على العودة الى بغداد ، فقتل الفضل بن سهل والإمام الرضا عليه السلام ، ورجع الى بغداد ، فاستقبله العباسيون وبايعوه وأطاعوه!

العباسيون يخلعون المأمون!

في الأعلام (٧/١٢٧): (الأمين العباسي (١٧٠-١٩٨ هجرية) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور: خليفة عباسي، ولد في رصافة بغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣ هـ بعهد منه ، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها . وكان المأمون ولي العهد من بعده . فلما كانت سنة ١٩٥ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان وتسمى بأمر المؤمنين . وجهز الأمين وزيره ابن ماهان لحربه، وجهز المأمون طاهر بن الحسين فالتقى الجيشان ، فقتل ابن ماهان وانهمز جيش الأمين ، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصاراً طويلاً انتهى بقتل الأمين: بالسيف ، وكان الذي ضرب عنقه مولى لطاهر بأمره. وكان أبيض طويلاً سميناً ، جميل الصورة ، شجاعاً أديباً ، رقيق الشعر، مكثراً من إنفاق الأموال سيئ التدبير، يؤخذ عليه انصرافه إلى اللهو ومجالسة الندماء) .

وفي الأعلام (٤/٣١٧): (علي بن عيسى بن ماهان: من كبار القادة في عصر الرشيد

والأمين . وهو الذي حرص الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد وسيره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير ، ولاة إمارة الجبل وهمذان وأصبهان وقم وتلك البلاد، فخرج من بغداد في ٤٠ ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في الري ، فقتل ابن ماهان وانهمز أصحابه).

وفي تاريخ يعقوبي(٢/٤٣٦ والطبري: ٦/٥٥٤): (فأفسد قوم قلب محمد على المأمون، وأوقعوا بينهما الشر، وكان الذي يجرضه علي بن عيسى بن ماهان والفضل بن الربيع، وزينا له أن يبايع لابنه بولاية العهد من بعده ويخلع المأمون ، ففعل ذلك وبايع لابنه موسى، وكان ذلك لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٩٤، وجمع العهود التي كان كتبها الرشيد بينها ، فحرقها وجرت الوحشة بينها ، وكتب محمد إلى المأمون يأمره بالقدوم عليه في جميع القواد ، فكتب إليه يعلمه أنه لاسمع عليه في هذا ولا طاعة ، فكتب إلى من بخراسان من القواد فأجابوه بمثل ذلك ، وقالوا: إنما يلزمنا لك الوفاء ، إذا وفيت لأخيك وأنت قد نقضت العهود وأحدثت الأحداث واستخففت بالأيمان والمواثيق . ووجه محمد إلى أم عيسى بنت موسى الهادي امرأة المأمون يطلب جوهرًا كان عندها للمأمون فمنعته ، وقالت: ما عندي شيء أملكه ، فوجه من هجم منزلها فانتهب كل ما فيه وأخذ ذلك الجوهر ، فلما انتهى ذلك إلى المأمون جمع القواد الذين قبله فقال لهم: قد علمتم ما كان أبي شرط علي وعلى محمد ، وقد نكث ونقض العهود ، وأوجد السبيل إلى خلعه بنكته ونقضه وتعرضه لأموالي وأسبابي وأعمالي ، وتحريقه الشروط والعهود التي عليه ، واستخفافه بحق الله فيما نكث من ذلك ، واشتغاله بالخصيان ، فاتفق رأيهم على مراسلته فإن رجع وإلا خلعه . وبلغ محمداً ذلك فجمع قواده وذكر لهم خلع المأمون إياه وندبهم إلى الخروج إليه ، فاخترأوا عصمة بن أبي عصمة السبيعي ، فسير معه جيشاً كثيفاً ، فخرج حتى صار إلى حد

خراسان ، ثم وقف وكتب إليه يحركه على المسير ، فامتنع فقال: أخذت علينا البيعة أن لا ندخل خراسان ، وأخذت عليك ألا تدخلها ولا ترسل أحداً إليها ، فإن جاءني إنسان من قبل المأمون إلى هاهنا قاتلته ، وإلا لم أجز الحد !

فوجه محمد علي بن عيسى بن ماهان والياً على خراسان ، وأمره بإشخاص المأمون ومن معه ، وضم إليه من القواد والجند أربعين ألف مرتزق ، وحملت إليه الأموال ، ودفع إليه قيد فضة ، وقال: إذا قدمت خراسان قيد بهذا القيد المأمون واحمله إلى ما قبلي ، فلما أتى المأمون الخبر ندب طاهر بن الحسين بن مصعب البوشنجي للخروج وقبل ذلك كان قد ولاه كورة بوشنج وأزاح علته بالكراع والأموال ، ونفذ فلقي علي بن عيسى بالري في سنة ١٩٥ ، وعلي بن عيسى في خلق عظيم ، وطاهر بن الحسين في خمسة آلاف ، فخرج علي بن عيسى في نفر يسير يدور حول العسكر ، وبصر به طاهر بن الحسين ، فأسرع إليه في جماعة من أصحابه فلاقى علياً وهو على بردون أصفر ، وعليه طليلسان كحلي طويل ، فدافع عنه من كان معه حتى قتل جماعة وركض ، فاتبعه طاهر وحده فضربه بسيفه حتى أشخنه وسقط إلى الأرض ، فنزل واحتز رأسه ورجع إلى معسكره ، ونصب الرأس على رمح ونادى في عسكر علي بن عيسى: قتل الأمير ! وبلغ أصحابه به خبره فانهزموا ، وأسلموا الخزائن والكراع ، فلم يبت طاهر حتى حوى جميع ما كان في عسكره ، فاستأمن إليه كثير من أصحابه . وكتب طاهر بالفتح إلى المأمون إلى مرو ، ووجه بالرأس إليه مع رجل من أصحابه ، فلما دخل على ذي الرئاستين سأله عن الخبر ، فذهل ، وانقطع كلامه فلم يقدر على إجابته فهال ذلك الفضل ، ففتح الخريطة وقرأ الكتب ثم قال: أين الرأس؟ فطلب ما معه ، فلم يوجد ، وسئل عنه فلم يتكلم ، فوجه في طلبه فوجده قد سقط على مقدار ميلين ، فحمل وأدخل إلى مرو . وقرئ الفتح على الناس وبويع للمأمون بالخلافة ،

وخلع محمداً ، فأعطى جميع أهل خراسان الطاعة للمأمون . وصعد المأمون المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال: أيها الناس! إني جعلت الله على نفسي إن استرعاني أموركم أن أطيعه فيكم ، ولا أسفك دماً عمداً إلا تحله حدوده ، وتسفكه فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالاً ولا أثاثاً ، ولا نحلة تحرم علي ، ولا أحكم بهواي في غضبي ولا رضاي إلا ما كان في الله له جعلت ذلك كله لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ، إني أفي رغبة في زيادته إياي في نعمي ، ورهبة من مسألتي إياي عن حقه وخلفه ، فإن غيرت أو بدلت كنت للعب مستأهلاً ، وللنكال متعرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه ، وأرغب إليه في المعونة على طاعته ، وأن يحول بيني وبين معصيته .

ولما بلغ محمداً قتل علي بن عيسى بن ماهان وانزهاه عسكره ، ومصيرهم إلى حلوان ، وخلع أهل خراسان له ، واجتماع كلمتهم على المأمون ، وأن طاهراً قد قوي بما صار في يده من الأموال والسلاح والكرام ، وكتب إليه المأمون ألا يعرج دون بغداد وأن يقصدها ، وجه عبد الرحمن بن جبلة إليه وأمره أن يضم إليه من بحلوان من القواد والجنود الذين كانوا مع علي بن عيسى .

وفي الطبري (٤٤/٧): (فلما دخلت سنة ١٩٦ بلغه خلع عبد الله المأمون أخاه وما كان فعل طاهر بقواد محمد وقد كان محمد كتب إلى داود بن عيسى يأمره بخلع عبد الله المأمون والبيعة لابنه موسى وبعث محمد إلى الكتابين اللذين كان الرشيد كتبهما وعلقهما في الكعبة فأخذهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والقرشيين والفقهاء ومن كان شهد على ما في الكتابين من الشهود وكان داود أحدهم ، فقال داود قد علمتم ما أخذ علينا وعليكم الرشيد من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام حين بايعنا لابنيه لتكونن مع المظلوم منها على الظالم ومع المبغي عليه على الباغي ،

ومع المغدور به على الغادر ، فقد رأينا ورأيتم أن محمداً قد بدأ بالظلم والبغي والغدر على أخويه عبد الله المأمون والقاسم المؤمن وخلعها وبايع لابنه الطفل رضيع صغير لم يفطم ، واستخرج الشرطين من الكعبة عاصياً فحرقهما بالنار .

وقد رأيت خلعه وأن أبايع لعبد الله المأمون بالخلافة إذ كان مظلوماً مبيعاً عليه فقال له أهل مكة: رأينا تبع لرأيك ونحن خالعه معك فوعدهم صلاة الظهر ، وأرسل في فجاج مكة صائحاً يصيح الصلاة جامعة فلما جاء وقت صلاة الظهر وذلك يوم الخميس لسبع وعشرين ليلة خلت من رجب سنة ١٩٦ خرج داود بن عيسى فصلى بالناس صلاة الظهر وقد وضع له المنبر بين الركن والمقام فصعد فجلس عليه وأمر بوجوه الناس وأشرفهم فقربوا من المنبر ، وكان داود خطيباً فصيحاً جهر الصوت فلما اجتمع الناس قام خطيباً فقال: أما بعد يا أهل مكة فأنتم الأصل والفرع والعشيرة والأسرة والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم نفذ وفد الله ، وإلى قبلكم يأتى المسلمون ، وقد علمتم ما أخذ عليكم الرشيد هارون رحمة الله عليه وصلاته حين بايع لابنه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق لتنصرن المظلوم منها على الظالم والمبغى عليه على الباغي والمغدور به على الغادر .

ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد بن هارون قد بدأ بالظلم والبغي والغدر وخالف الشروط التي أعطها من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حل لنا ولكم خلعه من الخلافة وتصيرها إلى المظلوم المبغى عليه المغدور به .

ألا وإني أشهدكم أنني قد خلعت محمد بن هارون من الخلافة كما خلعت قلنسوتي هذه من رأسي وخلعت قلنسوته عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من برود حبرة مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها ثم قال: قد بايعت لعبد

الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفتمكم فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً ثم نزل عن المنبر وحانت صلاة العصر فصلى بالناس ، ثم جلس في ناحية المسجد وجعل الناس يبايعونه جماعة بعد جماعة يقرأ عليهم كتاب البيعة ويصافحونه على كفه ففعل ذلك أياماً ، وكتب إلى سليمان بن داود بن عيسى وهو خليفته على المدينة يأمره أن يفعل بأهل المدينة مثل ما فعل هو بأهل مكة من خلع محمد والبيعة لعبد الله المأمون ، فلما رجع جواب البيعة من المدينة إلى داود وهو بمكة رحل من فوره بنفسه وجماعة من ولده يريد المأمون بمرو على طريق البصرة ثم على فارس ثم على كرمان ، حتى صار إلى المأمون بمرو فأعلمه ببيعته وخلعه محمداً ومسارعة أهل مكة وأهل المدينة إلى ذلك ، فسُرَّ بذلك المأمون وتيمن ببركة مكة والمدينة إذ كانوا أول من بايعه ، وكتب إليهم كتاباً ليناً لطيفاً يعدهم فيه الخير وبسط أملهم وأمر أن يكتب لداود عهد على مكة والمدينة وأعمالها من الصلاة والمعاون والجباية وزيد له ولاية عك .

وعقد له على ذلك ثلاثة ألوية وكتب له إلى الري بمعونته بخمسة مائة ألف درهم ، وخرج داود بن عيسى مسرعاً مغذاً مبادراً لإدراك الحج ومعه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وقد عقد المأمون للعباس بن موسى بن عيسى على ولاية الموسم ، فسار هو وعمه داود حتى نزلا ببغداد على طاهر بن الحسين ، فاكرمهما وقربهما وأحسن معونتهما ووجه معها يزيد ابن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، وقد عقد له طاهر على ولاية اليمن ، وبعث معه خيلاً كثيفة وضمن لهم يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري أن يستميل قومه وعشيرته من ملوك أهل اليمن وأشرفهم ليخلعوا محمداً ويبايعوا عبد الله المأمون ، فساروا جميعاً حتى دخلوا مكة وحضر الحج فحجج بأهل الموسم العباس

بن موسى بن عيسى ، فلما صدروا عن الحج انصرف العباس حتى أتى طاهر بن الحسين ، وهو على حصار محمد وأقام داود بن عيسى على عمله بمكة والمدينة ، ومضى يزيد بن جرير إلى اليمن فدعا أهلها إلى خلع محمد وبيعة عبد الله المأمون وقرأ عليهم كتاباً من طاهر بن الحسين يعدهم العدل والإنصاف ويرغبهم في طاعة المأمون ويعلمهم ما بسط من العدل في رعيته ، فأجاب أهل اليمن إلى بيعة المأمون واستبشروا بذلك وبايعوا للمأمون وخلعوا محمداً ، فسار فيهم يزيد بن جرير بن يزيد بأحسن سيرة وأظهر عدلاً وإنصافاً ، وكتب بإجابتهم وبيعتهم إلى المأمون .

أخبر هارون أنه سيكون صراع بين ولديه الأمين والمأمون!

فقد سمع هارون ذلك من الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وكان يصدقه في كل مقولاته ، لأنه يعتقد بأنه وارث علم النبي صلى الله عليه وآله .

قال الدميري في حياة الحيوان (١/١١٥): (ذكر عن الأصمعي أنه قال: دخلت على الرشيد وكنت قد غبت عنه بالبصرة حولاً فسلمت عليه بالخلافة فأوماً إليّ بالجلوس قريباً منه فجلست قليلاً ثم نهضت ، فأوماً إليّ أن اجلس فجلست ، حتى خف الناس ثم قال لي: يا أصمعي ألا تحب أن ترى محمداً وعبد الله بنين؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين إني لأحب ذلك ، وما أردت القصد إلا إليهما لأسلم عليهما ، فقال: يكفي ذلك ثم قال: علي بمحمد وعبد الله ، فانطلق الرسول إليهما وقال أجبيا أمير المؤمنين فأقبلا كأنهما قمر أفق ، قد قاربا خطاهما ورميا ببصرهما الأرض ، حتى وقفا على أبيهما فسلمنا عليه بالخلافة ، فأوماً إليهما بالجلوس فجلس محمد عن يمينه وعبد الله عن يساره ، ثم أمرني بمطارحتها الأدب فكننت لا ألقى عليهما شيئاً من فنون الأدب إلا أجابا فيه وأصابا ، فقال: كيف ترى أديها؟ قلت: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلها في ذكائهما

وجودة فهمهما وذهنهما ، فأطال الله تعالى بقاءهما ، ورزق الأمة من رأفتها ومعطفتها، فضمهما إلى صدره وسبقته عبرته فبكى حتى تحدرت دموعه على لحيته ، ثم أذن لهما في القيام فنهضا حتى إذا خرجا قال لي: يا أصمعي كيف بهما إذا ظهر تعاديهما ، وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما ، حتى تسفك الدماء ويود كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى؟ قلت: يا أمير المؤمنين هذا شئى قضى به المنجمون عند مولدهما ، أو شئى أثرته العلماء في أمرهما؟ قال: لا بل شئى أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء ﷺ في أمرهما. وكان المأمون يقول في خلافته: كان الرشيد سمع جميع ما يجري بيننا من موسى بن جعفر ، ولذلك قال ما قال .

أقول: كان هارون وغيره من الخلفاء يؤمنون بأن ما يقوله أئمة أهل البيت ﷺ حقيقة لا بد أن تكون. وقد أخبروهم بكثير من الأمور وأتموا عليهم الحجة ، لكن هارون قال: الملك عقيم ، أي لا أب له ولا أمّاً ولا رحم ، بل ولا أخلاق ولا قيم !

المسعودي يصف هزيمة الأمين وقتله

قال الدينوري في الأخبار الطوال/٣٩٩: (وإن طاهر بن الحسين صعد من البصرة ، وتقدم هرثمة حتى أحداقاً ببغداد وأحاطا بمحمد الأمين ، ونصبا المنجنيق على داره حتى ضاق محمد بذلك ذرعاً .

وكان هرثمة بن أعين يجب صلاح حال محمد ، والإبقاء على حشاشة نفسه ، فأرسل إليه محمد يسأله القيام بأمره ، وإصلاح ما بينه وبين المأمون ، على أن يخلع نفسه عن الخلافة ويسلم الأمر لأخيه، فكتب إليه هرثمة: قد كان ينبغي لك أن تدعو إلى ذلك قبل تفاقم الأمر ، فأما الآن فقد بلغ السيل الزبى ، وشغل الحلي أهله أن يعار ، ومع ذلك فإني مجتهد في إصلاح أمرك فصر إليّ ليلاً لأكتب بصورة أمرك إلى أمير المؤمنين،

وَأَخَذَ لَكَ عَهْدًا وَثِيقًا وَلَسْتُ أَلُو جَهْدًا وَلَا اجْتِهَادًا فِي كُلِّ مَا عَادَ بِصِلَاحِ حَالِكَ ،
 وَقَرَّبَكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ اسْتَشَارَ نَصْحَاءَهُ وَوُزَرَءَهُ ، فَأَشَارُوا
 بِذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَطَمَعُوا فِي بَقَاءِ مَهْجَتِهِ . فَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَكِبَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ خَاصَّتِهِ
 وَثِقَاتِهِ وَجَوَارِيهِ ، يَرِيدُ الْعُبُورَ إِلَى هَرِثْمَةَ ، فَأَحْسَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بِالْمَرَاسَلَةِ الَّتِي
 جَرَتْ بَيْنَهُمَا وَالْمُوَافَقَةَ الَّتِي انْتَفَقَا عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَقْبَلَ مُحَمَّدٌ وَرَكِبَ بِمَنْ مَعَهُ الْمَاءُ شَدَّ عَلَيْهِ
 طَاهِرٌ فَأَخَذَهُ وَمَنْ مَعَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِهِ فِي مَنْزِلِهِ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ وَأَنْفَذَهُ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ !
 وَكَانَ قَتْلُ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِخَمْسِ خُلُوفٍ مِنَ الْمُحْرَمِ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ
 وَمِائَةً ، وَقَتْلُ ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَكَانَتْ وَلايَتُهُ أَرْبَعِ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ .

وَقَالَ فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ (٣/٤١٢): (ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ سَلَامٍ وَقَدْ كَانَ مَعَ الْأَمِينِ فِي الْحِرَاقَةِ
 (الْقَارِبِ) حِينَ انْقَلَبَتْ فَسَبِحَ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِ طَاهِرٍ وَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَأَرْغَبَهُ
 فِي عَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَأَنَّهُ يَحْمِلُهَا إِلَيْهِ فِي صَبِيحَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، قَالَ: فَأَدْخَلْتُ بَيْتًا
 مُظْلِمًا فَبِينَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ عُرْيَانٌ عَلَيْهِ سِرَاوِيلٌ وَعِمَامَةٌ قَدْ تَلَثَّمَتْ بِهَا ،
 وَعَلَى كَتْفِهِ خِرْقَةٌ فَجَعَلُوهُ مَعِي وَتَقَدَّمُوا إِلَيَّ مِنْ فِي الدَّارِ فِي حَفْظُنَا ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الدَّارِ
 حَسَرَ الْعِمَامَةَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ مُحَمَّدٌ فَاسْتَعْبَرْتُ وَاسْتَرَجَعْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي ،
 وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهُمْ أَنْتَ؟ قُلْتَ: أَنَا مُوَلَاكُ يَا سَيِّدِي ، قَالَ: وَأَيُّ الْمُوَالِي
 أَنْتَ؟ قُلْتَ: أَحْمَدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ: أَعْرَفَكَ بِغَيْرِ هَذَا ، كُنْتَ تَأْتِينِي بِالرَّقَةِ؟ قُلْتَ: نَعَمْ ،
 ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ ، قُلْتَ: لَبِيكَ يَا سَيِّدِي ، قَالَ: أَذُنُ مِنِّي وَصُؤْمَنِي إِلَيْكَ فَإِنِّي أَجِدُ وَحِشَّةَ
 شَدِيدَةٍ ، قَالَ: فَضَمَمْتَهُ إِلَيَّ فَإِذَا قَلْبُهُ يَخْفِقُ خَفْقَانًا شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَنْ أَخِي
 الْمَأْمُونِ أَحْيَى هُوَ؟ قُلْتَ لَهُ: فَهَذَا الْقِتَالُ عَمَّنْ إِذْنُ؟ قَالَ: قَبِحَهُمُ اللَّهُ ذَكَرُوا أَنَّهُ مَاتَ !
 قُلْتَ: قَبِحَ اللَّهُ وَزَرَءَكَ فَهَمْ أوردوك هذا المورد ، فقال لي: يا أحمد ليس هذا موضع
 عتاب ، فلا تقل في وزرائي إلا خيراً فما لهم ذنب ، ولست بأول من طلب أمراً فلم

يقدر عليه ، قلت: ألبس إزارى هذا وارم بهذه الخرقة التي عليك ، فقال: يا أحمد من كان حاله مثل حالي فهذه له كثير ، ثم قال لي: يا أحمد ما أشك أنهم سيحملونني الى أخي أفترى أخي قاتلي؟ قلت: كلا ، إن الرحم ستعطفه عليك ، فقال لي: هيهات ! الملُّك عقيم لا رحم له ، فقلت له: إن أمان هرثمة أمانُ أخيك ، قال: فلقتته الإستغفار وذكر الله ، فبيننا نحن كذلك إذ فتح باب البيت فدخل علينا رجل عليه سلاح ، فاطَّلع في وجه محمد مستتبّاً له فلما أثبتته معرفة خرج وأغلق الباب وإذا هو محمد الطاهري ، قال: فعلمت أن الرجل مقتول ، وقد كان بقي عليّ من صلاتي الوتر فخفت أن أقتل ولم أوتر فقمّت لأوتر ، فقال لي: يا أحمد لا تبعد مني وصلِّ بقربي ، فإني أجد وحشة شديدة ، فدنوت منه فقلّ ما لبثنا حتى سمعنا حركة الخيل ودقّ باب الدار، ففتح الباب فإذا قوم من العجم بأيديهم السيوف مُصلّتة ، فلما أحس بهم محمد قام قائماً وقال: إنا لله وأنا اليه راجعون ذهب والله نفسي في سبيل الله ، أما من حيلة أما من مغيث؟ وجاؤوا حتى قاموا على باب البيت الذي نحن فيه ، وجعل بعضهم يقول لبعض: تقدم ، ويدفع بعضهم بعضاً: فأخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول: أنا ابن عم رسول الله ، أنا ابن هارون الرشيد ، أنا أخو المأمون ، الله الله في دمي ، فدخل عليه رجل منهم مولى لطاهر فضربه بالسيف ضربة وقعت في مقدم رأسه ، وضرب محمد وجهه بالسادة التي كانت في يده ، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده ، فصاح بالفارسية: قتلني الرجل ، فدخل منهم جماعة فنخسه أحدهم بسيفه في خاصرته ، وكبّوه فذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه ومضوا به الى طاهر. وكانت ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة).

وفي مروج الذهب (٣/ ٣٤): (فلما أصبح طاهر أمر برأسه فنصب على باب من أبواب بغداد يعرف بباب الحديد نحو قطر بل في الجانب الغربي ، إلى الظهر ، ودفنت جثته في

بعض تلك البساتين. ولما وضع رأس الأمين بين يدي طاهر قال: اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعزمن تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير.

وحمل الرأس إلى خراسان إلى المأمون في منديل والقطن عليه والأطلية، فاسترجع المأمون وبكى واشتد تأسفه عليه، فقال له الفضل بن سهل: الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة فإن محمداً كان يتمنى أن يراك بحيث رأيت! فأمر المأمون بنصب الرأس في صحن الدار على خشبة، وأعطى الجند، وأمر كل من قبض رزقه أن يلعنه، فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس، فقبض بعض العجم عطاءه، فقيل له: إلعن هذا الرأس، فقال: لعن الله هذا ولعن والديه وما ولدا وأدخلهم في كذا وكذا من أمهاتهم! فقيل له: لعنت أمير المؤمنين وذلك بحبث يسمعه المأمون منه فتبسم وتغافل وأمر بحط الرأس وترك ذلك المخلوع، وطيب الرأس وجعله في سفظ، وردّه إلى العراق فدفن مع جثته).

بايع العباسيون المأمون ولما جعل الرضا عليه السلام ولي عهده خلعوه!

قال المسعودي في التنبيه والإشراف/ ٣٠٢: (بايعوا المأمون البيعة العامة بعد قتل المخلوع يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم سنة ١٩٨. وبايع للرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالعهد بعده، وأزال لبس السواد ولبس بدله الخضرة وأخذ الناس بذلك، فاضطرب من بمدينة السلام من الهاشميين (العباسيين) وعظم ذلك على أهل بغداد عامة وعلى الهاشميين خاصة، لزوالم الملك عنهم ومصيره إلى ولد أبي طالب فأخرجوا الحسن بن سهل أخا ذي الرئاستين، وكان خليفة المأمون على العراق، وبايعوا المنصور بن المهدي فلم يتم له أمر وكان

مضعفاً فبايعوا أخاه إبراهيم ابن المهدي بالخلافة لخمس خلون من المحرم سنة ٢٠٢ (والصحيح ٢٠٤) ودعى له على المنابر بمدينة السلام وغيرها فوجه الجيوش لمحاربة الحسن بن سهل وهو بناحية المدائن، فكانت الحروب بينهم سجلاً. وسار المأمون عن مرو يريد بغداد ومعه علي بن موسى الرضا (والصحيح أنه لم يكن معه) ووزيره القائم بدولته الفضل بن سهل ذو الرئاستين، وقتل الفضل بن سهل غيلة في حمام بسرخس يوم الإثنين لخمس خلون من شعبان من هذه السنة، فقتل الرضا في طوس في أول صفر سنة ٢٠٣، ولما قرب المأمون من بغداد اضطرب على إبراهيم من كان يعتمد على نصرته، وقعد عنه أكثر من بايعه من الهاشميين وغيرهم، فاستتر لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من هذه السنة. ودخل المأمون مدينة السلام يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٢٠٤ وأمر بإعادة لبس السواد وتخريق الخضر بعد ثمانية أيام من قدومه، ولم يزل إبراهيم مستتراً منتقلاً بمدينة السلام إلى أن ظفر به سنة ٢١٠، ففعا عنه المأمون واعتقله مدة، ثم أطلقه ورد عليه نعمته، وأعادته إلى رتبته).

أقول: كان إبراهيم الذي بايعه العباسيون شخصية ركيكة، فهو أسود ضخم الجسم عظيم اللحية، يعرف بابن شكلة إسم أمه السوداء أمة المهدي، فهو أخ الرشيد لأبيه، وقد برع في الغناء وضرب العود والربط. وكانت نهايته أنه ضعف أمره وانهمز أمام جيش المأمون واختفى! وقال فيه دعبل (المناقب: ٣/٤٥٧):

يا معشر الأجناد لا تقنطوا	خذوا عطاياكم ولا تسخطوا
فسوف يعطيكم حنينية	يلتذها الأمد والأشمط
والمعبديات لقوادكم	لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق أصحابه	خليفة مصحفه الربط .

قصة شعار لبس السواد والخضرة

١. قصة لبس السواد والخضرة: أن النبي صلى الله عليه وآله بشر أمته بأن الله تعالى سيبعث في آخر الزمان المهدي عليه السلام من عترته فينقذ الأمة من ضلالها وضعفها ، وأخبر بأن أنصاره سيكونون أهل الرايات السود من خراسان .

فاستغل ذلك الحسينيون وزعموا أن المهدي عليه السلام منهم ، ولم ينفعهم ذلك !

ثم استغله العباسيون وزعموا أن المهدي منهم ! وبعثوا إلى خراسان برايات سود من زمن أبي سلمة الخلال لتكون شعاراً لهم : (وقدّم أبو سلمة خراسان فبدأ بجرجان فدفع راية سوداء إلى أبي عون ، وهو يومئذ رئيس القوم ، ثم نفذ إلى مرو فدفع إلى سليمان بن كثير راية سوداء ، وبعث براية إلى ما وراء النهر). (تاريخ الطبري: ٦ / ٣١) .

(ثم تحول أبو مسلم عن منزل أبي الحكم عيسى بن أعين ، فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي في قريته التي تدعى سفيدنج من ربع خرقان ، لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ١٢٩ ، فلما كانت ليلة الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة ١٢٩ عقدوا اللواء الذي بعث به الإمام إليه الذي يدعى الظل ، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وعقد الراية التي بعث بها الإمام التي تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً وهو يتلو: **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**، ولبسوا السواد هو وسليمان بن كثير وإخوة سليمان ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيدنج). (الطبري: ٦ / ٢٥).

٢. زار أبو مسلم الخراساني الإمام الصادق عليه السلام (مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٥٦) في السنة

التي أرسله فيها إبراهيم العباسي إلى إيران (سنة ١٢٩) فقبل رأس الإمام عليه السلام فلمس ثيابه وقال: (ما رأيت اليوم أشد بياضاً ولا أحسن منها ! فقال: جعلت فداك هذه ثياب بلادنا وجئتك منها بخير من هذه ، فقال: يا مُعْتَبِّ إقبضها منه، ثم خرج الرجل

فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدق الوصف وقرب الوقت، هذا صاحب الرايات السود الذي يأتي بها من خراسان!

وغرض الإمام الصادق عليه السلام أن يسجل تزوير العباسيين لحديث النبي صلى الله عليه وآله وأن أهل البيت يعلمون ذلك! وقد استفاد العباسيون من ظلم بني أمية لأهل البيت عليهم السلام والآيات والأحاديث في تطهيرهم ومودتهم وفسروها للإيرانيين بأل العباس!

قال في الأخبار الطوال/ ٣٦٠: (وكان الوقت الذي واعد فيه أبو مسلم مستجيبه، فخرجوا جميعاً في يوم واحد من جميع كور خراسان حتى وافوه: من هراة، وبوشنج، ومرو الروذ، والطاقان، ومرو، ونسا، وأبيورد، وطوس، ونيسابور، وسرخس، وبلخ، والصغانيان، والطخارستان، وختلان، وكش، ونسف، فتوافوا جميعاً مسودي الثياب، وقد سودوا أيضاً أنصاف الخشب التي كانت معهم وسموها كافر كوبات (قارعة الكافر) وأقبلوا فرساناً وحمّارة ورجّالة، يسوقون حميرهم ويزجرونها، هرّ مروان، يسمونها مروان ترغياً لمروان بن محمد، وكانوا زهاء مائة ألف رجل. فلما بلغ نصر بن سيار ظهور أبي مسلم سقط في يديه وخاف على نفسه، ولم يأمن أن ينحاز الكرمانى في اليمانية والربعية إليهم، فيكون في ذلك اصطلامه).

٣. تعددت روايات أحاديث الرايات السود، ولعل أصلها حديث واحد، وزاد عليها دعاة

العباسيين ما يجعلها تنطبق على حركتهم كالحديث الذي يرويه أحمد (٥/٢٧٧):

(إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي).

ولهذا فإن رواية الرواة المخالفين لبني العباس أوثق وأبعد عن التهمة.

٤. نبه علماء الحديث المتأخرون كابن كثير على أن الرايات السود الموعودة في حديث

النبي صلى الله عليه وآله لنصرة المهدي عليه السلام غير رايات العباسيين ، لكن ذلك لم ينفذ عند الجمهور فطبقوها على العباسيين، ثم طبقوها على أهل الشام ، ثم على الأفغان ، ونرى حركة داعش تتخذ الرايات السود والثياب السود ، وتزعم أنهم أصحاب الرايات السود ، وأنهم سينصرون المهدي عليه السلام !

٥. صار لباس السواد شعاراً حزبياً لبني العباس ، فأراد المأمون أن يضرب شعارهم لأنهم خانوه وعزلوه ، فجعل ولاية العهد لأعدائهم آل أبي طالب وألغى السواد وتبنى الخضرة ، وهي في العرف شعار العلويين!

ولما رجع الى بغداد وخضع له العباسيون صار لينا معهم ، خاضعاً لمفاهيمهم وقال: لم أكن أقصد الإساءة لكم ، وألغى الخضرة ورجع الى السواد !

قال المسعودي في مروج الذهب (٢/١٨١): (قال الصولي: قال لي الراضي: ما كان السبب في لبس المأمون الخضرة ورفع السواد، ثم لبسه السواد بعد ذلك؟ قلت: هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا الغلابي قال: حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال: لما قدم المأمون بغداد اجتمع الهاشميون إلى زينب بنت سليمان بن علي ، وكانت أقعد ولد العباس نسباً وأكبرهم سنناً، فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين المأمون في تغييره الخضرة، فضمنت لهم ذلك وجاءت إلى المأمون فقالت: يا أمير المؤمنين ، إنك على برأهلك من ولد علي بن أبي طالب أفدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك ، فدع لباسك الخضرة ، ولا تطمعن أحداً فيما كان منك ، قال لها: يا عمّة ما كلمني أحد في هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ، ولا أقصد منه لما أردت لكن رسول الله صلى الله عليه وآله توفي فولّي الإمرة أبو بكر ، فقد عرفت ما كان من أمره فينا أهل البيت ، ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ، ثم وليها عثمان فأقبل على بني أمية وأعرض عن غيرهم ،

ثم آل الأمر إلى علي بن أبي طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالأكدار ، فوئى مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة ، ووئى عبید الله بن العباس اليمن ، ووئى قثم البحرين ، وما ترك منهم أحداً إلا ولاه ، فكانت هذه في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلتُ . ولا يكون بعد هذا إلا ما تحبون ، ثم رجع إلى لبس السواد!





الفصل الثالث

رجوع المأمون إلى بغداد

دخل المأمون بغداد فانهزم جيش عمه الخليفة المغني!

قال المسعودي في التنبيه والإشراف/ ٣٠٣: (ولما قرب المأمون من بغداد اضطرب على إبراهيم من كان يعتمد على نصرته، وقعد عنه أكثر من بايعه من العباسيين وغيرهم ، فاستتر لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من هذه السنة، وقال معاتباً للعباسيين:

فلا جزيت بنو العباس خيراً على رغمي ولا اغتبطت بري
أتوني مهطعين وقد أتاهم بوار الدهر بالخبر الجلي
وقد ذهل الحواضن عن بنيتها وصد الثدي عن فم الصبي
وحل عصائب الأملاك منها فشدت في رقاب بني علي
فضجت أن تشد على رؤوس تطالبها بميراث النبي

وكانت أيامه منذ بوبيع إلى أن استتر سنة وإحدى عشر شهراً وأياماً ، ودخل المأمون مدينة السلام يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٢٠٤ وأمر بإعادة لبس السواد وتخريق الخضرة ، بعد ثمانية أيام من قدومه .

ولم يزل إبراهيم مستتراً منتقلاً بمدينة السلام إلى أن ظفر به في استتاره ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة ٢١٠ فعفا عنه المأمون).

سياسة المأمون في بغداد

١. يتبنى المأمون طريقة القتل الناعم لخصومه ومن يخاف منهم! فهو يمدح خصمه ويكرمه ويظهر له أنه من المحبين له، بينما يضع خطة مكررة لقتله، وينفذها بطريقة مخفية حتى لا ينسب قتله إليه! ثم يبكي عليه بكاء المفجوع البرئ وتجري دموعه! ويجعل نفسه المعزى به.

وقد يرسل من يقتله ثم يقتل القاتل ، وينكر أنه أرسله ! كما فعل بالفضل بن سهل ، وكذلك قتل أجبر الإمام الرضا عليه السلام على تناول السم وبكى عليه !
ثم قتل بالسم في بغداد الحسن بن سهل، بعد أن استوزره وأكرمه ، وتزوج ابنته بوران، وأقام لها عرساً كسروياً في قصر أبيها !

٢. عاد المأمون الى بغداد وكان أول همه أن يهزم بقية جيش عمه إبراهيم بن المهدي ، الذي بايعه العباسيون بالخلافة غضباً على المأمون.

وقد انهزم بقية هذا الجيش بدون قتال ، واختفى إبراهيم حتى عفا عنه المأمون ، وأعاد له رتبته مغنياً زماراً في قصر الخليفة !

٣. وكان أكبرهم المأمون أن يتألف العباسيين ويكسب رضاهم ولو على مضض ، فأظهر خضوعه لهم ، وتقرب اليهم بأنواع الأعمال !

٤. وكان همُّه أن يضرب خصومه وفي أولهم الحسن بن سهل ، لأنه يعرف أنه سينتقم لأخيه الفضل الذي يعتقد أن المأمون قتله ، وكان الحسن حاكم بغداد والمشرق . فقرر المأمون أن يقضي عليه بطريقة ناعمة وخطة جهنمية كخطط أخواله الخراسانيين البرامكة والفضل بن سهل . فعظمه وأشاد به وتزوج ابنته بوران في عرس لامثيل له، حتى عند كسرى وقيصر !

ثم أعطاه سماً متطوراً جعله مجنوناً مخبولاً ببقية عمره ، أكثر من ثلاثين سنة !
٥. وكان من همّ المأمون أن يضرب الفقهاء والمتكلمين الذين أفتوا لأخيه الأمين بعزله، فعرف أن مذهب أكثرهم القول بعدم خلق القرآن ، فاخترع لهم الإمتحان بذلك بحجة أن الذي يقول بعدم خلق القرآن فهو يقول إنه إلهٌ مع الله غير مخلوق، فهو مشرك لا يجوز أن يعمل في وظائف الدولة الإسلامية بل الخليفة مخير بين قتله ، أو سجنه حتى يتوب !

٦. وكان يهتم بتغيير سياسة بني العباس مع أبناء علي عليه السلام فهو يعتقد بأن علياً أحق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وأنه وأولاده عترة النبي صلى الله عليه وآله ووارثوا علمه. وأن سياسة العباسيين في عدائهم وقمعهم واضطهادهم غلط ، بل اللازم تجليلهم وتقريبهم والإستفادة من علمهم ، فإن طمع منهم طامع بالخلافة يجب أن يقضى عليه بطريقة ناعمة !

فالمأمون يريد أن تكون الدولة عباسية في الحكم ، علوية في الثقافة فقط .
فإذا رأى علويّاً (افتتن) الناس به قتله قتلاً ناعماً ، وبكى عليه !
ولذلك أقام مناظرات مع الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وجمعهم من بغداد وكافة العراق وناظرهم ، ليثبت لهم أفضلية علي بن أبي طالب عليه السلام على الصحابة وعلمه وتميزه . وقد برع المأمون في مناظرتهم وأقروا له .

ثم جمع العباسيين وأراهم محمد الجواد بن الإمام الرضا عليه السلام وعمره تسع سنين ، وأمر قاضي قضااته أن يسأله ويمتحنه فظهر منه العلم والفقه ما تعجبوا له وأقروا له ، ثم أقام له حفلة عرس وعقد له الزواج على ابنته !

٧. ثم كان المأمون يهتم بتقوية ولي عهده ابنه الجميل الساذج العباس .

٨. أما أول ما كان يهتم به المأمون قبل أي شيء، فهو توفير مجالس لهوه وخمره وفسقه. وكان خماراً، زماراً، زانياً، مأبوناً، يبيت مركوباً ويستيقظ مخموراً، كما يصف هو كل بني العباس!

المأمون أسد في طوس نعمة في بغداد!

كتب العباسيون إلى المأمون كتاباً يستنكرون فيه عهده بولاية العهد لعلي بن موسى الرضا عليه السلام، وينتقدون وزراءه من المجوس، فأجابهم جواباً فاضحاً لمجتمعهم المخملي وتفاهة شخصياتهم! وقد تغير ذلك كله لما جاء الى بغداد!

وقد تقدمت رسالته اليهم برواية ابن طاووس في الطرائف/ ٢٧٣، عن ابن مسكويه المؤرخ في كتابه: نديم الفريد، ونقتطف منها هنا قوله: (ويحكم إن بني أمية إنما قتلوا منهم من سل سيفاً وإنا معشر بني العباس قتلناهم جملاً فلتسألن أعظم الهاشمية بأي ذنب قتلت ولتسألن نفوس ألقىت في دجلة والفرات، ونفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء، هيهات إنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره!

وأما ما وصفتم في أمر المخلوع وما كان فيه من لبس فلعمري ما لبس عليه أحد غيركم إذ هونتم عليه النكث وزينتم له الغدر..

وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا عليه السلام فما بايع له المأمون إلا مستبصراً في أمره عالماً بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلاً ولا أظهر عفة، ولا أروع ورعاً ولا أزهد زهداً في الدنيا، ولا أطلق نفساً ولا أرضى في الخاصة والعامة، ولا أشد في ذات، منه، وإن البيعة له لموافقة رضى الرب عز وجل...

فلا تكثروا في هذا المقال، فإن لساني لم يزل مخزوناً عن أمور وأنباء، وإن ترعموا أني أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة، فإني في تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم وأبنائكم

من بعدكم، وأنتم ساهون لاهون تائهون في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم ، وما أظللتم عليه من النعمة ، وابتزاز النعمة ، همة أحدكم أن يمسي مركوباً ويصبح مخموراً ! والله لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا فقيل لهم لا تأنفوا في معائب تنالونهم بها ، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاراً ودياراً وصناعة وأخلاقاً. ليس فيكم إلا من إذا مسه الشر جزع وإذا مسه الخير منع ، ولا تأنفون ولا ترجعون إلا خشية. وكيف يأنف من يبيت مركوباً ويصبح بإثمه معجباً كأنه قد اكتسب حمداً ، غايته بطنه وفرجه ، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل أو ملك مقرب ! أحب الناس إليه من زين له معصية أو أعانه في فاحشة ، تنظفه المخمورة وتربده المظمورة ، فشئت الأحوال . فإن ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات والفضائح ، وما تهذرون به من عذاب ألسنتكم ، وإلا فدونكم تعلموا بالحديد ولا قوه إلا بالله).

أقول: من المشهورات أن الطبقة المخملية في بني أمية وبني العباس مأبونون يطلبون الرجال، ونسأؤهم سحاقيات ، ومن أشهرهم المتوكل وقد حبسه أخوه الواثق لبيعده عن (رجاله) ! وجاء به ابن أبي دؤاد من السجن وباعه بالخلافة !

وفي عصرنا تنظر الثقافة الغربية للواط بأنه حرية شخصية ، وأنه عمل عادي ، لكن الإسلام يرى أنه فاحشة ودمار اجتماعي أشد من الزنا ، ويستحق الغضب الإلهي .

ففي الكافي: (٥/٥٤٩) قال عطية: (ذكرت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام المنكوح من الرجال فقال: ليس يُبلي الله بهذا البلاء أحداً وله فيه حاجة ! إن في أدبارهم أرحاماً منكوسة وحياء أدبارهم كحياء المرأة ، قد شرك فيهم ابن لإبليس يقال له زوال (فالواحد منهم شرك شيطان) فمن شرك فيه من الرجال كان منكوحاً ، ومن شرك فيه من النساء كانت من الموارد (سحاقية).

والعامل على هذا من الرجال إذا بلغ أربعين سنة لم يتركه وهم بقية سدوم ! أما إنني

لست أعني بهم بقيتهم ولكنهم من طينتهم، قال قلت: سدوم التي قلبت؟ قال: هي أربع مدائن: سدوم وصريم ولدماء وعميراء، قال: فأتاهن جبرئيل وهن مقلوعات إلى تخوم الأرض السابعة فوضع جناحه تحت السفلى منهن ورفعهن جميعاً حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح كلابهم ثم قلبها!

موقف العباسيين المتعجرف من ولاية عهد الرضا عليه السلام

قال ابن الجوزي في المنتظم (١٠/٨٢ و٩٠): (ثم دخلت سنة إحدى ومائتين، وفي هذه السنة بويع لإبراهيم بن المهدي، وكان السبب ما ذكرناه وهو أن المأمون لما بايع لعلي بن موسى الرضا نفر العباسيون وأظهروا أنهم خلعوا المأمون، وبايعوا لإبراهيم بن المهدي، ومن بعده إسحاق بن موسى بن المهدي، وضمنوا للجنود أشياء يعطونهم، وأمروا رجلاً يقول يوم الجمعة حين يؤقت المؤذن: إنا نريد أن ندعو للمأمون، ومن بعده لإبراهيم يكون خليفة، ودرسوا قوماً فقالوا: إذا قام من يتكلم بهذا فقوموا وقولوا: لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم ومن بعده لإسحاق وتخلعوا المأمون، فلما قام من تكلم بهذا وأجيب بهذا لم يصلوا في ذلك اليوم الجمعة ولا خطب أحد، وصلّى الناس أربع ركعات، وذلك في يوم الجمعة ليلتين بقيتا من ذي الحجة!) وهذا يدل على ضعف المخالفين للمأمون، وإن كانوا تياراً قوياً في بني العباس.



حرم العباسيون إسم بني هاشم على غيرهم من الهاشميين!

قال المسعودي (٤٧/٢): (في سنة مائتين... أمر المأمون بإحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم ، فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً) .

وكان العباسيون متعصبين لأنفسهم حتى ضد إخوانهم من بني هاشم ، وبالأخص أبناء أبي طالب ، فكانوا يتسمون ببني هاشم ولا يسمحون لهم أن يتسموا ببني هاشم! وكان المأمون عفريتاً مستكبراً كما وصفه الله تعالى في الحديث القدسي ، جباراً قاتلاً كأبيه هارون ، لكنه لما رجع إلى بغداد كان ضعيفاً تماماً أمام العباسيين! يتزلف رضاهم عنه ، ويعمل كل ما يريدونه ليرضوا عليه ، فقتل عدوهم المتعصب ضد العرب الفضل بن سهل ، وقتل الرضا الذي أغاضهم نصبه ولي عهده ، وأمر بالعودة إلى السواد ! وقال لهم: لقد مات الفضل ومات الرضا ، وعدت إلى لبس السواد فما حجتكم عليّ؟!

قال أبو الفداء في تاريخه (٢٤/٢): (ولما مات كتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم بموت علي الرضا وقال: إنما نقمتم علي بسببه وقد مات)!

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء/٣٣٤: (في سنة إحدى ومائتين خلع أخاه المؤمن من العهد ، وجعل وليّ العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حملة على ذلك إفراطه في التشيع حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه وهو الذي لقبه الرضا وضرب الدراهم باسمه وزوجه ابنته ، وكتب إلى الآفاق بذلك وأمر بترك السواد ولبس الخضرة ، فاشتد ذلك على بني العباس جداً وخرجوا عليه وبايعوا إبراهيم بن المهدي ولقب المبارك، فجهز المأمون لقتاله وجرت أمور وحروب، وسار المأمون إلى نحو العراق ، فلم ينشب علي الرضا أن مات في سنة ثلاث ، فكتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم أنهم ما نقموا عليه إلا ببيعته لعلي وقد مات ، فردوا جوابه أغلظ جواب ، فسار المأمون وبلغ إبراهيم بن المهدي تسلل الناس من عهده

فاختفى في ذي الحجة ، فكانت أيامه سنتين إلا أياماً).

أقول: نقرأ عن حقد قريش على النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم ، فنجد مثله عند العباسيين على بني أبي طالب . فقد تقرب اليهم المأمون الى أقاربه بأنواع التقرب فلم ينفع ذلك معهم ، حتى قتلوه بالسّم وهو في غزو الروم، وحبسوا ابنه العباس ولي عهده ثم عذبوه وقتلوه ، وأذلوا أسرة المأمون، وبايعوا مكان ابنه العباس المعتصم بن هارون !

عرس المأمون الكسروي على بوران بنت الحسن بن سهل!

قتل المأمون في طوس وزيره الفضل بن سهل ذي الرياستين. ثم جاء الى بغداد واتخذ أخاه الحسن بن سهل وزيراً ، وبعد سنوات تزوج بنته بوران وأقام مراسم كسروية لعرسه في قصر الحسن بن سهل قرب واسط ، وأنفق فيه الملايين ، وفي المسلمين من يعيش الجوع والعري ويحتاج إلى الدرهم !

وأنفقت زبيدة وحدها في عرسه بضعة وثلاثين مليون درهم !

وكان المأمون بذلك يغطي على الحسن بن سهل وأنصاره ، قتله لأخيه !

واشتهر اسم فم الصّلع من عرس المأمون ببوران . والصّلع بكسر الصاد اسم نهر يصب في دجلة ، وفمه يعني مصبه .

قال في معجم البلدان(٤/٢٧٦): (وهو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ، وفيه بنى المأمون ببوران ، وقد نسب إليه جماعة من الرواة والمحدثين وغيرهم ، وهو الآن خراب إلا قليلاً). وكان عرس المأمون سنة ٢١٠ وعمره أربعون سنة .

وفي مآثر الإنافة في معالم الخلافة(٣ / ٣٦٥): (لما عملت دعوة المأمون حين تزوج بوران بنت الحسن بن سهل ، أقام أبوها للمأمون ولجميع قواده وأصحابه بفم الصّلع ،

إنزالهم أربعين يوماً ، واحتفل بها لم ير مثله نفاسة وكثرة . قال المبرد: سمعت الحسن بن بغا يقول: كنا نجري أيام مقام المأمون عند الحسن على ستة وعشرين ألف ملاح. ولما كانت ليلة البناء وجّلت بوران على المأمون فرش حصير من ذهب ، وجيء بمكتل مرصع فيه در كبار فثرت على من حضر من النساء ، وفيهن أم جعفر وحمدونة بنت الرشيد ، فما مس من حضر من الدر شيئاً فقال المأمون: شرفن أبا محمد وأكرمناها، فمدت كل واحدة يدها، فأخذت درة، وبقيت سائر الدرر تلوح على حصير الذهب، فقال المأمون: قاتل الله الحسن بن هانئ ، كأنه قد رأى هذا حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

وكان في المجلس شمعة عنبر فيها مائتا رطل ، فضج المأمون من دخانها فعملت له مثل من الشمع ، فكان الليل مدة مقامه مثل النهار .

ولما كانت دعوة القواد نثرت عليهم رقاع فيها أسماء ضياع ، فمن وقعت في يده رقعة بضيعة أشهد له الحسن بها . ويقال إنه أنفق في هذه الدعوة أربعة آلاف ألف دينار ، فلما أراد المأمون أن يصعد أمر له بألف ألف دينار ، وأقطع الصلح وعتبه على احتفاله ذلك الإحتفال وحمله على نفسه. فقال له يا أمير المؤمنين أیظن ذلك من مال سهل والله ما هو إلا مالك رد إليك ، وأردت أن يفضل الله أيامك ونكاحك ، كما فضلك على جميع خلقه !

وفي تاريخ الطبري(٧/١٧٨): (لما مضى إلى فم الصلح إلى معسكر الحسن بن سهل حمل معه إبراهيم بن المهدي وشخص المأمون من بغداد حين شخص إلى ما هنالك للبناء ببوران ركباً زورقاً حتى أرسى على باب الحسن، وكان العباس بن المأمون قد تقدم أباه على الظهر فتلقاه الحسن خارجاً عسكره في موضع قد اتخذ له على شاطئ دجلة ،

بنى له فيه جوسقاً ، فلما عاينه العباس ثنى رجله لينزل فحلف عليه الحسن ألا يفعل فلما ساواه ثنى رجله الحسن لينزل فقال له العباس : بحق أمير المؤمنين لا تنزل ، فاعتنقه الحسن وهو راكب ثم أمر أن يقدم إليه دابته ودخلا جميعاً منزل الحسن ، ووافى المأمون في وقت العشاء وذلك في شهر رمضان من سنة ٢١٠ فأفطر هو والحسن والعباس ودينار بن عبد الله قائم على رجله حتى فرغوا من الإفطار وغسلوا أيديهم ، فدعا المأمون بشراب فأتى بجام ذهب فصب فيه وشرب ، ومد يده بجام فيه شراب إلى الحسن فتباطأ عنه الحسن لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك فغمز دينار بن عبد الله الحسن ، فقال له الحسن : يا أمير المؤمنين أشربه بإذنك وأمرك ، فقال له المأمون لولا أمري لم أمدديدي إليك ، فأخذ الجام فشربه فلما كان في الليلة الثانية ، جمع بين محمد بن الحسن بن سهل والعباسة بنت الفضل ذي الرئاستين ، فلما كان في الليلة الثالثة دخل على بوران وعندها حمدونة وأم جعفر وجدتها ، فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب ، فأمر المأمون أن تجمع وسأها عن عدد ذلك الدر كم هو فقالت ألف حبة ، فأمر بعدها فنقصت عشراً فقال من أخذها منكم فليردها فقالوا حسين زجلة فأمره بردها ، فقال يا أمير المؤمنين إنما نثر لناخذة قال : ردها فإني أخلفها عليك فردها ، وجمع المأمون ذلك الدر في الآنية كما كان فوضع في حجرها وقال : هذه نحلتك وسلي حوائجك ، فأمسكت فقالت لها جدتها : كلمي سيدك وسليه حوائجك فقد أمرك ، فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدي فقال : قد فعلت ، وسألته الإذن لأم جعفر في الحج فأذن لها ، وألبستها أم جعفر البدنة الأموية (لباس نسائي أموي أي رومي) وابتنى بها في ليلته ، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون مناً في تور ذهب ، فأنكر المأمون ذلك عليهم وقال هذا سرف .

فلما كان من الغد دعا بإبراهيم بن المهدي فجاء يمشي من شاطئ دجلة عليه مبطنة

ملحم وهو معتم بعمامة حتى دخل ، فلما رفع الستر عن المأمون رمى بنفسه ، فصاح المأمون يا عم لا بأس عليك ! فدخل فسلم عليه تسليم الخلافة وقبل يده ، وأنشد شعره ، ودعا بالخلع فخلع عليه خلعة ثانية ودعا له بمركب وقلده سيفاً ، وخرج فسلم على الناس ورد إلى موضعه .

وذكر أن المأمون أقام عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوماً يعد له في كل يوم لجميع من معه جميع ما يحتاج إليه ، وأن الحسن خلع على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم).

وقال الفخري في الآداب السلطانية/ ٣٢٠: (استوزره المأمون بعد أخيه الفضل ومال إليه ، وتلافاه جبراً لمصابه بقتل أخيه وتزوج ابنته بوران ، وانحدر في أهله وأصحابه وعساكره وأمرائه إلى فم الصلح بواسطة فقام الحسن بن سهل في إنزالهم قياماً عظيماً ، وبذل من الأموال ونثر من الدرر ما يفوق حد الكثرة ، حتى إنه عمل بطاويخ من عنبر وجعل في وسط كل واحدة منها رقعة بضیعة من ضياعه ونثرها ، فمن وقعت في يده بطيخة منها فتحها وتسلم الضیعة التي فيها ، وكانت دعوة عظيمة تتجاوز حد التجمل والكثرة ، حتى إن المأمون نسبه إلى ذلك إلى السرف ، وقالوا جملة ما أخرج على دعوة فم الصلح خمسون ألف ألف درهم.

كان الحسن بن سهل قد فرش للمأمون حصيراً منسوجاً من الذهب ، ونثر عليه ألف لؤلؤة من كبار اللؤلؤ .. وكان الحسن بن سهل أعظم الناس منزلة عند المأمون ، وكان المأمون شديد المحبة لمفاوضته ، فكان إذا حضر عنده طاولة في الحديث .. ثم عرضت له سوداء كان أصلها جزعه على أخيه ، فانقطع بداره ليتطبب واحتجب عن الناس ، إلا أنه بقي أعلى الخلق مكانة ! (أعلى الخلق مكانة عند المأمون ، خبَّله المأمون بالسم)!

واستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد ، فكان أحمد في كل وقت يقصد خدمة الحسن بن سهل ، وإذا حضر الحسن دار المأمون كان أعلى الناس مكانة .

ومات الحسن بن سهل في سنة ست وثلاثين ومائتين في أيام المتوكل !

دس المأمون السم للحسن بن سهل ففقد عقله وعاش طويلاً ذليلاً!

في تاريخ الطبري (٧/ ١٥٠): (في هذه السنة (٢٠٣) غلبت السوداء على الحسن بن سهل فذكر سبب ذلك أنه كان مرضاً شديداً، فهاج به من مرضه تغير عقله حتى شد في الحديد وحبس في بيت ، وكتب بذلك قواد الحسن إلى المأمون فأتاهم جواب الكتاب أن يكون على عسكريه بن دينار بن عبد الله ، ويعلمهم أنه قادم على أثر كتابه). وقال في الآداب السلطانية/ ٣٣٣: (وكان المأمون لما ولى طاهر بن الحسين خراسان ، استشار فيه أحمد بن أبي خالد فصوب أحمد الرأي في تولية طاهر ، فقال المأمون لأحمد: إني أخاف أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة ! فقال أحمد: الدرؤ في ذلك عليّ، فولاه المأمون، فلما كان بعد مدة أنكر المأمون عليه أموراً وكتب إليه يتهدده فيه ، فكتب طاهر جواباً أغلظ فيه للمأمون ثم قطع إسمه من الخطبة ثلاث جمع ، فبلغ ذلك المأمون فقال لأحمد بن أبي خالد: أنت الذي أشار بتولية طاهر وضمنت ما يصدر منه وقد ترى ما صدر منه من قطع الخطبة ومفارقة الطاعة ، فوالله لئن لم تتلطف لهذا الأمر وتصلحه كما أفسدته ضربت عنقك! فقال أحمد: يا أمير المؤمنين طب نفساً فبعد أيام يأتيك البريد بهلاكه ، ثم إن أحمد بن خالد أهدى لطاهر هدايا فيها كوامخ مسمومة وكان طاهر يحب الكامخ، فأكل منها فمات من ساعته ! وقيل: إن أحمد بن أبي خالد لما تولى طاهر خراسان حسب هذا الحساب ، فوهبه خادماً وناوله سماً ، وقال له: متى قطع خطبة المأمون فاجعل له هذا السم في بعض ما يجب من المآكل ، فلما قطع طاهر

خطبة المأمون جعل الخادم له السم في كامخ ، فأكل منه فمات في ساعته ، ووصل الخبر على البريد بموته إلى المأمون بعد أيام فكان ذلك مما عظم به أمر أحمد بن أبي خالد . ومات أحمد حتف أنفه سنة (٢١٠).

أقول: الكامخ: مخلل مُشَّة للطعام ، ويسمى المزة . وأصله فارسي: كامك .

وقد تخلص المأمون من الحسن بن سهل على العادة بنوع خاص من السم ، أخفى من الكامخ بعد تعظيمه وعرسه التاريخي على ابنته ! فأصيب الحسن بن سهل بالجنون وطال عمره محبواً مشلولاً بالبدن محبواً ثلاثاً وثلاثين سنة ، من سنة ٢٠٤ - ٢٣٦ !

ولا أظن أن بنته بوران بقيت في بيت المأمون بعد جنون والدها ، وفقدانه الوزارة .

وهكذا تخلص المأمون من آل سهل ، وكان الحسن آخر الشخصيات البرمكية .

كما تخلص من طاهر بن الحسين الخزاعي القائد التاريخي عند العباسيين ، لكن سُمَّ طاهراً من كامخ أحمد بن أبي خالد كان سريعاً ، وسُمَّ الحسن بن سهل كان بطيئاً .

اخترع المأمون للفقهاء والمتكلمين امتحاناً لإسقاطهم!

لما رجع إلى بغداد وجد أن الفقهاء والمحدثين الذين أيدوا أخاه الأمين ، يقولون بقدوم القرآن ، وأنه كلام الله غير مخلوق لأنه صفة ذاتية لله تعالى ، أو لأنه جزء من ذات الله عند من يقول إن الله تعالى وجود مركب ، فاتخذها المأمون حجة للإنتقام منهم ، ورفع شعار أن القول بقدوم القرآن شرك بالله تعالى ، لأنه يعني وجود شئ قديم مع الله تعالى قبل الخلق . فأمر بامتحان القضاة والمحدثين ، فمن قال إن القرآن مخلوق شغلَّه في وظائف الدولة ، ومن قال غير مخلوق عزله ، وحبس ، أو قتله !

يريد بذلك هدم مكانة القضاة والفقهاء ونفوذهم ، ومنع تأثيرهم على الناس ، ويكفي دليلاً أن رسائله لصاحب شرطته ذكرت لهم سيئات لاعلاقة لها بعقيدة قدم

القرآن وخلقته! وقد استمر هذا الإمتحان بضع عشرة سنة ، لأن المأمون شدد بتنفيذه سنة ٢١٨ ، لما كان بطرطوس ، ثم تبناه المعتصم والواثق ، إلى أن ألغاه المتوكل سنة ٢٣٢ . وقد كانت مسألة خلق القرآن مطروحة بين المتكلمين من زمن الإمام جعفر الصادق عليه السلام كما شرحنا في كتاب سيرة الإمام الهادي عليه السلام فأخذها المأمون وجعلها مادة امتحان خبيث بأمر مبهم ، يمكن معه الحكم على من يجيب بالنفي أو بالإثبات ! فقد أجاب بعضهم في زمن المأمون بأن القرآن قديم فليل له أنت كافر تجعل مع الله شريكاً! وأجاب بعضهم في زمن المتوكل بأن القرآن مخلوق فليل له تقول إن كلام الله مختلق ، أو تقول إن الله مخلوق ، لأن كلامه منه !

فكانت مادة امتحان المأمون ، نفسها مادة امتحان المتوكل!

وسياتي قول الإمام الهادي عليه السلام : وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق ، لكن قولوا القرآن كلام الله ، ولا تقولوا مخلوق .

قال اليعقوبي (٢/٤٦٧): (وصار المأمون إلى دمشق سنة ٢١٨ ، وامتحن الناس في العدل والتوحيد، وكتب في إشخاص الفقهاء من العراق وغيرها، فامتحنهم في خلق القرآن، وأكفر من امتنع أن يقول القرآن غير مخلوق ، وكتب أن لا تقبل شهادته ، فقال كل بذلك ، إلا نفاً يسيراً) .

وروى الطبري (٧/١٩٧) قصة امتحان المأمون للفقهاء والمحدثين ، وفيها رسائله من سوريا إلى صاحب شرطته في بغداد ، ونورد منها فقرات ، قال:

(كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في إشخاص سبعة نفر منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب أبو خيثمة، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن

الدورقي، فأشخصوا إليه ، فامتحنهم وسألهم عن خلق القرآن فأجابوا جميعاً إن القرآن مخلوق فأشخصهم إلى مدينة السلام ، وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره ، فشهروا أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث ، فأقروا بمثل ما أجابوا به المأمون فخلى سبيلهم .

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم: أما بعد فإن من حق الله على خلفائه في أرضه أن يجهدوا لله أنفسهم ، وينصحوا له فيما استحفظهم ، ويهدوا إليه من زاغ عنه ، ويردوا من حاد عن أمره .

ومما بينه أمير المؤمنين برويته وطالعه بفكره ، فتبين عظيم خطره من القول في القرآن ألا يكون مخلوقاً ، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله الذي بان به عن خلقه ، وتفرد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته ، والتقدم عليها بأوليته ، التي لا يبلغ أولها ولا يدرك مداها ، وكان كل شئ دونه خلقاً من خلقه وحدثاً هو المحدث له، وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله والله عَزَّجَلَّ يقول: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

وتأويل ذلك أنا خلقناه. كما قال جل جلاله: وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، وصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به !

وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة خطأً في الدين ، ولا نصيباً من الإيثار واليقين ، ولا يرى أن يحل أحداً منهم محل الثقة في أمانة ، ولا عدالة ، ولا شهادة ، ولا تولية لشئ من أمر الرعية !

فأقرب علي جعفر بن عيسى، وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين بما كتب به إليك ، وأنصصهما عن علمهما في القرآن ، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شئ من أمور المسلمين ، إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده ، وأنه لا توحيد

لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق ، وافعل ذلك بمن في سائر عملك من القضاة ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك في ذلك!

وقال المروزي في مسائل الإمام أحمد/١٠٩، ملخصاً: «وفي عام مائتين واثنى عشر أعلن المأمون القول بخلق القرآن ، وفي عام ثمانى عشرة ومائتين رأى المأمون حمل الناس والعلماء والقضاة والمفتين على القول بخلق القرآن الكريم ، وكان آنذاك منشغلاً بغزو الروم ، فكتب إلى نائبه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ..

قال أحمد بن حنبل: فأخذتُ وسُحبتُ ، وخُلعتُ وجيءُ بالعُقَّايين «خشبَة يثبت بها المضروب» والسياط وأنا أنظر ، فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له يعني المعتصم: شدَّ قطع الله يديك ، ويحيى الآخر فيضربني سوطين. فذهب عقلي فلم أُحسَّ بالضرب ، وأرعبهُ ذلك من أمري وأمر بي فأطلقت ! ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت ، وقد أطلقت الأقياد من رجلي).

يقول أحمد: لقد أغمى عليّ ولم أشعر بما قلت فأطلقوني ! والصحيح أنهم إنما أطلقوه لأنه أقرَّ له بأن القرآن مخلوق !

الإمام الهادي عليه السلام يشرح مسألة خلق القرآن

وقد تفاقمت مقولة القرآن غير مخلوق في زمن الإمام الهادي عليه السلام فكتب الى بعض شيعته ببغداد: «بسم الله الرحمن الرحيم ، عصمنا الله وإياك من الفتنة ، فإن يفعل فأعظمُ بها نعمة ، وإلا يفعل فهي الهلكة. نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه . وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله.

لا تجعل له إسماً من عندك فتكون من الضالين. جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون». «أمالي الصدوق/ ٦٣٩» .

فقد أعطى الإمام عليه السلام القاعدة بأن كل ما سوى الله تعالى مخلوق ، لكنه مَنَعَ من وصف كلامه تعالى بأنه مخلوق ، حتى لا يصورونه بغير معناه .

والسائل في نظر الإمام عليه السلام لا يفقه معنى القرآن ، وأنواع وجوده ، قبل نزوله الى جبرئيل ، ثم نزول جبرئيل به الى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم عندنا ، الى أن يتجسد بصورة إنسان في يوم القيامة ! وأشد جهلاً بمعنى الخلق فهو أنواع، فنحن لا نعرف كيفية خلق المطر وتكوين ذرّاته الأولى مع أنه يتم أمام أعيننا. ولا كيفية خلق أنفسنا من عدم ، ولا كيفية تسويتها بعد ذلك ، ولا القوى التي سواها الله بها ، وأقسم بها !

وما دام السائل لا يفقه جوهر سؤاله ولا مغزاه ، فهو يتعاطى أمراً لا يفقهه ، ولا يعرف لغته التي تستعمل فيه ، فيفرض ألفاظه هو على الموضوع ، كالذي يسأل عن مسألة رياضية معقدة بألفاظ عامية لا تصلح للتعبير عنها .

قال الشريف المرتضى في رسائله «١/١٥٢»: «وسأل أحسن الله توفيقه عن القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟

الجواب وبالله التوفيق: إن القرآن مُحدثٌ لا محالة ، وأمّارات الحدث في الكلام أبين وأظهر منها في الأجسام وكثير من الأعراض ، لأن الكلام يعلم تجده بالإدراك ، ونقيضه بفقد الإدراك ، والمتجدد لا يكون إلا محدثاً ، والنقيض لا يكون قديماً ، وما ليس بقديم وهو موجود محدث ، فكيف لا يكون القرآن محدثاً وله أول وآخر ..

وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه محدث مصرحاً غير ملوح ، ولا يجوز أن يصفه بغير ما يستحقه من الأوصاف .

فأما الوصف للقرآن بأنه مخلوق ، فالواجب الإمتناع منه والعدل عن إطلاقه ، لأن

اللغة العربية تقتضي فيما وصف من الكلام بأنه مخلوق أو مخلوق أنه مكذوب مضاف إلى غير فاعله ، ولهذا قال الله عزوجل: إن هذا إلا اختلاق. وتخلقون إفكاً. ولا فرق بين قول العربي لغيره كذبت ، وبين قوله خلقت كلامك واختلقته . وقد ورد عن أئمتنا عليهم السلام في هذا المعنى أخبار كثيرة تمنع من وصف القرآن بأنه مخلوق ، وأنهم عليهم السلام قالوا: لا خالق ولا مخلوق).

المأمون يناظر الفقهاء والمتكلمين بعقيدته في علي عليه السلام

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٩٩) عن إسحاق بن حماد قال: (كان المأمون يعقد مجالس النظر، ويجمع المخالفين لأهل البيت ، ويكلمهم في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتفضيله على جميع الصحابة ، تقرباً إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا. وكان الرضا يقول لأصحابه الذين يثق بهم: لا تغتروا منه بقوله ، فما يقتلني والله غيره ، ولكنه لا بد لي من الصبر حتى يبلغ الكتاب أجله).

فالمأمون شخص متناقض، يعقد المجالس في قصره لإثبات إمامة علي والأئمة من أبنائه عليهم السلام ، ثم يرتكب جريمة قتلهم! فهو كما وصفه حديث اللوح القدسي (الكافي: ١/٥٢٧) الذي أنزله الله تعالى هدية للزهراء عليها السلام وفيه أسماء الأئمة عليهم السلام وفيه عن الثامن منهم: (يقتله عفریت مستكبر، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح (ذو القرنين) إلى جنب شر خلقي)..

ويظهر أن المأمون بقي كل عمره يناظر في إثبات مذهب التشيع! فقد نصت بعض المناظرات على أن الفقهاء لم يروا المأمون بعدها حتى مات ، ومعناه أن وقتها قريب من موت المأمون سنة ٢١٨. وذكر بعضها أنه خاطب الفضل بن سهل، وقد قتله المأمون سنة ٢٠٢. وقد فصلنا ذلك في كتاب: الإمام محمد الجواد عليه السلام .

روى في الإحتجاج (٢/٢٤٥): (أن المأمون بعدما زوج ابنته أم الفضل أبا جعفر كان في

مجلس ، وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة .

فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي: أنه نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ، ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راض فأني عنه راض .

فقال أبو جعفر عليه السلام: لست بمنكر فضل أبي بكر لكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: قد كثرت علي الكذابة وستكثر بعدي ، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي ، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به . وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله قال الله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسًا بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . فالله عز وجل خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره ، هذا مستحيل في العقول! ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل عليهما السلام في السماء .

فقال: وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه ، لأن جبرئيل وميكائيل ملكان مقربان لم يعصيا الله قط ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة ، وهما قد أشركا بالله عز وجل وإن أسلما بعد الشرك . فكان أكثر أيامهما الشرك بالله فمحال أن يشبههما بهما .

قال يحيى: وقد روي أيضاً أنهما سيذا كهول أهل الجنة ، فما تقول فيه ؟

فقال عليه السلام: وهذا الخبر محال أيضاً ، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباباً ، ولا يكون فيهم كهل ، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين عليهما السلام إنهما سيذا شباب أهل الجنة .

فقال يحيى بن أكثم: وروي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة .

فقال عليه السلام: وهذا أيضاً محال ، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين وآدم ومحمد، وجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، لاتضئ الجنة بأنوارهم حتى تضئ بنور عمر !
فقال يحيى: وقد روي أن السكينة تنطق على لسان عمر .

فقال عليه السلام: لست بمنكرٍ فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر ، وقال على رأس المنبر إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسد دوني .

فقال يحيى: وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو لم أبعث لبعث عمر .

فقال عليه السلام: كتاب الله أصدق من هذا الحديث ، يقول الله في كتابه: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه . وكل الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين ، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نبئت وآدم بين الروح والجسد .

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما احتبس عني الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب . فقال عليه السلام: وهذا محال أيضاً ، لأنه لا يجوز أن يشك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نبوته . قال الله تعالى: اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ . فكيف يمكن أن ينقل النبوة ممن اصطفاها الله تعالى إلى من أشرك به .

قال يحيى: روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلا عمر .

فقال عليه السلام: وهذا محال أيضاً، لأن الله تعالى يقول: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما داموا يستغفرون .

أقول: لا بد أن أسئلة قاضي القضاة كانت بأمر المأمون ، خاصة أنه طرحها في حضوره ، وهي أسئلة مقصودة لكشف المكذوبات في فضائل أبي بكر وعمر!

وقوله عليه السلام: لست بمنكر فضل أبي بكر ، يعني: لست بصدد نفي فضله ، بل بصدد نفي هذا الحديث المكذوب في فضله .

وقد صحت الرواية بأن المأمون ناظر العلماء مرات في فضل أمير المؤمنين عليه السلام وأنه خليفة النبي صلى الله عليه وآله المنصوص عليه بنصوص لا تقبل التأويل .

كما ناظرهم في إبطال فضائل مدعاة لأبي بكر وعمر !

واشتهر من هذه المناظرات مجلس رواه في العقد الفريد قال (٢/ ٢٤٠): (احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل علي .. إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل ، عن حماد بن زيد قال: بعث إليّ يحيى بن أكثم وإلى عدة من أصحابي ، وهو يومئذ قاضي القضاة ، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه ، يفقه ما يُقال له ويحسن الجواب ، فسمّوا من تظنونهم يصلح لما يطلب أمير المؤمنين . فسمّينا له عدة وذكر هو عدة حتى تمّ العدد الذي أراد ، وكتب تسمية القوم ، وأمر بالبُكور في السّحر ، وبعث إلى من لم يحضر فأمره بذلك ، فغدونا عليه قبل طلوع الفجر ، فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا ، فركب وركبنا معه حتى صرنا إلى الباب فإذا بخادم واقف ، فلما نظر إلينا قال: يا أبا محمد ، أمير المؤمنين ينتظرك . فأدخلنا فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها فلم نستتمها حتى خرج الرسول فقال: أدخلوا فدخلنا ، فإذا أمير المؤمنين جالس على فراشه وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته ، فوقفنا وسلمنا فرد السلام وأمرنا بالجلوس فلما استقر بنا المجلس تحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته ، ثم أقبل علينا فقال: إنما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك ، وأما الخُفّ فما من خَلعه علة ، من قد عرفها منكم فقد عرفها ومن لم

يَعْرِفُهَا فَسَاعَرُفُهُ بِهَا وَمَدَّ رَجْلَهُ ثُمَّ قَالَ: إِنزَعُوا قَلَانِسَكُمْ وَخَفَافَكُمْ وَطِيَالِسَكُمْ .
 قَالَ: فَأَمْسَكْنَا، فَقَالَ لَنَا يَحْيَى: إِنْتَهَوْا إِلَى مَا أَمْرَكُمْ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَتَعَجَبْنَا فَتَزَعْنَا
 أَخْفَافَنَا وَطِيَالِسَنَا وَقَلَانِسَنَا وَرَجَعْنَا .

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَجْلِسَ قَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْقَوْمِ فِي الْمُنَازَرَةِ ، فَمَنْ كَانَ بِهِ شَيْءٌ
 مِنَ الْأَخْبِيثِينَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَفْقَهْ مَا يَقُولُ: فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ الْخِلَاءَ فَهَنَّاكَ وَأَشَارَ
 بِيَدِهِ ، فَدَعَوْنَا لَهُ .

ثُمَّ أَلْقَى مَسْأَلَةً مِنَ الْفَقْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، قُلْ وَلْيَقُلِ الْقَوْمُ مِنْ بَعْدِكَ . فَأَجَابَهُ يَحْيَى
 ثُمَّ الَّذِي يَلِي يَحْيَى ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ ، حَتَّى أَجَابَ آخِرُنَا فِي الْعِلَّةِ وَعِلَّةِ الْعِلَّةِ وَهُوَ مُطَّرَقٌ
 لَا يَتَكَلَّمُ . حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ الْكَلَامُ التَّفَتُّ إِلَى يَحْيَى فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَصَبَتْ الْجَوَابُ
 وَتَرَكْتَ الصَّوَابَ فِي الْعِلَّةِ . ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَرِدُ عَلَيَّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مَقَالَتِهِ وَيُخْطِئُ بَعْضُنَا
 وَيَصُوبُ بَعْضُنَا حَتَّى أَتَى عَلَيَّ آخِرُنَا .

ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ فِيكُمْ لِهَذَا ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أُنَبِّئَكُمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَادَ
 مُنَازَرَتِكُمْ فِي مَذْهَبِهِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ ، وَدِينَهُ الَّذِي يَدِينُ اللَّهُ بِهِ .

قُلْنَا: فَلْيَفْعَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَقَهُ اللَّهُ . فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدِينُ اللَّهُ عَلَى أَنْ عَلِيَّ بْنَ
 أَبِي طَالِبٍ خَيْرٌ خَلَقَ اللَّهُ بَعْدَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْخِلَافَةِ .

قَالَ إِسْحَاقُ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ فِينَا مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا ذَكَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَلِيٍّ ،
 وَقَدْ دَعَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْمُنَازَرَةِ .

فَقَالَ: يَا إِسْحَاقُ ، اخْتَرِ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَسْأَلَكَ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْأَلَ .

قَالَ إِسْحَاقُ: فَاعْتَنَمْتُهَا مِنْهُ ، فَقُلْتُ: بَلْ أَسْأَلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: سَلْ . قُلْتُ:
 مَنْ أَيْنَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَحَقُّهُمْ

بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ ؟

قال: يا إسحاق ، خبّرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يُقال فلان أفضل من فلان؟ قلت: بالأعمال الصالحة . قال: صدقت . قال: فأخبرني عمّن فضّل صاحبه على عهد رسول الله ﷺ ثم إن المفضول عمّل بعد وفاة رسول الله ﷺ بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ، أيلحق به ؟

قال: فأطرقت، فقال لي: يا إسحاق لا تقل نعم، فإنك إن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً وحجاً وصياماً وصلاةً وصدقةً. قلت: أجل يا أمير المؤمنين لا يلحق المفضول على عهد رسول الله الفاضل أبداً .

قال: يا إسحاق: فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قُدوتك ، من فضائل علي بن أبي طالب ، فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر ، فإن رأيت فضائل أبي بكر تُشاكل فضائل عليّ ، فقل إنه أفضل منه . لا، والله، ولكن فقس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر، فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعليّ وحده فقل إنها أفضل منه . لا، والله ، ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ، فإن وجدت لها مثل فضائل عليّ فقل إنهم أفضل منه . لا، والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة فإن وجدت لها تُشاكل فضائله فقل إنهم أفضل منه.

ثم قال: يا إسحاق ، أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله ﷺ ؟

قلت: الإخلاص بالشهادة ، كانت أفضل يوم بعث الله رسوله ﷺ ؟

قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم . قال: اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: والسابقون السابقون أولئك المقربون . إنما عنى من سبق إلى الإسلام فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام ؟

قلت: يا أمير المؤمنين ، إن علياً أسلم وهو حَدَث السن لا يجوز عليه الحُكْم وأبو بكر أسلم وهو مُستكمل يجوز عليه الحكم .

قال: أخبرني أيهما أسلم قبل؟ ثم أناظرك من بعده في الحدائث والكمال .

قلت: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة . فقال: نعم ، فأخبرني عن إسلام عليٍّ حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله؟ قال: فأطرت فقال لي: يا إسحاق ، لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله صلى الله عليه وآله لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله تعالى. قلت: أجل ، بل دعاه رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى الإسلام .

قال: يا إسحاق ، فهل يخلو رسولُ الله صلى الله عليه وآله حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله ، أو تكلف ذلك من نفسه؟

قال: فأطرت: فقال: يا إسحاق ، لا تنسب رسول الله إلى التكلف ، فإن الله يقول: وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ! قلت: أجل يا أمير المؤمنين ، بل دعاه بأمر الله .

قال: فهل من صفة الجبار جل ذكره أن يُكلف رسله دُعاء من لا يجوز عليه حُكْم؟ قلت أعوذ بالله ! فقال: أفترأه في قياس قولك يا إسحاق إن علياً أسلم صبيّاً لا يجوز عليه الحُكْم ، وقد كُلف رسولُ الله صلى الله عليه وآله دُعاء الصَّبيان إلى ما لا يُطيقونه ، فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة ، فلا يجب عليهم في ارتدادهم شئ ، ولا يجوز عليهم حُكْم الرسول صلى الله عليه وآله أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله عز وجل؟ قلت أعوذ بالله !

قال: يا إسحاق ، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسولُ الله صلى الله عليه وآله علياً على هذا الخلق إبانته بها منهم ليُعرف مكانه وفضله ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدُعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً؟ قلت: بلى .

قال: فهل بلغك أن الرسول ﷺ دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته ، لثلاً تقول إن علياً ابنُ عمه ؟ قلت: لا أعلم ، ولا أدري فَعَل أو لم يفعل .

قال يا إسحاق ، رأيت ما لم تَدْره ولم تَعلمه هل تُسأل عنه ؟ قلتُ: لا . قال: فدَع ما قد وضعه الله عنا وعنك .

ثم قال: أي الأعمال كانت أفضلَ بعد السَّبِق إلى الإسلام ؟ قلت: الجهاد في سبيل الله . قالت صدقت ، فهل تجد لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ما تجد لعليٍّ في الجهاد ؟ قلت: في أي وقت ؟ قال ؟ في أي الأوقات شئتَ ؟

قلت: بدر . قال: لا أريد غيرها ، فهل تجد لأحدٍ إلا دون ما تجد لعلي يوم بدر ، أخبرني كم قَتلى بدر؟ قلت: نَيْف وستون رجلاً من المشركين .

قال: فكم قتل عليٌّ وحده؟ قلت: لا أدري . قال: ثلاثة وعشرين ، أو اثنين وعشرين ، والأربعون لسائر الناس .

قلت: يا أمير المؤمنين ، كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في عريشه ، قال: يصنع ماذا؟ قلت: يدبّر . قال: ويحك ! يدبر دون رسول الله ﷺ أو معه ، شريكاً ، أم افتقاراً من رسول الله إلى رأيه ؟ أي الثلاث أحب إليك ؟

قلت: أعوذ بالله أن يدبّر أبو بكر دون رسول الله ﷺ ، أو أن يكون معه شريكاً ، أو أن يكون برسول الله ﷺ افتقاراً إلى رأيه .

قال: فما الفضيلة بالعريش إذ كان الأمر كذلك؟ أليس من صَرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممن هو جالسه؟

قلت: يا أمير المؤمنين ، كل الجيش كان مجاهداً . قال صدقت كل مجاهد ، ولكنَّ الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله ﷺ وعن الجالس أفضل من الجالس ، أما

قرأت في كتاب الله: لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا .

قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهدين. قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟ قلت: نعم .

قال: فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر . قلت: أجل .

قال: يا إسحاق ، هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم . قال: اقرأ عليّ: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا . فقرأت منها حتى بلغت: يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا إلى قوله: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. قال: على رسلك ، فيمن أنزلت هذه الآيات؟ قلت: في علي. قال: فهل بلغك أن علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ؟ قلت: أجل. قال: وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً؟ قلت: لا. قال: صدقت، لأن الله جلّ ثناؤه عرف سريرته .

يا إسحاق ، ألسنت تشهد أن العشرة في الجنة؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين . قال: رأيت لو أن رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا؟ ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله ، أكان عندك كافراً؟

قلت: أعوذ بالله . قال: رأيت لو أنه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا ، أكان كافراً؟ قلت: نعم . قال: يا إسحاق ، أرى بينهما فرقاً .

يا إسحاق ، أتروي الحديث؟ قلت: نعم . قال: فهل تعرف حديث الطير؟ قلت: نعم. قال: فحدثني به . قال: حدّثته الحديث. فقال: يا إسحاق ، إني كنت أكلمك وأنا أظنك

غير معاند للحق، فأما الآن فقد بان لي عنادك ، إنك توافق على أن هذا الحديث صحيح ؟ قلت: نعم ، رواه من لا يمكنني رده .

قال: أفرأيت أن من أيقن أن هذا الحديث صحيح ، ثم زعم أن أحداً أفضل من علي ، لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله ﷺ عنده مردودة عليه ؟ أو أن يقول: إن الله عز وجل عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه .

أو أن يقول: إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول .

فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول ؟ فأطرقت .

ثم قال: يا إسحاق ، لا تقل منها شيئاً ، فإنك إن قلت منها شيئاً استبتت ، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله .

قلت لا أعلم ، وإن لأبي بكر فضلاً . قال: أجل ، لولا أن له فضلاً لما قيل إن علياً أفضل منه ، فما فضله الذي قصدت إليه الساعة ؟ قلت: قول الله عز وجل: ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فنسبه إلى صحبته .

قال: يا إسحاق ، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك ، إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضىه ورضي عنه كافراً ، وهو قوله: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا . لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا . قلت: إن ذلك صاحب كان كافراً ، وأبو بكر مؤمن قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمناً ، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث ، قلت: يا أمير المؤمنين ، إن قدر الآية عظيم ، إن الله يقول: ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا .

قال: يا إسحاق ، تأبى الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك ، أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضي أم سُخْطاً؟ قلت: إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله ﷺ خوفاً

عليه وغماً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه .

قال: ليس هذا جوابي ، إنما كان جوابي أن تقول: رضاً أم سُخْطاً؟ قلت: بل رضاً لله.

قال: فكأن الله جلَّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضا الله عز وجل وعن طاعته .

قلت: أعود بالله. قال: أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله؟

قلت: بلى . قال أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: لا تحزن نهياً له عن الحزن . قلت: أعود بالله .

قال: يا إسحاق ، إن مذهبي الرفق بك لعلَّ الله يردك إلى الحق ، ويعُدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيز به . وحدثني عن قول الله: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، مَنْ عَنِ بِذَلِكَ: رسولَ الله أم أبا بكر؟ قلت: بل رسول الله . قال: صدقت. قال: فحدثني عن قول الله عز وجل: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ . أتعلم من المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضع؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين. قال: الناس جميعاً انهزموا يوم حُنين ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا سبعة نفر من بني هاشم: عليٌّ يضرب بسيفه بين يدي رسول الله ، والعبَّاس أخذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، والخمسة مُحْدِقُونَ بِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنَالَهُ مِنْ جِرَاحِ الْقَوْمِ شَيْءٌ ، حتى أعطى الله لرسوله الظفرَ ، فالمؤمنون في هذا الموضع عليٌّ خاصة ، ثم من حضره من بني هاشم .

قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين .

قال: فمن أفضل: من كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت ، أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه؟ قلت: بل من أنزلت عليه السكينة؟

قال: يا إسحاق ، من أفضل: من كان معه في الغار أو من نام على فراشه ووقاه بنفسه،

حتى تمّ لرسول الله ﷺ ما أراد من الهجرة؟

إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه وأن يقبّل رسول الله ﷺ بنفسه ، فأمره رسول الله بذلك ، فبكى علي رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ : ما يُبكيك يا علي أجزعاً من الموت؟ قال: لا ، والذي بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفاً عليك ، أفتسلم يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله ، ثم أتى مضجعه واضطجع وتسجّى بثوبه ، وجاء المشركون من قريش فحفوا به لا يشكّون أنه رسول الله ﷺ وقد أجمعوا أن يضربوه من كل بطن من بطون قريش رجلٌ ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه ، وعليٌّ يسمع ما القوم فيه من تلف نفسه ، ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ، ولم يزل علي صابراً محتسباً ، فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح فلما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا: أين محمد؟ قال: وما علمي بمحمد أين هو؟ قالوا: فلا نراك إلا كنت مغرراً بنفسك منذ ليلتنا ، فلم يزل علي أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتى قبضه الله إليه .

يا إسحاق ، هل تروي حديث الولاية؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين . قال: إروه . ففعلت . قال: يا إسحاق ، رأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يُوجب لهما عليه؟ قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي ، وأنكر ولاء علي فقال رسول الله ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من ولاه ، وعاد من عاداه .

قال: وفي أي موضع قال هذا؟ أليس بعد مُنصرفه من حجة الوداع؟

قلت: أجل . قال: فإن قُتل زيد بن حارثة قبل الغدير! كيف رضيت لنفسك بهذا؟

أخبرني لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي، أيها الناس فاعلموا ذلك . أكنت مُنكراً عليه تعريفه الناس ما لا يُنكرون ولا يجهلون؟ فقلت: اللهم نعم. قال: يا إسحاق ، أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وآله !
ويُحكّم ! لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم إن الله جل ذكره قال في كتابه: **إِتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** . ولم يصلُّوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب ، ولكن أمرهم فأتاعوا أمرهم .

يا إسحاق ، أتروي حديث: أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين ، قد سمعته وسمعتُ من صحَّحه وجَّده .

قال: فمن أوثق عندك: من سمعت منه فصححه ، أو من جرده؟

قلت: من صحَّحه . قال: فهل يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله مزح بهذا القول؟

قلت: أعوذ بالله . قال: فقال قولاً لا معنى له فلا يُوقف عليه؟ قلت: أعوذ بالله .

قال: أفما تعلم أن هارون كان أخ موسى لأبيه وأمه؟ قلت: بلى . قال: فعليُّ أخو رسول

الله لأبيه وأمه؟ قلت: لا . قال: أليس هارون كان نبياً وعليُّ غير نبيٍّ؟ قلت: بلى .

قال: فهذان الحالان معدومان في عليٍّ وقد كانا في هارون ، فما معنى قوله: أنت منِّي

بمنزلة هارون من موسى؟ قلت له: إنما أراد أن يُطيب بذلك نفس عليٍّ لما قال المنافقون

إنه خلَّفَه استثقلاً له . قال: فأراد أن يُطيب نفسه بقول لا معنى له؟ قال: فأطرتُ .

قال: يا إسحاق ، له معنى في كتاب الله بيِّن . قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال:

قوله **عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةَ عَنْ مُوسَى** إنه قال لأخيه هارون: **أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ**

الْمُفْسِدِينَ . قلت: يا أمير المؤمنين إن موسى خَلَّفَ هارون في قومه وهو حيٌّ ومضى إلى

ربه ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله خَلَّفَ علياً كذلك حين خرج إلى غزاته .

قال: كلا ليس كما قلت . أخبرني عن موسى حين خلف هارون ، هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحدٌ من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل؟ قلت: لا . قال: أوليس استخلفه على جماعتهم؟ قلت: نعم . قال: فأخبرني عن رسول الله ﷺ حين خرج إلى غزاته ، هل خلف إلا الضعفاء والنساء والصبيان؟ فأنى يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه لا يقدر أحد أن يحتج فيه، ولا أعلم أحداً احتج به وأرجو أن يكون توفيقاً من الله .

قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عزَّ وجلَّ حين حكى عن موسى قوله: اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا. فأنت مني يا عليُّ بمنزلة هارون من موسى، وزير من أهلي، وأخي أشدُّ به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبح الله كثيراً ونذكره كثيراً، فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا؟

ولم يكن ليطل قول النبي ﷺ وأن يكون لا معنى له .

قال: فطال المجلس وارتفع النهار. فقال يحيى بن أكثم القاضي: يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير، وأثبت ما لا يقدر أحد أن يدفعه .

قال إسحاق: فأقبل علينا وقال: ما تقولون؟ فقلنا: كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزَّه الله . فقال: والله لولا أن رسول الله ﷺ قال: إقبلوا القول من الناس ما كنت لأقبل منكم القول. اللهم قد نصحت لهم القول، اللهم إني قد أخرجت الأمر من عنقي، اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب عليٍّ وولايته .



مناظرة المأمون برواية الصدوق

روى الصدوق عليه السلام هذه المناظرة بسند أصح من سند ابن عبد ربه ، عن إسحاق بن حماد بن زيد أيضاً ، ويظهر بمقارنتها أن ابن عبد ربه أخذ قسماً من وسطها وحذف من أولها نقد المأمون لأحاديث فضائل أبي بكر وعمر، وحذف من آخرها نقد المأمون للسقيفة ، وإثباته نص النبي صلى الله عليه وآله المحكم على إمامة علي عليه السلام . وقد أوردناها كاملة في كتاب الإمام محمد الجواد عليه السلام ، ونكتفي هنا بالتنويه بها . قال الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٩٩):

(ثم قال المأمون: خبروني عن النبي صلى الله عليه وآله هل استخلف حين مضى أم لا؟

فقالوا: لم يستخلف . قال: فتركه ذلك هدىً أم ضلالاً؟ قالوا: هدى .

قال: فعلى الناس أن يتبعوا الهدى ، ويتركوا الباطل ويتكبوا الضلال !

قالوا: قد فعلوا ذلك . قال: فلم استخلف الناس بعده وقد تركه هو؟ فترك فعله

ضلالاً ، ومحال أن يكون خلاف الهدى هدى!

وإذا كان ترك الإستخلاف هدى، فلم استخلف أبو بكر ولم يفعله النبي صلى الله عليه وآله ولم جعل

عمر الأمر بعده شورى بين المسلمين خلافاً على صاحبه؟

لأنكم زعمتم أن النبي لم يستخلف وأن أبا بكر استخلف، وعمر لم يترك الإستخلاف

كما تركه النبي بزعمكم ، ولم يستخلف كما فعل أبو بكر ، وجاء بمعنى ثالث !

فخبروني أي ذلك ترونه صواباً؟ فإن رأيتم فعل النبي صواباً فقد خطأتم أبا بكر ،

وكذلك القول في بقية الأقاويل !

وخبروني أيها أفضل ما فعله النبي بزعمكم ، من ترك الإستخلاف ، أو ما صنعت

طائفة من الإستخلاف؟ وخبروني هل يجوز أن يكون تركه من الرسول صلى الله عليه وآله هدى

وفعله من غيره هدى فيكون هدى ضد هدى؟ فأين الضلال حينئذ؟

وخبروني هل ولي أحد بعد النبي ﷺ باختيار الصحابة ، منذ قبض النبي إلى اليوم؟
فإن قلت: لا ، فقد أوجبتم أن الناس كلهم عملوا ضلالة بعد النبي!
وإن قلت: نعم، كذبتهم الأمة ، وأبطل قولكم الوجود الذي لا يدفع!
وخبروني عن قول الله عز وجل: قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ أَصْدَقُ هَذَا أَمْ كَذِبٌ؟
قالوا: صدق قال: أفليس ما سوى الله الله ، إذ كان مُحَدِّثَهُ وَمَالِكُهُ؟ قالوا: نعم. قال:
ففي هذا بطلان ما أوجبتم اختياركم خليفة ، تفترضون طاعته وتسمونه خليفة
رسول الله ﷺ وأنتم استخلفتموه ، وهو معزول عنكم إذا غضبت عليه وعمل
بخلاف محبتكم ، ومقتول إذا أبى الاعتزال .

ويلكم ! لا تفتروا على الله كذباً، فتلقوا وبال ذلك غداً إذا قمتم بين يدي الله تعالى ،
وإذا وردتم على رسول الله ﷺ وقد كذبت عليه متعمدين ، وقد قال: من كذب عليَّ
متعمداً فليتبوأ مقعده من النار !

قال: فسكت القوم فقال لهم: لم سكتتم؟ قالوا: لا ندري ما نقول؟ قال: تكفيني هذه
الحجة عليكم . فخرجنا متحيرين خجلين .

ثم نظر المأمون إلى الفضل بن سهل فقال: هذا أقصى ما عند القوم ، فلا يظن ظان أن
جلالتي منعتهم من النقص عليّ. ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم إني قد
أرشدتهم ! اللهم إني قد أخرجت ما وجب علي إخراجه من عنقي !

اللهم إني لم أدعهم في ريب ولا في شك ! اللهم إني أدين بالتقرب إليك بتقديم علي
على الخلق بعد نبيك محمد ، كما أمرنا به رسولك ﷺ !

قال: ثم افترقنا فلم نجتمع بعد ذلك حتى قبض المأمون !

ملاحظات على مناظرات المأمون

١. كان المأمون صادقاً في اعتقاده بوصية النبي صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام ولكنه غير صادق في تدينه، فهو يرى أن النبي صلى الله عليه وآله وعلياً وأولاده المعصومين عليهم السلام ينبغي للحاكم أن يستفيد من علمهم لأغراضه وحكمه !

وهو صادق في مناظراته وهدفه منها أن يقنع الفقهاء والعلماء والعباسيين ، بمذهبه فيتحول الحكم الى نظام عباسي بمذهب شيعي علوي !

كما أنه صادق بكفره ببني أمية وكل من خالف علياً وأولاده عليهم السلام فقد كتب منشوراً في البراءة من معاوية ، أثبت فيه مخازيه وكفره ، لكنه تراجع عنه خوفاً من العامة ، وبقي المنشور تاريخاً، حتى نشره شبيهه الخليفة المعتضد العباسي ! وهو وثيقة جيدة في الطعن في معاوية وبني أمية .

٢. وقد أكمل المأمون مناظراته في تولي علي عليه السلام والبراءة من أعدائه بمطاردة المجسمة الذين يقولون إن القرآن جزءٌ من ذات الله تعالى ! لكنه أساء أسلوب تنفيذه فقاومه قسم من الفقهاء والعامة، واستمر خطه وامتحانه هذا في زمن أخيه المعتصم والواثق ، حتى جاء المتوكل فنقضه وقرب مجسمة الخنابلة ، وأسس لهم ميليشا تقاوم الشيعة ، وتبنى بشكل عام بني أمية وسياستهم ضد أهل البيت عليهم السلام !

٣. حديث الطير الذي احتج به المأمون على أن علياً عليه السلام أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله ، رواه الحاكم في المستدرک (٣/١٣١): (عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وآله فقدم لرسول الله فرخ مشوي فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير. قال فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار! فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة. ثم جاء فقلت: إن رسول الله على حاجة . ثم

جاء فقال رسول الله: إفتح ، فدخل فقال رسول الله ﷺ: ما حبسك عليّ؟ فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات ، يردني أنس، يزعم أنك على حاجة . فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي! فقال رسول الله: إن الرجل قد يحب قومه! هذا حديث صحيح على شرط الشيخين).

٤. تفاوتت حالة خلفاء بني العباس في مستواهم الفكري والعلمي ، وفي موقفهم من علي عليه السلام وأبنائه الأئمة عليهم السلام . فكان منهم الشيعي نظرياً، لكنه عدوّ لأئمة العترة وشيعتهم عملياً كالمأمون . ومنهم من أعلن تشييعه كاملاً كالناصر لدين الله العباسي، أحمد بن المستضيء، الذي دامت خلافته ٤٦ سنة، وتوفي سنة ٦٢٢، وله أخبار وقصص، وتجد إسمه على الباب الخشبي في سرداب بيت الإمام المهدي عليه السلام المسمى سرداب الغيبة . ولكنه لم يستطع البناء على ما أسس المأمون ويخطو في تطبيقه!

وقد أعاد الناصر الهيبة المفقودة للخلافة العباسية ، فاسترجع بيت المقدس وما كان أخذه الصليبيون من ساحل لبنان وسوريا .

واهتم بمشاهد الأئمة عليهم السلام وجعل مشهد الإمام الكاظم عليه السلام حمىً وملاذاً لمن لجأ إليه فكان يعفو عنهم ، ويصلح بينهم وبين خصومهم .

وقد أعدّ لنفسه قبراً عند قبر الإمام الكاظم عليه السلام عند رجليه ، لكن المتعصين غلبوا على جنازته ولم يدفنه فيه ، فدفن فيه بعد سبعين سنة المرجع نصير الدين الطوسي عليه السلام .



المأمون يُعرّف العباسيين بالإمام الجواد عليه السلام

كان المأمون يعتقد بأن الإمام الرضا عليه السلام إمامٌ رباني منصوص عليه من جده رسول الله صلى الله عليه وآله . وأنه نص على إمامة ابنه محمد الجواد عليه السلام وكان يرأسه بتعظيم ، وكانت تظهر له كرامات من طفولته !

وقد زوج المأمون أخته للإمام الرضا عليه السلام ، وسمى ابنته لولده الإمام الجواد ، وروي أن المأمون راسل الإمام الجواد عليه السلام من طوس ، وقد تكون رسالته تعزية له بأبيه الرضا عليه السلام ودعوة له للمجيئ الى بغداد ، لأنه كرر مدائحهِ للإمام الرضا عليه السلام وبالغ في إظهار الجزع ، ليبعد عن نفسه جريمة قتله !

وكان قاصداً السفر الى بغداد، وكان (المخبرون) يوصلون اليه أخبار الإمام الجواد عليه السلام وتوافد علماء الشيعة وزعمائهم الى المدينة ولقائهم به ومشاهدتهم معجزاته، وإجماعهم على إمامته وهو في السابعة من عمره .

وعندما رجع المأمون الى بغداد سنة ٢٠٤ ، أي بعد أن قتل الإمام الرضا عليه السلام بستين ، كان عمر الإمام الجواد عليه السلام نحو تسع سنوات .

فأحضره المأمون الى بغداد وهو في التاسعة كما روى الريان بن شبيب وليس في سن السادسة عشرة كما ذكرت بعض الروايات .

أحضره ليتحدى به العباسيين ، ويعلن أنه صهره ويعقد له على ابنته ، ليثبت لهم عذره في اتخاذ أبيه الرضا عليه السلام ولياً لعهدِهِ .

أبلغ المأمون العباسيين بتزويج ابنته للجواد عليه السلام فاستنصروا

وقد استفاضت رواية مجلس العرس التاريخي، الذي أقامه المأمون لعقد زواج الإمام الجواد عليه السلام ففي الصحيح عن الريان بن شبيب (الإرشاد: ٢/ ٢٨١) قال: (روى الحسن بن محمد بن سليمان ، عن علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن الريان بن شبيب قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم واستكبروه ، وخافوا أن ينتهي الأمر معي إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام فخاضوا في ذلك ، واجتمع منهم أهل بيته الأذنون منه فقالوا له: نشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمته عليه من تزويج ابن الرضا ، فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمرٌ قد ملكناه الله ، ويُنزِع منا عزٌّ قد ألبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقد كنا قي وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك ، فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا ، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره .

فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ، ولو أنصفتهم القوم لكان أولى بكم ، وأما ما كان يفعله من كان قبلي بهم ، فقد كان قاطعاً للرحم ، أعوذ بالله من ذلك ، ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ، ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه عن نفسي فأبى ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك . وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن الرأي ما رأيت فيه .

فقالوا: إن هذا الصبي وإن راقك منه هديه ، فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه ، فأمهله ليتأدب ويتفقه في الدين ، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك .

فقال لهم: ويحكم إنني أعرف بهذا الفتى منكم ، وإن هذا من أهل بيت علمهم من الله ومواده وإلهامه ، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال ، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين به ما وصفت من حاله .

قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه ، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره ، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين ، وإن عجز عن ذلك فقد كفيينا الخطب في معناه . فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم .

فخرجوا من عنده وأجمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم ، وهو يومئذ قاضي القضاة ، على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك ، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع ، فأجابهم إلى ذلك .

واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه ، وحضر معهم يحيى بن أكثم وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دست (كرسي) وتجعل له فيه مسورتان (مكآن) ففعلوا ذلك ، وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المسورتين وجلس يحيى بن أكثم بين يديه ، وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام .

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟

فقال له المأمون: إستأذنه في ذلك ، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت .

قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟

فقال له أبو جعفر: قتله في حل أو حرم؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حراً كان المحرم أم عبداً؟ صغيراً كان أم كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم كبارها؟ مصراً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟ فتحير يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والإنقطاع، ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي.

ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه! ثم أقبل على أبي جعفر فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال له المأمون: أخطب، جعلت فداك لنفسك، فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي، وإن رغم قوم لذلك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيته وصلى الله على محمد سيد بريته، والأصفياء من عترته.

أما بعد: فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه: **وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**، ثم إن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وهو خمس مائة درهم جياداً، فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟

قال المأمون: نعم، قد زوجتك أبا جعفر أم الفضل ابنتي على هذا الصداق المذكور،

فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر عليه السلام: قد قبلت ذلك ورضيت به .

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة .

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم ، فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة مشدودة بالحبال من الإبريسم على عجل مملوءة من الغالية (العطر) فأمر المأمون أن تخضب لحي الخاصة من تلك الغالية ، ثم مدت إلى دار العامة فطيبوا منها ، ووضعت الموائد فأكل الناس ، وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم .

فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي ، قال المأمون لأبي جعفر: إن رأيت جعلت فذاك أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد ، لنعلمه ونستفيده .

فقال أبو جعفر عليه السلام: نعم ، إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها فعليه شاة ، فإن كان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً ، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن ، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ .

وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة ، وإن كان نعامة فعليه بدنة ، وإن كان ظيباً فعليه شاة ، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى ، وإن كان إحرامه للعمرة نحره بمكة .

وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء ، وفي العمدة له المأثم ، وهو موضوع عنه في الخطأ ، والكفارة على الحر في نفسه ، وعلى السيد في عبده ، والصغير لا كفارة عليه ، وهي على الكبير واجبة ، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة ، والمصرُّ يجب عليه

العقاب في الآخرة . فقال له المأمون: أحسنت أبا جعفر أحسن الله إليك ، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك .

فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك ؟ قال: ذلك إليك جعلت فداك ، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه ، وإلا استفدته منك .

فقال له أبو جعفر عليه السلام: خبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار حلت له ، فلما زالت الشمس حرمت عليه ، فلما كان وقت العصر حلت له ، فلما غربت الشمس حرمت عليه ، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له ، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه ، فلما طلع الفجر حلت له ! ما حال هذه المرأة وبماذا حلت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال ، ولا أعرف الوجه فيه ، فإن رأيت أن تفيدناه .

فقال له أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاهما فحلت له ، فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهر فحلت له ، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه ، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له .

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال !؟

قالوا: لا والله ، إن أمير المؤمنين أعلم وما رأى .

فقال لهم: ويحكم ، إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل ، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال . أما علمتم أن رسول الله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ، وقبل منه الإسلام وحكم له به ، ولم يدع أحداً في سنه غيره . وباع الحسن والحسين وهما ابنا دون الست سنين ، ولم يباع صبيّاً غيرهما ، أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم ، وأنهم ذرية بعضها من بعض ، يجري لأخرهم ما يجري لأولهم؟!

قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين ، ثم نهض القوم .

فلما كان من الغد أحضر الناس وحضر أبو جعفر عليه السلام ، وصار القواد والحجاب والخاصة والعمال لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام ، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك ، وزعفران معجون ، في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية وإقطاعات ، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصته ، فكان كل من وقع في يده بندق ، أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق له . ووضعت البدر ، فنثر ما فيها على القواد وغيرهم ، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا . وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين . ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظمها لقدره مدة حياته ، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته .

ورواه المفيد في الإختصاص/٩٨ ، وتفسير القمي (١/١٨٢) بتفاوت سير ، وفيه: (فأمر المأمون أن يكتب ذلك ، ثم دعا أهل بيته فقراً عليهم ذلك وقال لهم: هل فيكم أحد يجيب بمثل هذا الجواب ، قالوا: لا والله ، ولا القاضي! ثم قال: ويحكم إن أهل هذا البيت خُلُوْ (غير) من هذا الخلق! أو ما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايع الحسن والحسين عليه السلام وهما صبيان غير بالغين ، ولم يباع طفلاً غيرهما! أو ما علمتم أن علياً

آمن بالنبي وهو ابن عشر سنين ، فقبل الله ورسوله منه إيمانه ، ولم يقبل من طفل غيره ، ولا دعا النبي ﷺ طفلاً غيره إلى الإيوان ! أو ما علمتم أنها ذرية بعضها من بعض ، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم ! قال: ثم أمر المأمون أن ينثر على أبي جعفر عليه السلام ثلاثة أطباق بنادق زعفران ومسك معجون بماء الورد في جوفهما رقاع: على طبق رقاع عمالات ، والثاني ضياع ، طعمته لمن أخذها ، والثالث فيه بدر (ضمر) ثم أمر أن يفرق طبق العمالات على بني هاشم خاصة ، والذي عليه ضياع طعمة على الوزراء ، والذي عليه البدر على القواد) .

ملاحظات على هذه الرواية

١ . تتعجب من المأمون كيف يعتقد بإمامة علي والأئمة عليهم السلام الربانية ، ويحتج على بني العباس وكبار الفقهاء والعلماء ، ويشهد بأنهم أصحاب وصية النبي ﷺ والحق الإلهي في إمامة الأمة وحكمها. ثم يغضب حقهم ويجلس في مجلسهم ثم يقتلهم ! وقد اعترف أن أباه كان يعتقد بذلك أيضاً ، فقال يوماً: (أتدرون من علمني التشيع؟ فقال القوم: لا والله ما نعلم ذلك. قال: علمنيه الرشيد! قيل له: وكيف ذلك والرشيد يقتل أهل البيت ! قال: كان الرشيد يقتلهم على الملك، لأن الملك عقيم . ثم قال: إنه دخل موسى بن جعفر على الرشيد يوماً فقام إليه، واستقبله وأجلسه في الصدر وقعد بين يديه وجرى بينها أشياء ، ثم قال موسى بن جعفر لأبي: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد فرض على الولاية عهده: أن ينعشوا فقراء هذه الأمة ويقضوا عن الغارمين ويؤدوا عن المثقل ، ويكسوا العاري ويحسنوا إلى العاني، وأنت أولى من يفعل ذلك . فقال: أفعل يا أبا الحسن .

ثم قام فقام الرشيد لقيامه وقبل بين عينيه ووجهه ، ثم أقبل علي وعلى الأمين والمؤمن فقال: يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم ! إمشوا بين يدي ابن عمكم وسيدكم ، خذوا

بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله ، فأقبل إلى أبو الحسن موسى بن جعفر سرّاً بيني وبينه فبشرني بالخلافة . وقال لي: إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي . ثم انصرفنا وكنت أجراً ولد أبي عليه ، فلما خلى المجلس قلت: يا أمير المؤمنين ومن هذا الرجل الذي أعظمته وأجللته ، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته ، وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟ قال: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه ، وخليفته على عباده .

فقلت: يا أمير المؤمنين أو ليست هذه الصفات كلها لك وفيك ؟

فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني أنه لأحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعاً ، والله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك ، لأن الملك عقيم !

فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار ، ثم أقبل على الفضل فقال له: إذهب إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك أمير المؤمنين نحن في ضيقة وسيأتيك برنا بعد هذا الوقت .

فقمت في وجهه فقلت: يا أمير المؤمنين! تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه: خمسة آلاف دينار إلى ما دونها. وتعطي موسى بن جعفر وقد عظمته وأجللته مائتي دينار ، وأخس عطية أعطيتها أحداً من الناس ! فقال: أسكت لا أم لك! فإني لو أعطيته هذا ما ضمته له ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعة ومواليه . ففقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وإغنائهم). (الإحتجاج: ٢/١٦٥).

٢. كل عصبية لا بد أن تنتهي إلى حب الذات المفرط ، وعبادة الشخص لنفسه !

فالمأمون يتعصب لعشيرته العباسيين ضد بني هاشم، ويتعصب لأبناء هارون ضد غيرهم من العباسيين. ويتعصب لنفسه ضد إخوته أبناء هارون، حتى أنه حارب أخاه الأمين وقتله شر قتله. وذلك من أجل نفسه، وتسلمته وشهوته!

٣. هدف المأمون من تزويج الإمام الجواد عليه السلام أن يهدد بني العباس بنقل الخلافة عنهم إلى أبناء علي عليه السلام فيقبلوا جعل ابنه ولي عهده.

وهدفه أن يقنع بني العباس بضرورة تغيير سياستهم مع بني علي عليه السلام.

ومن جهة أخرى هدفه أن يخضع الإمام الجواد عليه السلام لرقابته ويفصله عن جمهور الناس، حتى لا يثور عليه يوماً ما.

٤. عندما أقدم المأمون على جريمة سم الإمام الرضا عليه السلام حذره الإمام من قتل ولده الجواد عليه السلام، وقال له حافظ على حياته لأن عمرك ينتهي مع عمره!

ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/٢٧٠): (وجاء المأمون حافياً حاسراً يضرب على رأسه ويقبض على لحيته ويتأسف ويبكي وتسيل دموعه على خديه فوقف على الرضا عليه السلام وقد أفاق فقال: يا سيدي والله ما أدري أي المصيبتين أعظم علي، فقد لي لك وفراقي إياك؟ أو تهمة الناس لي إنني اغتلتك وقتلتك! قال: فرفع طرفه إليه ثم قال: أحسن يا أمير المؤمنين معاشره أبي جعفر، فإن عمرك وعمره هكذا، وجمع بين سبابتيه)!

واكتفى المأمون بدم الإمام الرضا عليه السلام فلم يقتل الإمام الجواد عليه السلام وكان ليناً معه، فسمح له أن يسكن في المدينة، ويترك زوجته بنت المأمون في بغداد.

أعطى المأمون الحرية للإمام الجواد عليه السلام فذهب إلى المدينة!

كانت عبارة الإمام الرضا عليه السلام للمأمون إن قتلته انتهى عمرك! كافية لأن يحافظ المأمون على الجواد. وكان الإمام الجواد عليه السلام في التاسعة من عمره لما عقد المأمون

زواجه على بنته ، وقد يكون التقى بها لكنه لم يدخل بها وعاد الى المدينة وبقي فيها . وفي السادسة عشرة من عمره تزوج جارية مغربية إسمها سمانة ، وبعد سنة رزقه الله منها ابنه علي الهادي عليه السلام . ثم رزق بابنه موسى وثلاث بنات: خديجة وحكيمة وأم كلثوم . (دلائل الإمامة/ ٣٩٧).

وقد يكون الإمام الجواد زار بغداد أو أحضره المأمون بعد عقد زواجه مرة أو مرات ، لكن المؤكد أنه لم يدخل على أم الفضل الى سنة ٢١٥ وهو في العشرين من عمره ، عندما توجه المأمون الى بلاد الشام والروم ، فقد نص المؤرخون ، ومنهم الطبري ، والذهبي ، وابن كثير على أنه لقي المأمون بتكرت ، وطلب منه المأمون أن يدخل بزوجه أم الفضل .

قال الطبري (٧/١٨٩): (سنة خمس عشرة ومائتين.. شَخَصَ المأمون من مدينة السلام لغزو الروم ، وذلك يوم السبت فيما قيل لثلاث بقين من المحرم وقيل كان ارتحاله من الشامية إلى البردان يوم الخميس بعد صلاة الظهر لِسِتَّ بقين من المحرم سنة ٢١٥ ، واستخلف حين رحل عن مدينة السلام عليها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، وولى مع ذلك السواد وحلوان وكور دجلة ، فلما صار المأمون بتكرت قدم عليه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من المدينة في صفر ليلة الجمعة من هذه السنة ولقيه بها، فأجازه وأمره أن يدخل بابنته أم الفضل وكان زَوْجَهَا منه فأدخلت عليه في دار أحمد بن يوسف التي على شاطئ دجلة فأقام بها، فلما كان أيام الحج خرج بأهله حتى أتى مكة ثم أتى منزله بالمدينة فأقام بها).

وذكرت المصادر أن الإمام الجواد عليه السلام بقي في قصر ابن يوسف الى موسم الحج.

ففي الثاقب لابن حمزة/ ٥١٨: (حدثني بعض المدنيين أنهم كانوا يدخلون على أبي جعفر عليه السلام وهو نازل في قصر أحمد بن يوسف يقولون له: يا أبا جعفر جعلنا فداك قد تهيأنا وتجهزنا ولا نراك تهم بذلك! قال لهم: لستم بخارجين حتى تغتروا الماء بأيديكم

من هذه الأبواب التي ترونها ! فتعجبوا من ذلك أن يأتي الماء من تلك المكثرة، فما خرجوا حتى اغترفوا بأيديهم منها).

وروا أن الإمام عليه السلام عاد إلى المدينة بزوجه بنت المأمون ، وأنهم رأوا منه معجزة لما كان الناس في وداعه فحان وقت الصلاة ودخل إلى مسجد المسيب وتوضأ عند سدره يابسة ، فاخضرت وأثمرت وأكل الناس من ثمرها!

كما ذكرت رواية أن الإمام عليه السلام جاء إلى بغداد لاستقبال المأمون عند عودته من الشام ويبدو أنها عودته من سفرته تلك .

ففي الهداية الكبرى / ٣٠٠: (عن صالح بن محمد بن داود اليعقوبي، قال: لما توجه أبو جعفر عليه السلام لاستقبال المأمون وقد أقبل من نواحي الشام ، أمر أن يُعقد ذنب دابته وذلك في يومٍ صائف شديد الحر وطريقٍ لا يوجد فيه ماء ! فقال بعض من كان معنا: لاعهد له بركوب الدواب! فإن موضع عقد ذنب البرذون غير هذا! فما سرنا إلا يسيراً حتى وردنا أرض ماء ووحل كثير، وفسدت ثيابنا وما معنا ولم يصبه شيء من ذلك ! قال صالح: وقال لنا يوماً ونحن في ذلك الوجه: إعلموا أنكم ستصلون عن الطريق قبل المنزل الأول الذي يلقاكم الليلة ، وترجعون إليه في المنزل بعدما يذهب من الليل سبع ساعات ! فقال بعض من فينا: لاعهد له بهذه الطريق ولا يعرفه ولم يسلكه قط! قال صالح: فضللنا عن الطريق قبل المنزل الذي كان يلقانا ، وسرنا بالليل حتى تنصف وهو يسير بين أيدينا ونحن نتبعه حتى صرنا في المنزل الثاني على الطريق ، فقال أنظروا كم ساعة مضى من الليل ، فإنها سبع ساعات ! فنظرنا فإذا هي كما قال !)

وبعد مشاركته في استقبال المأمون عاد الإمام عليه السلام إلى المدينة، وكان ذلك كان سنة ٢١٦، ففي الطبري (٧/ ١٩١) أن المأمون لم يزل مقيماً فيها (أرض الروم) إلى النصف من شعبان).

وبقيت زوجة الإمام الجواد عليه السلام أم الفضل بنت المأمون مدة في المدينة فضاق صدرها
من حياتها الإيمانية! وأرسلت الى أبيها تشكو فأمرها بالصبر، ويبدو أن الجواد عليه السلام
أرسلها الى بغداد التي تحب حياة قصورها!





الفصل الرابع

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

بشر النبي صلى الله عليه وآله بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام بأسمائهم

نذكر حديثاً عجيباً عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قاله لمعاوية ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وآله نص على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام بعده وسمى خمسة منهم !

فقد روى الكافي: ١/ ٥٢٩ ، وكمال الدين: ٢٧٠ / ، والخصال: ٤٧٧ ، والإحتجاج: ١ / ٢٨٥ ، وكشف الغمة: ٢ / ٥٠٨ ، وسُليم: ٣٦٤ ، ويظهر أن زمن الحديث بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وسيطرة معاوية ، وأن معاوية كان يومها في المدينة لأنه أحضر بعض الشهود على الحديث !

واللفظ لسليم بن قيس ، قال: (حدثني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: كنت عند معاوية ومعنا الحسن والحسين ، وعنده عبد الله بن عباس ، فالتفت إليّ معاوية فقال: يا عبد الله ! ما أشد تعظيمك للحسن والحسين! وما هما بخير منك ولا أبوهما خير من أبيك، ولولا أن فاطمة بنت رسول الله لقلت: ما أمك أسماء بنت عميس بدونها ! فقلت: والله! إنك لقليل العلم بهما وبأبيهما وبأمهما ، بل والله لهما خير مني وأبوهما خير من أبي ، وأمهما خير من أمي. يا معاوية ، إنك لغافل عما سمعته أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهما وفي أبيهما وأمهما قد حفظته ووعيته ورويته.

قال: هات يا ابن جعفر فوالله ما أنت بكذاب ولا متهم . فقلت: إنه أعظم مما في نفسك !

قال: وإن كان أعظم من أحد وحرء جميعاً ، فلست أبالي إذ قتل الله صاحبك وفرق جمعكم ، وصار الأمر في أهله ، فحدثنا فما نبالي بما قلتم ولا يضرنا ما عددتم .

قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل عن هذه الآية: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، فقال: إني رأيت اثني عشر رجلاً من أئمة الضلالة يصعدون منبري وينزلون ، يردون أمتي على أدبارهم القهقري ، فيهم رجلان من حيين من قريش مختلفين ، وثلاثة من بني أمية ، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص! وسمعتة يقول: إن بني أبي العاص إذا بلغوا خمسة عشر رجلاً جعلوا كتاب الله دَخَلاً ، وعباد الله خَوَلاً ، ومال الله دِوَالاً .

يا معاوية: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر وأنا بين يديه ، وعمر بن أبي سلمة ، وأسامة بن زيد ، وسعد بن أبي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، والمقداد، والزبير بن العوام ، وهو يقول: أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَقُلْنَا: بلى يا رسول الله، قال: أليس أزواجي أمهاتكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ وَضُرِبَ بِيَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبِ عَلِيٍّ وَقَالَ: اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ.

أيها الناس: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر، وعلي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر ، ثم ابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر . ثم عاد فقال: أيها الناس إذا أنا استشهدت فعلي أولى بكم من أنفسكم ، فإذا استشهد علي فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ، فإذا استشهد الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ، فإذا استشهد الحسين فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر .

ثم أقبل على علي فقال: يا علي إنك ستدركه فاقرأه مني السلام ، فإذا استشهد فابني

محمد أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ، وستدركه أنت يا حسين فاقرأه مني السلام ، ثم يكون في عقب محمد رجال واحد بعد واحد ، وليس منهم أحد إلا وهو أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر ، كلهم هادون مهتدون !

فقام علي بن أبي طالب وهو يبكي ، فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله أتقتل ! قال: نعم أهلك شهيداً بالسم، وتقتل أنت بالسيف ، وتخضب لحيتك من دم رأسك ، ويقتل ابني الحسن بالسم، ويقتل ابني الحسين بالسيف يقتله طاغ ابن طاغ ، دعي ابن دعي ! فقال معاوية: يا ابن جعفر لقد تكلمت بعظيم ، ولئن كان ما تقول حقاً لقد هلكت أمة محمد من المهاجرين والأنصار غيركم أهل البيت وأوليائكم وأنصاركم ! فقلت: والله إن الذي قلت حقاً ، سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله !

قال معاوية: يا حسن ويا حسين ويا ابن عباس: ما يقول ابن جعفر؟ فقال ابن عباس: إن لم تؤمن بالذي قال فأرسل إلى الذين ساهم فاسأهم عن ذلك ، فأرسل معاوية إلى عمر بن أبي سلمة وإلى أسامة بن زيد فسألها ، فشهدا أن الذي قال ابن جعفر قد سمعاه من رسول الله صلى الله عليه وآله كما سمعه .

فقال معاوية: يا ابن جعفر ، قد سمعناه في الحسن والحسين وفي أبيهما ، فما سمعت في أمهما ؟ ومعاوية كالمستهزئ والمنكر! فقلت: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليس في جنة عدن منزل أشرف ولا أفضل ولا أقرب إلى عرش ربي من منزلي ، ومعني ثلاثة عشر من أهل بيتي: أخي علي ، وابنتي فاطمة ، وابنائي الحسن والحسين ، وتسعة من ولد الحسين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، هداة مهتدون ، وأنا المبلغ عن الله ، وهم المبلغون عني، وهم حجج الله على خلقه ، وشهداؤه في أرضه ، وخزانه على علمه ومعادن حكمه ، من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله ،

لا تبقى الأرض طرفة عين إلا بقاءهم ، ولا تصلح إلا بهم ، يخبرون الأمة بأمر دينهم ، حلالهم وحرامهم ، يدلونهم على رضا ربهم ، وينهونهم عن سخطه ، بأمر واحد ونهي واحد ، ليس فيهم اختلاف ولا فرقة ولا تنازع ، يأخذ آخرهم عن أولهم : إملائي وخط أخي علي بيده يتوارثونه إلى يوم القيامة ، وأهل الأرض كلهم في غمرة وغفلة وتيهة وحيرة غيرهم وغير شيعتهم وأوليائهم ، لا يحتاجون إلى أحد من الأمة في شيء من أمر دينهم ، والأمة تحتاج إليهم . هم الذين عنى الله في كتابه وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسول الله فقال : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ .

فأقبل معاوية على الحسن والحسين وابن عباس والفضل بن عباس وعمر بن أبي سلمة وأسامة بن زيد ، فقال : كلكم على ما قال ابن جعفر؟ قالوا : نَعَمْ .

قال : يا بني عبد المطلب إنكم لتدعون أمراً عظيماً ، وتحتجون بحجج قوية إن كانت حقاً ، وإنكم لتضمرون على أمر تسرونه والناس عنه في غفلة عمياء ، ولئن كان ما تقولون حقاً لقد هلكت الأمة وارتدت عن دينها ، وتركت عهد نبيها غيركم أهل البيت ومن قال بقولكم ، فأولئك في الناس قليل !

فقلت : يا معاوية ، إن الله تبارك وتعالى يقول : وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ، ويقول : وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ، ويقول : إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ، ويقول لنوح : وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ .

يا معاوية ! المؤمنون في الناس قليل ، وإن أمر بني إسرائيل أعجب حيث قالت السحرة لفرعون : فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا ، فَأَمْنُوا بِمُوسَى وَصَدَقُوهُ وَاتَّبِعُوهُ ، فسار بهم وبمن تبعه من بني إسرائيل فأقطعهم البحر وأراهم الأعاجيب ، وهم يصدقون به وبالتوراة ، يقرون له بدينه فمر بهم على قوم يعبدون

أصناماً لهم فقالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آهةً، ثم اتخذوا العجل فعكفوا عليه جميعاً غير هارون وأهل بيته، وقال لهم السامري: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَسِي. فاحتذت هذه الأمة ذلك المثل سواء، وقد كانت فضائل وسوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومنازل منه قريبة مقرين بدين محمد والقرآن حتى فارقهم نبينهم صلى الله عليه وآله، فاختلنوا وتفرقوا وتحاسدوا، وخالفوا إمامهم ووليتهم حتى لم يبق منهم على ما عاهدوا عليه نبينهم غير صاحبنا الذي هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى، ونفر قليل لقوا الله عز وجل على دينهم وإيمانهم، ورجع الآخرون القهقري على أدبارهم كما فعل أصحاب موسى عليه السلام باتخاذهم العجل وعبادتهم إياه، وزعمهم أنه ربهم، وإجماعهم عليه غير هارون وولده ونفر قليل من أهل بيته.

ونبينا صلى الله عليه وآله قد نصب لأُمَّته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خم وفي غير موطن، واحتج عليهم به وأمرهم بطاعته، وأخبرهم أنه منه بمنزلة هارون من موسى، وأنه ولي كل مؤمن بعده، وأنه كل من كان وليه فعليُّ ووليه، ومن كان أولى به من نفسه فعليُّ أولى به، وأنه خليفته فيهم ووصيه، وأن من أطاعه أطاع الله، ومن عصاه عصى الله، ومن والاه والى الله، ومن عاداه عادى الله، فأنكروه وجهلوه وتولوا غيره.

يا معاوية! أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين بعث إلى مؤتة أمر عليهم جعفر بن أبي طالب، ثم قال: إن هلك جعفر فزيد بن حارثة، فإن هلك زيد فعبد الله بن رواحة، ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم، أفكان يترك أُمَّته، لا يبين لهم خليفته فيهم؟!!

بلى، والله ما تركهم في عمياء ولا شبهة بل ركب القوم ما ركبوا بعد نبينهم وكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فهلكوا وهلك من شايعهم، وضلوا وضل من تابعهم، فبعداً للقوم الظالمين.

فقال معاوية: يا ابن عباس! إنك لتفوه بعظيم ، والاجتماع عندنا خير من الاختلاف ، وقد علمت أن الأمة لم تستقم على صاحبك !

فقال ابن عباس: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن هذه الأمة اجتمعت على أمور كثيرة ليس بينها اختلاف ولا منازعة ولا فرقة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والصلوات الخمس والزكاة المفروضة وصوم شهر رمضان وحج البيت وأشياء كثيرة من طاعة الله ، واجتمعوا على تحريم الخمر والزنا والسرقة وقطع الأرحام والكذب والخيانة وأشياء كثيرة من معاصي الله .

واختلفت في شيئين: أحدهما اقتتل عليه وتفرقت فيه وصارت فرقاً يلعن بعضها بعضاً وبراء بعضها من بعض ، والثاني لم تقتتل عليه ولم تتفرق فيه ووسع بعضهم فيه لبعض وهو كتاب الله وسنة نبيه وما يحدث ، زعمت أنه ليس في كتاب الله ولا سنة نبيه . وأما الذي اختلفت فيه وتفرقت وتبرأت بعضها من بعض فالملك والخلافة زعمت أنها أحق بهما من أهل بيت نبي الله ، فمن أخذ بما ليس فيه بين أهل القبلة اختلاف ورد علم ما اختلفوا فيه إلى الله فقد سلم ونجا من النار ، ولم يسأله الله عما أشكل عليه من الخصلتين اللتين اختلفت فيهما . ومن وفقه الله ومن عليه ونور قلبه وعرفه ولادة الأمر ومعدن العلم أين هو ، فعرف ذلك كان سعيداً ولله ولياً . وكان نبي الله صلى الله عليه وآله يقول: رحم الله عبداً قال حقاً فغنى أو سكت فسلم . فالأئمة من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومنزل الكتاب ومهبط الوحي ومختلف الملائكة ، لا تصلح إلا فيها لأن الله خصها وجعلها أهلاً في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله ، فالعلم فيهم وهم أهله ، وهو عندهم كله بحذايره: باطنه وظاهره ومحكمه ومتشابهه وناسخه

ومنسوخه .

يا معاوية ، إن عمر بن الخطاب أرسلني في إمارته إلى علي بن أبي طالب: إني أريد أن أكتب القرآن في مصحف ، فابعث إلينا ما كتبت من القرآن . فقال علي عليه السلام : تضرب والله عنقي قبل أن تصل إليه . فقلت: ولم؟ قال: لأن الله يقول: لا يمسه إلا المطهرون ، يعني لا يناله كله إلا المطهرون ، إيانا عنى ، نحن الذين أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً ، وقال: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ، فنحن الذين اصطفانا الله من عباده ، ونحن صفوة الله ، ولنا ضربت الأمثال ، وعلينا نزل الوحي .

فمن قال يا معاوية إنه ضاع من القرآن شيء فقد كذب، هو عند أهله مجموع محفوظ. ثم أمر عمر قضاة وولاته فقال: اجتهدوا رأيكم واتبعوا ما ترون أنه الحق ، فلم يزل هو وبعض وولاته وقد وقعوا في عزيمة ، فكان علي يخبرهم بما يحتج به عليهم . وكان عماله وقضاة يحكمون في شيء واحد بقضايا مختلفة فيجيزها لهم ، لأن الله لم يؤت الحكمة وفصل الخطاب .

وزعم كل صنف من أهل القبلة أنهم معدن العلم والخلافة دونهم فبالله نستعين على من جحدهم حقهم وسنّ للناس ما يحتج به مثلك عليهم ، حسبنا الله ونعم الوكيل . إنما الناس ثلاثة: مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتم بنا ، فذلك ناج نجيب لله ولي ، وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا ويستحل دماننا ويحجد حقنا ويدين بالبراءة منا ، فهذا كافر به مشرك ملعون ، ورجل آخذ بما لا يختلفون فيه ورد علم ما أشكل عليه إلى الله من ولايتنا ولم يعادنا ، فنحن نرجو له فأمره إلى الله . فلما سمع ذلك معاوية أمر للحسن والحسين بألف ألف درهم لكل واحد بخمسمائة ألف !

أقول: نصت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله على أسماء الأئمة الإثني عشر، وروى عدداً منها الخزاز

القمي تلميذ الصدوق في كتابه: كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر .
وجاء في حديث اللوح القدسي ذكر الرضا عليه السلام بقوله: (ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء
مدة موسى عبدي وحببي وخيرتي في علي وليي وناصري ، ومن أضع عليه أعباء النبوة ،
وأمتحنه بالإضطلاع بها . يقتله عفريت مستكبر ، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح
إلى جنب شر خلقي ! حق القول مني لأسرته بمحمد ابنه وخليفته من بعده) .

ولادة الإمام الرضا عليه السلام وشهادته

المعتمد عند علمائنا في ولادته وشهادته عليه السلام : أنه ولد في المدينة سنة ١٤٨ ، في الحادي
عشر من ذي القعدة ، سنة وفاة جده الإمام الصادق عليه السلام وهو قول الكليني ،
والصدوق ، والمفيد ، والشهيد الأول في الدروس .

وعاش في كنف أبيه موسى بن جعفر عليه السلام ، وعاش جهاده العلمي والعملية ،
واضطهاد هارون له ، حتى قتله هارون في بغداد سنة ١٨٣ هجرية ، فكان عمر
الكاظم عليه السلام ٥٥ سنة ، وعمر ابنه الرضا عليه السلام يومها خمساً وعشرين سنة .

وفي سنة ٢٠٠ هجرية أرسل المأمون قوة عسكرية لإحضار الرضا الى طوس .
أما شهادته عليه السلام فكانت في طوس سنة ٢٠٣ هجرية ، والمشهور أنها كانت في صفر سنة ٢٠٣ ،
لكن الصحيح أنها كانت في شهر رمضان سنة ٢٠٣ ، لأن المأمون قتله بعد أن قتل الفضل بن
سهل في شعبان ، والتجأ المأمون الى الإمام الرضا عليه السلام ليفرق جماعة الفضل الذين تجمعوا عند
قصره لقتله ، فركب الإمام عليه السلام وفرقهم !

وقد أجمع المؤرخون على أن قتل الفضل كان في شعبان سنة ٢٠٣ ، فلا يصح أن الإمام
الرضا عليه السلام توفي في صفر لأنه كان موجوداً لما قتل الفضل في شعبان !؟

لذلك يتعين قول الصدوق عليه السلام (العيون: ٢/ ٢٧٤) قال: (والصحيح أنه توفي في شهر رمضان

لتسع بقين منه يوم الجمعة سنة ثلاث ومأتين من هجرة النبي صلى الله عليه وآله .
فيكون مدة ولاية العهد سنتين كاملتين من رمضان ٢٠١ - إلى رمضان ٢٠٣ .

كلام الشيخ المفيد في شهادة الإمام الرضا عليه السلام

قال المفيد في الإرشاد (٢/ ٢٧٠): (وذكر عن أبي الصلت الهروي أنه قال: دخلت على الرضا عليه السلام وقد خرج المأمون من عنده ، فقال لي: يا أبا الصلت قد فعلوها وجعل يوحد الله ويمجده .. ولما توفي الرضا عليه السلام كتم المأمون موته يوماً وليلة ، ثم أنفذ إلى محمد بن جعفر الصادق وجماعة من آل أبي طالب الذين كانوا عنده ، فلما حضروه نعاه إليهم وبكى وأظهر حزناً شديداً وتوجعاً ، وأراهم إياه صحيح الجسد ، وقال: يعز عليّ يا أخي أن أراك في هذه الحال ، قد كنت أمل أن أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد ، ثم أمر بغسله وتكفينه وتحنيطه وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى إلى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن فدفنه . والموضع دار حميد بن قحطبة في قرية يقال لها سناباد بأرض طوس ، وفيها قبر هارون الرشيد ، وقبر أبي الحسن عليه السلام بين يديه في قبلته .

ومضى الرضا علي بن موسى عليه السلام ولم يترك ولداً نعلمه إلا ابنه الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ، وكانت سنه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهرًا).

وقال اليعقوبي (٢/ ٤٥٣) (حدثني أبو الحسن بن أبي عباد قال: رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضا عليه السلام ، حاسراً في مبطنة بيضاء ، وهوين قائمتي النعش يقول: إلى من أروح بعدك يا أبا الحسن ، وأقام عند قبره ثلاثة أيام ، يؤتى في كل يوم برغيف وملح فيأكله ، ثم انصرف في اليوم الرابع).

أقول: مبالغة المأمون في إظهار الجزع تمثيل من عفریت ، ليعبد عن نفسه تهمة قتل الإمام عليه السلام . وكان عمر الإمام عليه السلام يومها خمساً وخمسين سنة .

كان اسمه الرضا قبل ولاية العهد

في عيون أخبار الرضا (٣٣/١): (عن البنزطي قال قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام: إن قوماً من مخالفيكم يزعمون أن أباك إنما سماه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده؟ فقال عليه السلام: كذبوا والله وفجروا! بل الله تبارك وتعالى سماه بالرضا عليه السلام لأنه كان رضاً لله عز وجل في سمائه ورضاً لرسوله والأئمة بعده صلوات الله عليهم في أرضه. قال فقلت له: ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين رضاً لله عز وجل ورسوله والأئمة بعده عليه السلام؟ فقال بلى، فقلت: فلم سمي أبوك من بينهم الرضا؟ قال: لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليه السلام فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه السلام.

وروى عن سليمان بن حفص المروزي قال: كان موسى جعفر ليسمي ولده علياً الرضا وكان يقول: أدعوا لي ولدي الرضا، وقلت لولدي الرضا وقال لي ولدي الرضا. وإذا خاطبه قال يا أبا الحسن).

مع أبيه الإمام الكاظم عليه السلام في ثورة فخر

١- بعد ثورة الحسين بن المنصور الدوانيقي إبادة بني علي عليه السلام وكان يقول: (قتلت ألفاً من ذرية فاطمة وبقي سيدهم وإمامهم)! (عيون المعجزات / ١٣٩).

« عن محمد الإسكندري قال: دخلت يوماً على أبي جعفر الدوانيقي وإذا هو يفرك يديه ويتنفس تنفساً بارداً فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه الفكرة؟ فقال: يا محمد إني قتلت من ذرية فاطمة بنت رسول الله ألفاً أو يزيدون وقد تركت سيدهم! فقلت له: ومن ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذلك جعفر بن محمد! (دلائل الإمامة/ ٢٩٨، ومهج الدعوات/ ١٨، وعيون المعجزات / ٨٠).

وقال الطبري (٦/٣٤٤): (لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن ، وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأيمان لا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحداً إلا المهدي ولا هي إلا أن يصح عندما موته فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معها ثالث حتى يفتحا الخزانة ، فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته ، فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة فإذا أزج (زاوية مثلث) كبير فيه جماعة من قتلاه الطالبين وفي آذانهم رقاغ فيها أنسابهم وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها)!

٢- لم يطع المهدي وصية أبيه المنصور الدوانيقي ، لكن ابنه موسى الهادي بن المهدي تبنى سياسة جده ، وباشر بإبادة أبناء علي وفاطمة عليهما السلام !

وقرر العلويون مواجهة هذه السياسة، فكانت ثورة الحسين بن علي في منطقة فنج ، وهو مكان في مكة يعرف بوادي الزاهرية (معجم البلدان: ٤/٢٣٧).

وفي مقاتل الطالبين/ ٢٩٤: « كان سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أن موسى الهادي ولّى المدينة إسحاق بن عيسى بن علي ، فاستخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبد الله ، فحمل علي الطالبين وأساء إليهم... فاجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد علي وعشرة من الحاج ونفر من الموالي ، فلما أذن المؤذن للصبح دخلوا المسجد ثم نادوا: أحدٌ أحد ، وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس النبي صلى الله عليه وآله عند موضع الجنائز

فقال للمؤذن: أذن بحمي على خير العمل، فلما نظر إلى السيف في يده أذن بها وسمعه العُمري (الوالي) فدهش وصاح: إغلقوا البغلة وأطعموني حبتي ماء! قال علي بن إبراهيم في حديثه: فولده إلى الآن بالمدينة يعرفون ببني حبتي ماء!»!

قال اليعقوبي (٢/٤٠٤): « فلما اشتد خوفهم وكثر من يطلبهم ويحث عليهم عزم الشيعة وغيرهم إلى الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي ، وكان له مذهب جميل وكمال ومجد وقالوا له: أنت رجل أهل بيتك ، وقد ترى ما أنت وأهلك وشيعتك فيه من الخوف والمكروه ، فقال: وإني وأهل بيتي لانجد ناصرين فنتصر، فبايعه خلق كثير ممن حضر الموسم ، فقال لهم: إن الشعار بيننا أن ينادي رجل: من رأى الجمل الأحمر ، فما وافاه إلا أقل من خمس مائة ، وكان ذلك في سنة ١٦٩ بعد انقضاء الموسم فلقبه سليمان بن أبي جعفر والعباس بن محمد بن علي وموسى بن عيسى (قادة عسكريون) بفخ فانهمز ومن كان معه وافترقوا ، وقتل الحسين بن علي وجماعة من أهله ، وهرب خاله إدريس بن عبد الله بن الحسن فصار إلى المغرب ، فغلب على ناحية تتاخم الأندلس يقال لها فاس ، فاجتمعت عليه كلمة أهلها).

وفي مقاتل الطالبين/٣٠١: (قال أحمد بن الحرث: حدثني يزيد بن عبد الله الفارسي ، قال: كان حماد التركي ممن حضر وقعة فخ ، فقال للقوم: أروني حسيناً ، فأروه إياه ، فرماه بسهم فقتله فوهب له محمد بن سليمان مائة ألف درهم ، ومائة ثوب).

٣- لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخ واحتوى على المدينة ، دعا موسى بن جعفر إلى البيعة فأتاه فقال له: يا ابن العم لا تكلفني ما كلف ابن عمك عمك أبا عبد الله فيخرج مني ما لا أريد . فقال له الحسين إنما عرضت عليك أمراً فإن أردته دخلت فيه وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان . ثم ودعه فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر

حين ودعه: يا ابن عم إنك مقتول فأحد الضراب فإن القوم فساق يظهرن إيماناً ويسترون شركاً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، احتسبكم عند الله من عصبية . ثم خرج الحسين وكان من أمره ما كان ، قتلوا كلهم كما قال عليه السلام . (الكافي/١/٣٦٦).

وقد قال علماءنا بشرية ثورته التي كان هدفها إيقاف خطة إبادة العلويين !
ففي مقاتل الطالبين/ ٣٠٤: أن صاحب فخ عليه السلام قال: « ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر ، فأمرنا بالخروج ».

وفي مقاتل الطالبين/ ٣٠٢: « جاء الجند بالرؤس إلى موسى والعباس ، وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين ، فلم يتكلم أحد منهم بشيء إلا موسى بن جعفر فقال له: هذا رأس الحسين! قال: نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، مضى والله مسلماً ، صالحاً ، صواماً ، قواماً ، أمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ما كان في أهل بيته مثله ! فلم يجيبوه بشيء » .

٤ . وقد قرر موسى الهادي قتل الإمام الكاظم عليه السلام . ففي مناقب آل أبي طالب (٣/٤٢٣) عن علي بن يقطين أن موسى الهادي ذكر موسى بن جعفر وحلف بالله ليقته ، فتكلم فيه القاضي أبو يوسف حتى سكن غضبه . وأنهى الخبر إلى الإمام عليه السلام وعنده جماعة من أهل بيته فقال لهم: ما تشيرون؟ قالوا: نشير عليك بالإبتعاد عن هذا الرجل وأن تغيب شخصك عنه فإنه لا يؤمن شره ، فتبسم أبو الحسن ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي كم من عدو شحذ لي ظبة مديته ، وأرهب لي شبا حده ، ودفع لي قواتل سموه ، ولم تنم عني عين حراسته، فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفوادم ، وعجزني عن ملهات الجوائح، صرفت ذلك بحولك وقوتك.. وهو المعروف بدعاء الجوشن .
ورواه في مهج الدعوات/ ٢١٧ ، بتفصيل ، وفيه: « فقال: ليفرج روعكم ، إنه لا يرد أول

كتاب من العراق إلا بموت موسى بن مهدي وهلاكه ! فقالوا وما ذاك أصلحك الله؟ فقال: قد وحرمة هذا القبرمات في يومه هذا ! والله إنه لحق مثلما أنكم تنطقون! سأخبركم بذلك: بينما أنا جالس في مصلاي بعد فراغي من وردي وقد تنومت عيني، إذ سنع لي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه موسى بن المهدي، وذكرت ما جرى منه في أهل بيته ، وأنا مشفق من غوائله ، فقال لي: لتطب نفسك يا موسى فما جعل الله لموسى عليك سبيلاً ! فبينما هو يحدثني إذ أخذ بيدي وقال لي: قد أهلك الله أنفأ عدوك، فلتحسن لله شكرك! قال ثم استقبل أبو الحسن القبلة ورفع يديه إلى السماء يدعو ! فقال أبو الوضاح: فحدثني أبي قال كان جماعة من خاصة أبي الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح ابنوس لطاف وأميال ، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة أو أفتى في نازلة ، أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك ، قال فسمعناه وهو يقول في دعائه: شكراً لله جلت عظمته . ثم أورد دعاء الجوشن الذي دعا به ..).

أقول: كان الرضا عليه السلام الى جانب أبيه أيام ثورة فخر ، وكان عمره نحو الثلاثين.

الإمام الرضا عليه السلام في زمن هارون

في إثبات الوصية للمسعودي/٣٠٦ ، بسند صحيح: (قال ابن دراج: كنا عند غسان القاضي فدخل إليه رجل من أهل خراسان عظيم القدر من أصحاب الحديث فأعظمه ورفع وحادثه فقال الرجل: سمعت هارون الرشيد يقول: أخرجن العام إلى مكة ولاخذن علي بن موسى ولأوردنه حياض أبيه! فقلت: ما شيء أفضل من أتقرب إلى الله عز وجل وإلى رسوله فأخرج إلى هذا الرجل فأنذره، فخرجت إلى مكة ودخلت على الرضا عليه السلام فأخبرته بما قال هارون ، فجزاني خيراً ، ثم قال: ليس علي منه بأس . أنا

وهارون كهاتين وأومى بإصبعه ! إن الله عز وجل خلق بلاداً تنبت بالذهب ، وقد حماها بأضعف خلقه بالنمل ، فلو أرادت الفيلة ما وصلت إليها !

عن صفوان بن يحيى: لما مضى أبو إبراهيم وتكلم أبو الحسن الرضا عليه السلام وكشف وجهه عما يستفتونه فيه ، خفنا عليه فقبل له قد أظهرت أمراً عظيماً ، وإننا نخاف عليك هذا الغوي الطاغية . فقال: ليجهد جهده فلا سبيل له علي . وأخبرنا الثقة أن يحيى بن خالد قال لهارون: هذا علي بن موسى قد قعد وادعى الأمر لنفسه! فقال: ما يكفينا ما صنعنا بأبيه ، أتريدون أن أقتلهم كلهم!

في الكافي (٢٥٧/٨): (عن محمد بن سنان قال: قلت: لأبي الحسن الرضا عليه السلام في أيام هارون: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر وجلست مجلس أبيك وسيف هارون يقطر الدم! فقال جرأني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة فاشهدوا أنني لست بنبي! وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أنني لست بإمام).

في الثاقب في المناقب/٤٩٢: (عن أبي الحسن الطيب قال: لما توفي أبو الحسن موسى عليه السلام دخل أبو الحسن الرضا عليه السلام السوق فاشترى كلباً وديكاً وكبشاً ، فلما كتب صاحب الخبر بذلك إلى هارون الرشيد قال: أمنأً جانبه . وكتب إليه الزبيري: إن علي بن موسى الرضا قد فتح بابه ودعا إلى نفسه . فقال هارون الرشيد: وا عجباه ، إن علي بن موسى قد اشترى كلباً وديكاً وكبشاً ويكتب فيه ما يكتب . فقال المصنف لهذا الكتاب عليه السلام: إن هذا أمر عجيب حيث علم عليه السلام أنه إن فعل ذلك لم يجد إلى قتله سبيلاً).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/٢٣٣) عن حمزة بن جعفر الأرجاني قال: خرج هارون من المسجد الحرام من باب وخرج الرضا من باب ، فقال الرضا عليه السلام وهو يعتبر لهارون:

ما أبعد الدار وأقرب اللقا بطوس؟ يا طوس يا طوس ستجمعني وإياه !
فقال له ابن أبي حمزة: فإننا روينا أن الإمام لا يمضي حتى يرى عقبه، فقال له الرضا عليه السلام:
أما رويتم في هذا الحديث بعينه إلا القائم قالوا: لا، قال الرضا ، بل قد رويتموه وأنتم
لا تدرون لم قيل ولا ما معناه ، قال ابن أبي حمزة إن هذا لفي الحديث فقال له الرضا:
ويحك تجرأت على أن تحتج علي بشيء تدمج بعضه بعضاً !
ثم قال عليه السلام: إن الله تعالى سيريني عقبني إن شاء الله ، ثم قال لعلي بن أبي حمزة: يا شيخ
إتق الله تعالى ولا تكن من الصدادين عن دين الله).

في أيام سجن أبيه ببغداد

قال في الخرائج (١/ ٣٧١): (روى مسافر قال: أمر أبو إبراهيم عليه السلام حين أخرج به أبا الحسن
أن ينام على بابه في كل ليلة أبداً ما دام حياً إلى أن يأتيه خبره قال: فكنا نفرش في كل
ليلة لأبي الحسن في الدهليز ثم يأتي بعد العشاء الآخرة فينام ، فإذا أصبح انصرف إلى
منزله ، وكنا ربما خبأنا الشيء منه مما يؤكل فيجيب ويخرجه ويعلمنا أنه علم به ، ما كان
ينبغي أن يخبأ منه . فلما كان ليلة أبطأ عنا واستوحش العيال وذعروا ، ودخلنا من
ذلك مدخل عظيم ، فلما كان من الغد أتى الدار ودخل على العيال ، وقصد إلى أم
أحمد وقال لها: هاتي الذي أودعك أبي! فصرخت ولطمت وشقت وقالت: مات
سيدي فكفها وقال: لا تتكلمي حتى يجيء الخبر فدفعت إليه سفظاً).

في الحج مع أبيه الكاظم

في قرب الإسناد/ ٢٩٩، عن علي بن جعفر قال: (خرجنا مع أخي موسى عليه السلام في أربع عمر يمشي فيها إلى مكة بعياله وأهله، واحدة منهن مشى فيها ستة وعشرين يوماً ، وأخرى خمسة وعشرين يوماً ، وأخرى أربعة وعشرين يوماً ، وأخرى أحد وعشرين يوماً). وفي الخرائج (١/ ٣٦٨): (عن الفضل بن يونس قال: خرجنا نريد مكة فنزلنا المدينة وبها هارون الرشيد يريد الحج فأتاني الرضا وعندي قوم من أصحابنا وقد حضر الغداء فدخل الغلام فقال: بالباب رجل يكنى أبا الحسن يستأذن عليك ، فقلت: إن كان الذي أعرف فأنت حر فخرجت فإذا أنا بالرضا عليه السلام فقلت: إنزل فتزل ودخل .

ثم قال عليه السلام بعد الطعام: يا فضل إن هارون كتب للحسين بن زيد بعشرة آلاف دينار، وكتب بها إليك فادفعها إلى الحسين ، قال قلت: الله ما لهم عندي قليل ولا كثير فإن أخرجتها عندي ذهبت ، فإن كان لك في ذلك رأي ففعلت ، فقال: يا فضل إُدفعها إليه فإنه سيرجع إليك قبل أن تصير إلى منزلك ، فدفعتها إليه قال: فرجعت إليّ كما قال).

في الحج بعد أبيه

١- في بصائر الدرجات/ ٢٧٢: (حدثنا موسى بن عمر عن أحمد بن عمر الحلال قال سمعت الأخرس بمكة يذكر الرضا عليه السلام فقال منه قال: فدخلت مكة فاشتريت سكنياً فرأيت فقلت والله لأقتلنه إذا خرج من المسجد ! فأقمت على ذلك فما شعرت إلا برقعة أبي الحسن عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم . بحقي عليك لما كفت عن الأخرس ، فإن الله ثقتي وهو حسبي).

٢. في الثاقب في المناقب/ ٢٠٠: (قال محمد بن ميمون: كنت مع الرضا عليه السلام بمكة قبل خروجه إلى خراسان ، فقلت له: إني أريد أن أقدم إلى المدينة ، فأكتب لي كتاباً إلى أبي

جعفر صلوات الله عليه ، فتبسم فكتب وصرت إلى المدينة وقد كان ذهب بصري ، فأخرج الخادم أبا جعفر إلينا فحمله في المهد وناوله الكتاب ، فقال لموفق الخادم: فضه وانشره ففضه ونشره بين يديه ، ونظر فيه ثم قال: يا محمد ما أصاب بصرك ؟ فقلت: يا ابن رسول الله ، اعتلت عيناى ، فذهب بصري كما ترى ! قال: فمد يده فمسح بها على عيني فعاد إليَّ بصري كأصح ما كان ، فقبلت يده ورجله ، وانصرفت من عنده وأنا بصير) .

٣. في دلائل الإمامة/ ٣٦٤: (حدثنا عمارة بن زيد قال: صحبت علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى مكة ومعى غلام لي ، فاعتل في الطريق ، فاشتهدى العنب ونحن في مفازة . فوجه إليَّ الرضا عليه السلام فقال: إن غلامك اشتهدى العنب . فنظرت وإذا أنا بكرم لم أر أحسن منه ، وأشجار رمان ، فقطعت عنباً ورماناً وأتيت به الغلام ، فتزودنا منه إلى مكة وأرجعت منه إلى بغداد، فحدثت الليث بن سعد وإبراهيم ابن سعد الجوهري ، فأتيا الرضا عليه السلام فأخبراه فقال لهما الرضا عليه السلام : وما هي ببعيد منكما ، ها هو ذا ! فإذا هم بيستان فيه من كل نوع فأكلنا وادخرنا) .

كان زكريا بن آدم زميله في الحج

في دلائل الإمامة/ ٣٦٤ بسند صحيح: (عن علي بن المسيب الهمداني قال قلت للرضا عليه السلام : شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت فممن آخذ عنه معالم ديني؟ قال: من زكريا بن آدم المأمون على الدين و الدنيا . وحج الرضا عليه السلام سنة من المدينة وكان زكريا بن آدم زميله إلى مكة) .

بشارته بالإمام الجواد عليه السلام ونصه على إمامته

في الكافي (١/٣٢١) (عن معمر بن خلاد قال: ذكرنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام شيئاً بعدما ولد له أبو جعفر عليه السلام فقال ما حاجتكم إلى ذلك، هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيرته في مكاني . وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا ، القذة بالقذة .

عن كليم بن عمران قال قلت للرضا عليه السلام : أدع الله أن يزرقك ولداً ، فقال: إنما أرزق ولداً واحداً وهو يرثني ، فلما ولد أبو جعفر قال الرضا عليه السلام لأصحابه: قد ولد لي شبيه موسى بن عمران فالق البحار ، وشبيه عيسى بن مريم . قُدِّست أمٌ ولدته ، قد خلقت طاهرة مطهرة . ثم قال الرضا عليه السلام : يقتل غضباً فيبكي له وعليه أهل السماء ، ويغضب الله على عدوه وظالمه فلا يلبث إلا يسيراً حتى يعجل الله به إلى عذابه الأليم وعقابه الشديد . وكان طول ليلته يناغيه في مهده).

إخباره عن نكبة البرامكة

روى الكليني في الكافي (١/٤٨٨) أن الإمام الرضا عليه السلام خرج من المدينة في السنة التي حج فيها هارون يريد الحج ، فانتهى إلى جبل عن يسار الطريق يقال له فارغ ، فنظر إليه أبو الحسن عليه السلام ثم قال: باني فارغ وهادمه يقطع إرباً إرباً ، فلم ندر ما معنى ذلك ، فلما بلغ هارون ذلك الموضع نزله وصعد يحيى بن جعفر الجبل ، وأمر أن يبني له فيه مجلساً ، فلما رجع من مكة صعد إليه وأمر بهدمه ، فلما انصرف إلى العراق ، قُطِّع جعفر بن يحيى إرباً إرباً!

وروى بسند صحيح عن محمد بن الفضيل قال: (لما كان في السنة التي بطش فيها هارون بجعفر بن يحيى ، وحبس يحيى بن خالد وابنه الفضل ، ونزل بالبرامكة النوازل ، كان الرضا عليه السلام واقفاً بعرفات يدعو ثم طأطأ برأسه حتى كادت جبهته تصيب قادمة

الرحل ، ثم رفع رأسه فسئل عن ذلك، فقال: إني كنت أدعو على هؤلاء القوم يعنى البرامكة، منذ أن فعلوا ما فعلوا فاستجاب الله لي اليوم ، فلما انصرفنا لم نلبث إلا أياماً حتى ورد الخبر بالبطش بجعفر وقتله وحبس أبيه وأخيه ، وتغيرت أحوالهم فلم يجبر الله لهم كسراً ، ولا عادت لهم حال ، ولا لعقبهم إلى يوم القيامة .

وفي مناقب آل أبي طالب (٣/ ٤٥١): (عن مسافر قال: كنت عند الرضا عليه السلام بمنى فمر يحيى بن خالد فغطى أنفه من الغبار فقال: مساكين لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة ، ثم قال: وأعجب من هذا هارون وأنا كهاتين وضم إصبعيه)!

وخلاصة نكبة البرامكة من مروج الذهب (٣/ ٣٧٩):

(أمر الرشيد من ساعته ياسراً خادمه المعروف برحلة فقال له: إني أندبك لأمر ما أرى محمداً ولا القاسم له أهلاً ولا موضعاً ورأيتك به مستقلاً ناهضاً فحقق ظني ، واحذر أن تخالف أمري فيكون ذلك سبباً لسقوط منزلتك عندي وفساد حالك لدي . فقال: يا أمير المؤمنين ، لو أمرتني أن أدخل السيف في بطني وأخرجه من ظهري بين يديك لفعلت، فمُرني بأمرك فإني والله مسرع، فقال: أأست تعرف جعفر بن يحيى البرمكي؟ قال: يا أمير المؤمنين وهل أعرف سواه ، أو يُنكر مثل جعفر؟ قال: ألم تر تشيعي إياه عند خروجه؟ قال: بلى ، قال: فامض الساعة اليه فأتني برأسه على أي حالة تجده عليها ، فأرتج على ياسر الكلام وأخذته رعدة ووقف لا يحير جواباً ، فقال: يا ياسر ، ألم أتقدم إليك بترك الخلاف عليّ؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين ولكن الخطب أجلُّ من ذلك ، والأمر الذي ندبني اليه أمير المؤمنين وددت لو أني كنت مت قبل أن يجري على يدي منه شيء، فقال: دع عنك هذا وامض لما قد أمرتك ، فمضى ياسر حتى دخل على جعفر وهو على حال لهو فقال له: إن أمير المؤمنين قد أمرني فيك بكيك وكيك ، فقال

جعفر: إن أمير المؤمنين يمازحني بأصناف من المزاح فأحسب أن هذا جنس منه ، فقال: والله ما رأيته إلا جاداً قال: فإن يكن الأمر كما قلت فهو إذاً سكران ، قال: لا والله ما افتقدت من عقله شيئاً، ولا ظننته شرب نبيذاً في يومه مع ما رأيت من عبادته ، قال له: فإن لي عليك حقوقاً لم تجدها مكافأة في وقت من الأوقات إلا هذا الوقت ، قال: تجديني الى ذلك سريعاً إلا فيما خالف أمير المؤمنين، قال: فارجع اليه فأعلمه أنك قد نفذت ما أمرك به فإن أصبح نادماً كانت حياتي على يديك جارية ، وكانت لك عندي نعمة مجددة وإن أصبح على مثل هذا الرأي نفذت ما أمرت به في غد ، قال: ليس الى ذلك سبيل، قال: فأصير معك الى مضرب أمير المؤمنين حتى أفب بحيث أسمع كلامه ومراجعته إياك ، فإذا أبدت عذراً ولم يقنع إلا بمصيرك اليه برأسي خرجت فأخذت رأسي من قرب ، قال له: أما هذا فنعم ، فمضيا جميعاً الى مضرب الرشيد فدخل اليه ياسر فقال: قد أخذت رأسه يا أمير المؤمنين ، وها هو ذا بالحضرة ، فقال له: ائتني به وإلا والله قتلتك قبله ، فخرج فقال له: أسمعت الكلام؟ قال: فشأنك وما أمرت به ، فأخرج جعفر من كفه منديلاً صغيراً فعصب به عينيه ومد رقبتة فضر بها ياسر وأدخل رأسه الى الرشيد ، فلما رأى الرأس بين يديه أقبل عليه ، وجعل يذكره بذنوبه ، ثم قال: يا ياسر ائتني بفلان وفلان، فلما أتى بهم قال لهم: أضربوا عنق ياسر فإنني لا أقدر أن أنظر الى قاتل جعفر!

وقال الأصمعي: وجه اليّ الرشيد في تلك الليلة ، فلما أدخلت اليه قال: يا أصمعي، قد قلت شعراً فاسمعه قلت: نعم يا أمير المؤمنين فأنشد:

لَوَانَ جَعْفَرُ هَابَ أَسْبَابَ الرَّدَى	لَنَجَا بِمَهْجَتِهِ طِمْرٌ مُلْجَمٌ
وَلَكَانَ مِنْ حَذَرِ الْمُنُونِ بَحِيثٌ لَا	يَسْمُو إِلَيْهِ بِهِ الْعُقَابُ الْقَشَعُمُ
لَكِنَّهُ لَمَّا تَقَارَبَ وَقْتَهُ	لَمْ يَدْفَعِ الْحَدَثَانَ عَنْهُ مُنْجِمُ

قال الأصمعي: ورجعت الى منزلي فلم أصر اليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر، وأصيب على باب قصر علي بن عيسى بن ماهان بخراسان في صبيحة الليلة التي قتل فيها جعفر وأوقع بالبرامكة مكتوب بقلم جليل: إن المساكين بنو برمك صبت عليهم غير الدهر! إن لنا في أمرهم عبرة فليعتبر ساكنُ ذا القصر مدة سلطان البرامكة .

قال المسعودي: وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة من استخلاف هارون الرشيد إلى أن قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً ، وقدر رثتهم الشعراء بمراث كثيرة ..).

وحكت رواية الطبري (٦/٤٩١) بطش هارون بالبرامكة بعد أربع سنوات من شهادة الإمام الكاظم عليه السلام برواية مسرور خادم هارون، قال: « أرسلني الرشيد لآتيه بجعفر بن يحيى لما أراد قتله ، فأتيته وعنده أبو زكار الأعمى المغني وهو يغنيه.. قال فقلت له: أجب أمير المؤمنين قال فرفع يديه ووقع على رجليّ يقبلهما وقال: حتى أدخل فأوصي! قلت: أما الدخول فلا سبيل إليه ولكن أوص بما شئت، فتقدم في وصيته بما أراد وأعتق مماليكه ، ثم أتتني رسل أمير المؤمنين تستحثني به ، قال: فمضيت به إليه فأعلمته فقال لي وهو في فراشه: إئتني برأسه فأتيت جعفرأ فأخبرته فقال: يا أبا هاشم الله الله ، والله ما أمرك بما أمرك به إلا وهو سكران، فدافع بأمرى حتى أصبح وأمره فيّ ثانية ، فعدت لأؤمره فلما سمع حسي قال: يا ماص بظر أمه إئتني برأس جعفر! فعدت إلى جعفر فأخبرته فقال: عاوده فيّ الثالثة فأتيته فحذفني بعمود ثم قال: نفيت من المهدي إن أنت جئتني ولم تأتني برأسه لأرسلن إليك من يأتيني برأسك أولاً ثم برأسه آخرأ!

قال: فخرجت فأتيته برأسه !

قال وأمر الرشيد في تلك الليلة بمن أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن

كان منهم بسبيل ، فلم يفلت منهم أحد كان حاضراً ، وحول الفضل بن يحيى ليلاً فحبس في ناحية من منازل الرشيد ، وحبس يحيى بن خالد في منزله ، وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها ، ووجه من ليلته رجاء الخادم إلى الرقة في قبض أموالهم وما كان لهم وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم ، وولاه أمورهم ، وفرق الكتب من ليلته إلى جميع العمال في نواحي البلدان والأعمال بقبض أموالهم وأخذ وكلائهم ! فلما أصبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفثاني وهرثمة بن أعين وإبراهيم بن حميد المرورودي ، وأتبعهم عدة من خدمه وثقاته منهم مسرور الخادم ، إلى منزل جعفر بن يحيى وإبراهيم بن حميد . وحسين الخادم إلى منزل الفضل بن يحيى ويحيى بن عبد الرحمن . ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد بن يحيى . وجعل معه هرثمة بن أعين ، وأمر بقبض جميع ما لهم !

وكتب إلى السندي الحرشي بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السلام ، ونصب رأسه على الجسر الأوسط ، وقطع جثته وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل ففعل السندي ذلك ، وأمضى الخدم ما كانوا وجهوا فيه ، وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصغر إلى الرشيد فأمر بإطلاقهم .

وأمر بالنداء في جميع البرامكة: ألا أمان لمن آواهم ، إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه ، فإنه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له .

وفي الأخبار الطوال/ ٣٩١ ، أن هارون أمر « بخشبة جعفر بن يحيى أن تحرق »!

وبذلك أنهى صلب جثة جعفر البرمكي بعد سنة !

وروى في تاريخ بغداد(٧/١٦٨) الحالة التي وصلت إليها والدة جعفر البرمكي ، التي

خرجت من سجن هارون لما مات . قال والي الكوفة: « دخلتُ عليَّ أُمي في يوم عيد أضحى وعندها امرأة برزة في أثواب دنسة رثة فقالت لي: أتعرف هذه ؟ قلت لا، قالت: هذه عبادة أم جعفر بن يحيى، فسلمت عليها ورحبت بها وقلت لها: يا فلانة حدثيني ببعض أمركم . قالت أذكر لك جملة كافية فيها اعتبار لمن اعتبر وموعظة لمن فكر: لقد هجم عليَّ مثل هذا العيد وعلى رأسي أربع مائة وصيفة وأنا أزعم أن جعفرًا ابني عاقُّ بي! وقد أتيتكم في هذا اليوم والذي يقنعني جلدا شاتين أجعل أحدهما شعاراً والآخر دثاراً! »

أخبر الإمام عليه السلام أن قبره سيكون جنب قبر هارون!

في عيون أخبار الرضا (٢/٢٤٨): (عن الهروي قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إني سأقتل بالسلم مظلوماً وأقبر إلى جنب هارون ، ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبتي فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة .

والذي أكرم محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة واصطفاه على جميع الخليقة لا يصلي أحد منكم عند قبري ركعتين إلا استحق المغفرة من الله عز وجل يوم يلقاه ..).

وفي عيون أخبار الرضا (٢/١٤٧): (فبلغ قرب قرية الحمراء قيل له: يا ابن رسول الله قد زالت الشمس أفلا تصلي؟ فنزل عليه السلام فقال: إئتوني بهاء فقيل ما معنا ماء ، فبحث بيده الأرض فنبع من الماء ماء توضأ به ، هو ومن معه!

فلما دخل سناباد استند إلى الجبل الذي تنحت منه القدور فقال: اللهم انفع به وبارك فيما يجعل فيه ، وفيما ينحت منه ، ثم أمر فنحت له قدور من الجبل وقال: لا يطبخ ما أكله إلا فيها ، وكان عليه السلام خفيف الأكل قليل الطعم ، فاهتدى الناس إليه من ذلك اليوم ، فظهرت بركة دعائه فيه ، ثم دخل دارحميد بن قحطبة الطائي ودخل القبة التي

فيها قبرهارون الرشيد ، ثم خط بيده إلى جانبه ثم قال: هذه تربتي وفيها أدفن وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي . والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلم علي منهم مسلم ، إلا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت .
ثم استقبل القبلة فصلى ركعات ودعا بدعوات ، فلما فرغ سجد سجدة طال مكثه فيها فأحصيت فيها خمس مائة تسيحه ثم انصرف .

ولما أنشد دعبل قصيدته الخالدة للإمام الرضا عليه السلام (العيون: ١٤٧/٢):

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
فلما انتهى إلى قوله:

وقبر بعداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بها تمام قصيدتك؟

فقال: بلى يا ابن رسول الله ، فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد في الأحشاء بالخرقات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهم والكربات
فقال دعبل: يا ابن رسول الله هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: قبري ،
ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري. ألا فمن زارني في
غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له .

وقال دعبل مخاطباً طوساً (العيون: ٢٤٨/٢):

حويت قبرين خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر

من أخلاق الإمام الرضا عليه السلام وعبادته

عقد الصدوق رحمته الله في العيون (٢/١٩٢) باباً: في ذكر أخلاقه الكريمة عليه السلام روى فيه سبعة أحاديث ، أهمها حديث رجاء بن أبي الضحاك .

١ . عن أبي عباد: كان جلوس الرضا عليه السلام في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح . ولبسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزين لهم .

٢ . الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي عن جارية كانت في بيت الرضا قالت: وهبني المأمون للرضا عليه السلام فلما صرت في داره فقدت جميع ما كنت فيه من النعيم وكانت علينا قيمة تنبها من الليل وتأخذنا بالصلاة وكان ذلك من أشد شئ علينا فكنت أتمنى الخروج من داره إلى أن وهبني لجدك عبد الله بن العباس ، فلما صرت إلى منزله كنت كأني قد أدخلت الجنة ، وكانت تسأل عن أمر الرضا عليه السلام كثيراً فتقول: كنت أراه يتبخر بالعود الهندي السني ويستعمل بعده ماء ورد ومسكاً ، وكان إذا صلى الغداة وكان يصلحها في أول وقت يسجد فلا يرفع رأسه إلى أن ترتفع الشمس ، ثم يقوم فيجلس للناس أو يركب ، ولم يكن أحد يقدر أن يرفع صوته في داره ، ما كان إنما يتكلم الناس قليلاً قليلاً).

٣ . عن إبراهيم بن العباس قال: ما رأيت الرضا عليه السلام يسأل عن شئ قط إلا علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول إلى وقته وعصره ، والمأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شئ فيجيب فيه ، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن ، وكان يختمه في كل ثلاثة .

٤ . عن إبراهيم بن العباس ، قال: ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفى أحداً بكلمة قط ، ولا رأيت قط على أحد كلامه حتى يفرغ منه ، وما رد أحداً عن حاجة يقدر عليها ،

ولا مدرجه بين يدي جليس له قط ، ولا اتكأ بين يدي جليس قط ، ولا رأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط ، ولا رأيته تغل ، ولا رأيته يقهقه في ضحكة قط بل كان ضحكه التبسم ، وإذا خلى ونصب مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه ومواليه حتى البواب والسائس .

وكان قليل النوم بالليل كثير السهر ، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح . وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ، ويقول ذلك صوم الدهر . وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السر ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة . فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقه .

قائد السرية رجاء يصف عبادة الإمام عليه السلام وأخلاقه

قال القائد رجاء بن أبي الضحاك (العيون: ٢/ ١٩٤): (بعثني المأمون في إشخاص علي بن موسى من المدينة وقد أمرني أن آخذ به على طريق البصرة والأهواز وفارس ، ولا آخذ به على طريق قم ، وأمرني أن أحفظه بنفسي بالليل والنهار حتى أقدم به عليه ، فكنت معه من المدينة إلى مرو ، فوالله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله تعالى منه ، ولا أكثر ذكراً لله في جميع أوقاته ، ولا أشد خوفاً لله عز وجل منه . وكان إذا أصبح صلى الغداة ، فإذا سلم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلله ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله حتى تطلع الشمس ، ثم يسجد سجدة يبقى فيها حتى يتعالى النهار ، ثم أقبل على الناس يحدثهم ويعظهم إلى قرب الزوال ، ثم جدد وضوءه وعاد إلى مصلاه ، فإذا زالت الشمس قام فصلى ست ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد وقل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية الحمد وقل هو الله ، ويقرأ في الأربع كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد ويسلم في كل ركعتين ، ويقنت فيهما في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة ، ثم يؤذن

ويصلي ركعتين ثم يقيم ويصلي الظهر، فإذا سلم سبح الله وحمده وكبره وهلله ما شاء الله ، ثم سجد سجدة الشكر يقول فيها مائة مرة شكراً لله ، فإذا رفع رأسه قام فصلى ست ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد . ويسلم في كل ركعتين ، ويقنت في ثانية كل ركعتين قبل الركوع وبعد القراءة ، ثم يؤذن ، ثم يصلي ركعتين ويقنت في الثانية ، فإذا سلم قام وصلى العصر، فإذا سلم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلله ما شاء الله ، ثم سجد سجدة يقول فيها مائة مرة حمداً لله .

فإذا غابت الشمس توضأ وصلى المغرب ثلاثاً بأذان وإقامة ، وقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة ، فإذا سلم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلله ما شاء الله ، ثم يسجد سجدة الشكر ثم يرفع رأسه، ولم يتكلم حتى يقوم ويصلي أربع ركعات بتسليمتين ، ويقنت في كل ركعتين في الثانية قبل الركوع والقراءة .

وكان يقرأ في الأولى من هذه الأربع الحمد وقل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد ، ويقرأ في الركعتين الباقيتين الحمد وقل هو الله ثم يجلس بعد التسليم في التعقيب ما شاء الله ، ثم يفطر .

ثم يلبث حتى يمضي من الليل قريب من الثلث ، ثم يقوم فيصلّي العشاء الآخرة أربع ركعات ، ويقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة ، فإذا سلم جلس في مصلاه يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ويسبحه ويحمده ويكبره ويهلله ما شاء الله ، ويسجد بعد التعقيب سجدة الشكر ثم يأوي إلى فراشه ، فإذا كان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والإستغفار، فاستاك ثم توضأ، ثم قام إلى صلاة الليل فيصلّي ثمان ركعات ويسلم في كل ركعتين يقرأ في الأوليين منها في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة، ثم يصلي صلاة جعفر بن أبي طالب عليه السلام أربع ركعات

يسلم في كل ركعتين ويقنت في كل ركعتين في الثانية قبل الركوع وبعد التسبيح ويحتسب بها من صلاة الليل ثم يقوم ، فيصلي الركعتين الباقيتين ، يقرأ في الأولى الحمد وسورة الملك ، وفي الثانية الحمد لله وهل أتى على الانسان ، ثم يقوم فيصلي ركعتي الشفع يقرأ في كل ركعة منهما الحمد لله مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، ويقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة ، فإذا سلم قام ، فصلى ركعة الوتر يتوجه فيها ويقرأ فيها الحمد مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، وقل أعوذ برب الفلق مرة واحدة ، وقل أعوذ برب الناس مرة واحدة ، ويقنت فيها قبل الركوع وبعد القراءة ويقول في قنوته: اللهم صل على محمد وآل محمد، اللهم إهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت . ثم يقول: أستغفر الله وأسأله التوبة سبعين مرة ، فإذا سلم جلس في التعقيب ما شاء الله ، فإذا قرب من الفجر قام فصلى ركعتي الفجر ، يقرأ في الأولى الحمد وقل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية الحمد وقل الله أحد ، فإذا طلع الفجر أذن وأقام وصلى الغداة ركعتين ، فإذا سلم جلس في التعقيب حتى تطلع الشمس ، ثم يسجد سجدة الشكر حتى يتعالى النهار.

وكان قراءته في جميع المفروضات في الأولى الحمد وإنا أنزلناه ، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد ، إلا في صلاة الغداة والظهر والعصر يوم الجمعة ، فإنه كان يقرأ فيها بالحمد وسورة الجمعة والمنافقين .

وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة في الأولى الحمد وسورة الجمعة ، وفي الثانية الحمد وسبح اسم ربك الأعلى .

وكان يقرأ في صلاة الغداة يوم الإثنين ويوم الخميس في الأولى الحمد وهل أتى على الإنسان ، وفي الثانية الحمد وهل أتاك حديث الغاشية .

وكان يجهر بالقراءة في المغرب والعشاء ، وصلاة الليل والشفع والوتر والغداة ويخفي القراءة في الظهر والعصر . وكان يسبح في الأخرابين يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثلاث مرات . وكان قنوته في جميع صلاته:
رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأجل الأكرم .

وكان إذا أقام في بلدة عشرة أيام صائماً لا يفطر ، فإذا جن الليل بدأ بالصلاة قبل الإفطار ، وكان في الطريق يصلي فرائضه ركعتين ركعتين ، إلا المغرب فإنه كان يصليها ثلاثاً ، ولا يدع نافلتها ، ولا يدع صلاة الليل والشفع والوتر ، وركعتي الفجر في سفر ولا حضر .

وكان لا يصلي من نوافل النهار في السفر شيئاً ، وكان يقول بعد كل صلاة يقصرها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثلاثين مرة ، ويقول: هذا تمام الصلاة . وما رأيته صلى الضحى في سفر ولا حضر ، وكان لا يصوم في السفر شيئاً .

وكان عليه السلام يبدأ في دعائه بالصلاة على محمد وآله ، ويكثر من ذلك في الصلاة وغيرها ، وكان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن ، فإذا مر بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار .

وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع صلاته بالليل والنهار ، وكان إذا قرأ قل هو الله أحد قال سرّاً الله أحد ، فإذا فرغ منها قال: كذلك الله ربنا ثلاثاً ، وكان إذا قرأ سورة الجحد قال في نفسه سرّاً يا أيها الكافرون ، فإذا فرغ منها قال: ربي الله وديني الإسلام ثلاثاً . وكان إذا قرأ والتين والزيتون قال عند الفراغ منها: بلى وأنا على ذلك

من الشاهدين . وكان إذا قرأ لا أقسم بيوم القيامة قال عند الفراغ: سبحانك اللهم .
وكان يقرأ في سورة الجمعة: قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ .
وكان إذا فرغ من الفاتحة قال: الحمد لله رب العالمين ، وإذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى ،
قال سرّاً: سبحان ربي الأعلى ، وإذا قرأ يا أيها الذين آمنوا قال: لبيك اللهم لبيك سرّاً .
وكان عليه السلام لا ينزل بلداً إلا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم ويحدثهم
الكثير ، عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام عن رسول صلّى الله عليه وآله .

فلما وردت به على المأمون سألني عن حاله في طريقه ، فأخبرته بما شاهدته منه في ليله
ونهاره ، وطمعته ، وإقامته ، فقال لي: يا ابن أبي الضحاك هذا خير أهل الأرض
وأعلمهم وأعبدهم ، فلا تخبر أحداً بما شاهدته منه ، لئلا يظهر فضله إلا على لساني ،
وبالله أستعين ما أقوى من الرفع منه والإشادة به)!

أقول: خشى المأمون أن يحدث رجاء بما رأى من الرضا عليه السلام فينتشر ذلك في الناس ويقايسوا
الإمام الرضا بخليفتهم بلهوه وخمره وجواريه ، فيسقط من أعينهم . فمنعه أن يحدث بشيء ،
وقال: أنا أحدث وأعرف الناس مقامه وأشيد به !

وتتعجب من اهتمام قائد عسكري كرجاء ابن أبي الضحاك بعبادة الإمام الرضا عليه السلام وحفظه
لعمله وصلاته وقراءاته .

والجواب: لعله كان يكتب أو كان مؤمناً عابداً ، وإلا لم يحفظ صلوات الإمام عليه السلام وقراءاته
في آناء ليله وأطراف نهاره ، وفي رواية أن الإمام الرضا عليه السلام شهد بإيمانه .



الفصل الخامس

الظرف السياسي الذي أحضر المأمون فيه الإمام عليه السلام

كثرت ثورات العلويين في آخر عهد هارون

في آخر عهد هارون ظهرت حركات ثائرة للطالبين وكان أكبرها ثورة ابراهيم بن طباطبا وأبي السرايا سنة ١٩٩، فكان وزير هارون الحسن بن سهل يقاتل العلويين بجيشه بقيادة الجلودي في الكوفة والمدينة والبصرة واليمن ، وكان الجلودي في بغداد يرسل قاداته للقضاء على ثورات الطالبين في الحجاز .

في هذا الجو راسل المأمون الإمام الرضا عليه السلام الى المدينة مرات ، يطلب حضوره ! فكان هدفه إنهاء ثورات العلويين من جهة ، وتطبيق سياسته الجديدة معهم .

روى الكليني (١/٤٨٨)، بسند صحيح: (عن علي بن إبراهيم، عن ياسر الخادم والريان بن الصلت جميعاً قال: لما انقضى أمر المخلوع واستوى الأمر للمأمون كتب إلى الرضا عليه السلام يستقدمه إلى خراسان ، فاعتل عليه أبو الحسن بعلل ، فلم يزل المأمون يكتابه في ذلك حتى علم أنه لا محيص له وأنه لا يكف عنه ، فخرج عليه السلام ولأبي جعفر عليه السلام سبع سنين ، فكتب إليه المأمون: لا تأخذ على طريق الجبل وقم ، وخذ على طريق البصرة والأهواز وفارس، حتى وافى مرو ، فعرض عليه المأمون أن يتقلد الأمر والخلافة ، فأبى أبو الحسن عليه السلام ، قال: فولاية العهد؟ فقال: على شروط أسألكها ، قال المأمون له: سل ما شئت فكتب الرضا عليه السلام : أني داخل في ولاية العهد؟ على أن لا آمر ولا أنهي ولا

أفتي ولا أفضي ولا أولي ولا أعزل ولا أغير شيئاً مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله ، فأجابه المأمون إلى ذلك كله) .

وقد أبعده المأمون الجلودي عن إحضار الإمام الرضا عليه السلام ، كما نأى الجلودي بنفسه أيضاً لأنه بالأمس واجه الإمام الرضا عليه السلام في المدينة !

قال الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٧٢): (وكان الجلودي في خلافة الرشيد لما خرج محمد بن جعفر بن محمد بالمدينة بعثه الرشيد وأمره إن ظفر به أن يضرب عنقه ، وأن يغير دور آل أبي طالب ، وأن يسلب نساءهم ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوباً واحداً! ففعل الجلودي ذلك ، وقد كان مضى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فصار الجلودي إلى باب دار أبي الحسن الرضا هجم على داره مع خيله ، فلما نظر إليه الرضا جعل النساء كلهن في بيت ووقف على باب البيت ، فقال الجلودي لأبي الحسن عليه السلام: لا بد من أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني أمير المؤمنين ، فقال الرضا عليه السلام: أنا أسلبهن لك وأحلف أني لا أدع عليهن شيئاً إلا أخذته ، فلم يزل يطلب إليه ويحلف له حتى سكن فدخل أبو الحسن الرضا عليه السلام فلم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن وخلاخيلهن وأزرارهن إلا أخذه منهن ، وما كان في الدار من قليل وكثير! فلما كان في هذا اليوم (أحضره المأمون ليرى رأيه في ولاية العهد) وأدخل الجلودي على المأمون قال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين هب لي هذا الشيخ فقال المأمون: يا سيدي هذا الذي فعل بنات محمد صلى الله عليه وآله ما فعل من سلبهن!

فنظر الجلودي إلى الرضا عليه السلام وهو يكلم المأمون ويسأله عن أن يعفو عنه ويهبه له ، فظن أنه يعين عليه لما كان الجلودي فعله فقال: يا أمير المؤمنين أسألك بالله وبخدمتي الرشيد لا تقبل قول هذا فيّ ، فقال المأمون: يا أبا الحسن قد استعفى ونحن نبر قسمه!

لا والله لا أقبل فيك قوله ألحقوه بصاحبيه ، فقدم فضرب عنقه).

وقد نقم هو وصاحباه بيعة الرضا عليه السلام : علي بن أبي عمران ، وأبي يونس فقتلهم المأمون !

موسم ثورات العلويين سنة ١٩٩ - ٢٠٠

وقال التنوخي في الفرج بعد الشدة (٤/١١٣): (حدثنا أبو محمد عبد الرحمن الوراق المعروف بالصيرفي .. بكتاب الميضة لأبي العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار ، في خبر أبي السرايا الخارج بالطالبيين بعد مقتل الأمين ، وشرح غلبة الطالبيين وأصحاب أبي السرايا على الكوفة ، والبصرة ، وأكثر السواد ، والحرمين ، واليمن ، والأهواز ، وغير ذلك).

روى الطبري (٧/١١٧) أن هاتين السنتين كانتا موسم ثورات العلويين في اليمن ومكة والمدينة والبصرة والكوفة: فقد خرج في الكوفة أبو السرايا وابن طباطبا وكان هو وأتباعه كما وصفه قائد جيش هارون لا يلقون جيشاً إلا هزموه ، ولا يتوجهون إلى بلدة إلا دخلوها . وإنه قتل من جنود السلطان وأتباعه ، مئتي ألف رجل ، مع أن مدته من يوم خروجه إلى يوم ضربت عنقه لم تزيد على العشرة أشهر !

وخرج في البصرة إبراهيم بن عبد الله ، ثم أخ الإمام الرضا عليه السلام الذي عرف بزيد النار لأنه كان يحرق بيوت العباسيين ، ويحرق لابسي السواد وهم أحياء ! مع أن البصرة مركز العثمانية !

وخرج في مكة والمدينة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام ، الذي كان يلقب بالديباج وتسمى بأمير المؤمنين .

وخرج في المدينة محمد بن سليمان بن داوود ، بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وخرج في اليمن أخ الإمام الرضا عليه السلام إبراهيم بن موسى بن جعفر .

وخرج في واسط جعفر بن محمد بن زيد بن علي . والحسين بن إبراهيم ، بن الحسن بن علي . وفي المدائن: محمد بن إسماعيل بن محمد .

وثار غير العلويين ، ثورات غوغائية كثورة الحسن الهرش في مصر سنة ١٩٩ .

قال الطبري (٧/١١٦): (وفيها خرج الحسن الهرش في ذي الحجة منها يدعو إلى الرضا من آل محمد بزعمه في سفلة الناس وجماعة كثيرة من الأعراب ، حتى أتى النيل فجبى الأموال وأغار على التجار وانتهب القرى).

أكبرها ثورة أبي السرايا

أبو السرايا الشيباني شخص عجيب في قوته البدنية ، وحتى في طعامه ، ففي مقاتل الطالبين / ٣٦٨: (أبو عبيد الصيرفي قال: رأيت أبا السرايا يؤتى بمكوكي شعير فيطرح أحدها بين يديه ، والآخر بين يدي فرسه فيستوفي الشعير قبل فرسه)!

وكان إذا غضب في الحرب ألقى درعه وكشف رأسه وحمل !

وروى الطبري أن أبا السرايا واسمه: السري بن منصور ، أرسل سنة ٢٠٠ كسوة للكعبة مكتوب عليها: أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت الله الحرام ، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليظهر من كسوتهم).

وفي مقاتل الطالبين / ٣٤٤: (كان سبب خروج محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، وهو ابن طباطبا ، بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأبي السرايا أن نصر بن شبيب كان قدم حاجاً وكان متشيعاً حسن المذهب وكان ينزل الجزيرة ، فلما ورد المدينة سأل عن بقايا أهل البيت ومن له ذكر منهم ، فذكر له: علي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، ومحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسن .

فأما علي بن عبيد الله فإنه كان مشغولاً بالعبادة لا يصل إليه أحد ولا يأذن له ، وأما عبد الله بن موسى فكان مطلوباً خائفاً لا يلقاه أحد . وأما محمد بن إبراهيم فإنه كان يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن ، فأتاه نصر بن شبيب فدخل إليه وذاكره مقتل أهل بيته وغضب الناس إياهم حقوقهم وقال: حتى متى توطؤون بالخسف وتهتمون بشيعةكم وينزى على حقكم؟ وأكثر من القول في هذا المعنى إلى أن أجابه محمد بن إبراهيم وواعده لقاءه بالجزيرة، وانصرف الحاج ثم خرج محمد بن إبراهيم إلى الجزيرة ، ومعه نفر من أصحابه ، حتى قدم على نصر بن شبيب للموعد ، فجمع إليه نصر أهله وعشيرته وعرض ذلك عليهم ، فأجابه بعضهم وامتنع عليه بعض ، وكثر القول فيهم والاختلاف حتى تواتبوا وتضاربوا بالنعال والعصي وانصرفوا عن ذلك. ثم خلا بنصر بعض بني عمه وأهله فقال له: ماذا صنعت بنفسك وأهلك ؟ أفتراك إذا فعلت هذا الأمر وتأبدت السلطان يدعك وما تريد ؟ لا والله بل يصرف همه إليك وكيده ، فإن ظفرك فلا بقاء بعدها وإن ظفرك صاحبك وكان عدلاً كنت عنده بمنزلة رجل من أفناء أصحابه ، وإن كان غير ذلك فما حاجتك إلى تعريض نفسك وأهلك وأهل بيتك لما لا قوام لهم به ؟

فصار إلى محمد بن إبراهيم معذراً إليه بما كان من خلاف الناس عليه ، ورغبتهم عن أهل البيت ، وأنه لو ظن ذلك بهم لم يعده نصرهم ، وأوماً إلى أن يحمل إليه مالاً ويقويه بخمسة آلاف دينار ، فانصرف محمد عنه مغضباً..

ثم مضى محمد بن إبراهيم راجعاً إلى الحجاز ، فلقي في طريقه أبا السرايا السري بن منصور أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان قد خالف السلطان ونازله ، وعاش في نواحي السواد ، ثم صار إلى تلك الناحية فأقام بها خوفاً على نفسه ومعه غلمان له

فيهم: أبو الشوك ، وسيار ، وأبو الهرماس وكان علوي الرأي ذا مذهب في التشيع ، فدعاه إلى نفسه فأجابه وسر بذلك وقال له: انحدر إلى الفرات حتى أوافيك بظهر الكوفة، وموعدك الكوفة . ففعل ذلك ووافى محمد بن إبراهيم الكوفة يسأل عن أخبار الناس ويتحسسها ويتأهب لأمره ويدعو من يثق به إلى ما يريد ، حتى اجتمع له بشر كثير ، وهم في ذلك ينتظرون أبا السرايا وموافاته ، فبينما هو في بعض الأيام يمشي في بعض طريق الكوفة إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب ، فتلقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها رث ، فسألها عما تصنع بذلك . فقالت: إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ولي بنات لا يعدن على أنفسهن بشيء ، فأنا أتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدي . فبكى بكاءً شديداً ، وقال: أنت والله وأشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي . ونفذت بصيرته في الخروج وأقبل أبو السرايا لموعده على طريق البر حتى ورد عين التمر في فوارس معه ، جريدة لا راجل فيهم وأخذ على النهرين حتى ورد إلى نينوى فجاء إلى قبر الحسين عليه السلام .

قال نصر بن مزاحم ! فحدثني رجل من أهل المدائن ، قال: إني لعند قبر الحسين في تلك الليلة ، وكانت ليلة ذات ريح ورعد ومطر ، إذا بفرسان قد أقبلوا فترجلوا إلى القبر فسلموا، وأطال رجل منهم الزيارة ، ثم جعل يتمثل أبيات منصور ابن الزبرقان:

نفسى فداء الحسين يوم غدا	إلى المنايا عدواً ولا قافل
ذاك يوم أنحى بشفرته	على سنام الإسلام والكاهل
كأنما أنت تعجبين ألا	ينزل بالقوم نقمة العاجل
لا يعجل الله إن عجلت وما	ربك عما ترين بالغافل
مظلومة والنبي والدها	تدير أرجاء مقلّة جافل
ألا مساعير يغضبون لها	بسلة البيض والقنا الذابل

قال: ثم اقبل علي فقال: ممن الرجل؟ فقلت: رجل من الدهاقين من أهل المدائن . فقال سبحان الله ، يحن الولي إلى وليه كما تحن الناقة إلى حوارها ، يا شيخ إن هذا موقف يكثر لك عند الله شكره ويعظم أجره . قال: ثم وثب فقال: من كان هاهنا من الزيدية فليقم إلي ، فوثبت إليه جماعات من الناس ، فدنوا منه فخطبهم خطبة طويلة ذكر فيها أهل البيت وفضلهم وما خصوا به وذكر فعل الأمة بهم وظلمهم لهم ، وذكر الحسين بن علي فقال: أيها الناس ، هيبكم لم تحضروا الحسين فتنصروه ، فما يقعدكم عن أدركتموه ولحقتموه؟ وهو غداً خارج طالب بثأره وحقه وتراث آبائه وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته؟ إنني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله والذب عن دينه والنصر لأهل بيته ، فمن كان له نية في ذلك فليلحق بي ثم مضى من فوره عائداً إلى الكوفة ومعه أصحابه .

قال: وخرج محمد بن إبراهيم في اليوم الذي واعد فيه أبا السرايا للإجتماع بالكوفة ، وأظهر نفسه وبرز إلى ظهر الكوفة ، ومعه علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ، وأهل الكوفة منبثون مثل الجراد إلا أنهم على غير نظام وغير قوة ، ولا سلاح إلا العصي والسكاكين والآجر ، فلم يزل محمد بن إبراهيم ومن معه ينتظرون أبا السرايا ويتوقعونه فلا يرون له أثراً حتى أيسوا منه ، وشتمه بعضهم ولاموا محمد بن إبراهيم على الاستعانة به ، واغتنم محمد بن إبراهيم بتأخره ، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم من نحو الجرف علمان أصفران وخيل ، فتنادى الناس بالبيشارة فكبروا ونظروا، فإذا هو أبو السرايا ومن معه ، فلما أبصر محمد بن إبراهيم ترجل وأقبل إليه فانكب عليه واعتنقه محمد ، ثم قال له: يا بن رسول الله ما يقيمك هاهنا؟ ادخل البلد فما يمنعك منه أحد ، فدخل هو وخطب الناس ، ودعاهم إلى البيعة إلى الرضا من آل محمد والدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسيره

بحكم الكتاب، فبايعه جميع الناس حتى تكابسوا وازدحموا عليه ، وذلك في موضع بالكوفة يعرف بقصر الضرتين سنة تسع وتسعين ومائة ، في عشر من جمادي الأولى . قال أبو الفرج الأصبهاني: وجه الحسن بن سهل زهير بن المسيب في أصحابه إلى الكوفة وكان عامل الكوفة يومئذ ..

ووقف أبو السرايا على القنطرة طويلاً ، وخرج رجل من أهل بغداد فجعل يشتمه بالزنا لا يكتفى . وأبو السرايا واقف لا يتحرك ، ثم تغافل ساعة حتى هم بأن ينصرف ، ثم حمل عليه فقتله وحمل على عسكريهم حتى خرج من خلفهم ، ثم حمل عليهم من خلف العسكر حتى رجع من حيث جاء . ووقف في موقفه وهو ينفخ وينفض علق الدم عن درعه . ثم دعا غلاماً له فوجهه في نفر من أصحابه وأمره أن يمضي حتى يصير من وراء العسكر ، ثم يحمل عليهم لا يكذب ، فمضى الغلام لوجهه مع من معه قاصداً لما أمره به ، ووقف أبو السرايا على القنطرة على فرس له أدهم محذوف ، وقد اتكأ على رمح فنام على ظهر الفرس حتى غط ، وأهل الكوفة جزعون لما يرونه من عسكر زهير ويسمعونه من تهددهم ووعيدهم ، وهم يضجون ويصيحون بالتكبير والتهليل حتى يسمع أبو السرايا فينتبه من نومه ، وصاح بأهل الكوفة: إحمّلوا وحمل وتبعوه وخالط أبو السرايا وغلامه سيار العسكر ، وتبعه أهل الكوفة وصاح بغلامه: ويلك يا سيار ألا تراني ، فحمل سيار على صاحب العلم فقتله وسقط العلم ، وانهمزمت المسودة ! وتبعهم أبو السرايا وأصحابه ونادى: من نزل عن فرسه فهو آمن فجعلوا يترجلون ، وأصحاب أبي السرايا يركبون ، وتبعوهم حتى جاوزوا شاهي ، ثم التفت زهير إلى أبي السرايا فقال: ويحك ، أتريد هزيمة أكثر من هذه ؟ إلى أين تتبعني فرجع وتركه . وغنم أهل الكوفة غنيمة لم يغنم أحد مثلها ، وصاروا إلى عسكر

زهير بن المسيب ومطابخه قد أعدت وأقيمت ، وكان قد حلف ألا يتغدى إلا في مسجد الكوفة ، فجعلوا يأكلون ذلك الطعام ، ويتهبون الأسلحة والآلة ، وكانوا قد أصابهم جوع وجهد شديد .

ومضى زهير لوجهه حتى دخل بغداد مستتراً ، وبلغ خبره الحسن بن سهل فأمر باحضاره ، فلما رآه رماه بعمود حديد كان في يده فشر إحدى عينيه وقال لبعض من كان بحضرته: أخرجه فاضرب عنقه فتشفعوا فيه ، فلم يزل يكلم فيه حتى عفا عنه . ودخل أبو السرايا الكوفة ومعه خلق كثير من الأسارى ، ورؤوس كثيرة على الرماح مرفوعة ، وفي صدور الخيل مشدودة ، ومن معه من أهل الكوفة قد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح ، فهو في حالة واسعة ، وأنفسهم بما رزقوه من النصر قوية .

واشتد غم الحسن بن سهل ومن بحضرته من العباسيين ، لما جرى على عسكر زهير وطال اهتمامهم به ، فدعا الحسن بن سهل بعبدوس بن عبد الصمد ، وضم إليه ألف فارس وثلاثة آلاف راجل وأزاح علته في آلاء عطاء ، وقال: إنما أريد أن أنهه باسمك فانظر كيف تكون ، وأوصاه بما احتاج إليه وأمره ألا يلبث . فخرج من بين يديه وهو يحلف أن يبيع الكوفة ، ويقتل مقاتلة أهلها ويسبي ذراريهم ثلاثاً ، ومضى لوجهه لا يلوي على شيء حتى صار إلى الجامع ، وقد كان الحسن بن سهل تقدم إليه بذلك وأمره ألا يأخذ على الطريق الذي انهزم فيه زهير ، لئلا يرى أصحابه بقايا قتلى عسكره فيجبونوا من ذلك . فأخذ على الطريق الجامع .

فلما وافاها وبلغ أبا السرايا خبره صلى الظهر بالكوفة ، ثم جرد فرسان أصحابه ومن يثق به منهم وأخذ السير بهم حتى إذا قرب من الجامع فرق أصحابه ثلاث فرق وقال: شعاركم: يا فاطمي يا منصور، واخذ هو في جانب السوق وأخذ سيار في سيره الجامع

وقال لأبي الهرماس: خذ بأصحابك على القرية فلا يفتك أحد منهم ، ثم احموا دفعة واحدة من جوانب عسكر عبدوس ففعلوا ذلك فأوقعوا به وقتلوا منه مقتلة عظيمة ، وجعل الجند يتهافتون في الفرات طلباً للنجاة ، حتى غرق منهم خلق كثير . ولقى أبو السرايا عبدوساً في رحبة الجامع فكشف خوذته عن رأسه وصاح: أنا أبو السرايا ، أنا أسد بني شيبان ، ثم حمل عليه ، وولى عبدوس من بين يديه ، وتبعه أبو السرايا فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته وخر صريعاً عن فرسه .

وانتهب الناس من أصحاب أبي السرايا وأهل الجامع عسكر عبدوس ، وأصابوا منه غنيمة عظيمة ، وانصرفوا إلى الكوفة بقوة وأسلحة . ودخل أبو السرايا إلى محمد بن إبراهيم وهو عليل يجود بنفسه فلامه على تبيته العسكر ، وقال: أنا أبرأ إلى الله مما فعلت ، فما كان لك أن تبيتهم ، ولا تقاتلهم حتى تدعوهم ، وما كان لك أن تأخذ من عسكرهم إلا ما أجلبوا به علينا من السلاح !

فقال أبو السرايا: يا بن رسول الله ، كان هذا تدابير الحرب ، ولست أعاود مثله . ثم رأى في وجه محمد الموت فقال له: يا ابن رسول الله كل حي ميت وكل جديد بال ، فاعهد إلي عهدك . فقال: ولّ الناس الخيرة فيمن يقوم مقامي من آل علي ، فان اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبيد الله ، فإني قد بلوت طريقته ورضيت دينه . ثم اعتقل لسانه . ونعى محمداً إليهم وعزاهم عنه فارتفعت الأصوات بالبكاء إعظاماً لوفاته . ثم قال: وقد أوصى أبو عبد الله إلى شبيهه ومن اختاره ، وهو أبو الحسن علي بن عبيد الله فإن رضيتم به فهو الرضا ، وإلا فاختروا لأنفسكم ، فبايعوه وفرق عماله فولى إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن جعفر خلافته على الكوفة . وولى روح ابن الحجاج شرطته ، وولى أحمد بن السري الأنصاري رسائله . وولى عاصم بن عامر القضاء ، وولى نصر

بن مزاحم السوق، وعقد لإبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمين . وولى زيد بن موسى بن جعفر الأهواز . وولى العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب البصرة ، وولى الحسن بن الحسن الأفسس مكة ، وعقد لجعفر بن محمد بن زيد بن علي ، والحسين بن إبراهيم بن الحسن بن علي واسطاً . فخرجوا إلى أعمالهم ...

وانتشر الطالبيون في البلاد وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة ، ونقش عليها: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرُوضًا .

فلما رأى الحسن بن سهل أن أبا السرايا ومن معه لا يلقون له عسكرياً إلا هزموه ، ولا يتوجهون إلى بلدة إلا دخلوها ! ولم يجد فيمن معه من القواد من يكفيه حربه اضطر إلى هرثمة .. وأصبح هرثمة فجد في طلبه فوجد جماعة كثيرة من أصحابه فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل ، ثم صار هرثمة إلى قصر ابن هبيرة فكانت بينه وبين أبي السرايا وقعة قتل فيها من أصحاب أبي السرايا خلق كثير، فانحاز أبو السرايا إلى الكوفة ، فوثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبين على دور بني العباس ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة فانتهبوها وخربوها وأخرجوهم من الكوفة ، وعملوا في ذلك عملاً قبيحاً (حرق بعض العباسيين أحياء!) واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس فأخذوها ..

ثم وصف إرسال أبي السرايا قوة بقيادة علويين الى المدينة ومكة وأنه وقع الخلاف بينهم في مكة ، من يقيم الحج للناس فقالوا للقاضي مكة تقدم فاخطب بالناس وصل بهم الصلاتين فإنك قاضي البلد قال فلمن أخطب وقد هرب الإمام وأطل هؤلاء القوم على الدخول ! قال لا تدع لأحد حتى قدموا رجلاً من عرض أهل مكة فصلى

بالناس الظهر والعصر بلا خطبة ! ثم مضوا فوقوا جميعاً بالموقف من عرفة حتى غربت الشمس فدفع الناس لأنفسهم من عرفة بغير إمام ، حتى أتوا مزدلفة فصلى بهم المغرب والعشاء رجل أيضاً من عرض الناس) .

صورة أخرى من قتال أبي السرايا

أحدث أبو السرايا لمصلحة العلويين ضد العباسيين ، موجة حركت العلويين فثاروا مع أبي السرايا أو مستقلين ، واضطرت الخلافة بممثليها الحسن بن سهل أن تخوض حروباً معهم ، وأشدها مع أبي السرايا مباشرة عليه السلام ، والذي هزم كل حملات جيش السلطة ، وقتل منهم في عشرة أشهر نحو ٢٠٠ ألف جندي وقائد !

ويرجع نجاح أبي السرايا الى قوته الخارقة وذكائه ، ولم يقتل في معركة بل قبضوا عليه في كمين ، وأخذوه وقتلوه ، وصلبوه في بغداد !

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين (١/٤٤٢) : (ثم إن هرثمة نهد إلى الكوفة مما يلي الرصافة . وخرج أبو السرايا إليه في الناس فعبأهم ، وجعل على الميمنة الحسن بن الهذيل ، وعلى الميسرة جرير بن الحصين ، ووقف هو في القلب . وعبأ هرثمة خيلاً نحو البر ، فبعث أبو السرايا عدتهم يسرون بإزائهم لئلا يكونوا كميناً .

ثم إن أبا السرايا حمل حملة فيمن معه ، فانهمز أصحاب هرثمة هزيمة رقيقة ، ثم عطفوا وجوه دوابهم فنادى أبو السرايا : لا تتبعوهم فإنها خديعة ومكر ، فوقفوا وتبعهم أبو كتلة فأبعد ثم رجع وأعلم أبا السرايا أنهم عبروا الفرات فرجع بالناس إلى الكوفة .

ثم خرج يوم الإثنين لتسع خلون من ذي القعدة وخرج الناس معه ، وقد كان جاسوسه أخبره أن هرثمة يريد مواقعه في ذلك اليوم ، فعبأ الناس مما يلي الرصافة ومضى هو تحت القنطرة ، فلم يبعد حتى أقبلت خيل هرثمة ، فرجع أبو السرايا

كاجمل الهائج يكاد الغضب أن يلقيه عن سرجه إلى الناس فقال: سووا عسكريكم ، واجمعوا أمركم، وأقيموا صفوفكم، وأقبل هرثمة فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله! ونظر أبو السرايا إلى روح بن الحجاج قدرجع فقال: والله لئن رجعت لأضربن عنقك، فرجع يقاتل حتى قتل. وقتل يومئذ الحسن بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين، وقتل أبو كتلة غلام أبي السرايا، واشتدت الحرب وكشف أبو السرايا رأسه وجعل يقول: أيها الناس صبر ساعة وثبات قليل، فقد والله فشل القوم ولم يبق إلا هزيمتهم ، ثم حمل وخرج إليه قائد من قواد هرثمة وعليه الدرع والمغفر فتناوشا ساعة، ثم ضربه أبو السرايا ضربة على بيضته ففده، حتى خالط سيفه قربوس سرجه ! وانهمت المسودة هزيمة قبيحة ، وتبعهم أهل الكوفة يقتلونهم حتى بلغوا صعنبا فنادى أبو السرايا: يا أهل الكوفة أهدروا كرههم بعد الفرة ، فإن العجم قوم دهاة ، فلم يصغوا إلى قوله وتبعوهم .

وكان هرثمة قد أسر في ذلك الوقت ولم يعلم أبو السرايا ، أسره عبد سندي ، وقبل ذلك خلف في عسكره زهاء خمسة آلاف فارس يكونون ردة له إن انهزم أصحابه ، وخلف عليهم عبيد الله بن الوضاح، فلما وقعت الهزيمة ونادى أبو السرايا: لا تتبعوهم ، كشف عبيد الله بن الوضاح رأسه ، وأصحابه يقولون: قتل الأمير، قتل الأمير فناداهم: فماذا يكون إذا قتل الأمير؟ يا أهل خراسان إلي أنا عبد الله بن الوضاح، أثبتوا ، فوالله ما القوم إلا غوغاء ورعاع ، فثابت إليه طائفة ، وحمل على أهل الكوفة فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وتبعوهم حتى جاوزوا صعنبا ، ووجدوا هرثمة أسيراً في يد عبد أسود فقتلوا العبد ، وحلوا وثاق هرثمة ، وعاد إلى معسكره ولم تزل الحرب مدة متراخية في كل يوم أو يومين تكون سجلاً بينهم).

وقال الطبري (١٢٢/٧): (ثم إن أبا السرايا خرج من القادسية هو ومن معه حتى أتوا ناحية واسط وكان بواسط علي بن أبي سعيد وكانت البصرة بيد العلويين بعد ، فجاء أبو السرايا حتى عبر دجلة أسفل من واسط ، فأتى عبدوس فوجد بها مالا كان حمل من الأهواز فأخذه ثم مضى حتى أتى السوس فنزلها ومن معه وأقام بها أربعة أيام وجعل يعطى الفارس ألفاً والراجل خمس مائة ، فلما كان اليوم الرابع أتاهم الحسن ابن علي الباذغيسي المعروف بالمأموني ، فأرسل إليهم إذهبوا حيث شئتم فإنه لا حاجة لي في قتالكم ، وإذا خرجتم من عملي فليست أتبعكم ، فأبى أبو السرايا إلا القتال فقاتلهم فهزمهم الحسن واستباح عسكرهم وجرح أبو السرايا جراحة شديدة فهرب فلما انتهوا إلى جلولاء عثر بهم ، فأتاهم حماد الكندغوش فأخذهم فجاء بهم إلى الحسن بن سهل وكان مقيماً بالنهروان حين طردته الحريرية ، فقدم بأبي السرايا فضرب عنقه لعشر خلون من ربيع الأول).



ثورة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام

كانت ثورات الطالبين ردة فعل شعبية على اضطهاد هارون وولاته للعلويين ونيلهم من أئمتهم عليهم السلام ، ففي مقاتل الطالبين/٣٥٩: (قال أبو الفرج: كان رجل قد كتب كتاباً في أيام أبي السرايا يسب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وجميع أهل البيت ، وكان محمد بن جعفر معتزلاً تلك الأمور لم يدخل في شيء منها ، فجاء الطالبيون فقرؤوه عليه فلم يرد عليهم جواباً حتى دخل بيته ، فخرج عليهم وقد لبس الدرع وتقلد السيف ، ودعا إلى نفسه ، وتسمى بالخلافة).

وقال الصدوق عن محمد بن جعفر (٢/٢٢٤): (اجتمع عليه أهل بيته وغيرهم من قريش

فبايعوه وقالوا له: لو بعثت إلى أبي الحسن الرضا كان معنا وكان أمرنا واحداً ، فقال محمد بن سليمان: إذهب إليه فاقرئه السلام وقل له: إن أهل بيتك اجتمعوا وأحبوا أن تكون معهم فإن رأيت أن تأتينا فافعل . قال: فأتيته وهو بالحمراء (حمراء الأسد موضع زراعي قرب المدينة) فأديت ما أرسلني به إليه ، فقال أقرئه مني السلام وقل له: إذا مضى عشرون يوماً أتيتك . قال: فجئتته فأبلغته ما أرسلني به ، فمكثنا أياماً فلما كان يوم ثمانية عشر جاءنا ورقاء قائد الجلودي فقاتلنا وهزمننا ، وخرجت هارباً نحو الصوريين (من ضواحي المدينة) فإذا هاتف يهتف بي: يا أثرم فالتفتُ إليه فإذا أبو الحسن عليه السلام وهو يقول: مضت العشرون أم لا ؟).

فأثبت له الإمام الرضا عليه السلام أن ثورته لم تصمد عشرين يوماً أمام كتيبة الجلودي !

وقال عمير بن يزيد (العيون ٢/٢٢١): (كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فذكر محمد بن جعفر بن محمد عليه السلام فقال إني جعلت علي نفسي أن لا يظلني وإياه سقف بيت ، فقلت في نفسي: هذا يأمرنا بالبر والصلة ويقول هذا لعمه فنظر إليّ فقال: هذا من البر والصلة إنه متى يأتيني ويدخل عليّ فيقول فيّ يصدقه الناس، وإذا لم يدخل عليّ ولم أدخل عليه لم يقبل قوله إذا قال).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (١/٢٢٤): (إسحاق بن موسى قال: لما خرج عمي محمد بن جعفر بمكة ودعا إلى نفسه ودُعِيََ بأمر المؤمنين وبويع له بالخلافة ، ودخل عليه الرضا عليه السلام وأنا معه فقال له: يا عم لا تُكذب أباك ولا أخاك ، فإن هذا أمر لا يتم ، ثم خرج وخرجت معه إلى المدينة فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتى الجلودي فلقيه فهزمه ، ثم استأمن إليه ، فلبس السواد وصعد المنبر فخلع نفسه وقال: إن هذا الأمر للمأمون وليس لي فيه حق ، ثم أُخرج إلى خراسان فمات بجرجان).

وروى الطبري توبة محمد بن جعفر قال: (وفي هذه السنة (٢٠٠ هجرية) في أول يوم من المحرم منها، قام محمد فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ، فإنه كان لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين في رقبتي بيعة بالسمع والطاعة طائعاً غير مكروه ، وكنت أحد الشهود الذين شهدوا في الكعبة في الشرطين لهارون الرشيد على ابنه محمد المخلوع وعبد الله المأمون أمير المؤمنين. ألا وقد كانت فتنة غشيت عامة الأرض منا ومن غيرنا ، وكان نمي إلى خبر أن عبد الله المأمون أمير المؤمنين كان توفي فدعاني ذلك إلى أن بايعوا لي بإمرة المؤمنين واستحللت قبول ذلك لما كان على من العهود والمواثيق في بيعتي لعبد الله الإمام المأمون فبايعتموني أو من فعل منكم ، ألا وقد بلغني وصح عندي أنه حي سوي . ألا وإني أستغفر الله مما دعوتكم إليه من البيعة وقد خلعت نفسي من بيعتي التي بايعتموني عليها كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي، وقد صرت كرجل من المسلمين فلا بيعة لي في رقابهم ، وقد أخرجت نفسي من ذلك وقد رد الله الحق إلى الخليفة المأمون أمير المؤمنين .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد خاتم النبيين ، والسلام عليكم أيها المسلمون . ثم نزل ، فخرج به عيسى بن يزيد الجلودي إلى العراق).

وقال المفيد في الإرشاد (٢/٢١٣): (وخرج على المأمون في سنة تسع وتسعين ومائة بمكة، واتبعته الزيدية الجارودية ، فخرج لقتاله عيسى الجلودي ففرق جمعه وأخذه وأنفذه إلى المأمون ، فلما وصل إليه أكرمه المأمون وأدنى مجلسه منه ووصله وأحسن جائزته ، فكان مقيماً معه بخراسان ، يركب إليه في موكب من بني عمه ، وكان المأمون يحتمل منه ما لا يحتمله السلطان من رعيته .

وروي: أن المأمون أنكر ركوبه إليه في جماعة من الطالبين الذين خرجوا على المأمون في سنة المائتين فأمّنهم ، فخرج التوقيع إليهم: لا تركبوا مع محمد بن جعفر واركبوا مع عبيد الله بن الحسين ، فأبوا أن يركبوا ولزموا منازلهم .

فخرج التوقيع: إركبوا مع من أحببتم ، فكانوا يركبون مع محمد بن جعفر إذا ركب إلى المأمون ، وينصرفون بانصرافه .

وذكر عن موسى بن سلمة أنه قال: أُتِيَ إلى محمد بن جعفر فقيل له: إن غلمان ذي الرئاستين قد ضربوا غلمانك على حطب اشتروه ، فخرج مؤتزرًا ببردين معه هراوة وهو يرتجز ويقول: الموت خير لك من عيش بذل ! وتبعه الناس حتى ضرب غلمان ذي الرئاستين ، وأخذ الحطب منهم .

فرجع الخبر إلى المأمون ، فبعث إلى ذي الرئاستين فقال له: إئت محمد بن جعفر فاعتذر إليه وحكمه في غلمانك . قال: فخرج ذو الرئاستين إلى محمد بن جعفر ، قال موسى بن سلمة: فكنت عند محمد بن جعفر جالساً حتى أتى فقيل له: هذا ذو الرئاستين ، فقال: لا يجلس إلا على الأرض ، وتناول بساطاً كان في البيت فرمى به هو ومن معه ناحية ، ولم يبق في البيت إلا وسادة جلس عليها محمد بن جعفر ، فلما دخل عليه ذو الرئاستين وسع له محمد على الوسادة فأبى أن يجلس عليها وجلس على الأرض ، فاعتذر إليه وحكمه في غلمانه !

وتوفي محمد بن جعفر بخراسان مع المأمون ، فركب المأمون ليشهده فلقبهم وقد خرجوا به ، فلا نظر إلى السرير نزل فترجل ومشى حتى دخل بين العمودين ، فلم يزل بينهما حتى وضع فتقدم وصلى ، ثم حمله حتى بلغ به القبر ، ثم دخل قبره فلم يزل فيه حتى بني عليه ، ثم خرج فقام على القبر حتى دفن .

فقال له عبيد الله بن الحسين ودعا له: يا أمير المؤمنين ، إنك قد تعبت فلو ركبت ؟
فقال المأمون: إن هذه رحم قطعت من مائتي سنة !)

أقول: محمد بن جعفر الصادق عليه السلام ، كان أكبر سنّاً من الإمام الرضا عليه السلام ، وقد نصحه الإمام بعدم الخروج فأبى . وسرعان ما انهزم وسلم نفسه للجلودي وأظهر التوبة ومبايعة المأمون ثم كان في خراسان كبير الطالبين يحترمه المأمون ويقدمه .

ثورة زيد النار أخ الإمام الرضا عليه السلام

١- في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/٢٥٧): (عن الحسن بن موسى بن علي الوشاء البغدادي قال: كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا عليه السلام في مجلسه وزيد بن موسى حاضر قد أقبل على جماعة في المجلس يفتخر عليهم ويقول: نحن ونحن وأبو الحسن عليه السلام مقبل على قوم يحدّثهم ، فسمع مقالة زيد فالتفت إليه فقال: يا زيد أغرك قول باقلي الكوفة إن فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، فوالله ما ذاك إلا للحسن والحسين وولد بطنها خاصة ، فأما أن يكون موسى بن جعفر يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله ، وتعصيه أنت ثم تحيثان يوم القيامة سواء ؟ لأنّ أعز على الله عز وجل منه ! إن علي بن الحسين كان يقول: لمحسننا كفلان من الأجر ولمسيئنا ضعفان من العذاب.

قال الحسن الوشاء: ثم التفت إليّ فقال لي: يا حسن كيف تقرؤون هذه الآية: قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ؟ فقلت: من الناس من يقرأ أنه عملٌ غير صالح ومنهم من يقرأ أنه عملٌ غير صالح ، فمن قرأ أنه عملٌ غير صالح فقد نفاه عن أبيه . فقال عليه السلام: كلا لقد كان ابنه ولكن لما عصى الله عز وجل نفاه عن أبيه . كذا من كان منا لم يطع الله عز وجل فليس منا ، وأنت إذا أطعت الله عز وجل فأنت منا أهل البيت).

٢- حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي . قال: لما جرى بزيد بن موسى أخي الرضا عليه السلام إلى المأمون وقد خرج بالبصرة وأحرق دور العباسيين وذلك في سنة تسع وتسعين ومائة فسمي زيد النار! قال له المأمون: يا زيد خرجت بالبصرة وتركت أن تبدأ بدور أعدائنا بني أمية وثقيف وعدي وبأهله وآل زياد، وقصدت دور بني عمك؟ قال: وكان مزاحاً أخطأت يا أمير المؤمنين من كل جهة ، وإن عدت بدأت بأعدائنا ! فضحك المأمون وبعث به إلى أخيه الرضا عليه السلام وقال: قد وهبت جرمه لك فلما جاؤوا به عنقه وخلي سبيله ، وحلف أن لا يكلمه أبداً ما عاش .

٣- حدثنا أبو الخير علي بن أحمد النسابة عن مشايخه أن زيد بن موسى كان ينادم المستنصر وكان في لسانه فضل وكان زيدياً وكان زيد هذا ينزل بغداد على نهر كرخايا، وهو الذي كان بالكوفة أيام أبي السرايا فولاه ، فلما قتل أبو السرايا تفرق الطالبيون فتواری بعضهم ببغداد وبعضهم بالكوفة ، وصار بعضهم إلى المدينة ، وكان ممن تواری زيد بن موسى هذا فطلبه الحسن بن سهل حتى دل عليه فأتى به فحبسه ثم أحضره على أن يضرب عنقه وجرده السيف ليضرب عنقه وكان حضر هناك الحجاج بن خيثمة فقال: أيها الأمير إن رأيت أن لا تعجل وتدعوني إليك فإن عندي نصيحة ، ففعل وأمسك السيف فلما دنى منه قال: أيها الأمير أتاك بما تريد أن تفعله أمر من أمير المؤمنين؟ قال: لا قال فعلام تقتل ابن عم أمير المؤمنين من غير إذنه وأمره واستطلاع رأيه فيه؟ ثم حدثه بحديث أبي عبد الله بن أفضس وأن الرشيد حبسه عند جعفر بن يحيى فأقدم عليه جعفر فقتله من غير أمره وبعث برأسه إليه في طبق مع هدايا النيروز وأن الرشيد لما أمر مسرور الكبير بقتل جعفر بن يحيى قال له: إذا سألك جعفر عن ذنبه الذي تقتله به فقل له: إنما أقتلك بابن عمي ابن الأفضس قتلته من غير أمري.

ثم قال الحجاج بن خيثمة للحسن بن سهل: أفتأمن أيها الأمير حادثة تحدث بينك وبين أمير المؤمنين وقد قتلت هذا الرجل فيحتج عليك بمثل ما احتج به الرشيد على جعفر بن يحيى؟

فقل الحسن للحجاج: جزاك الله خيراً، ثم أمر برفع زيد وأن يرد إلى محبسه فلم يزل محبوساً إلى أن ظهر أمر إبراهيم بن المهدي فخير أهل بغداد بالحسن بن سهل فأخرجوه عنها، فلم يزل محبوساً حتى حمل إلى المأمون فبعث به إلى أخيه الرضا عليه السلام فأطلقه وعاش زيد بن موسى إلى آخر خلافة المتوكل ومات بسر من رأى).

٤ - حدثنا علي بن إبراهيم هاشم قال: حدثني ياسر أنه خرج زيد بن موسى أخو أبي الحسن عليه السلام بالمدينة وأحرق وقتل وكان يسمى زيد النار!

فبعث إليه المأمون فأمر وحمل إلى المأمون فقال المأمون: إذهبوا به إلى أبي الحسن، قال ياسر: فلما أدخل إليه قال له أبو الحسن عليه السلام: يا زيد أغرك قول سفلة أهل الكوفة أن فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ذلك للحسن والحسين خاصة. إن كنت ترى إنك تعصي الله عز وجل وتدخل الجنة وموسى بن جعفر عليه السلام أطاع الله ودخل الجنة فأنت إذا أكرم على الله عز وجل من موسى بن جعفر! والله ما ينال أحد ما عند الله عز وجل إلا بطاعته وزعمت أنك تناله بمعصيته فبئس ما زعمت! فقال له زيد: أنا أخوك وابن أبيك فقال له أبو الحسن عليه السلام: أنت أخي ما أطعت الله عز وجل إن نوحاً عليه السلام قال: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي فَقَالَ اللَّهُ عز وجل: يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ. فأخرجه الله عز وجل من أن يكون من أهله بمعصيته).

ثورة ابراهيم أخ الإمام الرضا عليه السلام

قال الطبري (١٢٣/٧): (وفي هذه السنة (٢٠٠ هجرية) خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب باليمن).

وخلاصة ثورته: أنه كان وجماعة من أهل بيته بمكة حين خرج أبو السرايا فخرج من مكة بمن معه من أهل بيته الى اليمن ، ووالي اليمن يومئذ المقيم بها من قبل المأمون إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ، فلما سمع بإقبال إبراهيم بن موسى العلوي وقربه من صنعاء ، خرج منصرفاً عن اليمن في الطريق النجدية بجميع من في عسكره من الخيل والرجل ، وخلي لإبراهيم بن موسى بن جعفر اليمن ، لأنه يعرف قوة شعبية بني علي عليه السلام في اليمن .

ثم أراد اسحاق العباسي والي اليمن أن يدخل مكة فمنعه العلويون !
لكن سلوك إبراهيم بن موسى بن جعفر في اليمن كان منفوراً مع الأسف لكثرة من قتل حتى سمي الجزار ! وقد هزمه الحسن بن سهل ممثل المأمون في بغداد ، وقبض عليه وأرسله مع من أرسل من العلويين الى المأمون .

علاقة إحضار الإمام الرضا عليه السلام بهذه الثورات؟

نهى المأمون قادة جيشه أن يقتلوا العلويين قادة الثورات ، وطلب أن يستتوبوهم وأن يحضروهم اليه في خراسان ، وكان يعفو عنهم ويقول: هذه رحمٌ مجفوة منذ ممّتي سنة! واتخذ بعضهم من جلسائه مثل محمد بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ! ولا شك أنه أراد بإحضار الإمام الرضا عليه السلام ونصبه ولي عهده أن يسكت العلويين وينهي ثوراتهم على الخلافة العباسية .

لكنه أراد أن يطبق نظريته الخاصة التي يؤمن بها تجاه العلويين .
 وخلاصة هذه النظرية: أن علياً وأولاده (خُلُوٌّ من الناس) أي فوق الناس العاديين لأنهم
 عندهم (العلم الصحيح) أي علم النبي صلى الله عليه وآله وعلم الكتاب ، فيجب إكرامهم والإستفادة
 من علمهم ، كما يستفاد من المنجمين النابغين !
 فإن طمح أحدهم الى الحكم وإزاحة الخليفة العباسي ، فيجب القضاء عليه لكن بأسلوب
 ناعم غير معلن ، والجلوس في عزائه والبكاء عليه قبل الباكين . ثم مواصلة سياسة الإكرام
 والإحترام والنعمومة معهم !





الفصل السادس

أجبره المأمون على الحضور إلى طوس

قائد السرية: رجاء بن أبي الضحاك وليس الجلودي

نفى السيد محسن الأمين رحمته الله أن يكون القائد الجلودي هو الذي كلفه المأمون بإحضار الإمام الرضا عليه السلام لأنه عدو لأهل البيت عليهم السلام وله سابقة مع الإمام الرضا لما أمره الرشيد بالقضاء على ثورة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وأمره بالغارة على نساء أبناء علي وتجردهن إلا من ثوب واحد! فوقف في وجهه الرضا عليه السلام وكفل له أنه هو يدخل ويأخذ حليهن وثيابهن ويأتي بها للقائد الجلودي وأقسم له فرضي الجلودي بذلك. والمأمون يعرف جريمة الجلودي تلك، فلا يعقل أن يكلفه بإحضار الإمام باحترام ورفق.

وكلامه رحمته الله متين، يؤيده قول رجاء بن أبي الضحاك الآتي: (بعثني المأمون في إشخاص علي بن موسى عليه السلام من المدينة وقد أمرني أن آخذ به على طريق البصرة والأهواز وفارس ولا آخذ به على طريق قم، وأمرني أن أحفظه بنفسي بالليل والنهار حتى أقدم به عليه، فكانت معه من المدينة إلى مرو، فوالله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله تعالى منه).

والحقيقة أن الجلودي كان مقره بغداد وكان يرسل قادته إلى الحجاز للقضاء على ثورات العلويين ولما يذهب هو، فأمره المأمون أن يأتي بالخارجين عليه من آل أبي طالب ويسلمهم إلى رجاء بن أبي الضحاك. فكان المقبوض عليهم من الطالبين مع الإمام الرضا عليه السلام في

سفره ، لكن أمر الإمام عليه السلام يختلف عن أمرهم !

وتدل رواية صحيحة في العيون (٢/ ١٥٠) عن أبي الصلت قال: (والله ما دخل الرضا عليه السلام هذا الأمر طائعاً، ولقد حمل إلى الكوفة مكرهاً ، ثم أشخص منها على طريق البصرة وفارس إلى مرو)!

تدل على أن رجاء بن أبي الضحاك أراد أن يسافر الى مرو عن طريق الكوفة وقم ، وهو الطريق المفضل لأن طريق البصرة - مرو ، فيه صحراء لوط الصعبة ، وطريق قم فيه بلاد معمورة أكثر ، فوصلت رسالة المأمون الى الكوفة بالمرور به عن طريق البصرة وليس الكوفة وقم ، فعدل به الى البصرة.

ونصت رواية القاضي المغربي في شرح الأخبار (٣/ ٣٣٩) على أن الجلودي سلم المقبوض عليهم الى رجاء قال: (وكان المأمون كتب معه إلى علي بن موسى ، وأرسل به الحسن رسولاً إليه وكتب معه كتاباً ، وكان ذلك الكتاب قبل أن يشخص إليه من كان قام عليه من الطالبين ، وأمره بإشخاصهم معه . وكتب إلى الجلودي في حمل محمد بن جعفر ، وعلي بن موسى ، وعلي بن الحسن بن زيد ، وإسماعيل بن موسى ، وابن الأرقط ، ومن كان قد خرج ، فحملهم الجلودي وأخذ بهم على طريق البصرة وإبراهيم بن المهدي بها ، وقد انتهى الخبر إليه وما أريد به علي بن موسى بن جعفر ، وذكر ذلك لمن يخصه من العباسيين وغيرهم ، فأشار عليه إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بقتل علي بن موسى بن جعفر بن محمد فلم يقدر إبراهيم على ذلك .

وحملوا على طريق الأهواز ، وصاروا إلى فارس فلقبهم رجاء بن الضحاك وتسلمهم من الجلودي . وقدم بهم على مرو وعلى المأمون لعشر خلون من جمادى الآخر سنة إحدى ومائتين ، فصيروا في دار ميدان الفضل ، ويقال لها: داراسي ، أنزل علي بن موسى منها في بيت وحده ، والباقون في بيت آخر بجماعتهم وفرش لهم).

وقوله تسلمهم أي المقبوض عليهم ، لكن لم يكن الإمام الرضا عليه السلام منهم !
وفي تاريخ الطبري (١٣٢/٧): (وفي هذه السنة وجه المأمون رجاء بن أبي الضحاك
وفرناس الخادم لإشخاص علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد بن جعفر .
وأحصى في هذه السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين ذكر وأنثى).
وقال ابن الجوزي في تذكرة الخواص (٤٧٢/٢): (قال الواقدي: ولما كان سنة مئتين بعث
إليه المأمون فأشخصه من المدينة إلى خراسان ليوليه العهد بعده ، والذي أشخصه
فرناس الخادم ورجاء بن أبي الضحاك . فلما وصل إلى نيسابور خرج إليه علماءؤها مثل
يحيى بن يحيى ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن رافع ، وأحمد بن حرب وغيرهم
لطلب الحديث والرواية عنه والتبرك به).

أما فرناس الخادم فلم يرد له ذكر مستقل في أي ترجمة ، والمرجح أنه من عيون المأمون على
القائد رجاء يراقب تنفيذه لأمر الخليفة ، فإن انحرف عن الخط المرسوم دس له السم وبكى
عليه ، وقاد السرية بدله ! فهذا هو أسلوب المأمون !

ودع الإمام عليه السلام بيت الله الحرام

كان الإمام الرضا عليه السلام دائم الحج والعمرة ، وكان يأخذ معه ابنه أبا جعفر أحياناً ، أو
يتركه في المدينة .

فقد أخذه معه وهو طفل :

ففي الكافي (٣٦١/٦): (عن يحيى الصنعاني قال: دخلت على أبي الحسن الرضا وهو
بمكة وهو يقشر موزاً ويطعمه أبا جعفر عليه السلام فقلت له: جعلت فداك هذا المولود
المبارك قال: نعم يا يحيى ، هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركة
على شيعتنا منه).

ولا بد أن يكون قصده مولوداً في عصره ، وإلا فقد ولد قبله من هو أفضل منه .

وترك الجواد في المدينة وراسله من مكة:

في الثاقب في المناقب / ٥٢٥: (عن محمد بن ميمون ، قال: كنت مع الرضا عليه السلام بمكة قبل خروجه إلى خراسان ، قال فقلت له: إني أريد أن أتقدم إلى المدينة فاكتب معي كتاباً إلى أبي جعفر عليه السلام فتبسم وكتب ، وحضرت إلى المدينة وقد كان ذهب بصري ، فأخرج الخادم أبا جعفر عليه السلام إلينا فحمله من المهد ، فتناول الكتاب وقال لموفق الخادم: فضه وانشره ففضه ونشره بين يديه ، فنظر فيه ، ثم قال: يا محمد ما حال بصرك؟ قلت: يا ابن رسول الله ، اعتلت عيناى فذهب بصري كما ترى . قال: فمد يده ومسح بها على عيني ، فعاد بصري إلي كأصح ما كان ، فقبلت يده ورجله ، وانصرفت من عنده وأنا بصير ، والمنة الله .)

ومعناه أن الإمام الرضا عليه السلام كتب له: يا بني إمسح بيدك على عيني حامل الرسالة .

ولما أراد وداع البيت أخذ الجواد عليه السلام معه:

ففي إثبات الهداة (٤/ ٤٠٢): (روى علي بن عيسى الأربلي في كتاب كشف الغمة نقلاً من كتاب الدلائل لعبد الله بن جعفر الحميري ، عن أمية بن علي قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة في السنة التي قد حج فيها ، ثم صار إلى خراسان ، ومعه أبو جعفر عليه السلام وأبو الحسن يودع البيت فلما قضى طوافه عدل إلى المقام فصلى عنده ، فصار أبو جعفر على عنق موفق يطوف فصار إلى الحجر فجلس فيه فأطال ، فقال له موفق: قم جعلت فداك ، فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله ، واستبان في وجهه الغم ، فأتى موفق أبا الحسن فقال له: جعلت فداك قد جلس أبو جعفر في الحجر وهو يأبى أن يقوم ، فقام أبو الحسن فأتى أبا جعفر فقال له: قم يا حبيبي ،

فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا فقال: بلى يا حبيبي ، ثم قال: كيف أقوم وقد ودعت البيت وداعاً لا ترجع! فقال: قم يا حبيبي فقام معه .

وكان أكثر دعائه في وداعه بالعافية من مكائد المأمون:

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (١٩/٢): (عن أحمد بن موسى بن سعد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال كنت معه في الطواف فلما صرنا معه بحذاء الركن اليماني أقام عليه السلام فرفع يديه ثم قال: يا الله يا ولي العافية، ويا خالق العافية، ويا رازق العافية، والمنعم بالعافية، والمنان بالعافية ، والمتفضل بالعافية ، ويا خالق العافية ، ويا رازق العافية ، والمنعم بالعافية ، والمأنُّ بالعافية ، والمتفضل بالعافية عليّ وعلى جميع خلقك ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد وآل محمد وارزقنا العافية ، ودوام العافية ، وتمام العافية وشكر العافية في الدنيا والآخرة ، يا أرحم الراحمين).

ودع عائلته وقرجده الرسول صلى الله عليه وآله

في دلائل الإمامة للطبري/٣٤٩: (عن أبي محمد الوشاء ، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: لما أردت الخروج من المدينة جمعت عيالي وأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع بكاءهم ، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار ، ثم قلت لهم: إني لا أرجع إلى عيالي أبداً . ثم أخذت أبا جعفر فأدخلته المسجد ، ووضعت يده على حافة القبر ، وألصقته به واستحفظته رسول الله صلى الله عليه وآله فالتفت أبو جعفر فقال لي: بأبي أنت وأمي ، والله تذهب إلى عادية! وأمرت جميع وكلائي وحشمي له بالسمع والطاعة ، وترك مخالفته ، والمصير إليه عند وفاتي ، وعرفتهم أنه القيم مقامي).

وفي وسائل الشيعة (٤٥٥/٣): (عن الحسن بن علي بن فضال قال: رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام وهو يريد أن يودع للخروج إلى العمرة ، فأتي القبر من موضع رأس

النبي صلى الله عليه وآله بعد المغرب فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ولزق بالقبر ، ثم انصرف حتى أتى القبر فقام إلى جانبه يصلي فألزق منكبه الأيسر بالقبر قريباً من الأسطوانة المخلفة التي عند رأس النبي صلى الله عليه وآله ، فصلى ست ركعات أو ثمان ركعات .



معجزات الإمام في طريق خراسان

في البصرة - قرأ الإمام عليه السلام ما في ذهن الرجل !

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/٢٢٧) بسند صحيح عن أبي حبيب البناجي أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وقد وافى البناج (محطة حجاج بين البصرة ومكة) ونزل بها في المسجد الذي ينزله الحاج كل سنة ، وكأني مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه ، ووجدت عنده طبقاً من خوص نخل المدينة فيه تمر صيحاني ، فكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولني منه فعددته فكان ثمانية عشرة ثمرة ، فتأولت ذلك أني أعيش بعدد كل ثمرة سنة ، فلما كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تُعمر بين يدي للزراعة ، حتى جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة ونزوله ذلك المسجد ، ورأيت الناس يسعون إليه فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبي صلى الله عليه وآله وتحتة حصير مثل ما كان تحتة ، وبين يديه طبق خوص فيه تمر صيحاني ، فسلمت عليه فرد السلام علي واستدانني فناولني قبضة من ذلك التمر فعددته فإذا عدده مثل ذلك التمر الذي ناولني رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له: زدني منه يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله لزدناك!!

وفي إثبات الوصية للمسعودي/٢١١: (وفي رواية أنه قال إحدى وعشرين تمرة . وأقام يومه ورحل يراد به خراسان على طريق البصرة والأهواز وفارس وكرمان).
ورواه ابن الصباغ في الفصول المهمة (٢/٩٧٧) والفتال النيسابوري في روضة الواعظين/
٢٠٨، والمفيد في الأمالي/٣٣٥، والقطب الراوندي في الخرائج(١/٤١١) والاربلي في كشف
الغمة (٢/٣١٣) بتفاوت .

آمن به الطبيب الأهوازي فخافوا من افتتان الناس به !

في الثاقب في المناقب/٤٨٨، والخرائج(٢/٦٦٠): (عن أبي هاشم الجعفري ، قال: لما بعث المأمون رجاء بن الضحاك لحمل أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان حمله على طريق الأهواز ، ولم يمر به على طريق العراق والكوفة ، وكنت بالشرق من إيذج فبلغني ذلك ، فسرت فلقيته وقد نزل به الرجاء بن الضحاك الأهواز ، فسلمت عليه وتعرفت إليه وانتسبت ، وذلك أول لقائي به وصحبتني إياه فقال خيراً كثيراً ، ورأيتة قليلاً ، وذلك زمن القيظ في الصيف فقلت: يا سيدي وابن ساداتي ، ما تجشم بك هذا الصيف؟ فقال: هيهات يا أبا هاشم ، ولكن ادع لي طبيباً من أطباء هذه البلاد أنعت له بقلة هاهنا عسى أن يعرفها. فأتيته بطبيب فنعت له بقلة فقال له الطبيب: لا أعرف على وجه الأرض أحداً يعرف إسمها غيرك، فمن أين عرفتها وليست في هذه الأوطان ولا في هذا الأوان ولا في هذا الزمان !

قال: فابغ لي قصب السكر، فقال الطبيب: هذا أدنى من الأول ، ما هذا بزمان قصب السكر ولا يكون إلا في الشتاء . قال فقال له عليه السلام: بل هما في أرضكم هذه ، وزمانكم هذا وهذا معك فأمضيا إلى شاذروان الماء فاعبراه فيرجع لكما جوخان ، فاقصداه فتجدان هناك رجلاً أسود في جوخان فقولا أرنا منابت قصب السكر ومنابت الحشيشة، فقال: يا أبا هاشم ، دونك القوم فقمتم معهما ، فإذا أنا بالجوخان والرجل

الأسود هناك فسألناه فأومى إلى ظهره فإذا قصب السكر ، فأخذنا منه حاجتنا ورجعنا إلى الجوخان فلم نر صاحبه فيه ، فانصرفنا إلى الرضا عليه السلام فحمد الله كثيراً ، فقال لي الطبيب: من هذا ! قلت: ويلك ، ابن سيد الأنبياء . قال: أفعدنه من أقاليد النبوة شيء؟ قلت: قد شهدت بعضها ولكنه ليس بنبي . قال: وهذا وصي نبي؟ قلت: أما هذا فنعم . فبلغ ذلك رجاء بن الضحاك فقال لأصحابه: إن أخطأتم به طريق الكوفة والعراق فما أخطأتم هذا الموضع الذي قد أظهر فيه الأعاجيب ! ولئن أقمتم بعد هذا لتمدن إليه الرقاب . فارتحل به .

وروى بعضه في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/٢٢٢): (عن أبي الحسن الصائغ عن عمه قال: خرجت مع الرضا عليه السلام إلى خراسان أوامره في قتل رجاء بن أبي الضحاك الذي حمّله إلى خراسان فنهاني عن ذلك وقال: أتريد أن تقتل نفساً مؤمنة بنفس كافرة؟ قال: فلما صار إلى الأهواز قال لأهل الأهواز: إطلبوا لي قصب سكر، فقال بعض أهل الأهواز ممن لا يعقل: أعرابي لا يعلم أن القصب لا يوجد في الصيف! فقالوا: يا سيدنا إن القصب لا يوجد في هذا الوقت إنما يكون في الشتاء فقال: بلى أطلبوه فإنكم ستجدونه، فقال إسحاق بن إبراهيم: والله ما طلب سيدي إلا موجوداً ، فأرسلوا إلى جميع النواحي فجاء أكرة إسحاق فقالوا: عندنا شيء ادخرناه للبذرة نزرعه . فكانت هذه إحدى براهينه عليه السلام .)

أقول: نهى الإمام عليه السلام عن قتل رجاء وشهادته بأنه مؤمن ، يؤيد ما روي عن رجاء من حبه للإمام وأهل البيت عليهم السلام وكتابه ذلك على المأمون وقريبه الفضل . لكن لا نعرف النفس الكافرة التي قتلها رجاء ، وأراد الصائغ أن يقتله بها ! وقد ورد أن بعض قادة المأمون قالوا للجلودي فلنقتل علي بن موسى الرضا ، لأنهم عرفوا أن المأمون سينصبه ولي عهده ويخرج الخلافة من العباسيين . وهي رواية أوضح من رواية الصائغ ، وفيها إبهام أيضاً !

اتصل المؤمن بالإمام بتفكيره فعرف الإمام ﷺ طلبته وأجابه !

في عيون أخبار الرضا ﷺ (٢/٢٢٨): (حدثنا أبو حامد أحمد بن علي بن الحسين الثعالبي قال: حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالصفواني قال: قد خرجت قافلة من خراسان إلى كرمان فقطع اللصوص عليهم الطريق ، وأخذوا منهم رجلاً أتهموه بكثرة المال ، فبقي في أيديهم مدة يعذبونه ليفتدي منهم نفسه ، وأقاموه في الثلج وملؤوا فاه من ذلك الثلج فشدوه ، فرحمته امرأة من نسائهم فأطلقته وهرب فانفسد فمه ولسانه حتى لم يقدر على الكلام. ثم انصرف إلى خراسان وسمع بخبر علي بن موسى الرضا وأنه بنيسابور ، فرأى فيها يرى النائم كأن قائلاً يقول له إن ابن رسول ﷺ قد ورد خراسان فسله عن علتك فربما يعلمك دواء تنتفع به قال: فرأيت كأني قد قصدته ﷺ وشكوت إليه ما كنت دفعت إليه وأخبرته بعلتي فقال لي: خذ من الكمون والسعتر والملح ودقه ، وخذ منه في فمك مرتين أو ثلاثاً ، فإنك تعافى !

فانتبه الرجل من منامه ولم يفكر فيما كان رأى في منامه ولا اعتد به ، حتى ورد باب نيسابور فقيل له: إن علي بن موسى الرضا ﷺ قد ارتحل من نيسابور وهو برباط سعد، فوقع في نفس الرجل أن يقصده ويصف له أمره ليصف له ما ينتفع به من الدواء ، فقصده إلى رباط سعد فدخل إليه فقال له: يا ابن رسول الله كان من أمري كيت وكيت وانفسد علي فمي ولساني حتى لا أقدر على الكلام إلا بجهد ، فعلمني دواءً لأنتفع به . فقال الرضا ﷺ: ألم أعلمك؟ إذهب فاستعمل ما وصفته لك في منامك له الرجل: يا ابن رسول الله إن رأيت أن تعيده علي فقال ﷺ لي: خذ من الكمون والسعتر والملح فدقه وخذ منه في فمك مرتين أو ثلاثاً فإنك ستعافى ! قال الرجل: فاستعملت ما وصف لي فعوفيت !!

قال أبو حامد الثعالبي: سمعت أبا أحمد عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالصفواني

يقول: رأيت هذا الرجل وسمعت منه هذه الحكاية)!

أقول: في هذه المعجزة ثلاثة حقائق مهمة:

الأولى: أن المؤمن إذا نوى أن يكلم الإمام عليه السلام نية عميقة ، يوصل الله تعالى كلامه الى الإمام عليه السلام .

الثانية: أن الإمام يمكنه أن يكلم الشخص ويحييه على مسأله في منامه !

الثالثة: أن الإمام عليه السلام يقرأ ما في نفس الشخص ، وقد يحييه قبل أن يتكلم !

غرس الإمام شجرة في نيسابور فكانت آية!

في مناقب آل أبي طالب (٣/٤٥٥): قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: لما دخل الرضا عليه السلام نيسابور ونزل محلة فور ناحية يعرفها الناس بالإسناد في دار تعرف بدار پسنديده ، وإنما سميت پسنديده لأن الرضا عليه السلام ارتضاه من بين الناس ، فلما نزلها زرع في جانب من جوانب الدار لوزة فنبت وصارت شجرة فأنثرت في كل سنة ، وكان أصحاب العلل يستشفون بلوز هذه الشجرة ، وعوفي أعمى ، وصاحب قولنج، وغير ذلك. فمضت الأيام على ذلك ويبست، فجاء حمدان وقطع أغصانها ثم جاء ابن حمدان يقال له أبو عمرو فقطع تلك الشجرة من وجه الأرض فذهب ماله كله، وكان له ابنان يقال لأحدهما أبو القاسم والآخر أبو صادق ، فأرادا عمارة تلك الدار وأنفقا عليها عشرين ألف درهم فقلعا الباقي من أصل تلك الشجرة ، فهاتا في مدة سنة)!

عين الرضا وحمam الرضا عليه السلام في نيشابور

في مناقب آل أبي طالب (٣/و: ٤/٤٥٩ و ٣٤٨): (لما نزل الرضا عليه السلام في نيسابور بمحلة فوزا، أمر ببناء حمام وحفر قناة وصنعة حوض فوقه مصلى ، فاغتسل من الحوض وصلى في المسجد فصار ذلك سنة ، فيقال: كرمابه رضا وآب رضا وحوض كاهلان . ومعنى ذلك أن رجلاً وضع همياناً على طاقه واغتسل منه وقصد إلى مكة ناسياً هميانه ، فلما انصرف من الحج أتى الحوض فرآه مشدوداً فسأل الناس عن ذلك فقالوا: قد آوى فيه ثعبان ونام على طاقه ففتحه الرجل ، فدخل في الحوض وأخرج هميانه وهو يقول: هذا من معجز الامام ، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: أي كاهلان ! فسمي الحوض بذلك كاهلان ، وسميت المحلة فوزا لأنه فوز فصحفوها).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٤٤): (ويقال إن الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور نزل في محلة يقال لها الفرويني فيها حمام وهو الحمام المعروف اليوم بحمام الرضا عليه السلام وكانت هناك عين قد قل ماؤها فأقام عليها من أخرج ماؤها حتى توفر وكثر . واتخذ من خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين فدخله الرضا عليه السلام واغتسل فيه ثم خرج منه وصلى على ظهره . والناس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون فيه ويشربون منه التماساً للبركة ويصلون على ظهره ويدعون الله عز وجل في حوائجهم فتقضي لهم ، وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها الناس إلى يومنا هذا).

حديث سلسلة الذهب لجمهور علماء نيشابور

صارت نيشابور عاصمة إيران ، وكانت مركز تأسيس المذاهب في مواجهة مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وكان فيها علماء كبار يسمى الواحد منهم إمام الأئمة كمحمد بن يحيى الذهلي ، وابن راهويه ، وابن خزيمة ، وابن حبان وأبو زرعة ، ولهم عشرات

ألوف من طلبية العلم ، وكان السائد فيها مذهب السلطة حتى أنهم طردوا البخاري لما أحسوا منه أنه خالفهم في مسألة ! ومع ذلك كان جوهم العام تقديس الإمام الرضا عليه السلام ، فقد هبوا جميعاً لما ورد نيشابور وأحاطوا براحلته وطلبوا منه أن يطل عليهم ويحدثهم بحديث وهيوؤوا ألوف المحابر ليكتبوه !

وبعد وفاة الإمام الرضا عليه السلام كان أهل نيشابور إذا جاء شعبان تجمعوا وذهبوا في قوافل لزيارة قبره بطوس ، وفي مقدمتهم كبار علمائهم .

قال الشريف المرتضى في رسائله (٢/٢٥٣): (ومما يمكن الإستدلال به على ذلك: أن الله تعالى قد ألهم جميع القلوب ، وغرس في كل النفوس ، تعظيم شأنهم وإجلال قدرهم على تباين مذاهبهم واختلاف دياناتهم ونحلهم! وما اجتمع هؤلاء المختلفون المتباينون مع تشتت الأهواء وتشعب الآراء على شئ كإجماعهم على تعظيم من ذكرناه وإكبارهم ، إنهم يزورون قبورهم ويقصدون من شاحط البلاد وشاطئها مشاهدتهم ومدافنهم والمواضع التي وسمت بصلاتهم فيها وحلوهم بها ، وينفقون في ذلك الأموال ويستنفدون الأحوال ! فقد أخبرني من لا أحصيه كثرة أن أهل نيسابور ومن والاها من تلك البلدان ، يخرجون في كل سنة إلى طوس لزيارة الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله عليهما ، بالجمال الكثيرة والأهبة ، التي لا يوجد مثلها إلا للحج إلى بيت الله . وهذا مع المعروف من انحراف أهل خراسان عن هذه الجهة، وازورارهم عن هذا الشعب ! وما تسخير هذه القلوب القاسية وعطف هذه الأمم البائنة ، إلا كالحارق للعادات والخارج عن الأمور المألوفات ، وإلا فما الحامل للمخالفين لهذه النحلة ، المنحازين عن هذه الجملة ، على أن يراوحوها هذه المشاهد ويغادوها ، ويستنزّلوا عندها من الله تعالى الأرزاق ، ويستفتحوها الأغلاق، ويطلبوا

ببركاتهما الحاجات ويستدفعوا البليات ، والأحوال الظاهرة كلها لا توجب ذلك ولا تقتضيه ولا تستدعيه ، وإلا فعلوا ذلك فيمن يعتقدونهم ، وأكثرهم يعتقدون إمامته وفرض طاعته ، وأنه في الديانة موافق لهم غير مخالف ، ومساعد غير معاند .

ومن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدنيا ، فإن الدنيا عند غير هذه الطائفة موجودة وعندها هي مفقودة ، ولا لتقية واستصلاح فإن التقية هي فيهم لامنهم ، ولا خوف من جهتهم ولا سلطان لهم ، وكل خوف إنما هو عليهم .

فلم يبق إلا داعي الدين ، وذلك هو الأمر الغريب العجيب الذي لا ينفذ في مثله إلا مشية الله ، وقدرة القهار التي تذلل الصعاب وتقود بأزمته الرقاب . وهذا يوقظ على أن الله خرق في هذه العصابة العادات وقلب الجبلات ، ليبين من عظيم منزلتهم ، وشريف مرتبتهم . وهذه فضيلة تزيد على الفضائل ، وتربو على جميع الخصائص والمناقب ، وكفى بها برهاناً لائحاً ، وميزاناً راجحاً ، والحمد لله رب العالمين .

وقال ابن حبان في الثقات (٨ / ٤٥٧) : (ومات علي بن موسى الرضا بطوس من شربة سقاه إياها المأمون فمات من ساعته ، وذلك في يوم السبت آخر يوم سنة ثلاث ومائتين . وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار ، بجانب قبر الرشيد ، قد زرته مراراً كثيرة ، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ، ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي ، وزالت عني تلك الشدة ، وهذا شئ جربته مراراً فوجدته كذلك . أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته ، صلى الله عليه وسلم الله عليه وعليهم أجمعين) .

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٧ / ٣٣٩) : (قال الحاكم في تاريخ نيشابور : وسمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول : خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي

بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي ، مع جماعة من مشائخنا ، وهم إذ ذاك متوافرون ، إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس . قال: فرأيت من تعظيمه يعني ابن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ، ما تحيرنا فيه) .

حديث سلسلة الذهب حديث صحيح متواتر

قال ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة (٢/١٠٠٢): (قال المولى السعيد إمام الدنيا عماد الدين محمد بن أبي سعيد بن عبد الكريم الوزان ، في محرم سنة ست وتسعين وخمس مائة قال: أورد صاحب كتاب تاريخ نيشابور في كتابه: أن علي بن موسى الرضا عليه السلام لما دخل إلى نيشابور في السفارة التي فاز فيها بفضيلة الشهادة ، كان في قبة مستورة بالسقلاط (بردة رومية) على بغلة شهباء وقد شق نيشابور ، فعرض له الإمامان الحافظان للأحاديث النبوية والمثابرة على السنة المحمدية: أبو زرعة الرازي ، ومحمد بن أسلم الطوسي ، ومعهما خلائق لا يُحصون من طلبة العلم وأهل الأحاديث وأهل الرواية والدراية ، فقالا: أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك ، ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك محمد صلى الله عليه وآله نذكرك به . فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكشف المظلة عن القبة وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعتهم المباركة ، فكانت له ذؤابتان على عاتقه والناس كلهم قيام على طبقاتهم ينظرون إليه وهم بين صارخ وبك و متمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته ، وعلا الضجيج فصاحت الأئمة والعلماء والفقهاء: معاشر الناس إسمعوا وعوا ، وأنصتوا لسمع ما ينفعكم ، ولا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم . وكان المستملي أبو زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي ، فقال علي بن موسى الرضا عليه السلام: حدثني أبي موسى الكاظم ، عن أبيه جعفر الصادق ، عن أبيه محمد الباقر ، عن أبيه علي زين العابدين ، عن أبيه الحسين شهيد كربلاء ، عن أبيه علي بن

أبي طالب قال: حدثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله ﷺ قال: حدثني جبرئيل قال: سمعت رب العزة سبحانه وتعالى يقول: كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي . ثم أرخى الستر على القبة وسار، قال فعدوا أهل المحابر والدويّ الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً .

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض الأمراء السامانية ، فكتبه بالذهب وأوصى أن يُدفن معه في قبره ، فرؤي بالنوم بعد موته فقليل له: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر الله لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي بأن محمداً رسول الله مخلصاً).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٤٣): (قال أبو الصلت: كنت مع علي بن موسى الرضا عليه السلام حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء ، فإذا محمد بن رافع ، وأحمد بن الحرث ، ويحيى بن يحيى ، وإسحاق بن راهويه ، وعدة من أهل العلم ، قد تعلقوا بلجام بغلته المربعة فقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك ... سمعت جبرائيل يقول: قال الله جل جلاله: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ، من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله).

وفي رواية أمالي الصدوق/ ٣٠٥: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن عذابي. فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها ، وأنا من شروطها).

وفي توحيد الصدوق/ ٢٥: (فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها. قال مصنف هذا الكتاب: من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنه إمام من قبل الله عز وجل على العباد ، مفترض الطاعة عليهم).

لماذا سمي حديث سلسلة الذهب؟

إنما سمي بذلك لأن سنده: الإمام الرضا عن أبيه الكاظم عن أبيه الصادق عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

ووصف هذا السند بأنه شفاء المجانين ! فقد جاء في حديث آخر ، فسمعه أحمد بن حنبل فقال: هذا سعوط المجانين ، إذا سعط به المجنون أفاق!

روى الصدوق في الخصال/٥٣: « عن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: كنت واقفاً على أبي ، وعنده أبو الصلت الهروي ، وإسحاق بن راهويه ، وأحمد بن محمد بن حنبل فقال أبي: ليحدثني كل رجل منكم بحديث ، فقال أبو الصلت الهروي: حدثني علي بن موسى الرضا ، وكان والله رضا كما سمي ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الإيمان قول وعمل . فلما خرجنا قال محمد بن أحمد: ما هذا الإسناد ؟ فقال له أبي: هذا سعوط المجانين ، إذا سعط به المجنون أفاق . يعني إذا كتبت هذه الأسماء وجعلت نشوقاً للمجنون لشفني !

وفي تاريخ بغداد (٣/٣٧): (عن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: كنت واقفاً على رأس أبي وعنده أحمد بن محمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وأبو الصلت الهروي ، فقال أبي: ليحدثني كل رجل منكم بحديث ، فقال أبو الصلت: حدثني علي بن موسى الرضا وكان والله رضا كما سمي عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه علي . قال: قال رسول الله (ص): الإيمان قول وعمل . فقال بعضهم : ما هذا الإسناد ! فقال له أبي: هذا سعوط المجانين ، إذا سعط به المجنون برأ).

وروى الصدوق في العيون (١٥٨/٢) عن الصولي: (صعد المأمون المنبر لما بايع علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال: أيها الناس جاءكم بيعة علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. والله لو قرئت هذه الأسماء على الصم البكم ، لبرؤوا بإذن الله عز وجل).

وقال ابن حجر في الصواعق/١٢٢: (قال أحمد: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته).

وقال أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/١٩٢): (كان بعض سلفنا من المحدثين يقول: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق).

وصل الإمام إلى مرو فأنزلوه في قصر حميد بن قحطبة

قال المسعودي في مروج الذهب (٣/٤٤١): (وفي سنة مائتين بعث المأمون برجاء بن أبي الضحاك وياسر الخادم إلى علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الرضا لإشخاصه ، فحمل إليه مكرماً . وفيها أمر المأمون بإحصاء ولد العباس من رجالهم ونسائهم وصغيرهم وكبيرهم ، فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً .

ووصل إلى المأمون أبو الحسن علي بن موسى الرضا ، وهو بمدينة مرو ، فأنزله المأمون أحسن إنزال ، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء ، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس وولد علي رضي الله عنهم ، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا فبايع له بولاية العهد ، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم ، وزوج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل ، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام ، وأظهر بدلاً من ذلك الخضرة في اللباس والأعلام وغير ذلك .

ونمي ذلك إلى من بالعراق من ولد العباس فأعظموه ، إذ علموا أن في ذلك خروج

الأمر عنهم ! وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر المأمون ، واجتمع من بمدينة السلام من ولد العباس ومواليهم وشيعتهم ، على خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة ، فبويح له يوم الخميس لخمس ليال خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين).

وفي عيون أخبار الرضا (١٤٧/٢): (فبلغ عليه السلام قرب قرية الحمراء قيل له: يا بن رسول الله قد زالت الشمس أفلا تصلي؟ فنزل فقال: إئتوني بهاء فقيل ما معنا ماء ، فبحث عليه السلام بيده الأرض فنبع من الماء ماء توضعاً به هو ومن معه! واثره باق إلى اليوم . فلما دخل سناباد استند إلى الجبل الذي تنحت منه القدور فقال: اللهم انفع به وبارك فيما يجعل فيه وفيما ينحت منه ، ثم أمر فنحت له قدور من الجبل وقال: لا يطبخ ما آكله إلا فيها، وكان عليه السلام خفيف الأكل قليل الطعام ، فاهتدى الناس إليه من ذلك اليوم ، فظهرت بركة دعائه فيه ، ثم دخل دار حميد بن قحطبة الطائي ودخل القبة التي فيها قبرهارون الرشيد ثم خط بيده إلى جانبه ، ثم قال: هذه تربتي وفيها أدفن وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي . والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلم علي منهم مسلم ، إلا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت .

ثم استقبل القبلة فصلى ركعات ودعا بدعوات ، فلما فرغ سجد سجدة طال مكثه فيها فأحصيت فيها خمس مائة تسيحه ، ثم انصرف).

حرز الإمام الرضا عليه السلام

في عيون أخبار الرضا (١٤٨/٢): (عن ياسر الخادم قال: لما نزل أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قصر حميد بن قحطبة نزع ثيابه وناولها حميداً فاحتملها وناولها جارية له لتغسلها، فما لبثت أن جاءت ومعها رقعة فناولتها حميداً وقالت: وجدتها في جيب أبي الحسن علي بن

موسى الرضا عليه السلام فقلت: جعلت فداك إن الجارية وجدت رقعة في جيب قميصك فما هي؟ قال يا حميد هذه عوذة لا نفارقها فقلت: لو شرفنتي بها قال عليه السلام: هذه عوذة من أمسكها في جيبه كان مدفوعاً وكانت له حرزاً من الشيطان الرجيم ومن السلطان ، ثم أملى على حميد العوذة وهي: بسم الله الرحمن الرحيم . بسم الله إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً أو غير تقي ، أخذت بالله السميع البصير على سمعك وبصرك ، لا سلطان لك عليّ ولا على سمعي ولا بصري ، ولا شعري ولا على بشري ، ولا على لحمي ولا على دمي ، ولا على نخي ولا على عصبني ولا على عظامي ، ولا على أهلي وعلى مالي، ولا على ما رزقني ربي . سترت بيني وبينك بستره النبوة الذي استتر به أنبياء الله من سلطان الفراعنة . جبرئيل عن يميني وميكائيل عن يساري وإسرافيل من ورائي ومحمد صلى الله عليه وآله أمامي ، والله مطلع على ما يمنعك ويمنع الشيطان مني. اللهم لا يغلب جهله أناتك يستفزني ويستخفني . اللهم إليك التجأت، اللهم إليك التجأت ، اللهم إليك التجأت .





الفصل السابع

مداولائه مع المأمون قبل ولاية العهد

عرض المأمون على الرضا عليه السلام أن يتنازل له عن الخلافة!

(قال له: يا ابن رسول الله ، قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك ، وأراك أحق بالخلافة مني. فقال عليه السلام: بالعبودية لله عز وجل افتخر ، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا ، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عز وجل ...

فقال له المأمون: إني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك . فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت الخلافة لك وجعلها الله لك ، فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك ، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك . فقال له المأمون: يا بن رسول الله لا بد لك من قبول هذا الأمر ! فقال: لست أفعل ذلك طائعاً أبداً ! فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك ، فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي .

وفي رواية قال له: إني قد رأيت أن أقلدك أمر المسلمين، وأفسخ ما في رقبتني وأضعه في رقبتك، فقال له الرضا عليه السلام: الله الله يا أمير المؤمنين إنه لا طاقة لي بذلك ولا قوة لي عليه! قال له: فإني موليك العهد من بعدي، فقال له: أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين، فقال له المأمون كلاماً فيه كالتهدد له على الإمتناع عليه! وكان ذو الرئاستين يقول: وا عجباه

وقد رأيت عجباً ، سلوني ما رأيت ؟ فقالوا: وما رأيت أصلحك الله؟ قال: رأيت المأمون أمير المؤمنين يقول لعلي بن موسى الرضا: قد رأيت أن أقلدك أمور المسلمين ، وأفسخ ما في رقبتى وأجعله في رقبتك ، ورأيت علي بن موسى يقول: يا أمير المؤمنين لا طاقة لي بذلك ولا قوة! فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها ! إن أمير المؤمنين يتفصى (يتخلص) منها ويعرضها على علي بن موسى ، وعلي بن موسى يرفضها ويأبى ! وقصد الفضل الطعن بمنصب الخلافة ، لأنه يخطط بمجوسيته لإزالة الخلافة كلياً !

رفض الإمام عليه السلام ولاية العهد وأصر عليه المأمون!

في عيون أخبار الرضا (٢/ ١٥١) وأمالى الصدوق / ١٢٥ ، بسند صحيح عن ابراهيم بن هاشم عن أبي الصلت الهروي قال: إن المأمون قال للرضا عليه السلام: (يا ابن رسول الله ، قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحق بالخلافة مني. فقال الرضا عليه السلام: بالعبودية لله عز وجل افتخر ، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا ، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم ، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عز وجل . فقال له المأمون: إني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك . فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت الخلافة لك وجعلها الله لك ، فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك ، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك . فقال له المأمون: يا بن رسول الله لا بد لك من قبول هذا الأمر ! فقال: لست أفعل ذلك طائعاً أبداً !

فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك ، فكن ولي عهدي ، لتكون لك الخلافة بعدي .

فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين، عن رسول الله صلوات الله عليه وآله :

أني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسم مظلوماً ، تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض ، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد . فبكى المأمون ثم قال له : يا ابن رسول الله ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي ؟

فقال الرضا عليه السلام : أما إني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت ! فقال المأمون : يا ابن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك ليقول الناس : إنك زاهد في الدنيا . فقال الرضا عليه السلام : والله ما كذبت منذ خلقتني ربي عز وجل وما زهدت في الدنيا للدنيا ، وإني لأعلم ما تريد . فقال المأمون : وما أريد؟ قال : لي الأمان على الصدق؟ قال : لك الأمان . قال : تريد بذلك أن يقول الناس : إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه ، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة . فغضب المأمون ثم قال : إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطواتي ، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك ، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك !

فقال الرضا عليه السلام : قد نهاني الله عز وجل أن ألقى بيدي إلى التهلكة ، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك ، وأنا أقبل ذلك على أي لا أولي أحداً ، ولا أعزل أحداً ، ولا أنقض رسماً ولا سنة ، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً . فرضي منه بذلك وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام لذلك !

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين (١/٤٥٤) : (وجه إلى الفضل بن سهل فأعلمه أنه يريد العقد له ، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك ، ففعل واجتمعوا بحضرته ، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ، ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه ، فقال له : إني عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع ،

وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل. فاجتمعوا معه على ما أراد ، فأرسلهما إلى علي بن موسى فعرضاً ذلك عليه فأبى فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه ، إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت وإلا فعلنا بك وصنعنا وتهده ، ثم قال له أحدهما: والله أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد . ثم دعا به المأمون فخطابه في ذلك (...).

وفي إرشاد المفيد (٢/٢٦١): (وذكر جماعة من أصحاب الأخبار ورواة السير والآثار وأيام الخلفاء: أن المأمون لما أراد العقد للرضا علي بن موسى عليه السلام وحدث نفسه بذلك، أحضر الفضل بن سهل فأعلمه ما قد عزم عليه من ذلك وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك ، ففعل واجتمعوا بحضرته ، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه فقال له المأمون: إني عاهدت الله أنني إن ظفرت بالمخلوع أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب ، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل على وجه الأرض . فلما رأى الحسن والفضل عزمته على ذلك أمسكا عن معارضته فيه ، فأرسلهما إلى الرضا عليه السلام فعرضاً ذلك عليه فامتنع منه ، فلم يزالا به حتى أجاب ، ورجعا إلى المأمون فعرفاه إجابته فسر بذلك).

وقال المفيد في الإرشاد (٢/٢٥٩): (وأنزل الرضا علي بن موسى عليه السلام داراً وأكرمه وعظم أمره ثم أنفذ إليه: إني أريد أن أخلع نفسي من الخلافة وأقلدك إياها فما رأيك في ذلك؟ فأنكر الرضا عليه السلام هذا الأمر وقال له: أعيدك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد!

فرد عليه الرسالة: فإذا أبيت ما عرضت عليك فلا بد من ولاية العهد من بعدي ، فأبى عليه الرضا إباءً شديداً ، فاستدعاه إليه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرئاستين، ليس في المجلس غيرهم ، وقال له: إني قد رأيت أن أقلدك أمر المسلمين ،

وأفسخ ما في رقبتي وأضعه في رقبتك ، فقال له الرضا عليه السلام : الله الله يا أمير المؤمنين إنه لا طاقة لي بذلك ولا قوة لي عليه !

قال له: فإني موليك العهد من بعدي ، فقال له: أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين ، فقال له المأمون كلاماً فيه كالتهدد له على الإمتناع عليه ، وقال له في كلامه: إن عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة أحدهم جدك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وشرط فيمن خالف منهم أن تضرب عنقه ، ولا بد من قبورك ما أريده منك فإنني لا أجد محيصاً عنه ! فقال له الرضا عليه السلام : فإني أجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد ، على أنني لا آمر ولا أنهي ولا أفتي ولا أقضي ولا أولي ولا أعزل ولا أغير شيئاً مما هو قائم . فأجابه المأمون إلى ذلك كله .)

أقول: يتضح من هذه النصوص أن المأمون كان كاذباً في عرض الخلافة على الإمام الرضا عليه السلام ، لأن شعاره الذي تعلمه من أبيه: الملك عقيم ولو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عيناك ! وقد أخذ عيني أخيه الأمين ورأسه لما خلعه من ولاية العهد ! وكذلك عرضه ولاية عهده على الإمام الرضا عليه السلام فسببه أنه رأى المسلمين يقدسون الأئمة العلويين عليهم السلام ويلتفون حولهم ، ويقايسون بينهم وبين الخلفاء العباسية ، وبذلك يشكلون مصدر خطر دائم على العباسيين .

فالمأمون يريد أن يكشف للناس أن آل علي زهدوا في الدنيا لعجزهم عنها ، فلما أمكنتهم تركوا زهدهم وانغمسوا في الدنيا كالعباسيين !

وقد أحبط الإمام خطة المأمون برفضه ، ولما أجزأه بأنه يموت قبله ويقتل مسموماً مظلوماً ، أي أخبره بأنه سيتغير عليه ويقتل الإمام عليه السلام .

وشرط عليه أن لا يدخل في أمر من أمور الخلافة أبداً ، بل يكون مشاوراً من بعيد ! وأكد على شرطه هذا ، فقبل منه المأمون !

جواب الإمام عليه السلام للصوفية على قبوله ولاية العهد

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/ ١٥٠): (علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه ، عن الريان بن الصلت ، قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا؟ فقال عليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك ، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل إخترت القبول على القتل !

ويجهم! أما علموا أن يوسف عليه السلام كان نبياً ورسولاً ، دفعته الضرورة إلى تولى خزائن العزيز: قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ. ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك ، على أي ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه . فإلى الله المشتكى وهو المستعان).

سبب قرار المأمون جعل ولاية العهد للإمام عليه السلام

قال المأمون للفضل بن سهل وأخيه الحسن: إني عاهدت الله أنني إن ظفرت بالمخلوع أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب ، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل على وجه الأرض .

نص مرسوم ولاية العهد

قال الإربلي في كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام (٣/ ١٢٤): (وفي سنة سبعين وست مائة وصل من مشهده الشريف عليه السلام أحد قوامه ، ومعه العهد الذي كتبه المأمون بخط يده وبين سطوره وفي ظهره بخط الإمام عليه السلام ما هو مسطور فقبّلت مواقع أقلامه وسرحت طرفي في رياض كلامه ، وعددت الوقوف عليه من منن الله وإنعامه ، ونقلته حرفاً

فحرفاً ، وما هو بخط المأمون:

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده:

أما بعد فإن الله عزَّ وجلَّ اصطفى الإسلام ديناً، واصطفى له من عباده رسلاً دالين عليه وهادين إليه ، يبشر أولهم بآخرهم، ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله إلى محمد ﷺ على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي ، واقتراب من الساعة ، فختم الله به النبيين ، وجعله شاهداً لهم ومهيماً عليهم ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي: لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، بما أحل وحرم ، ووعد وأوعد ، وحذر وأندر ، وأمر به ونهى عنه ، لتكون له الحجة البالغة على خلقه ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، وإن الله لسميع عليم . فبلغ عن الله رسالته ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن ، ثم بالجهاد والغلظة ، حتى قبضه الله إليه ، واختار له ما عنده ﷺ ، فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ﷺ الوحي والرسالة ، جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين بالخلافة ، وإتمامها وعزها والقيام بحق الله فيها ، بالطاعة التي بها تقام فرائض الله وحدوده ، وشرايع الإسلام وسننه ، ويجاهد بها عدوه ، فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده ، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله ، وأمن السبيل ، وحقق الدماء ، وصلاح ذات البين وجمع الألفة. وفي خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم واختلاف ملتهم ، وقهر دينهم واستعلاء عدوهم ، وتفرق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة . فحق على من استخلفه الله في أرضه وائتمنه على خلقه أن يجهد الله نفسه ويؤثر ما فيه

رضا الله وطاعته ، ويعتد لما الله مواقفه عليه ومساائله عنه ، ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمله الله وقلده ، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول لنبيه داود عليه السلام : يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ . فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال لو ضاعت سخلة بشاطئ الفرات لتخوفت أن يسألني الله عنها . وأيم الله إن المسؤول عن خاصة نفسه الموقوف على عمله فيما بينه وبين الله ، ليتعرض على أمر كبير وعلى خطر عظيم ، فكيف بالمسؤول عن رعاية الأمة ، وبالله الثقة ، واليه المفزع والرغبة في التوفيق والعصمة ، والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجة ، والفوز من الله بالرضوان والرحمة .

وأنظر الأمة لنفسه وأنصحهم لله في دينه وعباده ، من خلائقه في أرضه ، من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في مدة أيامه وبعدها ، وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهده ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده ، وينصبه علماً لهم ومفزعاً في جميع ألفتهم ولم شعثهم وحقن دمائهم ، والأمن بإذن الله من فرقتهم وفساد ذات بينهم واختلافهم ، ورفع نزع الشيطان وكيده عنهم ، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل العهد بعد الخلافة ، من تمام أمر الإسلام وكماله وعزة وصلاح أهله ، وأهم خلفائه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ، ما عظمت به النعمة وشملت فيه العافية ، ونقض الله بذلك مكر أهل الشقاق والعداوة ، والسعي في الفرقة والتربص للفتنة .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة ، فاختر بشاعة مذاقها ، وثقل محلها وشدة مؤنتها ، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمله منها ، فأنصب بدنه ، وأسهر عينه ، وأطال فكره ، فيما فيه عز الدين وقمع المشركين ، وصلاح الأمة ونشر العدل ، وإقامة الكتاب والسنة ، ومنعه ذلك من الخفض والدعة

ومهنأ العيش ، علمأ بها الله سائله عنه ومحنة أن يلقي الله مناصحأ له في دينه وعباده ، ومختارأ لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده ، أفضل من يقدر عليه في ورعه ودينه وعلمه ، وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقه ، مناجياً لله تعالى بالإستخارة في ذلك ، ومسألته الهامه ما فيه رضاه وطاعته ، في آناء ليله ونهاره ، معملاً في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره ، مقتصرأ لمن علم حاله ومذهبه منهم على علمه ، وبالغأ في المسألة عمن خفي عليه أمره جهده وطاقته ، حتى استقصى أمورهم معرفة وابتلى أخبارهم مشاهدة ، واستبرأ أحوالهم معاينة ، وكشف ما عندهم مساءلة ، فكانت خيرته بعد استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده ، في البيتين جميعأ: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لما رأى من فضله البارع ، وعلمه الناصع ، وورعه الظاهر وزهده الخالص ، وتخليه من الدنيا وتسلمه من الناس ، وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطية ، والألسن عليه متفقة ، والكلمة فيه جامعة ، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعأ وناشئأ وحدثأ ومكتهلاً ، فعقد له بالعهد والخلافة من بعده ، واثقأ بخيرة الله في ذلك ، إذ علم الله أنه فعله إيثارأ له وللدين ، ونظرأ للإسلام والمسلمين ، وطلبأ للسلامة وثبات الحق ، والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين .

ودعا أميرالمؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته ، وقواده وخدمه ، فبايعوا مسرعين مسرورين ، عالمين بإيثار أميرالمؤمنين طاعة الله على الهوى ، في ولده وغيرهم ، ممن هو أشبك منه رحماً ، وأقرب قرابة ، وسماه الرضا إذ كان رضأ عند أمير المؤمنين ، فبايعوا معشرأهل بيت أميرالمؤمنين ومن بالمدينة المحروسة من قواده وجنده وعامة المسلمين لأمير المؤمنين وللرضا من بعده .

كتب بقلمه الشريف بعد قوله وللرضا من بعده بل آل من بعده علي بن موسى على اسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه وعباده ، بيعة مبسوطة إليها أيديكم منشرة لها صدوركم ، عالين بما أراد أمير المؤمنين بها ، وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها ، شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من قضاء حقه في رعايتكم ، وحرصه على رشدكم وصلاحكم ، راجين عايدة ذلك في جمع ألفتكم ، وحقن دمائكم ، ولم شعثكم ، وسد ثغوركم ، وقوة دينكم ، ورغم عدوكم ، واستقامة أموركم .

وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، فإنه الأمن إن سارعتم إليه وحمدتم الله عليه وعرفتم الحظ فيه إن شاء الله .

وكتب بيده يوم الإثنين بسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين .

صورة ما كان على ظهر العهد بخط الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الفعال لما يشاء ، لامعقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وصلاته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين .

أقول وأنا علي بن موسى الرضا بن جعفر : إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ، ووفقه للرشاد ، عرف من حقنا ما جهله غيره ، فوصل أرحاماً قطعت ، وآمن نفوساً فزعت ، بل أحيائها وقد تلفت ، وأغناها إذ افتقرت ، مبتغياً رضا رب العالمين ، لا يريد جزاء من غيره ، وسيجزى الله الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين .

وإنه جعل إلي عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده ، فمن حل عقدة أمر الله بشدها ، وفصم عروة أحب الله إثاقها ، فقد أباح حريمه وأحل محرمه ، إذ كان بذلك زارياً على الإمام منتهاكاً حرمة الإسلام ، بذلك جرى السالف فصبر عنه على الفلتات ، ولم

يعترض بعدها على الغرماة ، خوفاً من شتات الدين ، واضطراب حبل المسلمين ، ولقرب أمر الجاهلية ، ورصد فرصة تنتهز، وبإيقعة تتبدر ، وقد جعلت الله على نفسي إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافته العمل فيهم عامة ، وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة ، بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، وأن لا أسفك دماً حراماً ، ولا أبيع فرجاً ولا مالاً إلا ما سفكته حدود الله وأباحته فرائضه ، وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً ، يسألني الله عنه ، فإنه عز وجل يقول: وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً . وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للغير مستحقاً ، وللنكال متعرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه ، واليه أرغب في التوفيق لطاعته ، والحوول بيني وبين معصيته ، في عافية لي وللمسلمين .

والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك ، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم: **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** ، لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه ، والله يعصمني وإياه ، وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً .

وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، والفضل بن سهل ، وسهل بن الفضل ، ويحيى بن أكثم ، وعبد الله بن طاهر ، وثمامة بن أشرس ، وبشر بن المعتمر ، وحماد بن النعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومأتين .

الشهود على جانب الأيمن: شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه، وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين ببركة هذا العهد والميثاق ، وكتب بخطه في التاريخ المبين فيه .

عبد الله بن طاهر بن الحسين: أثبت شهادته فيه بتاريخه .

شهد حماد بن النعمان بمضمونه ظهره وبطنه ، وكتب بيده في تاريخه .

بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلك الشهود على الجانب الأيسر .

ورسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءه هذه الصحيفة التي هي صحيفة الميثاق ، نرجو أن يجوز بها الصراط ظهرها وبطنها ، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله بين الروضة والمنبر على رؤس الأشهاد بمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد ، بعد استيفاء شروط البيعة عليهم بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع المسلمين ، ولتبطل الشبهة التي كانت اعترضت آراء الجاهلين ، ما كان الله ليذّر المؤمنين على ما أنتم عليه . وكتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه) .

وقال ابن الجوزي في المنتظم (١٠/٩٩): (قال هبة الله بن الفضل بن صاعد الكاتب: هذا العهد رأيتُه بخط المأمون ، ابتاعه خالي يحيى بن صاعد بهائتي دينار ، وحمله إلى سيف الدولة صدقة بن منصور ، وكان فيه خطوط جماعة من الكتاب ، مثل: الصولي عبد الله بن العباس ، والوزير المغربي).

مجلس مراسم البيعة للإمام عليه السلام بولاية العهد

قال المفيد في الإرشاد (٢/٢٦١) وابن الصباغ في الفصول المهمة (٢/١٠٠٥) وأبو الفرج في مقاتل الطالبين/٣٧٥ ، وغيرهم: (ذكر جماعة من أصحاب السير ورواة الأخبار بأيام الخلفاء ، أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا عليه السلام وحدث نفسه بذلك وعزم عليه ، أحضر الفضل بن سهل فأعلمه بما قد عزم عليه ، وأمره مشاورا بالإجماع مع أخيه الحسن على ذلك ففعل واجتمعا وحضرا عند المأمون ، فجعل الحسن يُعظّم ذلك عليه ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهل بيته ، فقال له المأمون: إني عاهدت الله أني إن ظفرت بالمخلوع أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب ، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل على وجه الأرض ، ولا بد من ذلك . فلما رأيا تصميمه وعزيمته على

ذلك أمسكا عن معارضته فقال: تذهبان الآن إليه وتخبرانه بذلك عني وتلزمانه به ، فذهبا إلى الرضا عليه السلام وأخبراه بذلك وإلزام المأمون له بذلك فامتنع منه ، فلم يزالا به حتى أجاب على أنه لا يأمر ولا ينهى ولا يولي ولا يعزل ولا يتكلم بين اثنين في حكم ولا يغير شيئا هو قائم على أصوله ، فأجابه المأمون إلى ذلك .

ثم إن المأمون جلس مجلساً خاصاً لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحجّاب والكتّاب وأهل الحل والعقد ، وكان ذلك في يوم الخميس وأحضرهم ، فلما حضروا قال للفضل بن سهل: أخبر الجماعة الحاضرين برأي أمير المؤمنين في الرضا علي بن موسى ، وأنه ولّاه عهده وأمرهم بلبس الخُضرة والعود لبيعته في الخميس الآخر ، وأخذ أعطياتهم وأرزاقهم سنة على حكم التعجيل ، ثم صرفهم .

فلما كان الخميس الثاني حضر الناس ، وجلسوا على مقادير طبقاتهم ومنازلهم كل في موضعه ، وجلس المأمون ، ثم جيئَ بالرضا عليه السلام فجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا له وهو لابس الخُضرة ، وعلى رأسه عمامة مقلد بسيف ، فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام إليه والمبايعة له أول الناس ، فرفع الرضا عليه السلام يده فتلقى بها وجه نفسه وبطنها وجوههم وحطها من فوق ، فقال له المأمون: أبسط يدك للبيعة ، فقال الرضا عليه السلام: هكذا كان يبايع رسول الله صلى الله عليه وآله يضع يده فوق أيديهم ، فقال: إفعل ما ترى .

ثم وُضعت بدر الدرهم والدنانير ، وقطع الثياب ، والخلج ، وقام الخطباء والشعراء وذكروا ما كان أمر المأمون وولاية عهده للرضا ، وذكروا فضل الرضا عليه السلام .

وفرقت الصّلات والجوائز على الحاضرين على قدر مراتبهم ، وفرّقت في ذلك اليوم أموال عظيمة .

ثم إن المأمون قال للرضا: قم واخطب الناس ، فقام وتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه

ورثنى بذكر نبيه محمد صلى الله عليه وآله وقال: أيها الناس إن لنا عليكم حقاً برسول الله صلى الله عليه وآله ولكم علينا حقٌّ به ، فإذا أدبتم إلينا ذلك وجب لكم علينا الحقُّ لكم ، والسلام .

ولم يسمع منه في هذا المجلس غير هذا ! وخطب للرضا بولاية العهد في كل بلد ، وخطب عبد الجبار بن سعيد في تلك السنة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة الشريفة فقال في الدعاء للرضا وهو على المنبر: ويُّ عهد المسلمين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأنشد:

سنة آباؤهم ما هم هم أفضل من يشرب صوب الغمام

ثم دعا أبو عباد بالعباس بن المأمون ، فوثب فدنا من أبيه فقبل يده ، وأمره بالجلوس ، ثم نودي محمد بن جعفر بن محمد وقال له الفضل بن سهل: قم ، فقام فمشى حتى قرب من المأمون فوقف ولم يقبل يده ، فقيل له: إمض فخذ جائزتك وناداه المأمون: إرجع يا أبا جعفر إلى مجلسك فرجع ، ثم جعل أبو عباد يدعو بعلوي وعباسي فيقبضان جوائزهما حتى نفدت الأموال .

وذكر المدنيي قال: لما جلس الرضا ذلك المجلس وهو لابس تلك الخلع ، والخطباء يتكلمون وتلك الألوية تخفق على رأسه ، نظر أبو الحسن الرضا إلى بعض مواليه الحاضرين ممن كان يختصُّ به ، وقد داخله من السرور ما لا عليه من مزيد ، وذلك لما رأى ، فأشار إليه الرضا فدنا منه وقال له في أذنه سراً: لا تشغل قلبك بهذا الأمر ، ولا تستبشر به ، فإنه شيءٌ لا يتم !

قال القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار (٣/ ٣٤١): (ثم جلس المأمون في يوم الخميس بعد أربعة أيام فأذن للناس فدخلوا ، والرضا في المجلس الذي كان فيه بويج ، والفضل بينهما على كرسي ، والعباس بن المأمون على يسار أبيه على وسادة واحدة ،

ومحمد بن جعفر في أول الصف يسرة ، وعبد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام على اليمين دون إسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن العباس ، والى جنب عبد الله بن الحسن بن الفضل ، ثم عبد الصمد . ثم دخل باقي الطالبين والعباسيين ، وأجلسوا دون هؤلاء في الإيوان متصلين بهم ، وأقيم للناس سماطين على رسومهم ، وأتي بالمال فصبوا بَدْرًا في وسط الدار ، وقالت الخطباء والشعراء ، فذكروا فضل أمير المؤمنين وما كان منه في الشعر ، وذكر فضل علي بن أبي طالب عليه السلام .

ثم قام أبو العباد في آخر الإيوان ، فبدأ بالعباس بن المأمون ، فقام العباس ، فدنا من أبيه فقبل يده وأمره بالجلوس .

ثم نادى محمد بن جعفر بن محمد ، فلم يقم ، فأشار إليه الفضل أن قم ، فقام فدنا من أمير المؤمنين ثم مضى نحو حارسه ، وهكذا كانت السنة عندهم ، فلما كان في وسط الإيوان ناداه المأمون: يا أبا جعفر إرجع إلى مجلسك . ثم نودي بعلي بن عباس ، حتى انفض المجلس . وأعطى محمد بن جعفر ستين ألف دينار ، وأعطى كذلك عبد الله بن الحسن ، وعيسى بن يعقوب ، وعبد الصمد بن علي ، وإسحاق بن موسى ، وعيسى لكل واحد منهم ستين ألف دينار .

وأعطى علي بن الحسن وزيد العلوي أربعين ألف دينار . وأعطى إسماعيل بن موسى وغيره من الطالبين لكل واحد منهم ثلاثين ألف دينار .

وجلس علي بن موسى في مجلس المأمون يوم الجمعة بعد الصلاة .

ودخل الناس إليه كما كانوا يدخلون إلى المأمون . وطرّز الطراز وضرب السكة باسمه ، وزوج المأمون ابنته أم الفضل من محمد بن علي بن موسى .

وروى الصدوق في العيون (٢/٢٦٤): (عن الريان بن شبيب خال المعتصم أن المأمون لما أراد أن يأخذ البيعة لنفسه بإمرة المؤمنين ولأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بولاية العهد ولفضل بن سهل بالوزارة أمر بثلاثة كراسي فنصبت لهم فلما قعدوا عليها أذن للناس فدخلوا يبايعون فكانوا يصفقون بايمانهم على أيان الثلاثة من أعلى الإبهام إلى الخنصر ويخرجون حتى بايع في آخر الناس فتى من الأنصار ، فصفق بيمينه من أعلى الخنصر إلى أعلى الإبهام فتبسم أبو الحسن الرضا عليه السلام ثم قال: كل من بايعنا بايع بفسخ البيعة غير هذا الفتى فإنه بايعنا بعقدها !

فقال المأمون: وما فسخ البيعة من عقدها ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : عقد البيعة هو من أعلى الخنصر إلى أعلى الإبهام وفسخها من أعلى الإبهام إلى أعلى الخنصر قال : فهاج الناس في ذلك وأمر المأمون بإعادة الناس إلى البيعة على ما وصفه أبو الحسن عليه السلام وقال الناس: كيف يستحق الإمامة من لا يعرف عقد البيعة ؟ أن من علم لأولى بها ممن لا يعلم . قال فحمله ذلك على ما فعله من سُمه !)

تهنئة الشاعر دعبل الخزاعي للإمام عليه السلام

قال الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٥٣) حدثنا الحاكم البيهقي قال: لما ولي الرضا عليه السلام العهد خرج إليه إبراهيم بن العباس (الصولي) ودعبل بن علي وكانا لا يفترقان ، ورزين بن علي أخو دعبل.. أنشده دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

وأنشده إبراهيم بن العباس :

أزالت عناء القلب بعد التجلد مصارع أولاد النبي محمد

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم عليها إسمه ، كان المأمون أمر بضرها في ذلك الوقت قال: فأما دعبل فصار بالعشرة آلاف التي حصته إلى قوم فباع كل درهم بعشرة دراهم ، فتخلصت له مائة ألف درهم .

وأما إبراهيم فلم يزل عنده بعد أن أهدى بعضها وفرق بعضها على أهله ، إلى أن توفي عليه السلام وكفنه وجهازه منها) .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/٢٩٦): (عن عبد السلام الهروي قال سمعت دعبل يقول لما أنشدت مولاي الرضا عليه السلام قصيدي التي أولها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي :

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاء شديداً ثم رفع رأسه إلي فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الامام ومتى يقوم ؟ فقلت: لا يا سيدي إلا إني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملؤها عدلاً .

فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني ، وبعد محمد ابنه علي ، وبعد علي ابنه الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره ، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

وأما متى فإخبار عن الوقت ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك ؟ فقال: مثله مثل الساعة: لا يُجَلِّبُهَا لَوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً .

وفي العيون (٢/٢٩٤): (عبد السلام الهروي: دخل دعبل الخزاعي على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرور فقال له: يا ابن رسول الله إني قد قلت فيك قصيدة ، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك فقال عليه السلام : هاتها فأنشده:

مدارس آيات خلّت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات
بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي . فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدوا إلى واتريم أكفأ عن الأوتار منقبضات
جعل أبو الحسن عليه السلام يقلب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات . فلما بلغ إلى قوله :
لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الامن بعد وفاتي
قال الرضا عليه السلام : آمنك الله يوم الفزع الأكبر .
فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفات
قال له الرضا عليه السلام : أفلا الحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟
فقال: بلى يا ابن رسول الله ، فقال عليه السلام :

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهم والكربات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام : قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري. ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له .

ثم نهض الرضا عليه السلام بعد فراغ دعبل من إنشاده القصيدة وأمره أن لا يبرح من موضعه فدخل الدار فلما كان بعد ساعة خرج الخادم إليه ببائة دينار رضوية ، فقال له: يقول لك مولاي: إجعلها في نفقتك ، فقال دعبل: والله ما لهذا جئت ، ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شئ يصل إلي ورد الصرة وسأل ثوباً من ثياب الرضا عليه السلام ليتبرك به ويتشرف ، فأنفذ إليه الرضا عليه السلام جبة خز مع الصرة وقال الخادم: قل له: يقول لك: خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها ولا تراجعني فيها ، فأخذ دعبل الصرة والجبة وانصرف ، وسار من مرو في قافلة ، فلما بلغ ميان قوهان وقع عليهم اللصوص ، وأخذوا القافلة بأسرها وكتفوا أهلها ، وكان دعبل فيمن كتف ، ومالك اللصوص القافلة وجعلوا يقسمونها بينهم فقال رجل من القوم متمثلاً بقول دعبل من قصيدته:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

فسمعه دعبل فقال له: لمن هذا البيت ؟ فقال له: لرجل من خزاعة يقال له: دعبل بن علي ، فقال له دعبل: فأنا دعبل بن علي قائل هذه القصيدة التي منها هذا البيت ، فوثب الرجل إلى رئيسهم وكان يصلي على رأس تل وكان من الشيعة فأخبره ، فجاء بنفسه حتى وقف على دعبل قال له: أنت دعبل؟ فقال: نعم ، فقال له: أنشد القصيدة، فأنشدها فحل كتافه وكتاف جميع أهل القافلة ورد إليهم جميع ما أخذ منهم لكرامة دعبل ، وسار دعبل حتى وصل إلى قم فسأله أهل قم أن ينشدهم القصيدة ، فأمرهم أن يجتمعوا في مسجد الجامع ، فلما اجتمعوا صعد دعبل المنبر فأنشدهم القصيدة ، فوصله الناس من المال والخلع بشئ كثير ، واتصل بهم خبر الجبة ، فسألوه أن يبيعها منهم بألف دينار فامتنع من ذلك ، فقالوا له: فبعنا شيئاً منها بألف دينار ، فأبى عليهم ، وسار عن قم ، فلما خرج من رستاق البلد لحق به قوم من أحداث العرب

فأخذوا الجبة منه ، فرجع دعبل إلى قم فسألهم رد الجبة عليه ، فامتنع الأحداث من ذلك ، وعصوا المشايخ في أمرها وقالوا لدعبل: لا سبيل لك إلى الجبة ، فخذ ثمنها ألف دينار فأبى عليهم ، فلما يئس من رد الجبة عليه سألهم أن يدفعوا إليه شيئاً منها فأجابوه إلى ذلك فأعطوه بعضها ، ودفعوا إليه ثمن باقيها ألف دينار ، وانصرف دعبل إلى وطنه فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان له في منزله ، فباع المائة دينار التي كان الرضا عليه السلام وصله بها من الشيعة كل دينار بمائة درهم ، فحصل في يده عشرة آلاف درهم ، فتذكر قول الرضا عليه السلام: إنك ستحتاج إليها ، وكانت له جارية لها من قلبه محل فرمدت رمداً عظيماً فأدخل أهل الطب عليها ، فنظروا إليها فقالوا: أما العين اليمنى فليس لنا فيها حيلة وقد ذهبت ، أما اليسرى فنحن نعالجها ونجتهد ونرجو أن تسلم ، فاغتم دعبل لذلك غماً شديداً ، وجزع عليها جزعاً عظيماً ثم إنه ذكر ما معه من فضلة الجبة فمسحها على عيني الجارية وعصبها بعصاة منها من أول الليل ، فأصبحت وعيناها أصح مما كانتا ببركة أبي الحسن الرضا عليه السلام).

وحدث المرزباني (العيون: ٢/٢٤٨): أن دعبل الخزاعي هجا المأمون بقوله:

أيسومني المأمون خطة عاجز أو ما رأى بالأمس رأس محمد

إني من القوم الذين همُّ همُّ قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد

فطلبه المأمون فاستتر منه ، إلى أن بلغه أنه هجا إبراهيم بن المهدي بقوله:

إن كان إبراهيم مضطعاً بها فلتصلحن من بعده لمخارق

فضحك المأمون وقال: قد وهبته ذنبه فليظهر. فسار إليه ، فكان أول داخل عليه. ولما

قدم على المأمون وأمنه ، استنشده القصيدة الكبيرة:

تأسفت جارتني لما رأت زوري وعدت الحلم ذنباً غير مغتفر

فأنكرها ، فقال المأمون: لك الأمان أيضاً على إنشادها فأنشدها حتى إذا بلغ:

يا أمة السوء ما جازيت أحمد عن حسن البلاء على التنزيل والسور
خلفتموه على الأبناء حين مضى خلافة الذئب في أبقار ذي بقر
قتلٌ وأسْرٌ وتحريقٌ ومنهبةٌ فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
قومٌ قتلتم على الإسلام أولهم حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قبر الزكي ولا على الزكي بقبر الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت يده فخذ ما شئت أو فذر

قال: فضرب المأمون بعمامته إلى الأرض وقال: صدقت يا دعبل!

أقول: لقد رضي المأمون بحكم دعبل على أبيه هارون ، وقبل مدحه للرضا عليه السلام.

ولدعبل مقام عظيم عند الأئمة عليهم السلام ، بجهاده كل عمره ودفاعه عن أهل البيت عليهم السلام.

وقد يبلغ مقامه الكميت بن زيد الأسدي رضي الله عنه الذي أشبهه في التشرّد من السلطان ، ولا يبلغه مقامها أبو نواس وإن فاز بدعوة الإمام الرضا عليه السلام.

أبو نواس الحسن بن هاني بن عبد الأول

روى في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/ ١٥٥) وبشارة المصطفى للطبري الشيعي/ ١٣٣ ، بسند صحيح عن إبراهيم بن هاشم ، عن ياسر الخادم قال: (لما جعل المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام ولي عهده وضربت الدراهم باسمه وخطب له على المنابر، قصده الشعراء من جميع الآفاق فكان في جملتهم أبو نواس الحسن بن هاني، فمدحه كل شاعر بما عنده إلا أبا نواس فإنه لم يقل فيه شيئاً ، فعاتبه المأمون وقال له: يا أبا نواس أنت مع تشيعك

وميلك إلى أهل هذا البيت تركت مدح علي بن موسى مع اجتماع خصال الخير فيه ،
فأنشأ يقول:

قيل لي أنت أشعر الناس طراً إذ تفوهت بالكلام البديه
لك من جوهر القريض مديح يثمر الدر في يدي مجتنيه
فلماذا تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه
قصرت ألسن المدايح عنه ولهذا القريض لا يحتويه

قال: فدعا بحققة لؤلؤ فحشا فاه لؤلؤاً ، وهكذا فعل بعلي بن همام لما جلس علي بن موسى عليه السلام في الدست قال له المأمون: يا علي بن همام ما تقول في علي بن موسى وأهل هذا البيت؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما أقول في طينة عجنت بماء الحيوان ، وغرس غرس بماء الوحي والرسالة ، هل ينفع منها إلا رائحة التقى وعنبر الهدى ، فحشا أيضاً فاه لؤلؤاً .

قال ياسر: خرج علينا علي بن موسى الرضا عليه السلام من دار المأمون راكباً بغلة فارهة ، بمراكب حسنة وعليه ثياب فاخرة وكان الرضا عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكل من رأى رسول الله في المنام رآه في صورته ، فاستقبله أبو نواس فسلم عليه وقال: يا ابن رسول الله قد قلت فيك آياتاً فأحب أن تسمعها مني: قال هات ، فأنشأ يقول:

مطهرون نقياتٌ جيوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
الله لما برى خلقاً فأتقنه صفاًكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملاء الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور
من لم يكن علويّاً حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر

فقال له الرضا عليه السلام: يا حسن بن هاني قد قلت أبياتاً لم تسبق إلى مثلها ، فأحسن الله جزاك . ثم قال لغلامه: كم معنا من النفقة؟ قال: ثلاث مائة دينار، قال: إحملها إلى أبي نواس، فلما رجع الغلام قال له: يا غلام لعله استقلها ، سُق إليه البغلة) .

أقول: فاز أبو النواس الخليع الماجن الفاسق بدعوة الإمام الرضا عليه السلام بأن يجزيه الله تعالى أحسن الجزاء على أبياته الأربعة التي لم يسبقه الي مثلها أحد .

ودعوة الإمام عليه السلام مستجابة ، فقد فاز أبو نواس بحسن الجزاء على حسن أبياته ! ولا يرضى له الله تعالى له بأقل من المغفرة والجنة .

وكان ذلك في أواخر أيام أبي نواس ، وكان تقدم في السن وندم على معاصيه وأثبت ذلك في قصائده ، وكفى بالندم توبة ، قال في ديوانه (١/ ٨٣٤):

(ولقد نهزت مع الغوات بدلوهم وأسمتُ صرح اللهوح حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فإذا عصارة كل ذاك آثام) .

طلب المأمون من الإمام عليه السلام أن يصلي صلاة العيد

روى الصدوق في العيون (٢/ ١٦١): (فلما حضر العيد (بعد بيعة ولاية العهد) بعث المأمون إلى الرضا عليه السلام يسأله أن يركب ويحضر العيد ويخطب لتطمئن القلوب ويعرفه الناس ويعرفوا فضله ، وتقر قلوبهم على هذه الدولة المباركة ، فبعث إليه الرضا عليه السلام وقال: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر ، فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامة والجند والشاكرية هذا الأمر ، فتطمئن قلوبهم ويقروا بما فضلك الله به ، فلم يزل يرده الكلام في ذلك ، فلما ألح عليه قال: يا أمير المؤمنين إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إلي ، وإن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال المأمون: أخرج كما

تحب ، وأمر المأمون القواد والناس أن يبكروا إلى باب أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فقعد الناس لأبي الحسن الرضا في الطرقات والسطوح ، من الرجال والنساء والصبيان ، واجتمع القواد على باب الرضا عليه السلام فلما طلعت الشمس قام الرضا فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن وألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه وتشمر ، ثم قال لجميع مواليه: إفعلوا مثل ما فعلت ، ثم أخذ بيده عكازة وخرج ، ونحن بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق ، وعليه ثياب مشمرة ، فلما قام ومشينا بين يديه ، رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات ، فخيل إلينا أن الهواء والحيطان تجاوبه ، والقواد والناس على الباب قد تزينوا ولبسوا السلاح وتهيئوا بأحسن هيئة ، فلما طلعتنا عليهم بهذه الصورة حفاة قد تشمرنا وطلع الرضا عليه السلام وقف وقفة على الباب قال: الله أكبر الله أكبر. الله أكبر على ما هدانا . الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام ، والحمد لله على ما أبلانا ، ورفع بذلك صوته ، ورفعنا أصواتنا فترعزعت مرو من البكاء والصياح ، فقالها ثلاث مرات ، فسقط القواد عن دوابهم ورموا بخفافهم لما نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام وصارت مرو ضجة واحدة ، ولم يتمالك الناس من البكاء والضجيج وكان أبو الحسن عليه السلام يمشي ويقف في كل عشر خطوات وقفة ، فكبر الله أربع مرات ، فتخيل إلينا أن السماء والأرض والحيطان تجاوبه ، وبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس ، فالرأي أن تسأله أن يرجع !

فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع ! فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفه فلبسه ورجع).

وفي روضة الواعظين للفتال النيشابوري/٢٢٧: (قال ياسر الخادم والريان بن الصلت جميعاً: لما حضر العيد وكان قد عقد للرضا عليه السلام بولاية العهد بعث إليه المأمون في

الركوب إلى العيد والصلاة بالناس والخطبة بهم ، فبعث إليه الرضا عليه السلام قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول الأمر فاعفني من الصلاة بالناس ، فقال المأمون: إنما أردت أن يطمئن قلوب الناس ، ويعرفوا فضلك ، ولم يزل يتردد الرسل بينهم في ذلك فلما ألح عليه في ذلك المأمون أرسل إليه ان أعفيتني فهو أحب إليّ ، وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام .. الخ.

وفيه: فقال له الفضل بن سهل ذوالرياستين يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس وخفنا كلنا على دمائنا ، فأنفذ إليه أن يرجع ، فبعث إليه المأمون قد كلفناك شططاً وأتعبناك ولسنا نحب أن يلحقك أذى ، فارجع وليصلى بالناس من كان يصلي بهم على رسمه ، فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفه فلبسه ، وركب ورجع واختلف أمر الناس في ذلك اليوم ، ولم ينتظم في صلاتهم !

ثم طلبوا من الإمام عليه السلام أن يصلي صلاة الاستسقاء

روى الصدوق في العيون (٢/١٧٩): عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن أبيه علي بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي عليه السلام : (أن الرضا عليه السلام علي بن موسى لما جعله المأمون ولي عهده احتبس المطر ، فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصبين على الرضا يقولون أنظروا لما جاءنا علي بن موسى عليه السلام وصار ولي عهدنا ، فحبس الله عنا المطر !

واتصل بالمأمون فاشتد عليه فقال للرضا عليه السلام : قد احتبس المطر ، فلو دعوت الله عز وجل أن يمطر الناس فقال الرضا عليه السلام : نعم ، قال: فمتى تفعل ذلك؟ وكان ذلك يوم الجمعة ، قال: يوم الإثنين فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني البارحة في منامي ومعه أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال: يا بني انتظر يوم الإثنين فابرز إلى الصحراء واستسق ، فإن الله تعالى سيسقيهم وأخبرهم بما يريك الله مما لا يعلمون من حالهم ، ليزداد علمهم

بفضلك ومكانك من ربك عز وجل .

فلما كان يوم الإثنين غدا إلى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم يا رب أنت عظمت حقنا أهل البيت فتوسلوا بنا كما أمرت ، وأملوا فضلك ورحمتك ، وتوقعوا إحسانك ونعمتك ، فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير رايث ولا ضائر ، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم !

قال: فو الذي بعث محمد بالحق نبياً صلى الله عليه وآله وسلم لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم وأرعدت وأبرقت وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحي عن المطر، فقال الرضا عليه السلام: على رسلكم أيها الناس فليس هذا الغيم لكم ، إنما هو لأهل بلد كذا ، فمضت السحابة وعبرت ثم جاءت سحابة أخرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا فقال: على رسلكم فما هذه لكم ، إنما هي لأهل بلد كذا ، فما زالت حتى جاءت عاشر سحابة وعبرت ويقول علي بن موسى الرضا عليه السلام: في كل واحدة: على رسلكم ليست هذه لكم إنما هي لأهل بلد كذا ، ثم أقبلت سحابة حادية عشر فقال: أيها الناس هذه سحابة بعثها الله عز وجل لكم فاشكروا الله على تفضله عليكم ، وقوموا إلى مقاركم ومنازلكم ، فإنها مسامة لكم ولرؤوسكم ، ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا إلى مقاركم ، ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله !

ونزل من على المنبر وانصرف الناس فما زالت السحابة ممسكة الى أن قربوا من منازلهم ثم جاءت بوابل المطر فملئت الأودية والحياض والغدران والفلوات ! فجعل الناس يقولون: هنيئاً لو لكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرامات الله عز وجل .

ثم برز إليهم الرضا عليه السلام وحضرت الجماعة الكثيرة منهم فقال: يا أيها الناس اتقوا الله

في نعم الله عليكم فلا تنفروها عنكم بمعاصيه ، بل استديموها بطاعته وشكره على نعمه وأياديه ، واعلموا أنكم لا تشكرون الله بشئ بعد الإيـان بالله وبعد الإعراف بحقوق أولياء الله من آل محمد رسول الله ﷺ أحب إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم ، التي هي معبر لهم إلى جنان ربهم ، فإن من فعل ذلك كان من خاصة الله تبارك وتعالى ، وقد قال رسول الله ﷺ في ذلك قولاً ما ينبغي لقاتل أن يزهـد في فضل الله عليه فيه إن تأمله وعمل عليه . قيل يا رسول الله هلك فلان يعمل من الذنوب كيت وكيت ، فقال رسول الله ﷺ : بل قد نجا ولا يختم الله عمله إلا بالحسنى ، وسيمحوها الله عنه السيئات ويبدلها حسنات ، إنه كان يمر مرة في طريق عرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر ، فسترها عليه ولم يخبره مخافة أن ينجـل ، ثم أن ذلك المؤمن عرفه في مهواه ، فقال له: أجزل الله لك الثواب وأكرم لك المآب ، ولا ناقشك في الحساب ، فاستجاب الله له فيه . فهذا العبد لا يختم الله له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن ، فاتصل قول رسول الله ﷺ بهذا الرجل فتاب وأتاب ، وأقبل على طاعة الله عز وجل ، فلم يأت سبعة أيام حتى أغير على سرح المدينة فوجه رسول الله ﷺ في أثرهم جماعة ذلك الرجل أحدهم ، فاستشهد فيهم).

معجزة للإمام الرضا عليه السلام بعد صلاة الإستسقاء!

روى الصدوق في العيون (٢/١٨٠): قال: الإمام محمد بن علي بن موسى عليه السلام: (وعظم الله تبارك وتعالى البركة في البلاد بدعاء الرضا عليه السلام وقد كان للمأمون من يريد أن يكون هو ولي عهده من دون الرضا عليه السلام وحساد كانوا بحضرة المأمون للرضا عليه السلام فقال للمأمون بعض أولئك: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تكون تاريخ الخلفاء في إخراجك هذا الشرف العميم والفخر العظيم من بيت ولد العباس إلى بيت ولد علي!

لقد أعنت على نفسك وأهلك ، جئت بهذا الساحر ولد السحرة وقد كان خاملاً فأظهرته ، وامتضعاً فرفعته ومنسياً فذكرت به ، ومستخفاً فنوّهت به ! قد ملأ الدنيا مخرقة وتشوقاً بهذا المطر الوارد عند دعائه ! ما أخوفني أن يخرج هذا الرجل هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد علي؟ بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك والتواثب على مملكتك ، هل جنى أحد على نفسه ومملكه مثل جنايتك !

فقال المأمون: كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو إلى نفسه فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا وليعترف بالملك والخلافة لنا ، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما ادعى في قليل ولا في كثير ، وأن هذا الأمر لنا دونه وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن ينفق علينا منه ما لا نسده ، ويأتي علينا منه ما لا نطيعه ، والآن إذ قد فعلنا به ما فعلناه وأخطأنا في أمره بما أخطأنا وأشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما أشرفنا ، فليس يجوز التهاون في أمره ولكننا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوره عند الرعايا بصورة من لا يستحق لهذا الأمر ، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه !

قال الرجل: يا أمير المؤمنين فولني مجادلته فإني أفحمه وأصحابه وأضع من قدره فلولا هيبتك في نفسي لأنزلته منزله وبينت للناس قصوره عما رشحته له ، قال المأمون: ما شئ أحب إليّ من هذا . قال: فاجمع جماعة وجوه مملكتك من القواد والقضاة وخيار الفقهاء ، لأبين نفضه بحضرتهم فيكون أخذاً له عن محله الذي أحلته فيه على علم منهم بصواب فعلك ، قال: فجمع الخلق الفاضلين من رعيته في مجلس واسع قعد فيه لهم ، وأقعد الرضا بين يديه في مرتبته التي جعلها له فابتدأ هذا الحاجب المتضمن للوضع من الرضا عليه السلام وقال له: إن الناس قد أكثروا عنك الحكايات ، وأسرفوا في وصفك بما أرى إنك أن وقفت عليه برئت إليهم منه . قال: وذلك أنك

قد دعوت الله في المطر المعتاد مجيئه فجاء ، فجعلوه آية معجزة لك ، أوجبوا لك بها أن لا نظير لك في الدنيا، وهذا أمير المؤمنين أدام الله ملكه وبقاءه لا يوازي بأحد إلا رجح به ، وقد أحلك المحل الذي قد عرفت ، فليس من حقه عليك أن تسوغ الكاذبين لك وعليه ما يتكذبونه !

فقال الرضا عليه السلام : ما أدفع عباد الله عن التحدث بنعم الله عليّ ، وإن كنت لا أبغي أشراً ولا بظراً . وأما ما ذكرك صاحبك الذي أحلني ما أحلني ، فما أحلني إلا المحل الذي أحله ملك مصر يوسف الصديق عليه السلام ، وكانت حالهما ما قد علمت !

فغضب الحاجب عند ذلك وقال: يا ابن موسى لقد عدوت طورك وتجاوزك قدرك ، أن بعث الله بمطر مقدر وقته لا يتقدم ولا يتأخر، جعلته آية تستطيل بها ، وصولاً تصول بها ، كأنك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم عليه السلام لما أخذ رؤوس الطير بيده ، ودعا أعضائها التي كان فرقتها على الجبال، فأتينه سعيًا وتركين على الرؤوس ، وخفقن وطرن بإذن الله تعالى !

فإن كنت صادقاً فيما توهم فأحي هذين وسلطهما عليّ (وأشار الى صورة أسدين) فإن ذلك يكون حينئذ آية معجزة ، فأما المطر المعتاد مجيؤه فلست أنت أحق بأن يكون جاء بدعائك ، من غيرك الذي دعا كما دعوت !

وكان الحاجب أشار إلى أسدين مصورين على مسند المأمون الذي كان مستنداً إليه ، وكانا متقابلين على المسند ، فغضب علي بن موسى عليه السلام وصاح بالصورتين: دونكما الفاجر ، فافترساه ولا تبقيا له عيناً ولا أثراً !

فوثبت الصورتان وقد عادتا أسدين فتناولوا الحاجب ورضضاه وهشماه وأكلاه ولحسا دمه ، والقوم ينظرون متحيرين مما يبصرون !

فلما فرغا منه أقبلنا على الرضا عليه السلام وقالوا: يا ولي الله في أرضه ماذا تأمرنا نفعل بهذا؟ أنفعل به ما فعلنا بهذا يشيران إلى المأمون؟ فغشي على المأمون مما سمع منهما ، فقال الرضا عليه السلام: ففقا فوقفا قال: صبوا عليه ماء ورد وطيبوه ففعل ذلك به ، وعاد الأسدان يقولان: أتأذن لنا أن نلحقه بصاحبه الذي أفيناه؟ قال: لا، فإن الله عز وجل فيه تدبيراً هو محضيه . فقالوا: ماذا تأمرنا؟ قال: عودا إلى مقركما كما كنتما ، فصارا إلى المسند وصارا صورتين كما كانتا !

فقال المأمون: الحمد لله الذي كفاني شرحميد بن مهران يعني الرجل المفترس ، ثم قال للرضا: يا ابن رسول هذا الأمر لجدكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لكم ، فلو شئت لنزلت عنه لك ! فقال الرضا عليه السلام: لو شئت ناظرتك ولم أسألك ، فإن الله تعالى قد أعطاني من طاعة سائر خلقه مثل ما رأيت من طاعة هاتين الصورتين ، إلا جهال بني آدم ، فإنهم وإن خسروا حظوظهم فله عز وجل فيهم تدبير ، وقد أمرني بترك الاعتراض عليك وإظهار ما أظهرته من العمل من تحت يدك ، كما أمر يوسف بالعمل من تحت يد فرعون مصر! قال: فما زال المأمون ضئيلاً في نفسه إلى أن قضى في علي بن موسى الرضا عليه السلام ما قضى).





الفصل الثامن

حشد المأمون أنواع العلماء ليكسر الإمام عليه السلام!

المنظرة الكبرى التي أعدّها المأمون للإمام عليه السلام!

بعد آيات صلاة الإستسقاء ، وآية إهلاك حميد بن مهران ، وآية إهانة الله للمأمون على على يد سفهاء مرو .. قرر المأمون أن يجمع للإمام عليه السلام مناظرين من كل الفرق ، لعل بعضهم يستطيع غلبته وكسره !

وقد روى ذلك الصدوق عليه السلام في العيون (٢/ ١٧٠) قال: (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقاتلات .. حدثنا القاسم بن محمد البرمكي قال: حدثنا أبو الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، وسائر المقالات، فلم يقدّم أحداً إلا وقد ألزمه حجته، كأنه ألقم حجراً)!

فقوله: مجلس آخر يعني يوماً آخر للمناظرة . وكلام النوفلي مع الإمام عليه السلام يدل على هدف المأمون من هذا المجلس التاريخي !

قال النوفلي وهو من الشخصيات الهاشمية التي قربها المأمون (العيون: ٢/ ١٤٠): (فبينما نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام إذ دخل علينا ياسر الخادم وكان يتولى أمر أبي الحسن عليه السلام فقال له: يا سيدي إن أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويقول: فداك أخوك إنه أجمع إلى أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع الملل، فأريك في

البكور إلينا إن أحببت كلامهم ، وإن كرهت ذلك فلا تتجشم ، وإن أحببت أن نصير إليك خف ذلك علينا ، فقال أبو الحسن عليه السلام : أبلغه السلام وقل له : قد علمت ما أردت وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله .

قال النوفلي : فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي : يا نوفلي أنت عراقي ورقه العراقي غير غليظه فما عندك في جمع ابن عمك علينا؟ أهل الشرك وأصحاب المقالات؟ فقلت : جعلت فداك يريد الإمتحان ويجب أن يعرف ما عندك ، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان ، وبئس والله ما بنى فقال لي : وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت : إن أصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهة إن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا : صحح وحدانيته . وإن قلت : إن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا : أثبت رسالته ! ثم يباهتون ، وهو يبطل عليهم بحجته ويغالطونه حتى يترك قوله ، فاحذرهم جعلت فداك ! قال فتبسم ثم قال لي : يا نوفلي أفتخاف أن يقطعوا على حجتي؟ فقلت : لا والله ما خفت عليك قط وإني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله تعالى .

فقال لي : يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت : نعم ، قال : إذا سمع إحتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم ، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وعلى أهل الزبور بزبورهم ، وعلى الصابئين بعبريتهم ، وعلى أهل الهرايذه بفارسيتهم ، وعلى أهل الروم بروميتهم ، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم ! فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع إلى قولي ، علم المأمون الموضوع الذي هو سبيله ليس بمستحق له ، فعندئذ تكون الندامة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له : جعلت فداك إن ابن عمك ينتظرك وقد

اجتمع القوم فيما رأيك في إتيانه؟ فقال له الرضا عليه السلام: تقدمني فإني صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله، ثم توضأ وضوء للصلاة وشرب شربه سويق وسقانا منه (وفي رواية: فنهض للوضوء وقال لنا: تقدموني وعمران الصابي معنا فصرنا إلى الباب فأخذ ياسر وخالد بيدي فأدخلاني على المأمون فلما سلمت قال: أين أخي أبو الحسن أبقاه الله تعالى؟ قلت: خلفته يلبس ثيابه وأمرنا أن نتقدم. ثم خرج وخرجنا معه حتى دخلنا على المأمون وإذا المجلس غاص بأهله ومحمد بن جعفر وجماعة من الطالبين والهاشميين والقواد حضور فلما دخل الرضا عليه السلام قام المأمون وقام محمد بن جعفر وجميع بني هاشم فما زالوا وقوفاً والرضا جالس مع المأمون، حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا، فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدثه ساعة، ثم التفت إلى الجاثليق فقال: يا جاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبينا، وابن علي بن طالب صلوات الله عليهم، فأحب أن تكلمه أو تحاجه وتنصفه ...

الحضور الذين ناظرهم الإمام عليه السلام

- ١- الجاثليق: الأسقف الأكبر عند النصارى - في المسيحية .
- ٢- رأس الجالوت: كبير حاخامات اليهود - في اليهودية .
- ٣- عمران الصابي، والصابئة طائفة من اليهود - في التوحيد .
- ٤- الهربذ جمعه هرابذة: خدم نار المجوس - في المجوسية .
- ٥- النسطاس بالكسر: بالرومية عالم بالطب - في المسيحية .
- ٦- سليمان المروزي متكلم خراسان - في التوحيد .
- ٧- علي بن محمد بن الجهم - في عصمة الأنبياء عليهم السلام .

كانت المناظرة عدة أيام ومواضيعها متعددة

وهذا طبيعي لأن النقاش يحتاج الى وقت ، فكيف إذا كان مع عدة أشخاص وأديان . وكان بعض هذه المناظرات بحضور المأمون ، وشارك في بعضها في اليوم الأول ، وكان بعضها بدعوة الفضل بن سهل ، وبعضها في بيت الإمام عليه السلام ، كما يفهم من القرائن في حكاية المناظرات .

ويظهر أن عدداً من الرواة كانوا يكتبون ، فقد رأينا أن قصيدة دعبل في الرضا عليه السلام أخذها وحفظها الناس حتى قطع تاطرق ! لكن رواة المناظرات يتفاوتون في الحفظ والفهم ، لذلك تجد بعض نصوصها بليغاً قوياً ، وبعضها عادياً أو ضعيفاً ، وهذا أمر طبيعي لأن المواضيع المطروحة تخصصية لا يستوعبها ويحفظ نصوصها إلا الخاصة من أهل العلم والحفظ . ومع ذلك ، فما وصل اليانا من هذه المناظرات مادة غزيرة ومدهشة !

والظاهر أن النوفلي وأبا الصلت الهروي والحسن بن الجهم وأمثالهم الذين نقلوا المناظرات كتبوها في المجلس أو بعده ، لأن منها مناظرات دقيقة وعلمية ، كمنظرة الإمام عليه السلام في التوحيد مع عمران الصابي ، ومناظرته في البداء والإرادة مع سليمان المروزي . وإن كانوا نقلوها من حفظهم ، فهم على درجة عالية من العلم والحفظ .



اليوم الأول من المناظرة

وكان مع الجاثليق ورأس الجالوت ، والهريذ وأصحاب زردهشت ، وعمران الصابي ، روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (١/١٣٩) عن الحسن بن محمد النوفلي ثم الهاشمي يقول: (لما قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل: الجاثليق، ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئين، والهريذ الأكبر، وأصحاب زردهشت، ونسطاس الرومي، والمتكلمين، ليسمع كلامه

وكلامهم فجمعهم الفضل بن سهل ، ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم عليّ ففعل فرحب بهم المأمون ثم قال لهم: إني إنما جمعتكم لخير ، وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ ، فإذا كان بكرّةً فاغدوا ولا يتخلف منكم أحد ، فقالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين ، نحن مبكرون إن شاء الله .

قال الحسن بن محمد النوفلي: فبينما نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا إذ دخل علينا ياسر الخادم وكان يتولى أمر أبي الحسن عليه السلام فقال له: يا سيدي إن أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويقول: فذاك أخوك إنه اجتمع إليّ أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون ، من جميع الملل فرأيتك في البكور إلينا إن أحببت كلامهم ، وإن كرهت ذلك فلا تتجشم ، وإن أحببت أن نصير إليك خف ذلك علينا ، فقال أبو الحسن: أبلغه السلام وقل له: قد علمت ما أردت ، وأنا صائر إليك بكرّةً إن شاء الله .

قال الحسن بن النوفلي: فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورقه العراقي غير غليظه، فما عندك في جمع ابن عمك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟ فقلت: جعلت فداك يريد الإمتحان ويجب أن يعرف ما عندك؟ ولقد بني على أساس غير وثيق البنيان ، وبئس والله ما بني فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: إن أصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء ، وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر، وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهته! إن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا صحح وحدانيته ، وإن قلت: إن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: أثبت رسالته! ثم يباهتون وهو يبطل عليهم بحجته ويغالطونه حتى يترك قوله ، فاحذرهم جعلت فداك!

قال فتبسم ثم قال لي: يا نوفلي أفتخاف أن يقطعوا عليّ حجتي؟ فقلت: لا والله ما

خفت عليك قط ، وإني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله تعالى فقال لي: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون ؟ قلت: نعم . قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم ، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم وعلى أهل الزبور بزبورهم ، وعلى الصابئين بعبرائيتهم ، وعلى أهل الهراذة بفارسياتهم ، وعلى أهل الروم بروميتهم ، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم ، فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع إلى قولي ، علم المأمون الموضع الذي هو سبيله ليس بمستحق له ، فعند تكون الندامة . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك إن ابن عمك ينتظرك وقد اجتمع القوم فما رأيك في إتيانه؟ فقال له الرضا: عليه السلام تقدمني فإني صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله. ثم توضأ وضوءه للصلاة وشرب شربة سويق وسقانا منه ، ثم خرج وخرجنا معه حتى دخلنا على المأمون وإذا المجلس غاص بأهله ومحمد بن جعفر وجماعه من الطالبين والهاشميين والقواد حضور، فلما دخل الرضا عليه السلام قام المأمون وقام محمد بن جعفر وجميع بني هاشم فما زالوا وقوفاً والرضا جالس مع المأمون حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا ، فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدثه ساعة ، ثم التفت إلى الجاثليق فقال: يا جاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر ، وهو من ولد فاطمة بنت نبينا وابن علي بن طالب ، فأحب أن تكلمه أو تحاجه وتنصفه .

فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف أحاج رجلاً يحتج على بكتاب أنا منكره ونبي لا أومن به؟ فقال له الرضا عليه السلام يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أنقرُّ به؟ قال: الجاثليق: وهل أقدر على رفع ما نطق الإنجيل! نعم والله أقرُّ به على رغم أنفي!

فقال له الرضا عليه السلام: سل عما بدا لك ، واسمع الجواب.

فقال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى وكتابه هل تنكر منهما شيئاً؟ قال الرضا: أنا مقر بنبوة عيسى عليه السلام وكتابه وما بشر به أمته وأقرت به الحواريون، وكافر بنبوة كل عيسى لم يقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وكتابه، ولم يبشر به أمته.

قال الجاثليق: أليس إنما نقطع الأحكام بشاهدي عدل؟ قال عليه السلام: بلى.

قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوه محمد صلى الله عليه وآله ممن لا تنكره النصرانية، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا.

قال الرضا عليه السلام: الآن جئت بالنصفه يا نصراني، ألا تقبل مني العدل المقدم عند المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؟ قال الجاثليق: ومن هذا العدل سمه لي قال: ما تقول يوحنا الديلمي؟ قال: بنح بنح، ذكرت أحب الناس إلى المسيح.

قال: فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أن يوحنا قال: إنما المسيح أخبرني بدين محمد العربي، وبشرني به أنه يكون من بعده، فبشرت به الحواريين، فأمنوا به.

قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشر بنبوة رجل وبأهل بيته ووصيه، ولم يلخص متى يكون ذلك؟ ولم تسم لنا القوم فنعرفهم؟

قال الرضا عليه السلام: فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلى عليك ذكر محمد وأهل بيته وأمته أتؤمن به؟ قال: سديداً. قال الرضا عليه السلام: لنسطاس الرومي كيف حفظك للسفر الثالث الإنجيل؟ قال: ما أحفظني له. ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: أأستتقرأ الإنجيل؟ قال: بلى لعمرى قال: فخذ عليّ السفر فإن كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وأمته فاشهدوا لي، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي، ثم قرأ عليه السلام السفر الثالث حتى بلغ ذكر النبي صلى الله عليه وآله وقف ثم قال: يا نصراني إني أسألك بحق المسيح وأمه، أتعلم أني عالم بالإنجيل؟ قال: نعم؟ ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وأمته ثم قال: ما

تقول يا نصراني هذا قول عيسى مريم عليها السلام فإن كذبت بما ينطق به الإنجيل فقد كذبت موسى وعيسى عليهما السلام ! ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لأنك تكون قد كفرت بربك ونيبك وبكتابك!

قال الجاثليق: لا أنكروا ما قد بان لي في الإنجيل ، وإني لمقر به .

قال الرضا عليه السلام : إشهدوا على إقراره .

ثم قال: يا جاثليق سل عما بدا لك قال الجاثليق: أخبرني عن حوار عيسى بن مريم عليها السلام كم كان عدتهم؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟ قال الرضا: على الخير سقطت أما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلاً، وكان أعلمهم وأفضلهم ألوفا .

وأما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال: يوحنا الأكبر باج، ويوحنا بقرقيسيا، ويوحنا الديلمي برجاز ، وعنده كان ذكر النبي وذكر أهل بيته وأمه ، وهو الذي بشر أمه عيسى وبني إسرائيل به .

ثم قال له: يا نصراني والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وما ننقم على عيساكم شيئاً إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته !

قال الجاثليق: أفسدت والله علمك وضعفت أمرك ، وما كنت ظننت إلا أنك اعلم أهل الإسلام ! قال الرضا عليه السلام : وكيف ذاك ؟

قال الجاثليق: من قولك إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة ، وما أفطر عيسى يوماً قط ، ولا نام بليل قط ، وما زال صائم الدهر ، وقائم الليل !

قال الرضا عليه السلام : فلمن كان يصوم ويصلي ؟

قال فخرس الجاثليق وانقطع ! قال الرضا عليه السلام : يا نصراني أسألك عن مسألة قال: سل فإن كان عندي علمها أجبتك . قال الرضا عليه السلام : ما أنكرت أن عيسى عليه السلام كان يحيى

الموتى بإذن الله عز وجل قال الجاثليق: أنكرت ذلك من أجل أن من أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ، فهو رب مستحق لأن يعبد !

قال الرضا عليه السلام : فإن اليسع قد صنع مثل صنع عيسى عليه السلام مشى على الماء وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ، فلم تتخذة أمته رباً ولم يعبده أحد من دون الله عز وجل .

ولقد صنع حزقيال النبي مثلما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة .

ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له: يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة اختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم!

هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم ! قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه . قال: صدقت ثم قال: يا يهودي خذ عليّ هذا السفر من التوراة ، فتلى علينا من التوراة آيات ، فأقبل اليهودي يترنح لقرائته ويتعجب !

ثم أقبل النصراني فقال: يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال: بل كانوا قبله. فقال الرضا عليه السلام : لقد اجتمعت قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه: أن يجي لهم موتاهم فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: إذهب إلى الجبانه فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد رسول الله قوموا بإذن الله عز وجل ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، فأقبلت قريش يسألونهم عن أمورهم ثم أخبروهم أن محمداً بعث نبياً ، فقالوا: وددنا أننا أدركناه فنؤمّن به !

لقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين وكلمه البهايم والطير والجن والشياطين ولم

نتخذة رباً من دون الله عز وجل ، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم !
 فمتى اتخذتم عيسى رباً جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل رباً لأنهما قد صنعا مثل
 ما صنع عيسى بن مريم عليها السلام من إحياء الموتى وغيره . وإن قوماً من بني إسرائيل
 خرجوا من بلادهم من الطاعون ، وهم ألوف حذر الموت فأماهم الله في ساعة
 واحده ، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة فلم يزالوا فيها حتى نخرت
 عظامهم وصاروا رميماً فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثره
 العظام البالية ، فأوحى الله عز وجل إليه : أتحب أن أحييهم لك فتندرهم ؟ قال : نعم يا
 رب ، فأوحى الله عز وجل إليه : أن نادهم فقال : أيتها العظام البالية قومي بإذن الله عز وجل
 فقاموا أحياء أجمعون ، ينفضون التراب عن رؤوسهم !

ثم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام حين أخذ الطير فقطعهن قطعاً ثم وضع على كل جبل
 منهن جزء ، ثم ناداهن فأقبلن سعياً إليه .

ثم موسى بن عمران عليه السلام وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل
 فقالوا له : إنك قد رأيت الله سبحانه فأرنا ، فقال : لهم إني لم أره . فقالوا : لن نؤمن
 حتى نرى الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً
 فقال : يارب اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف
 يصدقني قومي بما أخبرهم به ؟! فلو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، أتهلكنا بما فعل
 السفهاء منا ؟ فأحياهم الله عز وجل من بعد موتهم .

وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه لأن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان
 قد نطقت به ، فإن كان كل من أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين يتخذ
 رباً من دون الله ، فاتخذ هؤلاء كلهم أرباباً !

ما تقول يا يهودي؟ فقال الجاثليق: القول قولك ولا إله إلا الله !
ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال: يا يهودي أقبل عليّ أسألك بالعشر الآيات التي
أنزلت على موسى بن عمران عليه السلام هل تجد في التوراة مكتوباً نبأ نبينا محمد صلى الله عليه وآله وأمه
إذا جاءت الأمة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبحون الرب جداً جداً تسييحاً جديداً
في الكنائس الجدد ، فليفرغ بنو إسرائيل إليهم والى ملكهم لتطمئن قلوبهم ، فإن
بأيديهم سيوفاً يتتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض !
أهكذا هو في التوراة مكتوب؟

قال رأس الجالوت : نعم إنا لنجده كذلك .

ثم قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا عليه السلام ؟
قال: أعرفه حرفاً حرفاً . قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم إني رأيت صورة
راكب الحمار لابساً جلايب النور ، ورأيت راكب البعير ضوء مثل ضوء القمر؟
فقالا: قد قال ذلك شعيا عليه السلام .

قال الرضا عليه السلام: يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسى عليه السلام: إني ذاهب إلى ربكم
وربي والبارقليطا جاء ، هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت ، وهو الذي يفسر لكم
كل شئ ، وهو الذي يبدي فضائح الأمم ، وهو الذي يكسر عمود الكفر .
فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئاً من الإنجيل إلا ونحن مقرّون به .

فقال: أتجد هذا الإنجيل ثابتاً يا جاثليق؟ قال: نعم .

قال : الرضا عليه السلام: يا جاثليق ألا تحبرني عن الإنجيل الأول حين افتقدتموه عند من
وجدتموه ، ومن وضع لكم هذا الإنجيل؟

فقال له : ما افتقدنا الإنجيل إلا يوماً واحداً حتى وجدناه غضباً طرياً فأخرجه إلينا يوحنا ومتي . فقال له الرضا عليه السلام : ما أقل معرفتك بسنن الإنجيل وعلمائه! فإن كان هذا كما تزعم ! فلم اختلفتم في الإنجيل ، وإنما وقع الاختلاف في هذا الإنجيل الذي في أيديكم اليوم ، فلو كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه ، ولكني مفيدك علم ذلك : إعلم أنه لما افتقد الإنجيل الأول اجتمعت النصارى إلى علمائهم فقالوا لهم : قتل عيسى بن مريم عليه السلام وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم؟ فقال لهم ألوقا ومر قابوس : إن الإنجيل في صدورنا ونحن نخرجه إليكم سفراً سفراً في كل أحد ، فلا تحزنوا عليه ، ولا تخلوا الكنائس فإننا سنتلوه عليكم في كل أحد سفراً سفراً حتى نجعله كله . ففعد ألوقا ومر قابوس ويوحنا ومتي ، فوضعوا لكم هذا الإنجيل بعد ما افتقدتم الإنجيل الأول ، وإنما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ تلاميذ الأولين أعلمت ذلك ؟ فقال الجاثليق : أما هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن ، وبان لي من فضل علمك بالإنجيل . وسمعت أشياء مما علمته شهد قلبي أنها حق ، فاستزدت كثيراً من الفهم ! فقال له الرضا عليه السلام : فكيف شهادة هؤلاء عندك ؟ قال : جائزة ، هؤلاء علماء الإنجيل ، وكلما شهدوا به فهو حق . قال الرضا عليه السلام للمأمون ومن حضره من أهل بيته ومن غيره : إشهدوا عليه . قالوا : قد شهدنا .

ثم قال عليه السلام للجاثليق : بحق الابن وأمه هل تعلم أن متي قال : إن المسيح هو بن داود بن إبراهيم ، بن إسحاق ، بن يعقوب ، بن يهوذا ، بن خضر ون .

فقال مر قابوس في نسبه : عيسى مريم عليه السلام إنه كلمة الله أحلها في جسد آدمي فصارت إنساناً . وقال ألوقا : إن عيسى بن مريم عليه السلام وأمه كانا إنسانين من لحم ودم ، فدخل فيها الروح القدس . ثم إنك تقول من شهادة عيسى عليه السلام على نفسه : حقاً أقول لكم يا

معشر الحواريين إنه لا يصعد إلى السماء إلا من نزل منها ، إلا راكب البعير خاتم الأنبياء ، فإنه يصعد إلى السماء وينزل ، فما تقول في هذا القول؟ قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره .

قال الرضا عليه السلام: فما تقول في شهادة ألوفا ومرقابوس ومتي على عيسى وما نسبوه إليه؟ قال الجاثليق: كذبوا على عيسى !

فقال الرضا عليه السلام: يا قوم أليس قد زكاهم وشهد أنهم علماء الإنجيل وقولهم حق ، فقال الجاثليق: يا عالم المسلمين أحب أن تعفيني من أمر هؤلاء .

قال الرضا عليه السلام: فإننا قد فعلنا ، سل يا نصراني عما بدالك .

قال الجاثليق: ليسألك غيري فلا وحق المسيح ما ظننت أن في علماء المسلمين مثلك ! فالتفت الرضا عليه السلام إلى رأس الجالوت فقال له: تسألني أو أسألك ؟

فقال: بل أسألك ولست أقبل منك حجه إلا من التوراة أو من الإنجيل أو من زبور داود ، أو بها في صحف إبراهيم وموسى .

قال الرضا عليه السلام: لا تقبل مني حجه إلا بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران، والإنجيل على لسان عيسى بن مريم ، والزبور على لسان داود. فقال رأس الجالوت: من أين تثبت نبوه محمد؟

قال الرضا عليه السلام: شهد بنوته موسى بن عمران وعيسى بن مريم وداود خليفه الله عز وجل في الأرض . فقال له: ثبت قول موسى بن عمران .

فقال له الرضا عليه السلام: هل تعلم يا يهودي أن موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم: إنه سيأتيكم نبي من إخوانكم فيه ، فصدقوا ومنه فاسمعوا ، فهل تعلم أن لبني إسرائيل

إخوة غير ولد إسماعيل إن كنت تعرف قرابه إسرائيل من إسماعيل ، والسبب الذي بينهما من قبل إبراهيم عليه السلام ؟

فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه .

فقال له الرضا عليه السلام : هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل نبي غير محمد صلى الله عليه وآله قال: لا .
قال الرضا عليه السلام : أوليس قد صح هذا عندكم ؟

قال: نعم ، ولكني أحب أن تصححه لي من التوراة .

فقال له الرضا عليه السلام : هل تنكر أن التوراة تقول لكم: جاء النور من قبل طور سيناء ، وأضاء لنا من جبل ساعير ، واستعلن علينا من جبل فاران ؟

قال رأس الجالوت : أعرف هذه الكلمات ، وما أعرف تفسيرها !

قال الرضا عليه السلام : أنا أخبرك به . أما قوله: جاء النور من قبل طور سيناء فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى عليه السلام على جبل طور سيناء . وأما قوله: وأضاء لنا من جبل ساعير فهو الجبل الذي أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام وهو عليه .

وأما قوله: واستعلن علينا من جبل فاران فذلك جبل من جبال مكة بينه وبينها يوم . وقال شعيب النبي عليه السلام فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة: رأيت راكبين أضاءت لهم الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل . فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل ؟

قال رأس الجالوت: لا أعرفها فخبري بهما قال: أما راكب الحمار فعيسى عليه السلام وأما راكب الجمل فمحمد صلى الله عليه وآله ، أتنكر هذا من التوراة قال: لا ما أنكره .

ثم قال الرضا عليه السلام : هل تعرف حَيَّقُوق النبي عليه السلام ؟ قال: نعم إني به لعارف . قال: فإنه قال: وكتابكم ينطق به جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران وامتألت السماوات من تسبيح أحمد وأمه ، يحمل خيله في البحر ، كما يحمل في البر ، يأتينا بكتاب جديد بعد

خراب بيت المقدس . يعني بالكتاب الفرقان أتعرف هذا وتؤمن به ؟ قال رأس الجالوت قد قال ذلك حيقوق النبي عليه السلام ولا ننكر قوله .

قال الرضا عليه السلام : فقد قال داود في زبوره وأنت تقرؤه : اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة ، فهل تعرف نبياً أقام السنة بعد الفترة غير محمد صلى الله عليه وآله ؟

قال رأس الجالوت : هذا قول داود نعرفه ولا ننكره ، ولكن عنى بذلك عيسى وأيامه هي الفترة . قال له الرضا عليه السلام : جهلت أن عيسى عليه السلام لم يخالف السنة ، وكان موافقاً لسنة التوراة حتى رفعه الله إليه .

وفي الإنجيل مكتوب: إن ابن البرّة ذاهب والبار قليطاً جاء من بعده ، وهو الذي يحفظ الآصار ويفسر لكم كل شيء ، ويشهد لي كما شهدت له . أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل . أتؤمن بهذا في الإنجيل ؟ قال : نعم .

فقال له الرضا عليه السلام : يا رأس الجالوت أسألك عن نبيك موسى بن عمران عليه السلام ، فقال : سل . قال : ما الحجة على أن موسى ثبتت نبوته ؟

قال اليهودي : أنه جاء بما لم يجرى به أحد من الأنبياء قبله .

قال له : مثل ماذا ؟

قال : مثل فلق البحر وقلبه العصا حيّة تسعى وضربه الحجر فانفجرت منه العيون ، وإخراجه يده بيضاء للنظرين ، وعلاماته لا يقدر الخلق على مثلها .

قال له الرضا عليه السلام : صدقت في أنه كانت حجته على نبوته أنه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله ، أفليس كل من ادعى أنه نبي ثم جاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه ؟

قال : لا ، لأن موسى عليه السلام لم يكن له نظير لمكانه من ربه وقربه منه ولا يجب علينا الإقرار

بنبوة من ادعاها ، حتى يأتي من الأعلام بمثل جاء به .

فقال الرضا عليه السلام : فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى عليه السلام ولم يفلقوا البحر ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشرة عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ، ولم يقلبوا العصا حية تسعى ؟

قال اليهودي: قد خبرتك أنه متى ما جاؤوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ، ولو جاؤوا بما يجيء به موسى أو كان على غير ما جاء به موسى وجب تصديقهم .

قال له الرضا عليه السلام : يا رأس الجالوت فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم وقد كان يجي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئه الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله تعالى ؟

قال رأس الجالوت: يقال إنه فعل ذلك ولم نشهده .

قال الرضا عليه السلام : أرأيت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته؟ أليس إنما جاءت الأخبار من ثقات أصحاب موسى أنه فعل ذلك؟ قال: بلى. قال: فكذلك أيضاً أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم عليه السلام ، فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى؟ فلم يجربوا جواباً .

قال الرضا عليه السلام : وكذلك أمر محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به وأمر كل نبي بعثه الله . ومن آياته صلى الله عليه وآله أنه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً لم يتعلم كتاباً ، ولم يختلف إلى معلم ، ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفاً حرفاً وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة ، ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم ، وجاء بآيات كثيره لا تحصى .

قال رأس الجالوت: لم يصح عندنا خبر عيسى ولا خبر محمد ، ولا يجوز لنا أن نقر لهما بما لا يصح .

قال الرضا عليه السلام : فالشاهد الذي شهد لعيسى عليه السلام ولمحمد صلى الله عليه وآله شاهد زور؟ فلم يجر جواباً!!

ثم دعا عليه السلام بالهربذ الأكبر فقال له الرضا عليه السلام : أخبرني عن زردهشت الذي تزعم أنه نبي ما حججتك على نبوته؟ قال: إنه أتى بها لم يأتنا أحد قبله ، ولم نشهده ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنه أحل لنا ما لم يحله غيره فاتبعناه .

قال عليه السلام : أفليس إنما أتتكم الأخبار فاتبعتموه؟ قال: بلى. قال: فكذلك سائر الأمم السالفة أتتهم الأخبار بها أتى به النبيون وأتى به موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله فما عذرهم في ترك الإقرار لهم، إذ كنتم إنما أقررتم بزردهشت من قبل الأخبار المتواترة بأنه جاء بما لم يجرى به غيره؟

فانقطع الهربذ مكانه !



فقال الرضا عليه السلام : يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم. فقام إليه عمران الصابي وكان واحداً من المتكلمين فقال: يا عالم الناس لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل ، فلقد دخلت بالكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلمين ، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانيته ، أفتأذن لي أسألك؟

قال الرضا عليه السلام : إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو!

قال: أنا هو قال: سل يا عمران وعليك بالنصفه وإياك والخلطل والجور .

فقال: والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئاً أتعلق به فلا أجوزه .

قال عليه السلام: سل عما بدا لك ، فازدحم الناس وانضم بعضهم إلى بعض ، فقال عمران الصابي: أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق؟

فقال له عليه السلام: سألت فافهم ، أما الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شئ معه ، بلا حدود وأعراض ، ولا يزال كذلك ، ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة ، لا في شئ أقامه ، ولا في شئ حده ، ولا على شئ حذاه ومثله له ، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوةً وغير صفوة ، واختلافاً وائتلافاً وألواناً وذوقاً وطعماً ، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به ، ولا أرى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً . تعقل هذا يا عمران ؟ قال : نعم والله يا سيدي .

قال عليه السلام: واعلم يا عمران أنه لو كان خلق ما خلق حاجة ، لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته ، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق ، لأن الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى .

والحاجة يا عمران لا يسعها ، لأنه كان لم يحدث من الخلق شيئاً إلا حدثت به حاجةٌ أخرى ، ولذلك أقول: لم يخلق الخلق حاجة ، ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض ، وفضل بعضهم على بعض ، بلا حاجة منه إلى فضل ، ولا نعمة منه على من أذل ، فلهذا خلق .

قال عمران: يا سيدي هل كان الكائن معلوماً في نفسه عند نفسه؟

قال الرضا عليه السلام: إنما يكون المعلمة بالشئ لنفي خلافه ، وليكون الشئ نفسه بما نفى عنه موجوداً ، ولم يكن هناك شئ يخالفه فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشئ عن نفسه بتحديد ما علم منها . أفهمت يا عمران ؟

قال: نعم والله سيدي ، فأخبرني بأي شئ علم ما علم أضمير أم بغير ذلك ؟
قال الرضا عليه السلام: أرأيت إذا علم بضمير هل يجد بداً من أن يجعل لذلك الضمير حداً
تنتهى إليه المعرفة ؟ قال عمران: لا بد من ذلك .

قال الرضا عليه السلام: فما ذلك الضمير؟ فانقطع ولم يجر جواباً .

قال الرضا عليه السلام: لا بأس إن سألتك عن الضمير نفسه تعرفه بضمير آخر ؟ فإن قلت:
نعم أفسدت عليك قولك ودعواك يا عمران ، أليس ينبغي أن تعلم أن الواحد ليس
يوصف بضمير وليس يقال له أكثر من فعل وعمل وصنع وليس يتوهم منه مذاهب
وتجزية كمذاهب المخلوقين وتجزيتهم، فاعقل ذلك وابن عليه ما علمت صواباً .

قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني حدود خلقه كيف هي وما معانيها ؟ وعلى كم نوع
تكون ؟

قال عليه السلام: قد سألت فاعلم أن حدود خلقه على ستة أنواع: ملموس ، وموزون ،
ومنظور إليه ، وما لا ذوق له وهو الروح .

ومنها منظور إليه ، وليس له وزن ولا لمس ولا حس ولا لون ولا ذوق .

والتقدير والأعراض والصور والطول والعرض ، ومنها العمل والحركات التي
تصنع الأشياء وتعملها وتغيرها من حال إلى حال ، وتزيدها وتنقصها ؟

فأما الأعمال والحركات فإنها تنطلق لأنه لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه ، فإذا
فرغ من الشئ انطلق بالحركة ، وبقي الأثر ويجرى مجرى الكلام يذهب ويبقى أثره .

قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شئ غيره ولا شئ معه؟
أليس قد تغير بخلقه الخلق ؟

قال له الرضا عليه السلام: قديم لم يتغير عَزَّجَلَّ بخلقه الخلق ، ولكن الخلق يتغير بتغيره . قال عمران: يا سيدي فبأي شيء عرفناه؟ قال عليه السلام: بغيره .

قال: فأي شيء غيره؟

قال الرضا عليه السلام: مشيته واسمه وصفته ، وما أشبه ذلك. وكل ذلك محدث مخلوق مدبر . قال عمران: يا سيدي فأأي شيء هو؟

قال: هو نور بمعنى أنه هاد خلقه من أهل السماء وأهل الأرض ، وليس لك عليّ أكثر من توحيدي إياه .

قال عمران: يا سيدي أليس قد كان ساكتاً قبل الخلق لا ينطق ، ثم نطق؟

قال الرضا عليه السلام: لا يكون السكوت إلا عن نطق قبله ، والمثل في ذلك أنه لا يقال للسراج هو ساكت لا ينطق ، ولا يقال إن السراج ليضئ فيما يريد أن يفعل بنا ، لأن الضوء من السراج ليس بفعل منه ولا كون ، وإنما هو ليس شيء غيره ، فلما استضاء لنا قلنا: قد أضاء لنا حتى استضاءنا به ، فبهذا تستبصر أمرك .

قال عمران: يا سيدي فإن الذي كان عندي أن الكائن قد تغير في فعله عن حاله ، بخلقه الخلق .

قال الرضا عليه السلام: أحلت يا عمران في قولك إن الكائن يتغير في وجه من الوجوه ، حتى يصيب الذات منه ما يغيره !

يا عمران هل تجد النار تغيرها تغير نفسها؟ وهل تجد الحرارة تحرق نفسها؟ أو هل رأيت بصيراً قط رأى بصره؟

قال عمران: لم أر هذا إلا أن تخبرني يا سيدي أهو في الخلق أم الخلق فيه؟

قال الرضا عليه السلام: أجل يا عمران عن ذلك ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه ، تعالى عن ذلك ، وساء علمك ما تعرفه ولا قوه الا بالله .

أخبرني عن المرأة أنت فيها أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه ، فبأي شئ استدلت بها على نفسك يا عمران؟ قال: بضوء بيني وبينها.

قال الرضا عليه السلام: هل ترى من ذلك الضوء في المرأة أكثر مما تراه في عينك؟ قال: نعم. قال الرضا عليه السلام: فأرناه . فلم يجر جواباً!

قال عليه السلام: فلا أرى النور إلا وقد ذلك ودل المرأة على أنفسكما ، من غير أن يكون في واحد منكما ، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالاً والله المثل الاعلى . ثم التفت إلى المأمون فقال: الصلاة قد حضرت الصلاة .

فقال عمران : يا سيدي لا تقطع عليّ مسألتي ، فقد رقّ قلبي .

قال الرضا عليه السلام: نصلي ونعود ، فنهض ونهض المأمون فصلى الرضا عليه السلام داخلاً وصلى الناس خارجاً خلف محمد بن جعفر .

ثم خرجا فعاد الرضا عليه السلام إلى مجلسه ودعا بعمران فقال: سل يا عمران .

قال: يا سيدي ألا تخبرني عن الله عَزَّ وَجَلَّ هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف؟

قال الرضا عليه السلام: إن الله المبدئ الواحد الكائن الأول لم يزل واحداً لا شئ معه فرداً لا ثاني معه ، لا معلوماً ولا مجهولاً ولا محكماً ولا متشاهماً ولا مذكوراً ولا منسياً ، ولا شيئاً يقع عليه إسم شئ من الأشياء غيره ، ولا من وقت كان ، ولا إلى وقت يكون ، ولا بشئ قام ولا إلى شئ يقوم ، ولا إلى شئ استند ، ولا في شئ استكن ، وذلك كله قبل الخلق ، إذ لا شئ غيره ، وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثه ، وترجمة يفهم بها من فهم .

واعلم أن الإبداع والمشية والإرادة معناها واحد ، وأسمائها ثلاثة ، وكان أول ابداعه وإرادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلاً لكل شيء ، ودليلاً على كل مدرك وفاضلاً لكل مشكل ، وبتلك الحروف تفريق كل شيء من إسم حق وباطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى ، وعليها اجتمعت الأمور كلها ، ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها ، تتناهى ولا وجود لها لأنها مبدعة بالإبداع .

والنور في هذا الموضع أول فعل الله الذي هو نور السماوات والأرض ، والحروف هي المفعول بذلك الفعل ، وهي الحروف التي عليها مدار الكلام ، والعبادات كلها من الله عَزَّوَجَلَّ علّمها خلقه . وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً ، فمنها ثمانية وعشرون حرفاً تدل على لغات العربية ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون حرفاً ، تدل على لغات السريانية والعبرانية ، ومنها خمسة أحرف متحرفة في سائر اللغات من العجم والأقاليم . واللغات كلها وهي خمسة أحرف تحرفت من الثمانية والعشرين حرفاً من اللغات ، فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفاً .

فأما الخمسة المختلفة ف. ي. ت. ج. ح. خ. لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه ثم جعل الحروف بعد إحصائها وإحكام عدتها ، فعلاً منه كقوله عَزَّوَجَلَّ: كن فيكون . وكن منه صنع ، وما يكون به المصنوع ، فالخلق الأول من الله عَزَّوَجَلَّ الإبداع ، لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حس ، والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون ، وهي مسموعة موصوفة ، غير منظور إليها . والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوساً ملموساً ذا ذوق ، منظوراً إليه ، والله تبارك وتعالى سابق للإبداع ، لأنه ليس قبله عَزَّوَجَلَّ شيء ولا كان معه شيء ، والإبداع سابق للحروف والحروف ، لا تدل على غير نفسها . قال المأمون: وكيف لا تدل على غير أنفسها ؟

قال الرضا عليه السلام: لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً، فإذا ألف منها أحرفاً أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل، لم يؤلفها بغير معنى، ولم يكن إلا المعنى محدث، لم يكن قبل ذلك شيء.

قال عمران: فكيف لنا بمعرفة ذلك؟

قال الرضا عليه السلام: أما المعرفة فوجه ذلك وبيانه: أنك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فرداً فقلت: ا. ب. ت. ث. ج. ح. خ. حتى تأتي على آخرها، فلم تجد لها معنى غير أنفسها وإذا ألفتها وجمعت منها أحرفاً وجعلتها إسمياً وصفة لمعنى ما طلبت ووجه ما عنيت، كانت دليلاً على معانيها، داعية إلى الموصوف بها، أفهمته؟ قال: نعم.

قال الرضا عليه السلام: واعلم أنه لا تكون صفة لغير موصوف، ولا إسم لغير معنى، ولا حدٌ لغير محدود، والصفات والأسماء كلها تدل على الكمال والوجود، ولا تدل على الإحاطة كما تدل الحدود التي هي التربيع والتثليث والتسدیس، لأن الله عزَّ وجلَّ تدرك معرفته بالصفات والأسماء، ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما أشبه ذلك، وليس يحل بالله تعالى وتقدس شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرنا، ولكن يُدل على الله عزَّ وجلَّ بصفاته، ويدرك بأسمائه ويستدل عليه بخلقته حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين ولا استماع أذن ولا لمس كف ولا إحاطة بقلب.

ولو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه أسماؤه لا تدعو إليه، والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه، كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه، فلو لا أن ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله، لأن صفاته وأسماءه غيره أفهمت؟

قال: نعم يا سيدي زدني .

قال الرضا عليه السلام: إياك وقول الجهال من أهل العمى والضلال الذين يزعمون أن الله جل وتقدس موجود في الآخرة للحساب في الثواب والعقاب ، وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء ، ولو كان في الوجود لله عز وجل نقص واهتضام ، لم يوجد في الآخرة أبداً ، ولكن القوم تاهوا وعموا وصموا عن الحق من حيث لا يعلمون . وقوله عز وجل: وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا. يعني أعمى عن الحقائق الموجودة ، وقد علم ذووا الأبواب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هاهنا ، ومن أخذ علم ذلك برأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسه دون غيرها ، لم يزد من علم ذلك إلا بعداً، لأن الله عز وجل جعل علم ذلك خاصه عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون .

قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الإبداع ، أخلق هو أم غير خلق ؟

قال الرضا عليه السلام: بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون وإنما صار خلقاً لأنه شئ محدث ، والله تعالى الذي أحدثه فصار خلقاً له، وإنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما، فيما خلق الله عز وجل لم يعد أن يكون خلقه ويكون الخلق ساكناً ومتحركاً ومختلفاً ومؤلفاً ومعلوماً ومتشابهاً ، وكل ما وقع عليه حد فهو خلق الله عز وجل .

واعلم أن كل ما أوجدتك الحواس فهو معنى مدرك للحواس ، وكل حاسة تدل على ما جعل الله عز وجل لها في إدراكها ، والفهم من القلب بجميع ذلك كله .

واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد ، خلق خلقاً مقدرراً بتحديد وتقدير ، وكان الذي خلق خلقين اثنين: التقدير والمقدر ، وليس في كل واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق ، فجعل أحدهما يدرك بالآخر ، وجعلها مدركين بنفسهما ،

ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره ، للذي أراد من الدلالة على نفسه ، وإثبات وجوده . فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ، ولا يعضده ، ولا يكنه ، والخلق يمسك بعضه بعضاً ، بإذن الله تعالى ومشيئته .

وإنما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتحيروا ، وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة ، في وصفهم الله تعالى بصفة أنفسهم ، فزادوا من الحق بعداً .

ولو وصفوا الله عز وجل بصفاته ، ووصفوا المخلوقين بصفاتهم ، لقالوا بالفهم واليقين ولما اختلفوا . فلما طلبوا من ذلك ما تحيروا فيه ارتبكوا ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قال عمران: يا سيدي أشهد أنه كما وصفت ، ولكن بقيت لي مسألة .

قال عليه السلام: سل عما أردت . قال: أسألك عن الحكيم في أي شيء هو وهل يحيط به شيء وهل يتحول من شيء إلى شيء ، أو به حاجة إلى شيء ؟

قال الرضا عليه السلام: أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه ، فإنه من أغمض ما يرد على الخلق في مسائلهم ، وليس يفهم المتفاوت عقله العازب حلمه . ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون . أما أول ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه ، لجاز لقائل أن يقول: يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك ، ولكنه عز وجل لم يخلق شيئاً لحاجة ، ولم يزل ثابتاً لا في شيء ، ولا على شيء .

إن الخلق يمسك بعضه بعضاً ، ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه ، والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله ، وليس يدخل في شيء ، ولا يخرج منه ولا يؤده حفظه ، ولا يعجز عن إمساكه ، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عز وجل ومن أطلع عليه من رسله وأهل سره ، والمستحفظين لأمره ، وخزانه القائمين بشريعته ، وإنما أمره

كلمح البصر أو هو أقرب ، إذا شاء شيئاً فإنما يقول له كن فيكون بمشيئته وإرادته ، ولا شيء من خلقه أقرب إليه من شيء ولا شيء أبعد منه من شيء ، أفهمت يا عمران؟ قال: نعم يا سيدي قد فهمت ، وأشهد أن الله تعالى على ما وصفت ووحدت وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ، ثم خر ساجداً نحو القبلة وأسلم . قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابي وكان جدلاً لم يقطعه عن حجته أحد منهم قط ، لم يدن من الرضا عليه السلام أحد منهم ولم يسأله عن شيء ، وأمسينا فنهض المؤمن والرضا عليه السلام فدخلوا وانصرف الناس .

وكنت مع جماعه من أصحابنا إذ بعث إليَّ محمد بن جعفر فأتيته فقال لي: يا نوفلي أما رأيت ما جاء به صديقك! لا والله ما ظننت أن علي بن موسى الرضا خاض في شيء من هذا قط ، ولا عرفناه به أنه كان يتكلم بالمدينة ، أو يجتمع إليه أصحاب الكلام! قلت: قد كان الحاج يأتونه فيسألونه عن أشياء من حلالهم وحرامهم فيجيبهم ، وربما كلم من يأتيه يحاجُّه .

فقال محمد بن جعفر: يا أبا محمد إني أخاف عليه أن يحسده عليه هذا الرجل فيسمه ، أو يفعل به بلية ، فأشر عليه بالإمساك عن هذه الأشياء .

قلت: إذاً لا يقبل مني ، وما أراد الرجل إلا امتحانه ليعلم هل عنده شيء من علوم آبائه عليهم السلام؟ فقال لي: قل له إن عمك قد كره هذا الباب ، وأحب أن تمسك عن هذه الأشياء لخصال شتى ، فلما انقلبت إلى منزل الرضا عليه السلام أخبرته بما كان عن عمه محمد بن جعفر ، فتبسم عليه السلام ثم قال: حفظ الله عمي ما أعرفني به لم كره ذلك؟

وقال: يا غلام صر إلى عمران الصابي فأتني به . فقلت: جعلت فداك أنا أعرف موضعه وهو عند بعض إخواننا من الشيعة قال: فلا بأس قربوا إليه دابه فصرت إلى عمران

فأتيته به ، فرحب به ودعا بكسوة فخلعها عليه وحمله ودعا ، بعشره آلاف درهم ، فوصله بها .

قلت: جعلت فداك حكيث فعل جدك أمير المؤمنين عليه السلام قال: هكذا نحب .

ثم دعا عليه السلام بالعشاء فأجلسني عن يمينه وأجلس عمران عن يساره ، حتى إذا فرغنا قال لعمران: إنصرف مصاحباً وبكر علينا نطعمك طعام المدينة ، فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلمون من أصحاب المقالات فيبطل أمرهم حتى اجتنبوه ، ووصله المأمون بعشره آلاف درهم ، وأعطاه الفضل مالاً وحمله ، وولاه الرضا عليه السلام صدقات بلخ فأصاب الرغائب .

مع سليمان المروزي متكلم خراسان

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٥٩): (باب في ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي متكلم خراسان عند المأمون في التوحيد : حدثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه رضي الله عنه قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقة القمي قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن عمرو بن عبد العزيز الأنصاري الكجبي قال: حدثني من سمع الحسن بن محمد النوفلي يقول: قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ، ثم قال له: ان ابن عمي علي بن موسى الرضا قدم عليّ من الحجاز وهو يحب الكلام وأصحابه ، فلا عليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته .

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين إني أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم، فينتقض عند القوم إذا كلمني ، ولا يجوز الإستقصاء عليه .

قال المأمون: إنما وجهت إليه لمعرفتي بقوتك ، وليس مرادي إلا أن تقطعه عن حجة

واحدة فقط !

فقال سليمان: حسبك يا أمير المؤمنين ، إجمع بيني وبينه ، واخلني والدم ، فوجه المأمون إلى الرضا عليه السلام فقال: إنه قدم الينا رجل من أهل مروز وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام ، فإن خف عليك أن تتجشم المصير الينا فعلت . فنهض عليه السلام للوضوء وقال لنا: تقدموني وعمران الصابي معنا ، فصرنا إلى الباب فأخذ ياسر وخالد بيدي فأدخلاني على المأمون ، فلما سلمت قال: أين أخي أبو الحسن أبقاه الله ؟ قلت: خلفته يلبس ثيابه وأمرنا أن نتقدم . ثم قلت: يا أمير المؤمنين إن عمران مولاك معي وهو على الباب . فقال: ومن عمران ؟ قلت: الصابي الذي أسلم على يدك . قال: فليدخل ، فدخل فرحب به المأمون ثم قال له: يا عمران لم تمت حتى صرت من بني هاشم ! قال: الحمد لله الذي شرفني بكم يا أمير المؤمنين .

فقال له المأمون: يا عمران هذا سليمان المروزي متكلم خراسان .

قال عمران: يا أمير المؤمنين إنه يزعم واحد خراسان في النظر وينكر البداء؟

قال: فلم لا تناظروه ؟ قال عمران: ذلك إليه .

فدخل الرضا عليه السلام فقال: في أي شئ كتمت ؟

قال عمران: يا بن رسول الله هذا سليمان المروزي .

فقال له سليمان: أترضى بأبي الحسن ويقوله فيه ؟

فقال عمران: قد رضيت بقول أبي الحسن في البداء على أن يأتيني فيه بحجة أحتج بها

على نظرائي من أهل النظر . قال المأمون: يا أبا الحسن ما تقول فيما تشاجرا فيه ؟

قال عليه السلام: وما أنكرت من البداء يا سليمان ، والله عز وجل يقول: أَوَلَا يَذُكُّرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ

مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا.. ويقول عز وجل: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ . ويقول: بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ . ويقول عز وجل: يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ . ويقول: وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ويقول: ثُمَّ

قَضَى أَجْلاً وَأَجَلٌ مُسَمَّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ. ويقول عَزَّجَلَّ: وَأَخْرُوجَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَدِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ .. ويقول عَزَّجَلَّ: وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ .

قال سليمان: هل رويت فيه من آباءك شيئاً؟ قال: نعم رويت عن أبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن الله عَزَّجَلَّ علمين علماً مخزوناً لا يعلمه إلا هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلماً علمه ملائكته ورسله ، فالعلماء من أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله يعلمونه .

قال سليمان: أحب أن تنزعه لي من كتاب الله عَزَّجَلَّ قال: قول الله عَزَّجَلَّ لنبينا صلى الله عليه وآله قَتُولَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ . أراد هلاكهم ، ثم بدا لله تعالى فقال: وَذَكَرْ فَإِنَّ الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ .

قال سليمان: زدني جعلت فداك . قال الرضا عليه السلام : لقد أخبرني أبي عن آباءه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله عَزَّجَلَّ أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلاناً الملك أني متوفيه إلى كذا وكذا ، فأتاه ذلك النبي فأخبره فدعا إلى الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير ، وقال: يا رب أجلني حتى يشب طفلي وأقضي أمري ، فأوحى الله عَزَّجَلَّ إلى ذلك النبي أن أت فلاناً الملك فأعلمه أني قد أنسأت في أجله وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة . فقال ذلك النبي عليه السلام : يا رب إنك لتعلم أني لم أكذب قط . فأوحى الله عزوجل إليه: إنما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك . والله لا يسأل عما يفعل .

ثم التفت إلى سليمان فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب قال: أعوذ بالله من ذلك ، وما قالت اليهود ؟

قال عليه السلام : قالت اليهود: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ . يعنون أن الله تعالى قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً . فقال الله عَزَّجَلَّ: غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا . ولقد سمعت قوماً سألوا أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن البداء فقال: وما ينكر الناس من البداء وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره؟!!

قال سليمان: ألا تخبرني عن إنا أنزلناه في ليلة القدر، في أي شيء أنزلت؟

قال عليه السلام: يا سليمان ليله القدر يقدر الله عز وجل فيها ما يكون من السنة إلى السنة من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق، فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم.

قال سليمان: الآن قد فهمت جعلت فداك، فزدني.

قال عليه السلام: يا سليمان إن من الأمور أموراً موقوفة عند الله عز وجل، يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء. يا سليمان إن علياً عليه السلام كان يقول: العلم علمان، فعلم علمه الله وملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله. وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء.

قال سليمان للمأمون: يا أمير المؤمنين لا أنكر بعد يومي هذا البداء، ولا أكذب به إن شاء الله. فقال المأمون: يا سليمان سل أبا الحسن عما بدالك، وعليك بحسن الاستماع والإنصاف. قال سليمان: يا سيدي أسألك؟ قال الرضا عليه السلام: سل عما بدالك.

قال: ما تقول فيمن جعل الإرادة اسماً وصفة مثل حي وسميع وبصير وقدير؟

قال الرضا عليه السلام: إنما قلتم حدثت الأشياء واختلفت لأنه شاء وأراد، ولم تقولوا حدثت الأشياء واختلفت لأنه سميع بصير، فهذا دليل على أنها ليستا مثل سميع، ولا بصير، ولا قدير. قال: سليمان فإنه لم يزل مريداً؟

قال عليه السلام: يا سليمان فإرادته غيره؟ قال: نعم. قال: فقد أثبت معه شيئاً غيره لم يزل؟ قال سليمان: ما أثبت! قال الرضا عليه السلام: أهي محدثة؟ قال سليمان: لا لا ما هي محدثة!

فصاح به المأمون وقال يا سليمان: مثله يعايا أو يكابر!

عليك بالإنصاف، أما ترى من حولك من أهل النظر!

ثم قال: كلمه يا أبا الحسن فإنه متكلم خراسان ، فأعاد عليه المسألة فقال: هي محدثة يا سليمان فإن الشيء إذا لم يكن أزلياً كان محدثاً ، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً .

قال سليمان: إرادته منه ، كما أن سمعه وبصره وعلمه منه .

قال الرضا عليه السلام: فأراد نفسه؟ قال: لا. قال عليه السلام: فليس المرید مثل السميع والبصير.

قال سليمان: إنما أراد نفسه كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه .

قال الرضا عليه السلام: ما معنى أراد نفسه؟ أراد أن يكون شيئاً وأراد أن يكون حياً أو سميعاً بصيراً أو قديراً؟ قال: نعم . قال الرضا عليه السلام: أفإرادته كان ذلك؟ قال سليمان: نعم .

قال الرضا عليه السلام: فليس لقولك أراد أن يكون حياً سميعاً بصيراً معنى إذا لم يكن ذلك بإرادته؟ قال سليمان: بلى قد كان ذلك بإرادته . فضحك المأمون ومن حوله !

وضحك الرضا عليه السلام ثم قال لهم: إرفقوا بمتكلم خراسان. يا سليمان فقد حال عندكم عن حاله وتغير عنها ، وهذا ما لا يوصف الله عزَّ وجلَّ به . فانقطع !

ثم قال الرضا عليه السلام: يا سليمان أسألك عن مسألة . قال: سل جعلت فداك .

قال: أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما تفقهون وتعرفون؟ أو بما لا تفقهون ولا تعرفون؟ قال: بل بما نفقه ونعلم .

قال الرضا عليه السلام: فالذي يعلم الناس أن المرید غير الإرادة ، وأن المرید قبل الإرادة ، وأن الفاعل قبل المفعول ، وهذا يبطل قولكم: إن الإرادة والمرید شئ واحد .

قال: جعلت فداك ليس ذلك منه على ما يعرف الناس ولا على ما يفقهون .

قال الرضا عليه السلام: فأراكم ادعيتم علم ذلك بلا معرفه وقتتم: الإرادة كالسمع والبصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل ! فلم يجر جواباً !

ثم قال الرضا عليه السلام: يا سليمان هل يعلم الله جميع ما في الجنة والنار؟ قال سليمان: نعم. قال عليه السلام: أفيكون ما علم الله تعالى أنه يكون من ذلك؟ قال: نعم. قال: فإذا كان حتى لا يبقى منه شيء إلا كان ، أيزيدهم أو يطويه عنهم؟ قال سليمان: بل يزيدهم . قال عليه السلام: فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنه يكون .

قال: جعلت فداك فالمريد لا غاية له . قال: فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيها إذا لم يعرف غاية ذلك ، وإذا لم يحيط علمه بما يكون فيها لم يعلم ما يكون فيها قبل أن يكون ! تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً .

قال سليمان: إنما قلت لا يعلمه لأنه لا غاية لهذا لأن الله عز وجل وصفها بالخلود ، وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً .

قال الرضا عليه السلام: ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم ، لأنه قد يعلم ذلك ثم يزيدهم ثم لا يقطعهم عنهم ، وكذلك قال الله عز وجل في كتابه: كَلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ. وقال لأهل الجنة: عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ. وقال عز وجل: وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ. لا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ. فهو عز وجل يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة !

أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا ليس يخلف مكانه؟ قال: بلى. قال: أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه؟ قال سليمان: لا. قال: فكذلك كلما يكون فيها إذا ألف مكانه فليس بمقطوع عنهم .

قال سليمان: بلى يقطعهم عنهم ولا يزيدهم . قال الرضا عليه السلام: إذاً يبئد فيها وهذا ياسليمان إبطال الخلود وخلاف الكتاب لأن الله عز وجل يقول: لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ.

ويقول عز وجل: عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ويقول عز وجل: وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ. ويقول عز وجل: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. ويقول عز وجل: وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ. فلم يجر جواباً !

ثم قال الرضا عليه السلام: يا سليمان ، ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل ؟ قال: بلى هي فعل . قال عليه السلام: فهي محدثة لأن الفعل كله محدث . قال: ليست بفعل . قال: فمعه غيره لم يزل؟ قال سليمان: الإرادة هي الإنشاء .

قال: يا سليمان هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم: إن كل ما خلق الله عزَّجَلَّ في سماء أو أرض أو بحر أو بر ، من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة ، إرادة الله ، وإن إرادة الله تحيا وتموت وتذهب وتآكل وتشرب وتنكح وتلد وتظلم وتفعل الفواحش وتكفر وتشرك فيبرأ منها ويعاديها ، وهذا حدها .

قال سليمان: إنها كالسمع والبصر والعلم .

قال الرضا عليه السلام: قد رجعت إلى هذا ثانية فأخبرني عن السمع والبصر والعلم أمصنوع؟ قال سليمان: لا . قال الرضا عليه السلام: فكيف نفيتموه؟ قلت لم يرد ، ومرة قلت أم أراد؟! وليست بمفعول له .

قال سليمان: إنما ذلك كقولنا مرة علم ، ومرة لم يعلم .

قال الرضا عليه السلام: ليس ذلك سواء ، لأن نفي المعلوم ليس بنفي العلم ، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون ، لأن الشيء إذا لم يرد لم تكن إرادة فقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم بمنزلة البصر ، فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المبصر ، ويكون العلم ثابتاً وإن يكن المعلوم .

قال سليمان: إنها مصنوعة. قال عليه السلام: فهي محدثة ليست كالسمع والبصر لأن السمع والبصر ليسا بمصنوعين وهذه مصنوعة . قال سليمان: إنها صفة من صفاته لم تزَل .

قال عليه السلام: فينبغي أن يكون الإنسان لم يزل ، لأن صفته لم تزَل؟!!

قال سليمان: لا ، لأنه لم يفعلها . قال الرضا عليه السلام: يا خراساني ما أكثر غلطك! أفليس

بإرادته وقوله تكون الأشياء؟ قال سليمان: لا. قال: فإذا لم تكن بإرادته ولا مشيئته ولا أمره ولا بالمباشرة، فكيف يكون ذلك؟ تعالى الله عن ذلك! فلم يجر جواباً.

ثم قال الرضا عليه السلام: ألا تخبرني عن قول الله عز وجل: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا. يعني بذلك أنه يحدث إرادة؟ قال له: نعم.

قال عليه السلام: فإذا حدث إرادة كان قولك إن الإرادة هي هو أو شيء منه باطلاً، لأنه لا يكون أن يحدث نفسه ولا يتغير عن حاله، تعالى الله عن ذلك.

قال سليمان: إنه لم يكن عنى بذلك أنه يحدث إرادة. قال: فما عنى به؟ قال: عنى فعل الشيء. قال الرضا عليه السلام: ويملك كم تردد في هذه المسألة؟ وقد أخبرتك أن الإرادة محدثة لأن فعل الشيء محدث؟! قال: فليس لها معنى.

قال الرضا عليه السلام: قد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادة بما لا معنى له، فإذا لم يكن لها معنى قديم ولا حديث بطل قولكم إن الله عز وجل لم يزل مريداً.

قال سليمان: إنما عنيت أنها فعل من الله تعالى لم يزل.

قال عليه السلام: ألم تعلم أن ما لم يزل لا يكون مفعولاً وقديماً وحديثاً في حالة واحدة؟

فلم يجر جواباً!

قال الرضا عليه السلام: لا بأس أتمم مسألتك.

قال سليمان: قلت إن الإرادة صفة من صفاته. قال الرضا عليه السلام: كم تردد أنها صفة من صفاته فصفتة محدثة أو لم تزل؟ قال سليمان: محدثة. قال الرضا عليه السلام: الله أكبر! فالإرادة محدثة وإن كانت صفة من صفاته، لم تزل؟! فلم يرد شيئاً!!

قال الرضا عليه السلام: إن ما لم يزل لا يكون مفعولاً.

قال سليمان: ليس الأشياء إرادة ، ولم يرد شيئاً .

قال الرضا عليه السلام : وسوست يا سليمان، فقد فعل وخلق ما لم يزل خلقه وفعله ، وهذه صفة من لا يدري ما فعل ! تعالى الله عن ذلك !

قال سليمان: يا سيدي فقد أخبرتك أنها كالسمع والبصر والعلم. قال المأمون: ويملك يا سليمان كم هذا الغلط والترداد إطع وخذ في غيره إذ لست تقوى على غير هذا الرد. قال الرضا عليه السلام : دعه يا أمير المؤمنين لاتقطع عليه مسألته فيجعلها حجة ، تكلم يا سليمان . قال: قد أخبرتك أنها كالسمع والبصر والعلم .

قال الرضا عليه السلام : لا بأس ، أخبرني عن معنى هذه ، أمعنى واحد أم معان مختلفة ؟

قال سليمان: معنى واحد . قال الرضا عليه السلام : فمعنى الإيرادات كلها معنى واحد ؟

قال سليمان: نعم . قال الرضا عليه السلام : فإن كان معناها معنى واحداً كانت إرادة القيام إرادة القعود وإرادته الحياة إرادة الموت ، إذا كانت إرادته واحدة لم تتقدم بعضها بعضاً ولم يخالف بعضها بعضاً ، وكانت شيئاً واحداً ؟ !

قال سليمان: إن معناها مختلف . قال عليه السلام : فأخبرني عن المرید أهو الإرادة أو غيرها ؟ قال سليمان: بل هو الإرادة .

قال الرضا عليه السلام : فالمرید عندكم مختلف إذا كان هو الإرادة !

قال: يا سيدي ليس الإرادة المرید .

قال عليه السلام : فالإرادة محدثة وإلا فمعنه غيره ؟

إفهم وزد في مسألتك . قال سليمان: فإنها اسم من أسماؤه .

قال الرضا عليه السلام : هل سمى نفسه بذلك ؟ قال سليمان: لا لم يسم به نفسه بذلك .

قال الرضا عليه السلام: فليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه .

قال: قد وصف نفسه بأنه مرید . قال الرضا عليه السلام: ليس صفته نفسه ، إنه مرید إخبار عن أنه أراد ، ولا إخبار عن أن الإرادة اسم من أسمائه .

قال سليمان: لأن إرادته علمه . قال الرضا عليه السلام: يا جاهل! فإذا علم الشيء فقد أراده ! قال سليمان: أجل . فقال: فإذا لم يردّه لم يعلمه ! قال سليمان: أجل .

قال عليه السلام: من أين قلت ذلك؟ وما الدليل على أن إرادته علمه؟ وقد يعلم ما لا يريدّه أبداً ، وذلك قوله عزّ وجلّ: **وَلَكِنَّ شَيْئًا لَّنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** ، فهو يعلم كيف يذهب به ، وهو لا يذهب به أبداً !

قال سليمان: لأنه قد فرغ من الأمر ، فليس يزيد فيه شيئاً .

قال الرضا عليه السلام: هذا قول اليهود فكيف قال تعالى: **أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ؟**

قال سليمان: إنما عنى بذلك أنه قادر عليه . قال: أفبعد ما لا يفى به ! فكيف قال: **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** . وقال عزّ وجلّ: **يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ، وقد فرغ من الأمر ! فلم يجر جواباً !

قال الرضا عليه السلام: يا سليمان هل يعلم أن إنساناً يكون ولا يريد أن يخلق إنساناً أبداً وأن إنساناً يموت اليوم ولا يريد أن يموت اليوم؟ قال سليمان: نعم .

قال الرضا عليه السلام: فيعلم أنه يكون ما يريد أن يكون ، أو يعلم أنه يكون ما لا يريد أن يكون؟ قال: يعلم أنهما يكونان جميعاً .

قال الرضا عليه السلام: إذاً يعلم أن إنساناً حي ميت قائم قاعد عمي بصير، في حالة واحدة وهذا هو المحال ! قال: جعلت فداك فإنه يعلم أنه يكون أحدهما دون الآخر .

قال: لا بأس فأبيها يكون؟ الذي أراد أن يكون أو الذي لم يرد أن يكون؟
قال سليمان: الذي أراد أن يكون .

فضحك الرضا عليه السلام والمأمون وأصحاب المقالات !

قال الرضا عليه السلام: غلطت وتركت قولك: إنه يعلم أن إنساناً يموت اليوم وهو لا يريد أن يموت اليوم ، وإنه يخلق خلقاً وإنه لا يريد أن يخلقهم ! وإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد أن يكون ، فإنما يعلم أن يكون ما أراد أن يكون .

قال سليمان: فإنما قولي إن الإرادة ليست هو ولا غيره .

قال الرضا عليه السلام: يا جاهل ! إذا قلت ليست هو فقد جعلتها غيره ، وإذا قلت ليست هي غيره فقد جعلتها هو ! قال سليمان: فهو يعلم كيف يصنع الشيء؟

قال عليه السلام: نعم. قال سليمان: فإن ذلك إثبات للشيء .

قال الرضا عليه السلام: أحلت ، لأن الرجل قد يحسن البناء وإن لم يبن ، ويحسن الخياطة وإن لم يخط ، ويحسن صنعة الشيء وان لم يصنعه أبداً .

ثم قال عليه السلام له: يا سليمان هل تعلم أنه واحد لا شيء معه؟ قال: نعم .

قال الرضا عليه السلام فيكون ذلك إثباتاً للشيء. قال سليمان: ليس يعلم أنه واحد لا شيء معه.

قال الرضا عليه السلام: أفتعلم أنت ذاك؟ قال: نعم .

قال: فأنت يا سليمان إذاً أعلم منه ! قال سليمان: المسألة محال .

قال: محال عندك أنه واحد لا شيء معه وأنه سميع بصير حكيم قادر . قال: نعم . قال:

فكيف أخبر عزَّوَجَلَّ أنه واحد حي سميع بصير حكيم قادر عليم خبير وهو لا يعلم

ذلك ! وهذا رد ما قاله وتكذيبه ، تعالى الله عن ذلك .

ثم قال له الرضا عليه السلام: فكيف يريد صنع ما لا يدري صنعه ولا ما هو؟ وإذا كان الصانع لا يدري كيف يصنع الشيء قبل أن يصنعه، فإنها هو متحير تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال سليمان: فإن الإرادة القدرة.

قال الرضا عليه السلام: وهو عَزَّوَجَلَّ يقدر على ما لا يريده أبداً، ولا بد من ذلك لأنه قال تبارك وتعالى: وَلَئِن شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ. فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به لقدرته. فانقطع سليمان!

فقال المأمون عند ذلك: يا سليمان هذا أعلم هاشمي. ثم تفرق القوم.

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: كان المأمون يجلب على الرضا عليه السلام من متكلمي الفرق والأهواء المضلة كل من سمع به، حرصاً على انقطاع الرضا عليه السلام عن الحججة مع واحد منهم، وذلك حسداً منه له ولمنزله من العلم، فكان لا يكلمه أحد إلا أقر له بالفضل والتزم الحججة له عليه، لأن الله تعالى ذكره يأبى إلا أن يعلي كلمته ويتم نوره وينصر حجته، وهكذا وعد تبارك وتعالى في كتابه فقال: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ. يعني بالذين آمنوا الأئمة الهداة وأتباعهم العارفين بهم، والآخذين عنهم بنصرهم بالحججة على مخالفيهم ما داموا في الدنيا، وكذلك يفعل بهم في الآخرة، وإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يخلف الميعاد).



أقول: ألف العلماء شروحاتاً لحديث الإمام الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي ، وكذا حديثه مع عمران الصابي . قال صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١/ ٨٨): (إثبات حدوث الإرادة وإبطال أزليتها، وأنها من صفات الفعل لا من صفات الذات ، للمولى خليل بن محمد زمان القزويني ، فرغ منه في سنة ١١٤٨ ، أثبت فيه مدعاه بالبراهين العقلية ، وشرح فيه حديث عمران الصابي وحديث سليمان المروزي . وفيه تحقيقات لا توجد في غيره ، وهو كتاب مبسوط رأيت نسخته عند الفاضل السيد محمد ناصر الحسيني الطهراني بطهران . أوله: رب هب لي سمعاً يسمع آياتك..).

والظاهر أن سليمان المروزي الذي ناظره الإمام الرضا عليه السلام غير سليمان بن حفص المروزي الشيعي الموثق ، الذي يروي عنه ابن قولويه في كامل الزيارات كما في صفحة / ٣٨٠ ، والكليني في الكافي (٣ / ٣٢٦ و: ٣ / ٢٨٣) والصدوق في العيون (١ / ٢٩٠) والفقيه (٣ / ٣١٠) ، وقال في طريقه إليه (٤ / ٤٥٨): وما كان فيه عن سليمان بن حفص المروزي فقد رواه عن أبي رضي الله عنه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن سليمان بن حفص المروزي .

وقد جعله السيد الخوئي رحمته الله نفس سليمان بن حفص ، قال في معجمه (٩ / ٢٥٤): (سليمان بن حفص = سليمان المروزي. ونقل كلام الصدوق عن سليمان بن حفص الشيعي قال: (لقي سليمان بن حفص موسى بن جعفر والرضا عليهما السلام جميعاً ولا أدري هذا الخبر عن أيهما هو؟) . وهو أيضاً غير سليمان بن جعفر المروزي ، وسليمان بن داود المروزي ، وهما شيعيان من أصحاب الكاظم والرضا والهادي عليهم السلام .

وقد رجح النمازي رحمته الله في مستدركاته (٤ / ١٤٦) أن يكون سليمان المروزي هذا هو الذي روى عنه البخاري والنسائي ، وهو ترجيح قوي ، فقد قال ابن ماكولا الكلبايكاني في إكمال الكمال (٤ / ٤٥٨): (سلمويه: جماعة أشهرهم أبو صالح سليمان بن صالح المروزي صاحب ابن المبارك ، وسليمان بن صدقة التميمي ، وسلمة بن نجم البخاري النحوي).

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/٤٣٣): (سلمويه (خ ، س) الحافظ المعمر أبو صالح، سليمان بن صالح الليثي ، مولاهم المروزي ، صاحب ابن المبارك . عنه: ابن راهويه وأحمد بن شويه وعدة . يقال: عاش مئة سنة). وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٤/١٧٤): (إن عمره جاوز المئة وتوفي قبل سنة ٢١٠. انتهى. وهو يقبل الإنطباع على صاحب المناظرة .

أما عمران الصابي ، فلم أجد له إلا ترجمات مقتضبة لم تذكر إسم أبيه ، وقد عرف بلقب (الصابي) جماعة ، أقدم من وجدت منهم حنين بن إسحاق العبادي الصابي الطبيب المشهور ، توفي سنة ٢٦٠ ، ولا يعلم أن له علاقة بعمران الصابي . ومنهم ثابت بن قرّة الصابي الفلكي توفي سنة ٢٨٨ ، وكان مقرباً عند الخليفة المعتضد ، ونقل كتباً عن اليونانية ، وألف في إثبات عقيدة الصابئة بحياة الأفلاك ، ورد عليه متكلم الشيعة في وقته الحسن بن موسى النوبختي وألف كتاباً في رد الفلاسفة ، منها كتاب الرد على ثابت بن قرّة (رجال النجاشي/ ٦٣) .

ومنهم أبو إسحاق الصابي إبراهيم بن هلال الأديب ، الذي رثاه الشريف الرضي رحمته الله .

مع علي بن محمد بن الجهم

وهو علي بن الجهم بن بدر الكاتب المنسوب الى سامة بن لؤي ، المعروف بالنصب ووضع الأحاديث . وقد روي نفى النبي صلى الله عليه وآله أن يكون لسامة بن لؤي أولاد وقيل نسبتهم اليه أهمهم! قال الأميني في كتاب: الوضاعون وأحاديثهم/ ٢٢٥: (علي بن الجهم بن بدر السامي الخراساني ثم البغدادي المقتول سنة ٢٤٩: كان أكذب خلق الله ، مشهوراً بالنصب كثير الحط على علي وأهل البيت عليهم السلام وقيل: إنه كان يلعن أباه لم سماه علياً. وهجاه البحتري).

وقال المسعودي في مروج الذهب (٢/٤٠٨): (ولست تكاد ترى سامياً إلا منحرفاً عن علي: من ذلك ما ظهر من علي بن الجهم الشاعر السامي من النصب والانحراف ، وقد أتينا على لمع من شعره وأخباره في الكتاب الأوسط ، ولقد بلغ من انحرافه

ونصبه العداوة لعلي عليه السلام أنه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك ، وبم استحقَّ اللعن منه ؟ فقال: بتسميته إياي علياً) .

وقال السهيلي في الروض الأنف (١/١٣١): (وكان بنو سامة بالعراق أعداء لعلي والذين خالفوا علياً منهم: بنو عبد البيت ، ومنهم: علي بن الجهم الشاعر قيل: إنه كان يلعن أباه لما سماه علياً ، بغضاً منه في علي)!

وقال ابن حجر في لسان الميزان (٤/٣١٠): (وأما علي بن الجهم بن بدر بن محمد بن مسعود بن أسد بن أذينة السامي الشاعر في أيام المتوكل فكان مشهوراً بالنصب كثير الحط على علي وأهل البيت . وقيل إنه كان يلعن أباه لم سماه علياً ! قتل في أيام المستعين سنة تسع وأربعين ومائتين).

أما علي بن محمد بن الجهم الذي ناظره الإمام الرضا عليه السلام فهو غيره ، وهو محدث خراساني ، وقد اشتبه بعضهم فعدهما واحداً !

قال في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٧٠): (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقاتلات ، وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه ، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا القاسم بن محمد البرمكي قال: حدثنا أبو الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقاتلات من أهل الاسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر المقاتلات ، فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه ألقم حجراً ، قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له:

يا بن رسول الله أتقول بعصمه الأنبياء عليهم السلام؟ قال عليه السلام: نعم . قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. وفي قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ. وفي قوله عز وجل في يوسف عليه السلام: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا. وفي قوله عز وجل في داود: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ. وقوله تعالى في نبیه محمد ﷺ: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ .

فقال الرضا عليه السلام: ويحك يا علي إتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله عليهم السلام الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك ، فإن الله عز وجل قد قال: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ. وأما قوله عز وجل في آدم: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ، لم يخلقه للجنة . وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض وعصمته يجب أن تكون في الأرض لتتم مقادير أمر الله ، فلما أهبطه إلى الأرض وجعله حجة وخليفة عصمه بقوله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ .

وأما قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، إنما ظن بمعنى استيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه ، ألا تسمع قول الله عز وجل: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ. أي ضيق عليه رزقه ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر .

وأما قوله عز وجل في يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا فَأَنهَا هَمَّتْ بِالْمَعْصِيَةِ وَهَمَّ يُوْسُفُ بِقَتْلِهَا إِنْ أَجْبَرْتَهُ لِعَظْمِ مَا تَدَاخَلَهُ ! فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله عز وجل: كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. يعني القتل والزنا . وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه ؟

فقال علي بن محمد بن الجهم: يقولون إن داود عليه السلام كان في محرابه يصلي فتصور له

إبليس على صورة طير أحسن ما يكون الطيور ، فقطع داود صلواته وقام ليأخذ الطير ، فخرج الطير إلى الدار فخرج الطير إلى السطح فصعد في طلبه ، فسقط الطير في دار أوريا بن حنان ، فاطلع داود في أثر الطير بامرأة أوريا تغتسل ، فلما نظر إليها هواها ، وقد أخرج أوريا في بعض غزواته ، فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا أمام التابوت ، فقدم فظفر أوريا بالمشركين ، فصعب ذلك على داود ، فكتب إليه ثانية أن قدمه أمام التابوت فقدم فقتل أوريا ، فتزوج داود بامرأته !

قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ! لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله ﷺ إلى التهاون بصلواته حتى خرج في أثر الطير ، ثم بالفاحشة ثم بالقتل !

فقال: يا ابن رسول الله فما كان خطيئته؟ فقال: ويحك ! إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه ، فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب ، فقالا: حَصَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ . إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ . قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ . فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه فقال: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ . ولم يسأل المدعي البيئته على ذلك ، ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول ؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه !

ألا تسمع الله عز وجل يقول: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . فقال: يا ابن رسول الله فما قصته مع أوريا ؟ فقال الرضا عليه السلام : إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً ، وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود عليه السلام فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه ، فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا .

وأما محمد عليه السلام وقول الله عز وجل: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. فإن الله عز وجل عرف نبيه عليه السلام أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماؤه أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين ، وإحدهن من سمى له زينب بنت جحش ، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة ، فأخفى اسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين إنه قال في امرأة في بيت رجل إنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين ، وخشي قول المنافقين ، فقال الله عز وجل: وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، يعني في نفسك.

وإن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله عليه السلام بقوله: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. وفاطمة من علي عليه السلام .

قال: فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا بن رسول الله: أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي إلا بها ذكرته .

مع رجل من الزنادقة

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (١/١٢٠): (عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام) قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا عليه السلام وعنده جماعه فقال له أبو الحسن عليه السلام: أرأيت إن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون السنن وإياكم شرع سواء ولا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقرنا؟ فسكت . فقال أبو الحسن عليه السلام: وإن يكن القول قولنا وهو قولنا لا كما تقول ، أستم قد هلكتم ونجونا ؟

قال: رحمك الله فأوجدني كيف هو؟ وأين هو؟ قال: ويحك إن الذي ذهبت إليه غلط وهو أين الأين ، كان ولا أين ، وكان ولا كيف فلا يعرف بكيفية ولا بأينونية ، ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء ! قال الرجل: فإذا إنه لا شيء إذا يدرك بحاسة من

الحواس ! فقال أبو الحسن عليه السلام : وبيك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا وأنه شيء بخلاف الأشياء !

قال الرجل : فأخبرني متى كان ؟ قال : أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان ! قال الرجل : فما الدليل عليه ؟ قال أبو الحسن : إنى لما نظرت جسدي فلم يمكنني زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجر المنفعة إليه ، علمت أن لهذا البنيان بانياً ، فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته ، وإنشاء السحاب ، وتصريف الرياح ، ومجرى الشمس والقمر والنجوم ، وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات ، علمت أن لهذا مقدرًا ومُنشأ !

قال الرجل : فلم احتجب ؟ فقال أبو الحسن : إن الحجاب على الخلق لكثره ذنوبهم ، فأما هو فلا يخفى عليه خافيه ، في آناء الليل والنهار .

قال : فلم لا تدركه حاسه الأبصار ؟ قال : للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسه الأبصار ، منهم ومن غيرهم .

ثم هو أجل من أن يدركه بصر ، أو يحيطه وهم ، أو يضبطه عقل .

قال : فحده لي . قال : لا حد له قال : ولم ؟ قال : لأن كل محدود متناه إلى حد ، وإذا احتتم التحديد احتتم الزيادة ، وإذا احتتم الزيادة احتتم النقصان فهو غير محدود ، ولا متزايد ، ولا متناقص ، ولا متجز ، ولا متوهم !

قال الرجل : فأخبرني عن قولكم : إنه لطيف وسميع وحكيم وبصير وعليم ، أيكون السميع الإباذن ، والبصير الإبالعين ، واللطيف إلا بالعمل باليدين ، والحكيم إلا بالصنعة ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : إن اللطيف منا على حد اتخاذ الصنعة ، أو ما رأيت الرجل يتخذ

شيئاً يُلطف في تخاذه؟ فيقال ما ألطف فلاناً، فكيف لا يقال للخالق الجليل لطيف إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً ورَكَّب في الحيوان منه أرواحها، وخلق كل جنس متبايناً من جنسه في الصورة، لا يشبه بعضه بعضاً، فكلُّ ما له لطف من الخالق اللطيف الخبير، في تركيب صورته .

ثم نظرنا إلى الأشجار وحملها أطايبها المأكولة، فقلنا عند ذلك: إن خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعتهم، وقلنا إنه سميع لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى من الذرة إلى أكبر منها في برها وبحرها ولا يشتهه عليه لغاتها! فقلنا عند ذلك: إنه سميع لا بأذن، وقلنا إنه بصير لا ببصر، لأنه يرى أثر الذرة السحماء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، ويرى ديبب النمل الليلة الدجنة، ويرى مضارها ومنافعها، وأثر سفادها، وفراخها ونسلها، فقلنا عند ذلك إنه بصير لا كبصر خلقه! قال: فما برح حتى أسلم).





الفصل التاسع

الإمام الرضا عليه السلام يخلص المأمون من براثن الفضل !

نشاط الحزب الكسروي في تاريخنا الإسلامي !

نلاحظ في تاريخنا أن بكير بن ماهان كان مهندس ثورة العباسيين ، ووليَّ أمرهم حتى أجلسهم على كرسي الخلافة ، وعمل في ذلك نحو عشرين سنة .

وهو الذي أرسل غلامه أبا مسلم الخراساني الى خراسان ، وكان يقوده من الكوفة ! ثم استخلف صهره أبا سلمة الخلال فتابع قيادة الثورة وهو يبيع الخل في الكوفة ، ولما دخل جيش الخراسانيين الى الكوفة كان أبو مسلم يقبل يده ، وجاء العباسيون حبسهم الخلال في بيت وكان يبحث عن خليفة مطيع له ! وقد حاول مع الإمام الصادق عليه السلام فلم يجب على كتابه بل أحرقه وقال للرسول هذا جوابي ! فنصب أبا العباس السفاح خليفة وكانوا يسمون أبا سلمة: وزير آل محمد !

ثم جاء الدوانيقي الذي تسمى بالمنصور وأمه فارسية من جنوب إيران ، فقتل أخاه السفاح ، ثم قتل أبا سلمة الخلال ، ثم قتل أبا مسلم الخراساني !

ثم نلاحظ أن يحيى بن خالد البرمكي كان مهندس خلافة هارون حتى طغى وأراد جعل نارالمجوس في الكعبة ومساجد المسلمين فنبه الإمام الكاظم عليه السلام هارون وكشف له البرامكة ، فتخلص منهم هارون .

ثم نلاحظ أن تلميذ البرامكة الفضل بن سهل كان مهندس خلافة المأمون فكان

الحاكم المطلق في خراسان ومشرق الدولة الإسلامية ، وكان أخوه الحسن بن سهل الحاكم المطلق في بغداد ومغرب الدولة .

حتى نبه الإمام الرضا عليه السلام المأمون وحثه على التخلص منها والعودة الى بغداد ، فقتل المأمون الفضل وعاد الى بغداد ، وعظّم أخاه الحسن بن سهل وتزوج ابنته بوران ، ليسكته عن قتل أخيه الفضل .

والسؤال: من هم هؤلاء الذين كانت لهم هذه الأدوار الخطيرة والكبيرة في التاريخ؟ والجواب: أنهم من العقليات الكسروية الكثيرة التي تزخر بها فارس وبيوتها السبعة التي يسمونها بيوت الملك مثل الفيشدازية، والكيانية، والأشكانية، والساسانية، ومنهم كسرى الشاهنشاہ . فقد انهار نظام كسرى بأمر الله تعالى وتفككت دولته ، ودخل أكثر الفرس في الإسلام ، واختفت هذه الأسر في الظاهر ، لكنها بقيت موجودة تعمل لإعادة الدولة الكسروية في الخفاء .

ولما رأى هؤلاء القوميون الفرس أنهم فقدوا شعبيتهم لأن الفرس دخلوا في الإسلام وليسوا حاضرين للعودة الى ظلم ملوكهم، قرروا العمل باللعبة السياسية الإسلامية، والصراع على الخلافة ونصب وعزل الخلفاء .

ولما رأوا أن ظلم بني أمية طفق في إذلال الأمة الإسلامية وخاصة الفرس ، تبنا الثورة عليهم باسم آل محمد ، ورفعوا شعار الدعوة الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله ، وهم يقصدون العلويين والعباسيين، فاستجاب لهم الناس ، وكان أول المستجيبين الفرس الخراسانيون لشدة الظلم فيهم .

وقد استثمروا التحولات الكبيرة التي حدثت في ذلك العصر، حيث نشأت الحركة الحسنية لإسقاط الدولة الأموية بقيادة عبد الله بن الحسن المثنى ، وانضم إليها أبناء

محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وبايعوا ابن عبد الله بن الحسن وسموه المهدي: (قال عمير بن الفضل الخثعمي: رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار أبيه ، وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود وأبو جعفر ينتظره ، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب ، ثم سوى ثيابه على السرج ومضى محمد . فقلت وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمداً: من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه؟ قال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا . قال: هذا محمد بن عبد الله بن الحسن مهدينا أهل البيت). (مقاتل الطالبيين / ١٦١).

كان هذا سنة ١٢٦ عندما اختلف الأمويون بينهم على الخلافة ، ولم تطل المدة حتى انقلب العباسيون على الحسينيين وأقنعوا بكير بن ماهان مهندس الثورة الإيرانية ضد الأمويين ومعه غلامه أبا مسلم، وبعده صهره أبا سلمة الخلال بأن يبايعوهم، فبايعوا أبا العباس السفاح، ثم حكم المنصور الدوانيقي فاستشاط الحسينيون غضباً وثاروا عليهم بقيادة مهديهم محمد بن عبد الله بن الحسن، الذي كتب للمنصور:

(فإن الحق حقنا ، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ! ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا. لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء! وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمتُّ به من القرابة والسابقة والفضل). (الطبري: ١ / ١٩٦).

ويقصد باللعناء آل أبي سفيان ، وبالطرداء آل مروان ، وباللقاء آل العباس، لأن النبي صلى الله عليه وآله أسر العباس في بدر وأطلقه بفدية ، وكانت القاعدة عند المسلمين أن الخلافة لا تحل لللقاء ولا لأولادهم ! ولذلك لم يجعل عمر العباس في الشورى

وقال: (هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد ، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء) . (الطبقات: ٣/ ٣٤٢) ورواه ابن حجر في فتح الباري: ١٣/ ١٧٨ ، وتاريخ دمشق: ٥٩ / ١٤٥ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي / ١١٣ .

ولما انتصر أبو مسلم ودخل جيشه الى الكوفة كان أبو سلمة يبحث عن خليفة علوي مطيع له ، فحبس بني العباس في الكوفة أربعين يوماً أو شهرين ، بل رووا أنه أهانهم ولم يعطهم أجره الجمال الذي حملهم إلى الكوفة !

وكتب إلى الإمام الصادق عليه السلام يقول إنا دعونا الناس إلى الرضا من آل محمد ولم نسّم شخصاً ، ويعرض عليه أن يأتي الى الكوفة ليأخذ له البيعة ، فلم يقبل الصادق عليه السلام وأحرق كتابه ، وقال لرسوله: هذا الجواب !

وعرف بعض القادة الصغار عمل أبي سلمة فحركوا القادة ضده ، وأخرجوا العباسيين من حبسهم فاعتذر أبو سلمة بأنه كان يُحكم الأمر للعباسيين !

قال في عمدة الطالب/ ١٠١: (ولما قدم أبو العباس السفاح وأهله سرّاً على أبي سلمة الخلال الكوفة ، ستر أمرهم وعزم أن يجعلها شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا هم من أرادوا) .

الفضل بن سهل الكسروي يتبنى المأمون!

قال الفخري في الآداب السلطانية/ ٣١٨: (كان الفضل بن سهل من أولاد ملوك الفرس المجوس وكان قهرماناً ليحيى بن خالد بن برمك (أي وكيلاً) وكان أبوه سهل مجوسياً فأسلم في أيام الرشيد . قالوا: لما رأى الفضل بن سهل نجابة المأمون في صباه ونظر في طالعة وكان خبيراً بعلم النجوم فدلته النجوم على أنه يصير خليفة لزم ناحيته وخدمه ودبر أموره ، حتى أفضت الخلافة إليه فاستوزره.. فلما علت حال الفضل وتولى

الوزارة ، قصده مسلم بن الوليد ، فلما رآه سر به قال له: هذه الدولة التي يرفع فيها حالك الحال ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، وولاه بريد جرجان فاستفاد من ثم مالا طائلاً ، قالوا: كانت همة ذي الرئاستين عالية جداً من قبل أن يعظم أمره ، قال له مؤدب المأمون يوماً في أيام الرشيد: إن المأمون لجميل الرأي فيك ، وإني لا أستبعد أن يحصل لك من جهته ألف ألف درهم ، فاعتاظ الفضل من ذلك وقال له: ألك عليّ حقاً؟ ألي إليك إساءة؟ فقال له المؤدب لا والله ، ما قلت هذا إلا محبة لك ، فقال: أتقول لي إنك تحصل معه ألف ألف درهم؟ والله ما صحبته لأكتسب منه مالا قلاً أو جل ، ولكن صحبته ليمضي حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب ، قال: فوالله ما طالت المدة حتى بلغ ما أمّلت).

أقول: يدل هذا النص على أن الفضل كان يريد حكم المسلمين ، بواسطة المأمون. وقد وصل الى هذا ، فكان أيام المأمون الحاكم المطلق الذي لا يرد له أمر! وكان المأمون يهابه ويداريه ، وكان يأمر وينهى على مرأى من المأمون . وأحياناً ينقض أمر المأمون ! فيسكت المأمون ويقول لا بد أن أداريه ! قال في النجوم الزاهرة (١٠٢/٢): (وسار من بغداد إلى النهروان واستخلف على بغداد ابنه الأمين وأمر ابنه المأمون بالمقام ببغداد فقال الفضل بن سهل للمأمون حين أراد الرشيد المسير: لست تدري ما يحدث بالرشيد وخراسان ولايتك والأمين مقدم عليك ، وإن أحسن ما يصنع بك أن يخلعك وهو ابن زبيدة وأخواله بنو هاشم وزبيدة وأموالها ، فاطلب من أبيك الرشيد أن تسير معه ، فطلب فأجابه الرشيد بعد امتناع).

وقال المسعودي في مروج الذهب (١٧٤/٢): (ثم أفضى الأمر إلى المأمون ، فكان في بدء أمره غلب عليه الفضل بن سهل وغيره، ويستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها، وينقاد إلى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان ، كأردشير بن بابك وغيره).

وفي المستجد من الإرشاد/٢٠٧: (وكان الرضا عليه السلام يزري على الحسن والفضل ابني سهل عند المأمون إذا ذكرهما ويصف لهما مساويهما ، وينهاه عن الإصغاء إلى قولهما ، وعرفا ذلك منه فجعل يوشيان عليه عند المأمون ويذكران له عنه ما يبعه منه ، ويخوفانه من حمل الناس عليه ، فلم يزا كذلك حتى قلبا رأيه فيه وعمل على قتله).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٧٥): (وإن الفضل اختاره يحيى بن خالد البرمكي لخدمة المأمون فضمه إليه فتغلب عليه ، فاستبد بالأمر دونه ، فإنما لقب بذو الرياستين فإنه تقلد الوزارة ورياسة الجند . واحتال المأمون على الفضل بن سهل حتى قتله غالب خال المأمون في حمام بسر خس مغافصة (غدرًا) في شعبان سنة ثلاث ومأتين .

واحتال على علي بن موسى الرضا عليه السلام حتى سم في علة كانت أصابته فمات وأمر بدفنه بسناباذ من طوس بجانب قبر هارون الرشيد ، وذلك صفر سنة ثلاث ومأتين ، وكان ابن اثنتين وخمسين سنة) . والصحيح: في رمضان سنة ثلاث ومئتين .

ثم قال الصدوق رداً على من قال إن الفضل أشار على المأمون بتولية الرضا ولاية عهده: والصحيح عندي أن المأمون إنما ولاه العهد وبايع له للنذر الذي قد تقدم وأن الفضل بن سهل لم يزل معادياً ومبغضاً له وكارهاً لأمره لأنه كان من صنائع آل برمك).

وقال المفيد في الإرشاد (٢/٢٦٠): (ذكر جماعة من أصحاب الأخبار ورواة السير والآثار وأيام الخلفاء: أن المأمون لما أراد العقد للرضا علي بن موسى وحدث نفسه بذلك ، أحضر الفضل بن سهل فأعلمه ما قد عزم عليه من ذلك وأمره بالإجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك ، ففعل واجتمعا بحضرته ، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه ، فقال له المأمون: إني عاهدت الله أنني إن ظفرت بالمخلوع أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب ، وما أعلم أحداً أفضل

من هذا الرجل على وجه الأرض . فلما رأى الحسن والفضل عزمته على ذلك أمسكا عن معارضته فيه ، فأرسلهما إلى الرضا عليه السلام فعرضاً ذلك عليه فامتنع منه ، فلم يزالا به حتى أجاب ، ورجعا إلى المأمون فعرفاه إجابته فسراً بذلك وجلس للخاصة في يوم خميس ، وخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسى ، وأنه قد ولاه عهده وسماه الرضا ، وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته في الخميس الآخر ، على أن يأخذوا رزق سنة .)

كان الفضل يحجب أخبار المسلمين عن المأمون!

قال الطبري في تاريخه (٧/١٤٧): (ذكر أن علي بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قُتل أخوه وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار ، وأن أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء ، وأنهم يقولون إنه مسحور مجنون ، وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي بالخلافة ، فقال المأمون إنهم لم يبايعوا له بالخلافة وإنما صيروه أميراً يقوم بأمرهم على ما أخبره به الفضل ، فأعلمه أن الفضل قد كذبه وغشه ، وأن الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن بن سهل ، وأن الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ، ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك !

فقال: ومن يعلم هذا من أهل عسكري فقال له: يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدة من وجوه أهل العسكر، فقال له أدخلهم عليّ حتى أسألكم عما ذكرت فأدخلهم عليه ، وهم يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وموسى وعلي بن أبي سعيد وهو ابن أخت الفضل وخلف المصري ، فسألكم عما أخبره فأبوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ألا يعرض لهم ، فضمن ذلك لهم وكتب لكل

رجل منهم كتاباً بخطه ودفعه إليهم ، فأخبروه بما فيه الناس من الفتن وبينوا ذلك له وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليه وقواده عليه في أشياء كثيرة ، وبما موّه عليه الفضل من أمر هرثمة وأن هرثمة إنما جاء لينصحه وليبين له ما يعمل عليه ، وأنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته ، وأن الفضل دس إلى هرثمة من قتله وأنه أراد نصحه ! وأن طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعته ما أبلى وافتتح ما افتتح وقاد إليه الخلافة مزمومة ، حتى إذا وطأ الأمر أُخرج من ذلك كله وصير في زاوية من الأرض بالرقعة ، قد حظرت عليه الأموال حتى ضعف أمره فشغب عليه جنده ، وأنه لو كان على خلافتك ببغداد لضبط الملك ولم يجترئ عليه بمثل ما اجترأ به على الحسن بن سهل ، وأن الدنيا قد تفتقت من أقطارها وأن طاهر بن الحسين قد تنوسي في هذه السنين منذ قتل محمد ، في الرقة لا يستعان به في شئ من هذه الحروب ، وقد استعين بمن هو دونه أضعافاً .

وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد في بني هاشم والموالي والقواد والجند لو رأوا غرتك سكنوا إلى ذلك وبخعوا بالطاعة لك ، فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ، فلما أمر بذلك علم الفضل بن سهل ببعض ذلك من أمرهم فتعنتهم حتى ضرب بعضهم بالسياط وحبس بعضاً وبتف لحي بعض ، فعاوده علي بن موسى عليه السلام في أمرهم وأعلمه ما كان من ضمانه لهم ، فأعلمه أنه يداري ما هو فيه ثم ارتحل من مرو ، فلما أتى سرخس شد قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام فضربوه بالسيوف حتى مات ، وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة ٢٠٢ فأخذوا وكان الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم أربعة نفر أحدهم غالب المسعودي الأسود وقسطنطين الرومي وفرج الديلمي وموفق الصقلي وقتلوه وله ستون سنة وهربوا ، فبعث المأمون في طلبهم وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار ، فجاء بهم العباس بن

الهيثم ابن بزرجهر الدينوري فقالوا للمأمون: أنت أمرتنا بقتله فأمر بهم فضربت أعناقهم وقد قيل إن الذين قتلوا الفضل لما أخذوا سألهم المأمون فمنهم من قال إن علي بن أبي سعيد بن أخت الفضل دسهم ، ومنهم من أنكر ذلك!

وأمر بهم فقتلوا ثم بعث إلى عبد العزيز بن عمران وعلي وموسى وخلف فسألهم فأنكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك ، فلم يقبل ذلك منهم وأمر بهم فقتلوا وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط ، وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل وأنه قد صيره مكانه ووصل الكتاب بذلك إلى الحسن في شهر رمضان فلم يزل الحسن وأصحابه بواسط حتى أدركت الغلة وجبى بعض الخراج ورحل المأمون من سرخس نحو العراق يوم الفطر) .

وفي تاريخ بغداد (٧/٣٣١): (وأقبل المأمون من خراسان ، فقوى لذلك الحسن بن سهل، ووجه من فم الصلح من حارب إبراهيم بن المهدي ، فضعف أمر إبراهيم واستتر ، ثم دخل المأمون بغداد) .

أخطر موقف للإمام الرضا عليه السلام

كان الإمام الرضا عليه السلام يرى أن المأمون إن بقي في خراسان عزله الفضل عن العالم وكرهه الناس فيه حتى يتحرك الناس ضده ويقتلونه ، ومعناه أن كيان رئاسة الدولة الإسلامية في خطر ، وإن تمثل بالخلافة الغاصبة للمنصب .

وأن ذلك يعني انهياراً في الإسلام في أنفس الناس في أنحاء العالم الإسلامي ، ويفتح باب المطالبة برئاسة على النمط الكسروي ! لذلك كان من الضروري أن يتخلص المأمون من الفضل ، ويعود الى بغداد مها كان الثمن !

ولذلك بادر الإمام عليه السلام الى التدخل بخلاف مسلكه عدم التدخل في الأمور ، لأن هذا أمر يخص أصل الإسلام ، فأخبر المأمون بخيانة الفضل وأثبتها له ، وهو بذلك يدفع المأمون الى قتل الفضل ، فقتله وقتل الذين أمرهم بقتله !

وكان الإمام عليه السلام يعلم أن المأمون إن أراد الذهاب الى بغداد فسيقتله هو ليسقط الحجة من يد العباسيين ، لكنه لم يهتم بذلك لأنه أمر مقدر وكائن !
وهكذا جرت المقادير وتخلص الإسلام من مؤامرة هذا البرمكي ، وما كان يخطئه بعد نعمة الناس على المأمون وانهيار منصب الخلافة !

استعمل الإمام عليه السلام المعجزة لتفريق أنصار الفضل!

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (١٧٠ / ٢) قال: (حدثنا حمزه بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب عليه السلام بقم في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة ، قال: أخبرني علي بن إبراهيم بن هاشم فيما كتب إلي سنة سبع وثلاث مائة قال: حدثني ياسر الخادم قال: كان الرضا عليه السلام إذا كان خلا جمع حشمه كلهم عنده الصغير والكبير فيحدثهم ويأنس بهم ويؤنسهم، وكان عليه السلام إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً ولا كبيراً حتى السائس والحجام إلا أقعده معه على مائدته قال ياسر الخادم فيينا نحن عنده يوماً إذ سمعنا وقع القفل الذي كان على باب المأمون إلى دار أبي الحسن عليه السلام فقال لنا الرضا عليه السلام قوموا تفرقوا فقمنا عنه ، فجاء المأمون ومعه كتاب طويل فأراد الرضا عليه السلام أن يقوم فأقسم عليه المأمون بحق رسول الله صلى الله عليه وآله ألا يقوم إليه ثم جاء حتى انكب على أبي الحسن عليه السلام وقبل وجهه وقعد بين يديه على وسادة فقراً ذلك الكتاب عليه ، فإذا هو فتح لبعض قرى كابل فيه إنا فتحنا قرية كذا وكذا ، فلما فرغ قال له الرضا عليه السلام : وسرك فتح قرية من قرى الشرك؟ فقال

له المأمون أوليس فيه سرور؟ فقال: يا أمير المؤمنين إتق الله في أمة محمد صلى الله عليه وآله وما ولاك الله من هذا الأمر وخصك به فإنك قد ضيعت أمور المسلمين ، وفوضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله ، وقعدت في هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي ، وإن المهاجرين والأنصار يُظلمون دونك ولا يُرُقب في مؤمن ولا ذمة ، ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته ولا يجد من يشكو إليه حاله ولا يصل إليك ، فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمور المسلمين وارجع إلى بيت النبوة ومعدن المهاجرين والأنصار ، أما علمت يا أمير المؤمنين إن والي المسلمين مثل العمود وسط الفسطاط من أراده أخذه ! قال المأمون يا سيدي فما ترى؟ قال: أرى أن تخرج من هذه البلاد وتتحول إلى موضع آبائك وأجدادك ، وتنظر في أمور المسلمين ولا تكلمهم إلى غيرك فإن الله تعالى سائلك عما ولاك .

فقام المأمون فقال: نعم ما قلت يا سيدي ! هذا هو الرأي .

فخرج وأمر أن تقدم النوائب (وسائل السفر) وبلغ ذلك ذا الرياستين فغمه غمًا شديدًا وقد كان غلب على الأمر ولم يكن للمأمون عنده رأي ، فلم يجسر أن يكشفه ثم قوي بالرضا جداً فجاء ذو الرياستين إلى المأمون فقال له: يا أمير المؤمنين ما هذا الرأي الذي أمرت به؟ قال: أمرني سيدي أبو الحسن بذلك وهو الصواب. فقال: يا أمير المؤمنين ما هذا الصواب؟ قتلت بالأمس أخاك وأزلت الخلافة وبنو أبيك معادون لك ، وجميع أهل العراق وأهل بيتك والعرب ، ثم أحدثت هذا الحدث الثاني أنك وليت ولاية العهد لأبي الحسن وأخرجتها من بني أبيك والعامّة والفقهاء والعلماء وآل العباس لا يرضون بذلك وقلوبهم متنافرة عنك ، فالرأي أن تقيم بخراسان حتى تسكن قلوب الناس على هذا ، ويتناسوا ما كان من أمر محمد أخيك .

وها هنا يا أمير المؤمنين مشائخ قد خدموا الرشيد وعرفوا الأمر فاستشرهم في ذلك فإن أشاروا بذلك فامضه ، فقال المأمون: **مِثْل مَنْ** ، قال: مثل علي بن أبي عمران ، وأبي يونس ، والجلودي ، وهؤلاء نعموا ببيعة أبي الحسن عليه السلام ولم يرضوا به فحبسهم المأمون بهذا السبب ، فقال المأمون: نعم ، فلما كان من الغد جاء أبو الحسن عليه السلام فدخل على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين ما صنعت؟ فحكى ما قال: ذو الرياستين ، ودعا المأمون بهؤلاء النفر فأخرجهم من الحبس فأول من أدخل عليه السلام علي بن أبي عمران ، فنظر إلى الرضا عليه السلام بجنب المأمون ، فقال أعينك بالله يا أمير المؤمنين أن تخرج هذا الأمر الذي جعله الله لكم وخصكم به وتجعله في أيدي أعدائكم ، ومن كان أبأوك يقتلهم ويشردونهم في البلاد! فقال المأمون يا بن الزانية وأنت بعد على هذا! قدمه يا حرسى فاضرب عنقه ، فضرب عنقه!

فأدخل أبو يونس فلما نظر إلى الرضا عليه السلام بجنب المأمون فقال يا أمير المؤمنين هذا الذي بجنبك والله صنم يعبد من دون الله ، قال له: المأمون يا بن الزانية وأنت بعد على هذا! يا حرسى قدمه فاضرب عنقه ، فضرب عنقه!

ثم أدخل الجلودي وكان الجلودي في خلافة الرشيد لما خرج محمد بن جعفر بن محمد بالمدينة بعثه الرشيد وأمره إن ظفر به أن يضرب عنقه ، وأن يغير على دور آل أبي طالب وأن يسلب نساءهم ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوباً واحداً ، ففعل الجلودي ذلك ، وقد كان مضى موسى بن جعفر عليه السلام فصار الجلودي إلى باب دار أبي الحسن الرضا عليه السلام هجم على داره مع خيله فلما نظر إليه الرضا جعل النساء كلهن في بيت ووقف على باب البيت فقال الجلودي لأبي الحسن عليه السلام لا بد من أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني أمير المؤمنين ، فقال الرضا عليه السلام أنا أسلبهن لك وأحلف أني لا أدع

عليهن شيئاً إلا أخذته ، فلم يزل يطلب إليه ويحلف له حتى سكن ، فدخل أبو الحسن الرضا عليه السلام فلم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن وخلخيلهن وأزرارهن ، إلا أخذه منهن ، وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير!

فلما كان في هذا اليوم وأدخل الجلودي على المأمون قال الرضا عليه السلام : يا أمير المؤمنين هب لي هذا الشيخ فقال المأمون: يا سيدي هذا الذي فعل بنات محمد صلى الله عليه وآله ما فعل من سلبهن! فنظر الجلودي إلى الرضا عليه السلام وهو يكلم المأمون ويسأله عن أن يعفو عنه ويهبه له ، فظن أنه يعين عليه لما كان الجلودي فعله ، فقال: يا أمير المؤمنين أسألك بالله وبخدمتي الرشيد لا تقبل قول هذا فيّ ، فقال المأمون: يا أبا الحسن قد استعفى ونحن نبرّ قسمه ، ثم قال: لا والله لا أقبل فيك قوله: ألحقوه بصاحبيه ، فقدم فضرب عنقه! ورجع ذو الرياستين إلى أبيه سهل ، وقد كان المأمون أمر أن يقدم النوائب وردها ذو الرياستين ، فلما قتل المأمون هؤلاء علم ذو الرياستين أنه قد عزم الخروج ، فقال الرضا عليه السلام ما صنعت يا أمير المؤمنين بتقديم النوائب؟ فقال المأمون: يا سيدي مرهم بذلك قال: فخرج أبو الحسن عليه السلام وصاح بالناس قدموا النوائب! قال فكأنما وقعت فيهم النيران ، فأقبلت النوائب تتقدم.

وقعد ذو الرياستين في منزله فبعث إليه المأمون فأتاه فقال له: ما لك قعدت في بيتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن ذنبي عظيم عند أهل بيتك وعند العامة ، والناس يلومونني بقتل أخيك المخلوع وبيعة الرضا عليه السلام ولا آمن السعاة والحساد والبغي أن يسمعوا بي فدعني أخلفك بخراسان ، فقال له: المأمون لا نستغني عنك ، فأما ما قلت إنه يسعى بك ويبغي لك الغوائل فلست أنت عندنا إلا الثقة المأمون الناصح المشفق ، فاكتب لنفسك ما تثق به من الضمان والأمان ، وأكد لنفسك ما تكون به مطمئناً فذهب

وكتب لنفسه كتاباً وجمع عليه العلماء ، وأتى به إلى المأمون فقرأه وأعطاه المأمون كل ما أحب وكتب له بخطه كتاب الحبة: أني قد حبوتك بكذا وكذا من الأموال والضياع والسلطان وبسط له الدنيا أمله . فقال ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين نحب أن يكون خط أبي الحسن في هذا الأمان يعطينا ما أعطيت فإنه ولي عهدك فقال المأمون: علمت إن أبا الحسن قد شرط علينا أن لا يعمل من ذلك شيئاً ولا يحدث حدثاً فلا نسأله ما يكرهه فسله أنت ، فإنه لا يابى عليك في هذا .

فجاء واستأذن أبي الحسن عليه السلام ، قال ياسر: فقال لنا الرضا عليه السلام: قوموا تنحوا فتنحينا فدخل فوقف بين يديه ساعة فرفع أبو الحسن رأسه إليه فقال له: ما حاجتك يا فضل؟ قال: يا سيدي هذا أمان ما كتبه لي أمير المؤمنين وأنت أولى أن تعطينا مثل ما أعطى أمير المؤمنين إذ كنت ولي عهد المسلمين له ، فقال الرضا عليه السلام إقرأه وكان كتاباً في أكبر جلد ، فلم يزل قائماً يقرؤه ، فلما فرغ قال له أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا فضل لك علينا هذا ما اتقيت الله عز وجل .

قال ياسر: فنغض عليه أمره في كلمة واحدة ، فخرج من عنده وخرج المأمون وخرجنا مع الرضا عليه السلام فلما كان بعد ذلك بأيام ونحن في بعض المنازل ورد على ذي الرياستين كتاب من أخيه الحسن بن سهل أني نظرت في تحويل هذه السنة في حساب النجوم ، فوجدت فيه إنك تذوق في شهر كذا يوم الأربعاء حر الحديد وحر النار ، فأرى أن تدخل أنت والرضا وأمير المؤمنين الحمام في هذا اليوم فتحتجم وتصب الدم على بدنك ليزول نحسه عنك !

فبعث الفضل إلى المأمون وكتب إليه بذلك ، وسأله أن يدخل الحمام معه ويسأل أبا الحسن عليه السلام أيضاً ذلك ، فكتب المأمون إلى الرضا عليه السلام رقعة في ذلك فسأله فكتب إليه

أبو الحسن عليه السلام: لست بداخل غداً الحمام ، ولا أرى يا أمير المؤمنين أن تدخل الحمام غداً، ولا أرى للفضل أن يدخل الحمام غداً .

فأعاد إليه الرقعة مرتين فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام لست بداخل غداً الحمام فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم في هذه الليلة يقول لي: يا علي لا تدخل الحمام غداً ، فلا أرى لك أمير المؤمنين ولا للفضل أن تدخل الحمام غداً ، فكتب إليه المأمون صدقت يا سيدي وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله لست بداخل الحمام غداً والفضل فهو أعلم وما يفعله .

قال ياسر: فلما أمسينا وغابت الشمس فقال لنا الرضا عليه السلام: قولوا نعوذ بالله من شر ما ينزل في هذه الليلة ! فأقبلنا نقول ذلك ، فلما صلى الرضا عليه السلام الصبح قال لنا: قولوا نعوذ بالله من شر ما ينزل هذا اليوم فما زلنا نقول ذلك فلما كان قريباً من طلوع الشمس ، قال الرضا عليه السلام: إصعد السطح فاستمع هل تسمع شيئاً ؟ فلما صعدت سمعت الضجة والنحيب وكثر ذلك بالمأمون قد دخل من الباب الذي كان إلى داره من دار أبي الحسن عليه السلام يقول: يا سيدي يا أبا الحسن أجرك الله في الفضل وكان دخل الحمام فدخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه . وأخذ من دخل عليه في الحمام وكانوا ثلاثة نفر ، أحدهم ابن خالة الفضل ذو القلمين .

قال: واجتمع القواد والجند من كان من رجال ذي الرياستين على باب المأمون فقالوا: اغتاله وقتله فلنطلبن بدمه ، فقال المأمون للرضا عليه السلام: يا سيدي ترى أن تخرج إليهم وتفرقهم . قال ياسر: فركب الرضا عليه السلام وقال لي: إركب فلما خرجنا من الباب نظر الرضا عليه السلام إليهم وقد اجتمعوا وجاءوا بالنيران ليحرقوا الباب ، فصاح بهم وأومى إليهم بيده ، تفرقوا فتفرقوا ! قال ياسر: فأقبل الناس والله يقع بعضهم بعض ، وما أشار إلى أحد إلا ركض ومر ، ولم يقف أحد !).

أقول: الرواية صحيحة عن حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن ياسر الخادم. وروى قسماً منها في الكافي (٤٩١/١) وفيها: (قال: فقال ياسر: فلما أمسينا وغابت الشمس قال لنا الرضا عليه السلام: قولوا نعوذ بالله من شر ما ينزل في هذه الليلة ، فلم نزل نقول ذلك ، فلما صلى الرضا عليه السلام الصبح قال لي: إصعد السطح فاستمع هل تسمع شيئاً ؟ فلما صعدت سمعت الضجة والتحمت وكثرت فإذا نحن بالمأمون قد دخل من الباب الذي كان إلى داره من دار أبي الحسن وهو يقول: يا سيدي يا أبا الحسن آجرك الله في الفضل فإنه قد أبى ودخل الحمام فدخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه وأخذ من دخل عليه ثلاث نفر كان أحدهم ابن خاله الفضل ابن ذي القلمين قال: فاجتمع الجند والقواد ومن كان من رجال الفضل على باب المأمون فقالوا: هذا اغتاله وقتله يعنون المأمون ولنطلبن بدمه وجاؤوا بالنيران ليحرقوا الباب ، فقال المأمون لأبي الحسن: يا سيدي ترى أن تخرج إليهم وتفرقهم . قال فقال ياسر: فركب أبو الحسن عليه السلام وقال لي: إركب فركبت فلما خرجنا من باب الدار نظر إلى الناس وقد تراحموا فقال لهم بيده تفرقوا تفرقوا. قال ياسر: فأقبل الناس والله يقع بعضهم على بعض ، وما أشار إلى أحد إلا ركض ومرت!

ملاحظات

١. الرواية بقرائنها الداخلية والخارجية صحيحة ، وليس عندهم كلام في رجالها حتى ياسر الخادم ، وهو قمي مولى الأشعريين ، وقد صححوا حديثه .
نعم تكلموا في حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد الشهيد عليه السلام ومن رجع الى كلمات علماء الشيعة والسنة فيه ، الى مروياته وقبول الصدوق وغيره لها ،

وإلى نشاطه في الكوفة وبغداد والشام ، يطمئن بوثاقته .

٢. نقرأ في هذا النص خبر الصراع الشديد الحاسم بين الإمام الرضا عليه السلام الذي يريد إنقاذ منصب الخلافة الإسلامية (مهما كان الخليفة) من براثن الفضل البرمكي، وبين الفضل الطاغية الذي يريد أن يبقي المأمون أسيراً بين يديه !

ونجد أن الإمام الرضا عليه السلام دخل هذا الصراع علناً على خلاف مسلكه في الأمور ، وتابع الأمر ، وكان حاضراً أن يدفع ثمن ذلك مهما بلغ !

وفي المقابل كان الفضل كالوحش المحصور في زاوية ، فقد حاول بكل ما يستطيع أن يمنع سفر المأمون ، فواجه احتماؤه بالإمام عليه السلام وهو الركن الوثيق فاخترع قصة رسالة أخيه والتنجيم ، والدخول مع المأمون والإمام يوم الأربعاء الى الحمام ، وغرضه أن يقضي عليها ، ففشل أيضاً !

ودعا المأمون الفضل للذهاب معه الى بغداد فاعتذر بخوفه من العباسيين لأنهم يرون أنه قاتل الأمين ، وأنه أراد أن ينقل الخلافة الى آل أبي طالب !
فطمأنه المأمون وقال له أكتب ما تريد ، ووقع له على كل ما أراد .

وأراد الفضل أن يشهد له الإمام فأوقفه ليقراً مطالبه التي كتبها، ثم وعده بقبولها مشروطاً ، بأن يتقي الله تعالى ، فأيس منه وخرج مغضباً !

هذه خلاصة الصراع في تلك الأيام ، وهي لبُّ الصراع مع البرمكي الجديد !

٣. قصة التنجيم التي زعمها الفضل مكذوبة ، ليغطي بها خطته لقتل المأمون والرضا عليه السلام . وقد كشفها الإمام عليه السلام ونصحهم بعدم دخول الحمام .

٤. أما إصرار المأمون على الإمام الرضا عليه السلام أن يدخل الحمام غداً ، فهو خطة من المأمون لقتل الإمام عليه السلام ، وقد تناغم مع الفضل في ذلك !

٥. صدق الإمام الرضا عليه السلام بأن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه قبل ليلة في المنام وقال له: لا تذهب يوم الأربعاء الى الحمام ليحبط الله محاولتهم لقتله .

وقد انتبه المأمون الى خطة الفضل وصدق الإمام عليه السلام ورؤياه: (فكتب إليه المأمون: صدقت يا سيدي وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله لست بدخل الحمام غداً . والفضل فهو أعلم وما يفعله).

٦. أما الفضل صاحب فكرة الدخول الى الحمام، فعرف أن مؤامرتة فشلت ، وأراد أن يدخل هو ليثبت أن رؤية أخيه صحيحة ، ودخل الحمام فتفاجأ بخطة المأمون لقتله ، فوقع في البئر الذي حفره !

٧. ونقرأ في هذا النص أن المأمون الضعيف أمام الفضل بن سهل، تحول الى أسد ضار على الفضل ومن يؤيده ، فقد أخذ من الفضل أسماء القادة الذين مدحهم ونصحه بمشورتهم والعمل برأيهم فقتلهم! قال له: (وهاهنا يا أمير المؤمنين مشائخ قد خدموا الرشيد وعرفوا الأمر، فاستشرهم فإن أشاروا بذلك فأمضه ، فقال المأمون: مثل من قال: مثل علي بن أبي عمران ، وأبي يونس ، والجلودي) .

وكان هؤلاء أعداء الإمام الرضا عليه السلام وكانوا ناقلين على جعله ولي عهد! فأحضرهم المأمون وقتلهم علناً ، وهو جالس في مجلسه !

ثم لم يدخل الحمام ولم يسمع لإصرار الفضل، بل أرسل له من يقتله ، ثم أظهر استنكار ذلك ، ثم قتل الذين أرسلهم هو لقتل الفضل !

وعندما احتشد أنصار الفضل أمام قصره وأرادوا قتله وأحرقوا الباب أو كادوا ، ورفعوا شعار نقتل المأمون لأنه قاتل الفضل، لجأ المأمون الى الإمام عليه السلام واستغاث به فأغاثه وفرقهم بمعجزة ! (فقال المأمون للرضا عليه السلام: يا سيدي ترى أن تخرج إليهم

الفصل التاسع: الإمام الرضا عليه السلام يخلص المأمون من براثن الفضل! ٣٢٧

وتفرقهم قال ياسر: فركب الرضا عليه السلام وقال لي: إركب فلما خرجنا من الباب نظر الرضا عليه السلام إليهم وقد اجتمعوا وجاءوا بالنيران ليحرقوا الباب فصاح بهم وأومى إليهم بيده ، تفرقوا فتفرقوا ! قال ياسر: فأقبل الناس والله يقع بعضهم على بعض ، وما أشار إلى أحد إلا ركض ومراً ، ولم يقف أحداً! .

ومعنى ذلك: أن المأمون يؤمن بأن الإمام الرضا عليه السلام عنده قوة ربانية يستطيع أن يحميه بها من القادة أنصار الفضل وجندهم المحاصرين لقصره !

فاستغاث به ولبى الإمام عليه السلام طلبه فركب فرسه وخرج إليهم ولم يكلمهم بل كان يشير إليهم بالتفرق والذهاب من باب القصر ، فكانوا يطيعون إشارته ويذهبون ! ولم تقل الرواية ماذا فعل لهم الإمام عليه السلام هل دعا أو استعمل الإسم الأعظم ، ولا ذكر ما رأوا حتى اندفعوا هاربين يقع بعضهم على بعض ! ثم لم يعودوا بجندهم ، وهذه معجزة للإمام عليه السلام .

لقد نجى الإمام المأمون من انتقام الحزب الكسروي ، فتنفس المأمون الصعداء وشكر الإمام الرضا عليه السلام وكان يخاطبه بسيدي ! قال له: يا سيدي ترى أن تخرج إليهم .

ولما جاء الفضل قبل أيام ورآه يتهيأ للعودة الى بغداد: (إلى المأمون فقال له: يا أمير المؤمنين ما هذا الرأي الذي أمرت به؟ قال: أمرني سيدي أبو الحسن بذلك وهو الصواب. فقال: يا أمير المؤمنين ما هذا الصواب... الخ)!

علماء الخلافة يمدحون الفضل بن سهل!

مدحه علماء الخلافة السذج وأشادوا به وقالوا فيه كما في تاريخ بغداد (٣٣٨/١٣): (الفضل بن سهل بن عبد الله ، أبو العباس الملقب ذا الرياستين: كان من أولاد ملوك المجوس ، وأسلم أبوه سهل في أيام هارون الرشيد ، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي ، واتصل الفضل والحسن ابنا سهل بالفضل وجعفر ابني يحيى بن خالد ، فضم جعفر بن يحيى

الفضل بن سهل إلى المأمون وهو ولي عهد، ويقال إن الفضل بن سهل أراد أن يسلم، فكره أن يسلم على يد الرشيد والمأمون، فصار وحده إلى المسجد الجامع يوم الجمعة، فأسلم واغتسل ولبس ثيابه، ورجع مسلماً. وغلب على المأمون لما وصل به للفضل الذي كان فيه، فإنه كان أكرم الناس عهداً، وأحسنهم وفاء ووداً، وأجزلهم عطاءً وبذلاً، وأبلغهم لساناً، وأكتبهم يداً. وفوض إليه المأمون لما استخلف أموره كلها، وسماه ذا الرياستين). أي السيف والقلم: الجيوش والإدارة!

أقول: لاحظ أنه لم يُسَلِّم على يد الرشيد والمأمون حتى لا يصير مولا لهم. وزعم أنه ذهب إلى المسجد وأسلم، لكن الإمام الرضا عليه السلام كان يخاطبه كمجوسي يؤمن بالنجوم لا بالإسلام! ففي تحف العقول لابن شعبة الحراني/٤٤٧: (حضر عليه السلام يوماً مجلس المأمون وذو الرياستين حاضر، فتذاكروا الليل والنهار وأيهما خلق قبل صاحبه. فسأل ذو الرياستين الرضا عن ذلك؟ فقال عليه السلام له: تحب أن أعطيك الجواب من كتاب الله أم حسابك؟ فقال: أريده أولاً من الحساب فقال عليه السلام: أليس تقولون: إن طالع الدنيا السرطان وإن الكواكب كانت في أشرافها؟ قال: نعم. قال: فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والمريخ في الجدي والزهرة في الحوت والقمر في الثور والشمس في وسط السماء في الحمل، وهذا لا يكون إلا نهراً. قال: نعم.

قال: فمن كتاب الله؟ قال عليه السلام قوله عز وجل: لا الشمس ينبغي لها أن تدرِك القمرَ ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون. أي النهار سبقه).

فقوله عليه السلام: من حسابك، يعني حساب النجوم الذي يؤمن به ذو الرياستين! ونشير هنا إلى أن بعض علمائنا أيضاً مدحوا الفضل بن سهل وتصوروا أنه شيعي، وانخدعوا برواية أنه الذي اقترح على المأمون أن يجعل الإمام الرضا عليه السلام ولي عهده.

والصحيح أن الفضل كما نص عليه الصدوق ، تلميذ البرامكة الحاقدين على الأئمة عليهم السلام ، وأن المأمون جعل ولاية العهد لأهل البيت عليهم السلام لأنه نذر إن نصره الله على أخيه الأمين أن يجعل ولاية العهد في أولاد علي عليه السلام ، ولأهداف أخرى عنده !

كان الفضل بن سهل يؤمن بالنجوم على طريقة الفرس!

نقل السيد ابن طاووس في فرج المهموم / ١٥٨ ، عن كتاب الوزراء لابن المبارك، قال: (وذكر أبو عيسى محمد بن سعيد أنه وجد على كتاب من كتب ذي الرياستين بخطه هذه السنة الفلانية التي تكون فيها النكبة والى الله نرغب في دفعها ، وإن صح من حساب الفلك فيها شيء فالأمر واقع لا محالة. ونسال الله أن يختم لناخير بمنه تعالى ، وكان يعمل لذي الرياستين تقويم في كل سنة يوقع عليه هذا يوم يصلح لكذا ويحتمل فيه كذا .

فلما كان في السنة التي قتل فيها عرض عليه التقويم فجعل يوقع فيه ما يصلح وما يحتمل حتى انتهى إلى اليوم الذي قتل فيه قال: أف لهذا اليوم ما أشره علي ! ورمى بالتقويم. وروي عن أخت الفضل قالت: دخل الفضل إلى أمه في الليلة التي قتل في صبيحتها فقعد إلى جانبها ، وأقبل يعظها ويعزيها عن نفسه ، ويذكرها حوادث الدهر وتقضي أمور العباد ، ثم قبل صدرها وثديها وودعها وداع المفارق، ثم قام فخرج وهو قلق منزعج لما دلّه عليه الحساب ، فجعل ينتقل من موضع إلى موضع ، ومن مجلس إلى مجلس ، وامتنع عليه النوم فلما كان في السحر قام إلى الحمام وقدر أن يجعل غمه وحرارته وكربه هو الذي دلت عليه النجوم، وقدمت له بغلة فركبها وكان الحمام في آخر البستان فكبت به البغلة ، فسره ذلك وقدر أنها هي النكبة التي كان يتخوفها ، ثم مشى إلى الحمام ولم يزل حتى دخل الحمام فاغتسل فيه ، فقتل) .

كلمة في التنجيم والمنجمين

كان الفرس المجوس يؤمنون بالنجوم ، فبرعوا فيها وكان فيهم منجمون مراجع يستخرجون طالع الأشخاص والأعمال ، ويعتقدون بها ويعملون بمقتضاها !
وجاء الإسلام فقال إن نتائج المنجمين ظنية ، قال الله تعالى: وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا .

وفي الكافي (٨/١٩٦): (عن عبد الرحمن بن سيابة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت لك الفداء إن الناس يقولون إن النجوم لا يحل النظر فيها وهي تعجبني، فإن كانت تضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني ، وإن كانت لا تضر بديني فوالله إني لأشتهيها وأشتهي النظر فيها؟ فقال: ليس كما يقولون لا تضر دينك، ثم قال: إنكم تنظرون في شيء كثيره لا يدرك وقليله لا ينتفع به ، تحسبون على طالع القمر، ثم قال:
أتدري كم بين المشتري والزهرة من دقيقة؟ قلت: لا والله ، قال: أفتدري كم بين الزهرة وبين القمر من دقيقة؟ قلت: لا ، قال: أفتدري كم بين الشمس وبين السنبلة من دقيقة؟ قلت: لا والله ما سمعته من أحد من المنجمين قط ، قال: أفتدري كم بين السنبلة وبين اللوح المحفوظ من دقيقة؟ قلت: لا والله ما سمعته من منجم قط ، قال: ما بين كل واحد منها إلى صاحبه ستون أو سبعون دقيقة ، شك عبد الرحمن ، ثم قال: يا عبد الرحمن هذا حساب إذا حسبه الرجل ووقع عليه عَرَفَ القَصْبَةَ التي وسط الأجمة وعدد ما عن يمينها وعدد ما عن يسارها ، وعدد ما خلفها وما أمامها ، حتى لا يخفى عليه من قصب الأجمة واحدة)!

وفي نهج البلاغة (١/١٣٩): (ومن كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج فقال له: يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم ، فقال عليه السلام : أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها

صرف عنه السوء، وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟ فمن صدق بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الإعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه ، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضر!

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر والكافر في النار! سيروا على اسم الله).

وفي كمال الدين للصدوق/ ٦٥٥: (عن أبي جعفر عليه السلام قال: اثنان بين يدي هذا الأمر: خسوف القمر لخمس ، وكسوف الشمس لخمس عشرة ، ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين) .

وفي منهاج الصالحين للسيد السيستاني(٣/١٣): (التنجيم حرام، وهو الإخبار عن الحوادث ، مثل الرخص والغلاء والحر والبرد ونحوها ، استناداً إلى الحركات الفلكية والطوارئ الطارئة على الكواكب ، من الإتصال بينها أو الانفصال ، أو الإقتران ، أو نحو ذلك، باعتقاد تأثيرها في الحادث ، على وجه الإستقلال أو الإشتراك مع الله تعالى، دون مطلق التأثير ، نعم يحرم الإخبار بغير علم عن هذه الأمور وغيرها مطلقاً، وليس من التنجيم المحرم الإخبار عن الخسوف والكسوف والأهلة واقتران الكواكب وانفصالها إن كان ناشئاً عن أصول وقواعد سديدة ، وكون الخطأ الواقع فيه أحياناً ناشئاً من الخطأ في الحساب وإعمال القواعد ، كسائر العلوم).

وقال الشيخ الأنصاري في المكاسب(١/٢١٠): (قال العلامة في المنتهى بعد ما أفتى بتحريم التنجيم وتعلم النجوم مع اعتقاد أنها مؤثرة ، أو أن لها مدخلاً في التأثير

والنفع، قال: وبالجملة ، كل من اعتقد ربط الحركات النفسانية والطبيعية بالحركات الفلكية والإتصالات الكوكبية ، كافر .

وقال الشهيد عليه السلام في قواعده: كل من اعتقد في الكواكب أنها مدبرة لهذا العالم وموجدة له ، فلا ريب أنه كافر ...

لكن ظاهر ما تقدم في بعض الأخبار من أن المنجم بمنزلة الكاهن الذي هو بمنزلة الساحر الذي هو بمنزلة الكافر، من عدا الفرق الثلاث الأول ، إذ الظاهر عدم الإشكال في كون الفرق الثلاث من أكفر الكفار، لا بمنزلتهم.

ومنه يظهر: أن ما رتبته عليه السلام على تصديق المنجم: من كونه تكديماً للقرآن وكونه موجباً للإستغناء عن الاستعانة بالله في جلب الخير ودفع الشر ، يراد منه إبطال قوله بكونه مستلزماً لما هو في الواقع مخالف للضرورة من كذب القرآن والإستغناء عن الله ، كما هو طريقة كل مستدل من إنهاء بطلان التالي إلى ما هو بديهي البطلان عقلاً ، أو شرعاً ، أو حساً ، أو عادةً .

ولا يلزم من مجرد ذلك الكفر ، وإنما يلزم ممن التفت إلى الملازمة واعترف باللازم ، وإلا فكل من أفتى بها هو مخالف لقول الله واقعاً إما لعدم تفتنه لقول الله ، أو لدلالته يكون مكذباً للقرآن .

وأما قوله صلى الله عليه وآله : من صدق منجماً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد . فلا يدل أيضاً على كفر المنجم ، وإنما يدل على كذبه ، فيكون تصديقه تكديماً للشارع المكذب له ، ويدل عليه عطف الكاهن عليه .

وبالجملة ، فلم يظهر من الروايات تكفير المنجم بالمعنى الذي تقدم للتنجيم في صدر عنوان المسألة كفرةً حقيقياً ، فالواجب الرجوع فيما يعتقده المنجم إلى ملاحظة

مطابقتة لأحد موجبات الكفر من إنكار الصانع، أو غيره مما علم من الدين بديهية). وفي دلائل الإمامة للطبري الشيعي/٢٤٧: (عن قيس بن سعد قال: كنت أساير أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً إذا سار إلى وجه من الوجوه، فلما قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن وكنت يومئذ مسائراً له، إذ خرج إلينا قوم من أهل المدائن من دهاقينهم معهم براذين قد جاؤوا بها هدية إليه، فقبلها، وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى سرسفييل، وكانت الفرس تحكم برأيه فيما يعني وترجع إلى قوله فيما سلف. فلما بصر بأمر المؤمنين قال: يا أمير المؤمنين، تناحست النجوم الطوالع، فنحس أصحاب السعود، وسعد أصحاب النحوس، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الإختفاء والجلوس، وإن يومك هذا يوم مميت، قد اقترن فيه كوكبان قتالان، وشرف فيه بهرام في برج الميزان، واتقدت من برجك النيران، وليس لك الحرب بمكان! فتبسم أمير المؤمنين صلوات الله عليه ثم قال: أيها الدهقان المنبئ بالأخبار، والمحذر من الأقدار، أتدري ما نزل البارحة في آخر الميزان، وأي نجم حل في السرطان؟ قال: سأنظر ذلك، وأخرج من كفه إسطرلاباً وتقويماً، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنت مسير الجاريات؟ قال: لا. قال: أفقتضي على الثابتات؟ قال: لا. قال: فأخبرني عن طول الأسد، وتباعده عن المطالع والمراجع، وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ قال: لا أعلم لي بذلك.

قال: فما بين السواري إلى الدراري، وما بين الساعات إلى الفجرات، وكم قدر شعاع المدارات، وكم تحصيل الفجر في الغدوات؟ قال: لا أعلم لي بذلك.

قال عليه السلام: هل علمت يا دهقان أن الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت في الصين، وتغلب برج ماجين، واحترقت دور بالزنج، وطفح جب سرنديب وتهدم حصن

الأندلس ، وهاج نمل السيح ، وانهمز مراق الهند ، وفقد ربان اليهود بأيلة ، وجذم بطريق الروم برومية ، وعمي راهب عمورية ، وسقطت شرافات القسطنطينية ؟ أفعال أنت بهذه الحوادث وما الذي أحدثها ، شرقها وغربها من الفلك ؟ قال: لا علم لي بذلك .

قال: فبأي الكواكب تقضي في أعلى القطب ، وبأيها تنحس من تنحس ؟ قال: لا علم لي بذلك ، قال: فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً ، في كل عالم سبعون عالماً ، منهم في البر ، ومنهم في البحر ، وبعض في الجبال ، وبعض في الغياض ، وبعض في العمران ، فما الذي أسعدهم ؟ قال: لا علم لي بذلك .

قال عليه السلام: يا دهقان ، أظنك حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك في الغسق ، وظهر تلالؤ المريخ وتشريقه في السحر ، وقد سار فاتصل جرمه بنجوم تربع القمر ، وذلك دليل على استخلاف ألف ألف من البشر، كلهم يولدون اليوم واللييلة ، ويموت مثلهم ويموت هذا . وأشار إلى جاسوس في عسكره لمعاوية ، فلما قال ذلك ظن الرجل أنه قال: خذوه ، فأخذه شيعي في قلبه وتكسرت نفسه في صدره ، فمات لوقته ! فقال عليه السلام للدهقان: ألم أرك عين التقدير في غاية التصوير؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين . فقال: يا دهقان ، أنا مخبرك أني وصحبي هؤلاء لا شريقيون ولا غربيون ، إنما نحن ناشئة القطب ، وما زعمت البارحة أنه انقذح من برج الميزان فقد كان يجب أن يحكم معه لي ، لأن نوره وضيائه عندي ، فلهبه ذاهب عني .

يا دهقان: هذه قضية عيص ، فاحسبها وولدها إن كنت عالماً بالأكوار والأدوار ولو علمت ذلك لعلمت أنك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة !

ومضى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فهزم أهل النهروان وقتلهم فعاد بالغنيمة والظفر. فقال الدهقان: ليس هذا العلم بأيدي أهل زماننا هذا علم مادته من السماء! أقول: هذه الرواية تدل على أن علم التنجيم في أصله صحيح ، لكن الحديث النبوي: كذب المنجمون ولو صدقوا ، يشرحه قول الصادق عليه السلام للمنجم: إنكم تنظرون في شئ كثيره لا يدرك وقليله لا ينتفع به!

وقال المجلسي الكبير في روضة المتقين (٤/١٩٨): (ونعم ما قال الشيخ أبو علي بن سينا في كتبه ، إن القول بالنجوم وهمٌّ فإنه إن أمكن أن يعلم التأثيرات السماوية ، فكيف لا يمكن أن يعلم التأثيرات الأرضية، والفعل لا يحصل إلا من الفاعل والقابل ، وكل من لاحظ كتبهم وأحكامهم يعلم يقيناً أنها مبنية على الأوهام الواهية والأكاذيب الصريحة ، فإن أردت التجربة في الأكاذيب فانظر إلى تقاويمهم بعد خروج السنة فإنك تجد أكثر أحكامهم كاذبة ، وإذا وجد بعض الأحكام صحيحاً فإنه لا يدل على صدقهم ، فإنك تجد من حالاتك في التخمينات فبعضها يحصل ، وبعضها لا يحصل مع ما ورد من الآيات والأخبار في النهي عن القول بالظن ، فكيف الوهم ، على أنه لو كان الجميع صادقاً لا يحصل منه إلا الغم والهم لأنه لا يمكن تغييرها والإجتنا عنها بحسب معتقدهم ، ولو لم يكن فيه إلا ترك الإقبال على الله تعالى والتفويض إليه والتوكل والإعتصام بحبله ، لكفى في قبحه .

فالأنسب بالنسبة إلى المؤمن الموحد أن لا ينظر إليها وأن يتوكل على الله تعالى في جميع أموره ، ويدفع البلايا بالدعوات والصدقات ، كما ورد الآيات والروايات).

كان ذو الرياستين يسأل أسئلة من لا يؤمن

قال ذو الرياستين للإمام الرضا عليه السلام: (جعلت فداك أخبرني عما اختلف فيه الناس من الرؤية ، فقال بعضهم لا يرى. فقال: يا أبا العباس من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله ، قال الله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. هذه الأبصار ليست هي الأعين إنما هي الأبصار التي في القلوب ! لاتقع عليه الأوهام ، ولا يدرك كيف هو). (تفسير العياشي: ١/٣٧٣).

وفي طرائف ابن طاووس/٣٣٠: (روي أن الفضل بن سهل سأل علي بن موسى الرضا عليه السلام بين يدي المأمون فقال: يا أبا الحسن الخلق مجبورون؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذبهم! قال: فمطلقون؟ قال: الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه).



الرسالة الجامعة التي أملاها الإمام عليه السلام للمأمون

قال ابن شعبة الحراني في تحف العقول/٤١٥: (جوابه عليه السلام للمأمون في جوامع الشريعة لما سأله جمع ذلك: روي أن المأمون بعث الفضل بن سهل ذا الرياستين إلى الرضا عليه السلام فقال له: إني أحب أن تجمع لي من الحلال والحرام والفرائض والسنن ، فإنك حجة الله على خلقه ومعدن العلم . فدعا الرضا بدواة وقرطاس وقال للفضل أكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. حسبنا شهادة أن لا إله إلا الله ، أحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، قيوماً ، سميعاً ، بصيراً ، قوياً ، قائماً ، باقياً ، نوراً ، عالماً لا يجهل ، قادراً لا يعجز ، غنياً لا يحتاج ، عدلاً لا يجور ، خلق كل شيء ، ليس كمثله شيء ، لا شبه له ، ولا ضد ، ولا ند ، ولا كفو .

وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ، ورسوله ، وأمينه ، وصفوته من خلقه ، سيد المرسلين وخاتم

النبين ، وأفضل العالمين ، لا نبي بعده ، ولا تبديل لملته ولا تغيير .

وأن جميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله هو الحق المبين ، نصدق به ، وبجميع من مضى قبله من رسل الله وأنبيائه وحججه ، ونصدق بكتابه الصادق : لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، وأنه المهيمن على الكتب كلها . وأنه حق من فاتحته إلى خاتمته ، نؤمن بمحكمه ومتشابهه ، وخاصه وعامه ، ووعدته ووعدته ، وناسخه ومنسوخه ، وأخباره . لا يقدر واحد من المخلوقين أن يأتي بمثله .

وأن الدليل والحجة من بعده على المؤمنين والقائم بأمر المسلمين ، والناطق عن القرآن والعالم بأحكامه ، أخوه وخليفته ووصيه ، والذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، يعسوب المؤمنين ، وأفضل الوصيين بعد النبيين .

وبعده الحسن والحسين عليه السلام ثم تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد ، إلى يومنا هذا ، عترة الرسول وأعلمهم بالكتاب والسنة ، وأعدلهم بالقضية وأولاهم بالإمامة في كل عصر وزمان ، وأنهم العروة الوثقى ، وأئمة الهدى ، والحجة على أهل الدنيا ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . وأن كل من خالفهم ضال مضل ، تارك للحق والهدى ، وأنهم المعبرون عن القرآن ، الناطقون عن الرسول بالبيان ، من مات لا يعرفهم ولا يتولاهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، مات ميتة جاهلية . وأن من دينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهاد ، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر ، وطول السجود ، والقيام بالليل ، واجتناب المحارم ، وانتظار الفرج ، بالصبر وحسن الصحبة ، وحسن الجوار ، وبذل المعروف وكف الأذى ، وبسط الوجه ، والنصيحة ، والرحمة للمؤمنين .

والوضوء كما أمر الله في كتابه: غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين واحد فريضة واثنان إسباغ ، ومن زاد أثم ولم يؤجر ، ولا ينقض الوضوء إلا الريح والبول والغائط والنوم والجنابة . ومن مسح على الخفين فقد خالف الله ورسوله صلى الله عليه وآله وكتابه ، ولم يُجْزِ عنه وضوءه ، وذلك أن علياً عليه السلام خالف القوم في المسح على الخفين فقال له عمر: رأيت النبي صلى الله عليه وآله يمسح ، فقال علي عليه السلام : قبل نزول سورة المائدة أوبعدها ؟ قال لا أدري . قال علي عليه السلام : لكنني أدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يمسح على خفيه مذ نزلت سورة المائدة . والإغتسال من الجنابة ، والإحتلام ، والحيض ، وغسل من غسل الميت فرض ، والغسل يوم الجمعة ، والعيدين ، ودخول مكة والمدينة ، وغسل الزيارة ، وغسل الاحرام ، ويوم عرفة ، وأول ليلة من شهر رمضان ، وليلة تسع عشرة منه ، وإحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين منه سنة .

وصلاة الفريضة: الظهر أربع ركعات ، والعصر أربع ركعات ، والمغرب ثلاث ركعات ، والعشاء الآخرة أربع ركعات ، والفجر ركعتان ، فذلك سبع عشرة ركعة . والسنة أربع وثلاثون ركعة: منها ثمان قبل الظهر ، وثمان بعدها ، وأربع بعد المغرب ، وركعتان من جلوس بعد العشاء الآخرة تعد بواحدة ، وثمان في السحر ، والوتر ثلاث ركعات ، وركعتان بعد الوتر .

والصلاة في أول الأوقات ، وفضل الجماعة على الفرد كل ركعة بألفي ركعة . ولا تصل خلف فاجر ، ولا تقتد إلا بأهل الولاية ، ولا تصل في جلود الميتة ولا جلود السباع . والتقصير في أربع فراسخ ، بريد ذاهباً وبريد جائئاً ، اثنا عشر ميلاً . وإذا قصرت أفطرت . والقنوت في أربع صلوات ، في الغداة والمغرب والعتمة - ويوم الجمعة وصلاة الظهر ، وكل القنوت قبل الركوع وبعد القراءة .

والصلاة على الميت خمس تكبيرات ، وليس في صلاة الجنائز تسليم ، لأن التسليم في

الركوع والسجود ، وليس لصلاة الجنائز ركوع ولا سجود ، ويربع قبر الميت ولا يسلم .

والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة مع فاتحة الكتاب .

والزكاة المفروضة ، من كل مائتي درهم خمسة دراهم ولا تجب في ما دون ذلك، وفيما زاد في كل أربعين درهماً درهم، ولا تجب فيما دون الأربعينات شيء، ولا تجب حتى يحول الحول ولا تعطى إلا أهل الولاية والمعرفة. وفي كل عشرين ديناراً نصف دينار . والخمس من جميع المال مرة واحدة ، والعشر من الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، وكل شيء يخرج من الأرض من الحبوب إذا بلغت خمسة أوسق ففيه العشر إن كان يسقى سيحاً، وإن كان يسقى بالدوالي ففيه نصف العشر للمعسر والموسر . وتخرج من الحبوب القبضة والقبضتان ، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، ولا يكلف العبد فوق طاقته. والوسق ستون صاعاً والصاع ستة أرطال ، وهو أربعة أمداد ، والمد رطلان وربع برطل العراقي. وقال الصادق عليه السلام : هو تسعة أرطال بالعراقي وستة أرطال بالمدني .

وزكاة الفطر فريضة على رأس كل صغير أو كبير ، حر أو عبد من الحنطة نصف صاع، ومن التمر والزبيب صاع . ولا يجوز أن تعطى غير أهل الولاية لأنها فريضة .

وأكثر الحيض عشرة أيام وأقله ثلاثة أيام، والمستحاضة تغتسل وتصلي، والحائض تترك الصلاة ولا تقضي ، وتترك الصيام وتقضيه .

ويصام شهر رمضان لرؤيته ، ويفطر لرؤيته . ولا يجوز التراويح في جماعة ، وصوم ثلاثة أيام في كل شهر سنة من كل عشرة أيام يوم خميس من العشر الأول، والأربعاء من العشر الأوسط ، والخميس من العشر الآخر .

وصوم شعبان حسن وهو سنة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : شعبان شهري وشهر رمضان شهر الله ، وإن قضيت فائت شهر رمضان متفرقاً أجزأك . وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً والسبيل زاد وراحلة ، ولا يجوز الحج إلا متمتعاً ، ولا يجوز الأفراد والقران الذي تعمله العامة . والاحرام دون الميقات لا يجوز . قال الله : وأتموا الحج والعمرة لله ، ولا يجوز في النسك الخصي ، لأنه ناقص ويجوز المجرى .

والجهاد مع إمام عادل ، ومن قاتل فقتل دون ماله ورحله ونفسه فهو شهيد ، ولا يحل قتل أحد من الكفار في دار التقية ، إلا قاتل أوباغ ، وذلك إذا لم تحذر على نفسك . ولا أكل أموال الناس من المخالفين وغيرهم . والتقية في دار التقية واجبة . ولا حنث على من حلف تقية يدفع بها ظلماً عن نفسه .

والطلاق بالسنة على ما ذكر الله جل وعز وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ، ولا يكون طلاق بغير سنة ، وكل طلاق يخالف الكتاب فليس بطلاق وكل نكاح يخالف السنة فليس بنكاح . ولا تجمع بين أكثر من أربع حرائر . وإذا طلقت المرأة ثلاث مرات للسنة لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : اتقوا المطلقات ثلاثاً فإنهن ذوات أزواج ! والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله في كل المواطن عند الرياح والعطاس وغير ذلك .

وحب أولياء الله وأوليائهم ، وبغض أعدائه والبراءة منهم ومن أئمتهم .

وبر الوالدين وإن كانا مشركين فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً لأن الله يقول :
 أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ... وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما صاموا لهم ولا صلوا ولكن أمرهم بمعصية الله فأطاعوهم ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من أطاع مخلوقاً في غير طاعة الله جل وعز فقد كفر ، واتخذ إلهاً من دون الله . وذكاة الجنين ذكاة أمه . وذنوب الأنبياء

صغار موهوبة لهم بالنبوة . والفرائض على ما أمر الله لا عول فيها . ولا يرث مع الوالدين والولد أحد إلا الزوج والمرأة . وذو السهم أحق ممن لا سهم له وليست العصبة من دين الله .

والعقيقة عن المولود الذكر والأنثى يوم السابع . ويخلق رأسه يوم السابع . ويسمى يوم السابع . ويتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة يوم السابع .

وأن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير ، لا خلق تكوين . ولا تقل بالجبر ولا بالتفويض ، ولا يأخذ الله عَزَّ وَجَلَّ البرئ بجرم السقيم ، ولا يعذب الله الأبناء والأطفال بذنوب الآباء ، وإنه قال: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.. وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . والله يغفر ولا يظلم ، ولا يفرض الله على العباد طاعة من يعلم أنه يظلمهم ويغويهم . ولا يختار لرسالته ويصطفي من عباده من يعلم أنه يكفر ويعبد الشيطان من دونه .

وأن الاسلام غير الإيـان ، وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً . لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب حين يشرب الخمر وهو مؤمن ، ولا يقتل النفس التي حرم الله بغير الحق وهو مؤمن .

وأصحاب الحدود لا بمؤمنين ولا بكافرين . وأن الله لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة والخلود فيها ، ومن وجبت له النار بنفاق أو فسق أو كبيرة من الكبائر لم يبعث مع المؤمنين ولا منهم ، ولا تحيط جهنم إلا بالكافرين . وكل إثم دخل صاحبه بلزومه النار فهو فاسق . ومن أشرك أو كفر أو نافق ، أو أتى كبيرة من الكبائر . والشفاعة جائزة للمستشفعين .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان واجب . والإيمان أداء الفرائض واجتناب المحارم ، والإيمان هو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان . والتكبير في

الأضحى خلف عشر صلوات يبتدأ من صلاة الظهر من يوم النحر. وفي الفطر في خمس صلوات يبتدأ بصلاة المغرب من ليلة الفطر. والنفساء تقعد عشرين يوماً لا أكثر منها، فإن طهرت قبل ذلك صلت وإلا فيلّى عشرين يوماً، ثم تغتسل وتصلي وتعمل عمل المستحاضة. ويؤمّن بعذاب القبر ومنكر ونكير، والبعث بعد الموت، والحساب والميزان والصراف، والبراءة من أئمة الضلال وأتباعهم، والموالاتة لأولياء الله، وتحريم الخمر قليلها وكثيرها، وكل مسكر خمر، وكل ما أسكر كثيره فقليله حرام. والمضطر لا يشرب الخمر فإنها تقتله.

وتحريم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وتحريم الطحال فإنه دم، والجري والطافي والمارماهي والزمير، وكل شئ لا يكون له قشور. ومن الطير ما لا تكون له قانصة، ومن البيض كل ما اختلف طرفاه فحلال أكله وما استوى طرفاه فحرام أكله.

واجتناب الكبائر، وهي قتل النفس التي حرم الله، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتامى ظلماً، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله من غير ضرورة به. وأكل الربا والسحت بعد البيئة والميسر. والبخس في الميزان والمكيال. وقذف المحصنات، والزنا، واللواط، وشهادات الزور، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، ومعاونة الظالمين والركون إليهم، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير عسر. والكبر، والكفر، والإسراف، والتبذير، والخيانة، وكتمان الشهادة، والملاهي التي تصد عن ذكر الله، مثل الغناء وضرب الأوتار، والإصرار على الصغائر من الذنوب. فهذه أصول الدين. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه وآله وسلم تسليماً.

أقول: لم يذكر ابن شعبة سند هذه الرواية مع الأسف ، وفيها أحكام تخالف المجمع عليه عند فقهاءنا ، مثل أقل النفاس وأكثره ، فقد أفتوا بأنه لا حدَّ لأقله ، وأن أكثره عشرة أيام لا يزيد عن أكثر الحيض . لكن فيها عشرون يوماً وهو مذهب عدد من أئمة السنة . فقد يكون بعض رواة هذه الرسالة غير فيها لتوافق مذهبه !

فلا يمكن الفتوى بما فيها ، لكنها تعطي صورة عن معالم الإسلام، وأن الفضل بن سهل بثقافته المجوسية العلمانية أراد أن يعرفها فكتبها له الإمام الرضا عليه السلام ولذلك أوردناها .

مؤامرة الفضل على الإمام عليه السلام لقتله !

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (١٧٧/٢): (روي أنه قصد الفضل بن سهل مع هشام بن إبراهيم الرضا عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله جئتك في سر فأخلى لي المجلس ، فأخرج الفضل يميناً مكتوبة بالعتق والطلاق ومالا كفارة له ، وقال له: إنما جئتك لنقول كلمة حق وصدق وقد علمنا أن الإمرة أمرتكم والحق حققكم يا ابن رسول الله ، والذي نقوله بألسنتنا عليه ضمائنا ، وإلا ينعق ما نملك والنساء طوالق وعلّي ثلاثون حجة راجلاً: إنا على أن نقتل المأمون وتخلص لك الأمر حتى يرجع الحق إليك !

فلم يسمع منها وشتمها ولعنهما وقال لهما: كفرتما النعمة ، فلا تكون لكما السلامة ولا لي إن رضيت بما قلتما . فلما سمع الفضل ذلك منه مع هشام علماً أنها أخطأ فقصد المأمون ، بعد أن قالوا للرضا عليه السلام أردنا بما فعلنا أن نجربك ، فقال لهما الرضا عليه السلام: كذبتما فإن قلوبكما على ما أخبرتماني به، إلا إنكما لم تجداني كما أردتما !

فلما دخلا على المأمون قالوا: يا أمير المؤمنين إنا قصدنا الرضا وجربناه وأردنا أن نقف ما يضمره لك فقلنا وقال.. فقال المأمون وفقتما !

فلما خرجا من عند المأمون قصده الرضا عليه السلام وأخليا المجلس وأعلمه ما قالوا وأمره أن يحفظ نفسه منهما ، فلما سمع ذلك من الرضا علم أن الرضا عليه السلام هو الصادق).

المأمون يرتكب جريمة سم الرضا عليه السلام قبل عودته الى بغداد!

كان المأمون يعلم أن الإمام الرضا عليه السلام إمامٌ من الله تعالى ، ويعلم أنه لا غرض له من الدنيا إلا خدمة دين جده المصطفى صلى الله عليه وآله .

وقد رأى حرصه على صون منصب الخلافة أياً كان الخليفة لأنه يمثل رأس الهرم في سلطة المسلمين ، مع أنه يرى أن الخلافة مغصوبة .

ورأى المأمون حرص الإمام عليه السلام عليه شخصياً لأنه منصبه رمز لكيان الأمة .

ولمس وقوفه الى جنبه في صراعه مع الفضل وحزبه الذين جعلوه كالدمية في أيديهم ، وحجبوا عنه وضع الأمة وظلامتها ونقمتها عليه ، فهو مدينٌ للإمام عليه السلام في إيقاظه وتقويته ، ليتخلص من برائن الفضل وحزبه .

الصحيح أن وفاته عليه السلام في الحادي وعشرين من رمضان

مع كل خدمات الإمام الرضا عليه السلام وفضله على المأمون سيطرت عليه الرغبة في إرضاء العباسيين والعودة الى بغداد ، ومن أول التقرب اليهم أن يتخلص من الفضل ، وقد فعل ذلك وقتله في شهر شعبان سنة ٢٠٣ ، وأن يتخلص من ولي عهده الإمام الرضا عليه السلام فأخذ يخطط لقتله بالسم ، ليعود الى بغداد ويقول لهم: لم يبق شيء مما تنقمون به عليّ! فقد مات الفضل ومات الرضا!

فقتله بالسم في شهر رمضان سنة ٢٠٣ ، أي بعد قتله للفضل بشهر ، وهذا هو الصحيح في شهادته عليه السلام وليس رواية أنه قتله في صفر ، لأنه استعان به في شعبان لتفريق أنصار الفضل الذين قصدوه ليقتلوه به .

قال أبو الفداء في تاريخه (٢٤/٢) وغيره: (ولما مات كتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم

بموت علي الرضا وقال: إنما نقمتم علي بسببه وقد مات!

قال ابن حبان (١٩٦/٢): (وقد سُمَّ من ماء الرمان وأسقيه من المأمون).

وقال السمعي في الأنساب (٧٤/٣): (وقد سم في ماء الرمان وأسقاه المأمون).

فالصحيح ما اخناره الصدوق (العيون: ٢/٢٧٤) قال: حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن

أحمد البيهقي قال: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أبو ذكوان قال: سمعت

إبراهيم بن العباس يقول: كانت البيعة للرضا عليه السلام لخمس خلون من شهر رمضان سنة

إحدى ومأتين وزوجه ابنته أم حبيب في أول سنة اثنتين ومأتين وتوفي سنة ثلاث

ومأتين بطوس والمأمون متوجه إلى العراق.. والصحيح أنه عليه السلام توفي في شهر رمضان

لتسع بقين منه يوم الجمعة سنة ثلاث ومأتين من هجرة النبي صلى الله عليه وآله.

وهذا ينسجم مع قولهم: والمأمون متوجه إلى العراق: (دخل بغداد يوم السبت لثمان عشرة

ليلة خلت من صفر سنة ٢٠٤). (التنبيه والإشراف/ ٣٠٣ وعامة المؤرخين). ورواية الطبري

(١٥٥/٧) أن رجوع المأمون إلى لبس السواد كان يوم السبت لسبع بقين من صفر).

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٥٨٧/٧): (قال الحاكم في تاريخ نيسابور: أشخصه

المأمون من المدينة إلى البصرة ثم إلى الأهواز ثم إلى فارس ثم إلى نيسابور، إلى أن

أخرجه إلى مرو، وكان ما كان يعني من قصة استخلافه، قال: وسمع علي بن موسى

أباه وعمومته إسماعيل وعبد الله وإسحاق وعلي بن جعفر وعبد الرحمن بن أبي الموالي

وغيرهم من أهل الحجاز وكان يفتي في مسجد رسول الله (ص) وهو بن نيف

وعشرين سنة. روى عنه من أئمة الحديث آدم بن أبي إياس، ونصر بن علي الجهضمي،

ومحمد بن رافع القشيري، وغيرهم. استشهد علي بن موسى بسنا آباد من طوس

لتسع بقين من شهر رمضان ليلة الجمعة من سنة ٢٠٣).

وفي ذيل تاريخ بغداد (٤/١٤٢): (أنبأنا عبد الوهاب الأمين قال: كتب إليَّ هبة الله بن حمزة العلوي ، أنبأنا أبو عبد الرحمن الشاذياخي قراءة عليه قال: سمعت أبا عبد الله الحاكم يقول: استشهد علي بن موسى الرضا بسناياذ من طوس لتسع بقين من شهر رمضان ليلة الجمعة من سنة ثلاث ومائتين ، وهو ابن تسع وأربعين سنة وستة أشهر ، منها مع أبيه موسى تسعاً وعشرين سنة وشهرين ، وبعد أبيه عشرون وأربعة أشهر). ونحوه المنتظم (١٠/١٢٠).





الفصل العاشر

الصراع الصامت بين المأمون والإمام عليه السلام!

بدأ الصراع من أول قدوم الإمام عليه السلام

١. روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/٢٦٥): (حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال: حدثنا أبي عن أحمد بن علي الأنصاري قال: سألت أبا الصلت الهروي فقلت له: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع أكرامه ومحبتة له ، وما جعل له من ولاية العهد بعده ؟! فقال: إن المأمون إنما كان يكرمه ويحبه لمعرفة بفضله وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنه راغب في الدنيا فيسقط محله من نفوسهم ! فلما لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ما زاد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء ويشتهر نقصه عند العامة ، فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهرية ، ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطعه وألزمه الحجة، وكان الناس يقولون: والله إنه أولى بالخلافة من المأمون ، وكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاز من ذلك ويشتد حسده له، وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون من حق وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله ، فيغيظه ذلك ويحقد عليه ولا يظهره له فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسم!)

٢. قال المفيد في الإرشاد (٢/٢٦٩): (وكان الرضا علي بن موسى عليه السلام يكثر وعظ المأمون

إذا خلا به ويخوفه بالله ويقبِّح له ما يرتكبه من خلافه ، فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه ويتبطن كراهته واستثقاله .

ودخل الرضا عليه السلام يوماً عليه فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب على يده الماء فقال : لا تشرك يا أمير المؤمنين بعبادة ربك أحداً ، فصرف المأمون الغلام وتولى تمام وضوئه بنفسه وزاد ذلك في غيظه ووجده !

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/ ١٧١) : (قال له الرضا عليه السلام : يا أمير المؤمنين إتق الله في أمة محمد صلى الله عليه وآله وما ولاك الله من هذا الأمر وخصك به فإنك قد ضيعت أمور المسلمين وفوضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله وقعدت في هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي ، وأن المهاجرين والأنصار يظلمون دونك ولا يرقبون في مؤمن ولا ذمة ، ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته ، ولا يجد من يشكو إليه حاله ولا يصل إليك ، فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمور المسلمين وارجع إلى بيت النبوة ومعدن المهاجرين والأنصار ، أما علمت يا أمير المؤمنين أن والي المسلمين مثل العمود وسط الفسطاط ، من أراده أخذه !

قال المأمون يا سيدي فما ترى؟ قال أرى أن تخرج من هذه البلاد وتتحول إلى موضع آبائك وأجدادك ، وتنظر في أمور المسلمين ، ولا تكلمهم إلى غيرك ، فإن الله تعالى سائلك عما ولاك ، فقام المأمون فقال : نِعَمَ ما قلت يا سيدي ! هذا هو الرأي).

وكان هذا سبب شدة عداوة الفضل بن سهل للإمام عليه السلام .

٣. قال الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/ ١٦٤) : (وكان هشام بن إبراهيم الراشدي

الهمداني من أخص الناس عند الرضا عليه السلام من قبل أن يُحمل (الإمام إلى طوس) وكان عالماً أديباً لبيباً ، وكانت أمور الرضا عليه السلام تجري من عنده وعلى يده وتصيره الأموال من

النواحي كلها إليه، قبل حمل أبي الحسن عليه السلام فلما حمل أبو الحسن اتصل هشام بن إبراهيم بذي الرياستين وقربه ذو الرياستين وأدناه، فكان ينقل أخبار الرضا عليه السلام إلى ذي الرياستين والمأمون فحظي بذلك عندهما، وكان لا يخفي عليهما من أخباره شيئاً، فولاه المأمون حجابة الرضا فكان لا يصل إلى الرضا عليه السلام إلا من أحب، وضيق على الرضا عليه السلام وكان من يقصده من مواليه لا يصل إليه وكان لا يتكلم الرضا عليه السلام في داره بشيء إلا أوردته هشام على المأمون وذو الرياستين، وجعل المأمون العباس ابنه في حجر هشام وقال له: أدبه، فسمي هشام العباسي لذلك! قال: وأظهر ذو الرياستين عداوة شديدة لأبي الحسن الرضا عليه السلام وحسده على ما كان المأمون يفضله).

٤. بعدما ظهر من الإمام عليه السلام في صلاة الإستسقاء، وبعد أن عجز حميد بن مهران عن مناظرة الإمام عليه السلام وأهلكه الله، وقد ذكر ابن النديم (١/١٧٩) أنه كان كاتباً للبرامكة الى أن زالوا. بعد هذا، قرر المأمون أن يضيق على الإمام عليه السلام فأرسل من يطرد المجتمعين أمام منزله ويقبض عليه ويأتيه به!

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/١٨٤) بسند صحيح: (عن إبراهيم بن هاشم، عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: رُفِعَ إلى المأمون أن أبا الحسن علي بن موسى عليه السلام يعقد مجالس الكلام والناس يفتتنون بعلمه! فأمر محمد بن عمرو الطوسي حاجب المأمون، فطرد الناس عن مجلسه وأحضره فلما نظر إليه المأمون زبره واستخف به! فخرج أبو الحسن عليه السلام من عنده مغضباً وهو يدمدم بشفتيه ويقول: وحق المصطفى والمرضى وسيدة النساء لأستنزلن من حول الله عز وجل بدعائي عليه ما يكون سبباً لطرد كلاب أهل هذه الكورة إياه، واستخفافهم به وبخاصته وعامته! ثم إنه عليه السلام انصرف إلى مركزه واستحضر الميضأة وتوضأ وصلى ركعتين وقتت في

الثانية فقال: اللهم يا ذا القدرة الجامعة والرحمة الواسعة والمنن المتتابعة والآلاء المتواليه، والأأيادي الجميلة، والمواهب الجزيلة، يا من لا يوصف بتمثيل، ولا يمثل بنظير، ولا يغلب بظهير .

يا من خلق فرزق، وألهم فأنطق، وابتدع فشرع، وعلا فارفع، وقدر فأحسن، وصور فأتقن، وأجبح فأبلغ، وأنعم فأسبغ، وأعطى فأجزل.

يا من سما في العزففات خواطف الأبصار، ودنا في اللطف فجاز هواجس الأفكار، يا من تفرد بالملك فلا ند له في ملكوت سلطانه، وتوحد بالكبرياء فلا ضد له في جبروت شانته، يا من حارت في كبرياء هيئته دقائق لطائف الأوهام، وحسرت دون إدراك عظمتها لطائف أبصار الأنام، يا عالم خطرات قلوب العارفين وشاهد لحظات أبصار الناظرين، يا من عنت الوجوه لهيئته، وخضعت الرقاب لجلالته، ووجلت القلوب من خيفته وارتعدت الفرائص من فرقه، يا بدئى يا بديع، يا قوي يا منيع، يا علي يا رفيع، صل على من شرفت الصلاة بالصلاة عليه، وانتقم لي ممن ظلمني واستخف بي وطرده الشيعة عن بابي، وأذقه مرارة الذل والهوان كما أذاقنيها، واجعله طريد الأرجاس وشريد الأنجاس !

قال أبو الصلت: فما استتم مولاي دعاءه حتى وقعت الرجفة في المدينة وارتج البلد، وارتفعت الزعقة والصيحة، واستفحلت النعرة، وثار الغبرة، وهاجت القاعة، فلم أزايل مكاني إلى أن سلم مولاي عليه السلام فقال لي: يا أبا الصلت إصعد السطح فإنك ستري امرأة بغية غثة رثة مهيجة الأشرار متسخة الأطمار، يسميها أهل هذه الكورة سمانه لغباوتها وتهتكها، وقد أسندت مكان الرمح إلى نحرها قصباً، وقد شدت وقاية لها حمراء إلى طرفه مكان اللواء، فهي تقود جيوش القاعة، وتسوق عساكر

الطغام إلى قصر المأمون ومنازل قواده ، فصعدت السطح فلم أرَ إلا نفوساً ترزعزع بالعصي وهامات ترضخ بالأحجار ، ولقد رأيت المأمون متدرعاً ، قد برز من قصر شاهجان متوجهاً للهرب ، فما شعرت إلا بشاجرد الحجام قد رُميَ من بعض أعالي السطوح بلبنة ثقيلة ، فضرب بها رأس المأمون فأسقطت بيضته بعد أن شقت جلد هامته ، فقال لقاذف اللبنة بعض من عرف المأمون: ويملك هذا أمير المؤمنين فسمعت سمانه تقول: أسكت لا أم لك ليس هذا يوم التمييز والمحابة ، ولا يوم إنزال الناس على طبقاتهم ، فلو كان هذا أمير المؤمنين لما سلط ذكور الفجار على فروج الأبقار ! وطُرد المأمون وجنوده أسوأ طرد ، بعد إذلال واستخفاف شديد).

وزاد في مناقب آل أبي طالب (٣/٤٥٦): ونهبوا أمواله ، فصلب المأمون أربعين غلاماً ودهقان مرو ، وأمر أن يطول جدرانهم . وَعَلِمَ أن ذلك من استخفافه بالرضا عليه السلام ، فانصرف ودخل عليه وحلفه أن لا يقوم له ، وقبل رأسه وجلس بين يديه ...).

٥ . ضاق صدر الإمام عليه السلام بمكائد المأمون ، فكان يدعو الله تعالى: اللهم إن كان فرجى مما أنا فيه بالموت فعجل لي الساعة! (العيون: ٢/٢٤٧).

٦ . تقدم في فصل مداولات ولاية العهد بسند صحيح أن الإمام الرضا عليه السلام صرح المأمون مصارحة تامة بما معناه: أن الخلافة ليست لك حتى تعرضها عليّ ، بل هي لنا وأنت غاصب لها ، وأنت كاذب في عرضها عليّ ، وأنت تريد من قبولي ولاية العهد أن تُسقط مكانتي عند المسلمين تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهّد في الدنيا ، بل زهدت الدنيا فيه ، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة . إنه كان كاذباً في زهده ! وأنا ما زهدت يوماً في الدنيا للدنيا ! وأنت تزعم أنك تريد أن تنصف أولاد علي عليه السلام فتجعل فيهم ولاية العهد وتنقل الخلافة اليهم ، وأنت كاذب

لأنك ستقتلني بالسم ، وتدفنني عند قبر أبيك !

وفي المقابل: غضب المأمون فقال للإمام الرضا عليه السلام: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطواتي ، فبالله أقسم لعن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتكَ على ذلك ، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك !

فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله عزَّ وجلَّ أن ألقى بيدي إلى التهلكة ، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك ، وأنا أقبل ذلك على أي لا أولي أحداً ولا...



المأمون يبهت بعلم الرضا عليه السلام ولذلك نوى قتله !

سمع المأمون الإمام الرضا مناظرات الإمام الرضا عليه السلام وكلامه عن عصمة الأنبياء عليهم السلام ومشكلات آيات القرآن ، فرأى فيض علمه الرباني ، فخاف أن يفتتن الناس به فنوى قتله! وهذا نموذج من أسئلة المأمون له (عيون أخبار الرضا: ١/١٧٤):

(علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام فقال له المأمون: يا ابن رسول الله ، أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. قال: فما معنى قول الله عزَّ وجلَّ: فَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى؟

فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم: أُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة فتكونا مِنَ الظَّالِمِينَ، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها .

فلم يقربا تلك الشجرة ، وإنما أكلا من غيرها ، لما أن وسوس الشيطان إليهما. وقال: ما نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَإِنِّي نَهَاكُمَا أَنْ تَقْرَبَا غَيْرَهَا وَلَمْ يَنْهَكُمَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا: إِلَّا

أَنْ تَكُونَا مَلَكَئِنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُفَا مِنَ النَّاصِحِينَ . ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً: فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ، فأكلا منها ثقةً بيمينه بالله . وكان ذلك من آدم قبل النبوة ، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار ، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم ، فلما اجتبه الله تعالى وجعله نبياً ، كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة ، قال الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ فَهَدَى. وقال عز وجل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فقال المأمون: أشهد أنك ابن رسول الله ﷺ حقاً ، فأخبرني عن قول الله عز وجل في حق إبراهيم عليه السلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي. فقال الرضا عليه السلام: إن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزهرة ، وصنف يعبد القمر ، وصنف يعبد الشمس ، وذلك حين خرج من السرب الذي اختفى فيه ، فلما جن عليه الليل فرأى الزهرة قال هذا ربِّي! على الإنكار والاستخبار فلَمَّا أَفَلَّ الْكَوْكَبُ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ لأن الأفول من صفات المحدث لا من صفات القديم. فلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي! على الإنكار والاستخبار، فلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَيْنٌ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ .

يقول لو لم يهديني ربي لكنت من القوم الضالين: فلَمَّا أَصْبَحَ وَ رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ مِنَ الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار ، لا على الإخبار والإقرار، فلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ لِلْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ مِنْ عِبَادَةِ الزهرة والقمر والشمس: يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

وإنما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ، ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس ، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض ، وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه ، كما قال الله عز وجل:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ .

قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عز وجل: فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ . قال الرضا عليه السلام: إن موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها ، وذلك بين المغرب والعشاء ، فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ، فقضى موسى على العدو بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات فقال: هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، يعني الإقتال الذي كان وقع بين الرجلين ، لاما فعله موسى عليه السلام من قتله إِنَّهُ يعني الشيطان عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ .

فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؟ قال يقول: إِنِّي وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة فَاغْفِرْ لِي ، أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني ، فغفر له إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . قال موسى: رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ مِنْ الْقُوَّةِ حَتَّى قَتَلْتُ رَجُلًا بَوَكْرَةً فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ، بل أجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى . فَأَصْبَحَ مُوسَى فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ عَلَى آخِرِ قَالِ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ، قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأُودن بك وأراد أن يبیطش به فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهَا، وهو من شيعته قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس إن تُريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تُريد أن تكون من المصلحين .

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن ، فما معنى قول موسى لفرعون: فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ؟ قال الرضا عليه السلام: إن فرعون قال لموسى لما أتاه: فَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ مُوسَى فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ عَنْ الطَّرِيقِ بِوَقُوعِي إِلَى مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِكَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ .

وقد قال الله عزَّوجلَّ لنبيه محمد ﷺ: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، يقول: أَلَمْ يَجِدْكَ وَحِيدًا فَآوَى إِلَيْكَ الناسَ ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا يَعْنِي عِنْدَ قَوْمِكَ فَهَدَى ، أَي هَدَاهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِكَ ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، يَقُولُ أَغْنَاكَ بِأَنْ جَعَلَ دَعَاكَ مُسْتَجَابًا .

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله ، فما معنى قول الله عزَّوجلَّ: فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. كيف يجوز أن يكون كلِّم الله موسى بن عمران عليهما السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال ؟

فقال الرضا عليه السلام: إن كلِّم الله موسى بن عمران علم أن الله تعالى غني عن أن يرى بالأبصار ، ولكنه لما كلمه الله عزَّوجلَّ وقربه نجياً ، رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عزَّوجلَّ كلمه وقربه وناجاه ، فقالوا: لن نؤمن لك حتَّى نسمع كلامه كما سمعت ، وكان القوم سب عماية ألف رجل ، فاختر منهم سبعين ألفاً ، ثم اختار سبعة آلاف ، ثم اختار منهم سبع مائة ، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربهم ، فخرج بهم إلى الطور ، وسأل الله تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه ، فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام ، لأن الله عزَّوجلَّ أحدثه في الشجرة الزيتون ، وجعله منبعثاً منها حتَّى سمعوه من جميع الوجوه ، فقالوا: لن نؤمن لك بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرةً ، فلما قالوا هذا القول العظيم ، واستكبروا وعتوا ، بعث الله عزَّوجلَّ عليهم صاعقةً فأخذتهم بظلمهم فماتوا . فقال موسى: يا رب ، ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله تعالى إليك ، فأحياهم الله وبعثهم معه . فقالوا إنك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك ، وكنت تخبرنا

كيف هو فنعرفه حق معرفته .

فقال موسى: يا قوم ، إن الله تعالى لا يرى بالأبصار ، ولا كيفية له ، وإنما يعرف بآياته ، ويُعلم بأعلامه . فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله . فقال موسى: يا رب ، إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل ، وأنت أعلم بصلاحتهم . فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى ، سلني ما سألوك ، فلن أؤاخذك بجهلهم . فعند ذلك قال موسى: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ ، وهو يهوي فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ بآية من آياته جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسى صَبَعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ، يقول رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ، وأنا أول المؤمنين ، منهم بأنك لا ترى .

فقال المأمون: لله دُرُكٌ يا أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عَزَّجَلَّ: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ؟ فقال الرضا عليه السلام: لقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت به ، لكنه كان معصوماً والمعصوم يهم بذنوب ولا يأتيه ، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام أنه قال: همت بأن تفعل ، وهم بأن لا يفعل .

فقال المأمون: لله دُرُكٌ يا أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عَزَّجَلَّ: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمَمِ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى ذهب مغاضباً لقومه فَظَنَّ بمعنى استيقن أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، أي لن نصيِّق عليه ، ومنه قوله عَزَّجَلَّ: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ، أي صيِّق وقتر .

فنادى في الظُّلُمَاتِ أي ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت ، أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتنى لها في بطن الحوت . فاستجاب الله تعالى له ، وقال عَزَّجَلَّ: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ .

فقال المأمون: لله دُرُكٌ يا أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عَزَّجَلَّ: حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ

وَزُنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا؟ قال الرضا عليه السلام: يقول الله عز وجل: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوا ، جاء الرسل نصرنا .

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عز وجل: لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مائة وستين صنماً ، فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم ، وقالوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ. وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشوا وَاصبروا عَلَىٰ أَهْتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. ما سَمِعْنَا بهذا في المِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ. فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له: يا محمد إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر ، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه ، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن ، فأخبرني عن قول الله عز وجل: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ؟ قال الرضا عليه السلام: هذا مما نزل بيأياك أعني واسمعي يا جارة ، خاطب الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته ، وكذلك قوله تعالى: لَيْسَ أَسْرُكَتَ لِيَجْبُطَنَّ عَمَلَكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وقوله عز وجل: وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتِنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا.

قال: صدقت يا ابن رسول الله ، فأخبرني عن قول الله عز وجل: إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ؟ قال الرضا عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة الكلبي في أمر أراد فرأى امرأته تغتسل ، فقال لها: سبحان الذي خلقك ، وإنما أراد بذلك تنزيه الله تبارك وتعالى عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله . فقال الله عز وجل: أَفَأَصْفَاكُمْ

رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ الْمَلَائِكَةَ إِنَاءً لِنُكْمٍ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا، فقال النبي ﷺ لما رآها تغتسل: سبحان الذي خلقك أن يتخذ ولدًا يحتاج إلى هذا التطهير والإغتسال . فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيئ رسول الله ﷺ وقوله لها: سبحان الذي خلقك ، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك، وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسننها ، فجاء إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله ، إن امرأتي في خلقها سوء وإني أريد طلاقها .

فقال له النبي ﷺ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وقد كان الله عز وجل عرفه عدد أزواجه ، وأن تلك المرأة منهن ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يُبده لزيد ، وخشي الناس أن يقولوا: إنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ لِمَوْلَاهُ: إن امرأتك ستكون لي زوجة ، فيعيبونه بذلك ، فأنزل الله عز وجل: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، يعني بالإسلام. وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ يعني بالعتق: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ .

ثم إن زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه ، فزوجها الله عز وجل من نبيه محمد ﷺ وأنزل بذلك قرآنًا فقال عز وجل: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. ثم علم عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل: مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ .

فقال المؤمنون: لقد شفيت صدري يا بن رسول الله ، وأوضححت لي ما كان ملتبساً عليّ ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً .

قال علي بن محمد بن الجهم: فقام المؤمنون إلى الصلاة ، وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد ، وكان حاضر المجلس وتبعتهما . فقال له المؤمنون: كيف رأيت ابن أخيك ؟ فقال: عالم ، ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم .

فقال المؤمنون: إن ابن أخيك من أهل بيت النبي الذين قال ﷺ فيهم: ألا إن أبرار

عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً ، لا تعلموهم فإنتهم أعلم منكم ، لا يخرجونكم من باب هدى ، ولا يدخلونكم في باب ضلال .

وانصرف الرضا عليه السلام إلى منزله ، فلما كان من الغد غدوت عليه ، وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له ، فضحك عليه السلام ثم قال: يا ابن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه ، فإنه سيغتالني والله ينتقم لي منه).

وفي العيون (٢/٢١٨): (قال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن فوالله ما يوجد العلم الصحيح إلا عند أهل البيت ، وإليك انتهت علوم آبائك فجزاك الله عن الاسلام وأهله خيراً. قال الحسن بن جهم: فلما قام الرضا عليه السلام تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له: يا ابن رسول الله الحمد لله الذي وهب من جميل رأي أمير المؤمنين عليه السلام ما حملة ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك . فقال عليه السلام يا ابن الجهم لا يغرنك ما ألفيته عليه من إكرامي والإستماع مني ، فإنه سيقتلني بالسّم وهو ظالم !

ألا إني أعرف ذلك بعهد معهود إلي من آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فاکتم هذا ما دمت حياً. قال الحسن بن الجهم: فما حدثت أحداً بهذا الحديث إلى مضى عليه السلام بطوس مقتولاً بالسّم ، ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي ، في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد إلى جانبه).





الفصل الحادي عشر

كيف قتل العفريت المستكبر الإمام الرضا عليه السلام

حاول المأمون قتل الإمام الرضا عليه السلام مرات

أرسل من ضربوه بالسيوف فلم يؤثر فيه:

روى محمد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة / ٣٦٠ ، وغيره : (قال : حدثني أبو علي محمد بن زيد القمي ، قال : حدثني محمد بن منير ، قال : حدثني محمد بن خلف الطوسي ، قال : حدثني هرثمة بن أعين قال : قال لي صبيح : إعلم يا هرثمة ، أن المأمون دعاني وثلاثين غلاماً من ثقاته على سره وعلانيته ، في الثلث الأول من الليل ، فدخلت وقد صار نهراً من الشموع وبين يديه سيوف مستلة مشحودة مسمومة ، فدعا بنا غلاماً غلاماً ، فأخذ علينا العهد والميثاق بلسانه ، وليس بحضرته أحد من خلق الله غيرنا ، فقال لنا : إن هذا لازم لكم ، أنكم تفعلون ما أمركم به ولا تخلفوا عنه .

قال : فحلفنا له فقال : يأخذ كل واحد منكم من الأسلاف سيفاً بيده ، وامضوا حتى تدخلوا على علي بن موسى في حجرته ، فإن وجدتموه قائماً أو قاعداً أو نائماً ، فلا تكلموه وضعوا أسيافكم هذه عليه فرضوه رضاً بها ، حتى تخلطوا لحمه ودمه وشعره وعظمه ونخه ، ثم أدرجوا عليه بساطه ، وامسحوا أسيافكم وصيروا إلي ، فقد جعلت لكل واحد منكم على هذا الفعل وكتمانه عشرة آلاف درهم ، وعشر ضياع منتخبة ، والحظوة مني ما حييت وبقيت . قال : فأخذنا الأسلاف بأيدينا ، ودخلنا عليه

في حجرته ، فوجدناه مضطجعاً يقلب طرفه ويده ، ويتكلم كلاماً لا نعلمه . قال : فبادرت الأسياف إليه حتى فعل ذلك ثم طووا عليه بساطه ، ومسحوا أسيافهم ، وخرجوا حتى دخلوا على المأمون فقال : ما الذي صنعتم ؟ فقالوا : ما أمرتنا به يا أمير المؤمنين . وأنا أظن أنهم سيقولون إني ما ضربت معهم بسيفي ولا أقدمت إليه . قال : فقال : أيكم كان أسرع إليه بسيفه قالوا : صبيح الديلمي يا أمير المؤمنين فجزاني خيراً . ثم قال : لا تعيدوا شيئاً مما جرى فتبخسوا حظكم مني ، وتعجلوا الفناء ، وتحسروا الآخرة والأولى . قال : فلما كان انبلاج الفجر خرج المأمون فجلس في مجلسه ، مكشوف الرأس ، محلول الأزرار ، وأظهر الحزن ، وقعد للتعزية ، وقبل أن يصل إليه الناس قام حافياً فمشى إلى الدار لينظر إليه ، وأنا بين يديه فلما دخل في حجرته سمع همهمة فارتعد ثم قال : من عنده ؟ فقلنا : لا علم لنا به يا أمير المؤمنين . قال : أسرعوا . قال صبيح : فأسرعنا إليه فإذا نحن بسيدي جالس في محرابه مواصل تسبيحه فقلنا : يا أمير المؤمنين ، هو ذا نرى شخصاً جالساً في محرابه يصلي ويسبح . قال : فانفض المأمون وارتعد ، ثم قال : غدرتم لعنكم الله ! قال : ثم التفت إلي من بينهم فقال : يا صبيح ، أنت تعرفه ، فانظر من المصلي عنده . قال صبيح : فدخلت وولى المأمون راجعاً ، فلما صرت بعتبة الباب قال لي : يا صبيح ! قلت : لبيك يا مولاي ، وسقطت لوجهي . فقال : قم رحمك الله فارجع وقل له : يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . فرجعت إلى المأمون فوجدت وجهه كقطع الليل المظلم ، فقال لي : يا صبيح ، ما وراءك ؟ فقلت : جالس في محرابه ، وقد ناداني باسمي وقال لي كيت وكيت . قال : ثم شد أزراره وأمر برد أثوابه ، وقال قولوا : إنه قد كان غشي عليه وقد أفاق من غشيته .

قال هرثمة : فدخلت على سيدي الرضا عليه السلام ، فلما رأيته قال : يا هرثمة ، لا تحدث بها

حدثك به صبيح الديلمي إلا من قد امتحن الله قلبه بمحبتنا ووالانا ، فقلت: نعم يا سيدي . وقال لي: يا هرثمة ، والله لا يضرنا كيدهم شيئاً حتى يبلغ الكتاب أجله .

وحاول قتله عن طريق الفضل بن سهل:

قال المفيد في الإرشاد(٢/٢٦٩): (وكان عليه السلام يزري على الحسن والفضل ابني سهل عند المأمون إذا ذكرهما ويصف له مساوئهما وينهاه عن الإصغاء إلى قولهما ، وعرفاً ذلك منه فجعلنا يحيطان عليه عند المأمون ويذكران له عنه ما يبغده منه ويخوفانه من حمل الناس عليه، فلم يزالا كذلك حتى قلبا رأيه ، وعمل على قتله عليه السلام ، فاتفق أنه أكل هو والمأمون يوماً طعاماً ، فاعتل منه الرضا عليه السلام وأظهر المأمون تمارضاً).

الذين روى شهادة الإمام الرضا عليه السلام

- ١- هرثمة بن أعين ويظهر أنه كان شيعياً موثقاً عند الإمام عليه السلام كما كان موثقاً عند المأمون وقد روى تفاصيل شهادته ومنها مجيء الجواد عليه السلام لتغسيله ولم يرو أنه تكلم مع الجواد عليه السلام .
- ٢- أبو الصلت الهروي كان من خواص الإمام عليه السلام وكان يعرف ذلك المأمون. روى شهادته بتفاصيلها ومنها مجيء الإمام الجواد عليه السلام وكلامه معه .
- ٤- عبد الرحمن بن يحيى، وهو من خدمة المأمون وكان كاتباً للرضا عليه السلام .
- ٥- ياسر الخادم وهو قمي وكان خادم المأمون ، وقد قبل روايته ووثقه العلماء .
- ٦- وروى قسماً منها ابنه الإمام الجواد عليه السلام والأئمة من ولده عليه السلام .



رواية هرثمة بن أعين شهادة الإمام عليه السلام

قال الصدوق عليه السلام في العيون (٢/٢٧٥): (باب ما حدث به أبو حبيب هرثمة بن أعين من ذكر وفاة الرضا عليه السلام وأنه سم في العنب والرمان جميعاً .

١ - حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي رضي الله عنه قال: حدثنا أبي (من مشايخ الصدوق المقبولين) قال: حدثني محمد بن يحيى (موتق شيخ القميين) قال: حدثني بن خلف الطاطري (موتق) قال: حدثني هرثمة بن أعين قال: كنت ليلة بين يدي المأمون حتى مضى من الليل أربع ساعات ، ثم أذن لي في الإنصراف فانصرفت ، فلما مضى من الليل نصفه قرع قارح الباب ، فأجابه بعض غلماني فقال له: قل لهرثمة أجب سيدك ، قال: فقمتم مسرعاً وأخذت على أثوابي وأسرعت إلى سيدي الرضا عليه السلام فدخل الغلام بين يدي ودخلت وراءه فإذا أنا بسيدي عليه السلام في صحن داره جالس فقال لي: يا هرثمة ، فقلت: لبيك يا مولاي فقال لي: أجلس فجلست فقال لي: إسمع وعه يا هرثمة ، هذا أو ان رحيلي إلى الله تعالى ولحوقي بجدي وأبائي عليهم السلام وقد بلغ الكتاب أجله ! وقد عزم هذا الطاغية على سمي في عنب ورمان مفروك ، فأما العنب فإنه يغمس السلك في السم ويجذبه بالخيط بالعنب ، وأما الرمان فإنه يطرح السم في كف بعض غلمانه ويفرك الرمان بيده ليتلطح حبه بذلك السم وأنه سيدعوني في اليوم المقبل، ويقرب إلي الرمان والعنب ويسألني أكلها فأكلها ثم ينفذ الحكم ويحضر القضاء ، فإذا أنا مت فسيقول أنا أغسله بيدي ، فإذا قال ذلك فقل له عني بينك وبينه: إنه قال لي: لا تتعرض لغسلي ولا لتكفيني ولا لدفني ، فإنك إن فعلت ذلك عاجلك من العذاب ما أحر عنك ، وحل بك أليم ما تحذر فإنه سيتهني. قال فقلت: نعم يا سيدي قال: فإذا خلى بينك وبين غسلي حتى ترى ، فيجلس في علو من ابنته مشرفاً على موضع غسلي لينظر ، فلا تتعرض يا هرثمة لشيء من غسلي حتى ترى فسطاطاً أبيض قد ضرب في

جانب الدار، فإذا رأيت ذلك فاحملي في أثوابي التي أنا فيها فضعني من وراء الفسطاط وقف من ورائه ، ويكون من معك دونك ، ولا تكشف عني الفسطاط حتى تراني فتهلك . فإنه (المأمون) سيشفرك عليك ويقول لك: يا هرثمة أليس زعمتم أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله ، فمن يغسل أبا الحسن علي بن موسى وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ، ونحن بطوس!

فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إنا نقول إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله ، فإن تعدى متعد فغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي غاسله ، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بالمدينة لغسله ابنه محمد ظاهراً مكشوفاً ولا يغسله الآن أيضاً إلا هو من حيث يخفى . فإذا ارتفع الفسطاط فسوف تراني مدرجاً في أكفاني فضعني على نعشي واحملي .

فإذا أراد أن يحفر قبوري فإنه سيجعل قبر أبيه هارون الرشيد قبلة لقبري ولا يكون ذلك أبداً ، فإذا ضربت المعاول تنب عن الأرض ولم يحفر لهم منها شيء ولا مثل قلامه ظفر ، فإذا اجتهدوا في ذلك وصعب عليهم فقل له عني: إني أمرتك أن تضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أبيه هارون الرشيد ، فإذا ضربت نفذ في الأرض إلى قبر محفور وضريح قائم ، فإذا انفرج القبر فلا تنزلي إليه حتى يفر من ضريحه الماء الأبيض فيمتلئ منه ذلك القبر حتى يصير الماء مساوياً مع وجه الأرض ، ثم يضطرب فيه حوت بطوله ! فإذا اضطرب فلا تنزلي إلى القبر إلا إذا غاب الحوت وغار الماء ، فأنزلي في ذلك القبر وألحدني في ذلك الضريح ، ولا تتركهم يأتوا بتراب يلقونه علي فإن القبر ينطبق من نفسه ويمتلئ .

قال قلت: نعم سيدي، ثم قال لي: إحفظ ما عهدت إليك واعمل به ولا تخالف .

قلت: أعود بالله أن أخالف لك أمراً يا سيدي .

قال هرثمة: ثم خرجت باكياً حزيناً ، فلم أزل كالحبة المقلاة لا يعلم ما في نفسي إلا الله تعالى ، ثم دعاني المأمون فدخلت إليه فلم أزل قائماً إلى ضحى النهار ثم قال المأمون: إمض يا هرثمة إلى أبي الحسن عليه السلام فاقرأه مني السلام وقل له: تصير إلينا أو نصير إليك؟ فإن قال لك: بل نصير إليه فاسأله عني أن يقدم ذلك، قال: فجئته فلما اطلعت عليه قال: يا هرثمة أليس قد حفظت ما أوصيتك به قلت: بلى، قال: قدموا إلي نعلي فقد علمت ما أرسلك به قال فقدمت نعليه ومشى إليه ، فلما دخل المجلس قام إليه المأمون قائماً ، فعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه إلى جانبه على سيره ، وأقبل عليه يحادثه ساعة من النهار طويلة ، ثم قال لبعض غلمانه: يؤتى بعنب ورمان .

قال هرثمة: فلما سمعت ذلك لم أستطع الصبر ورأيت النفضة قد عرضت في بدني فكرهت أن يتبين ذلك في فتراجعت القهقري حتى خرجت فرميت نفسي في موضع من الدار ، فلما قرب زوال الشمس أحسست بسيدي قد خرج من عنده ورجع إلى داره ، ثم رأيت الأمر قد خرج من عند المأمون باحضر الأطباء والمترفقين فقلت ما هذا؟ فقيل لي: علة عرضت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام وكان الناس في شك وكنت على يقين لما أعرف منه . قال: فما كان من الثلث الثاني من الليل حتى علا الصباح وسمعت الصيحة من الدار فأسرعت فيمن أسرع ، فإذا نحن بالمأمون مكشوف الرأس محلل الأزرار قائماً على قدميه ينتحب ويبكي !

قال: فوقف فيمن وقف وأنا أتنفس الصعداء ثم أصبحنا فجلس المأمون للتعزية ، ثم قام فمشى إلى الموضع الذي فيه سيدنا عليه السلام فقال له: أصلحوا لنا موضعاً فإني أريد أن اغسله ، فدنوت منه فقلت له: ما قاله سيدي بسبب الغسل والتكفين والدفن فقال

لي: لست أعرض لذلك . ثم قال: شأنك يا هرثمة قال: فلم أزل قائماً حتى رأيت الفسطاط قد ضرب فوقفت من ظاهره وكل من في الدار دوني ، وأنا أسمع التكبير والتهليل والتسبيح ، وتردد الأواني وصب الماء وتضوع الطيب ، لم أشم أطيّب منه ، قال: فإذا أنا بالمأمون قد أشرف على بعض أعالي داره فصاح: يا هرثمة أليس زعمتم أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله؟ فأين محمد بن علي ابنه عنه وهو بمدينة رسول الله وهذا بطوس خراسان ! قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين إنا نقول: إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله فإن تعدى متعدد فغسل الإمام لم تبطل إمامة الامام لتعدي غاسله ولا تبطل إمامة الإمام الذي بعده بأن غُلب على غسل أبيه ، ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بالمدينة لغسله ابنه محمد ظاهراً ولا يغسله الآن أيضاً إلا هو من حيث يخفى! قال: فسكت عني ثم ارتفع الفسطاط فإذا أنا بسيدي عليه السلام مدرج في أكفانه فوضعتة على نعشه ثم حملناه فصلى عليه المأمون وجميع من حضر، ثم جئنا إلى موضع القبر فوجدتهم يضربون المعاول دون قبر هارون ليجعلوه قبلة لقبره ، والمعاول تنبو عنه حتى ما يحفر ذرة من تراب الأرض فقال لي: ويحك يا هرثمة أما ترى الأرض كيف تمتنع من حفر قبر له؟ فقلت له: يا أمير المؤمنين إنه قد أمرني أن أضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أمير المؤمنين أبيك الرشيد ولا أضرب غيره .

قال: فإذا ضرب هرثمة يكون ماذا؟ قلت إنه أخبر أنه لا يجوز أن يكون قبر أبيك قبلة لقبره ، فإذا أنا ضربت المعول الواحد نفذ إلى قبر محفور من غير يد تحفره ، وبان ضريح في وسطه ! قال المأمون: سبحان الله ما أعجب هذا الكلام ولا أعجب من أمر أبي الحسن عليه السلام ! فاضرب يا هرثمة حتى نرى قال هرثمة: فأخذت المعول بيدي فضربت به في قبلة قبر هارون الرشيد قال: فنفذ إلى قبر محفور من غير يد تحفره ، وبان ضريح في وسطه والناس ينظرون إليه فقال: أنزله إليه يا هرثمة فقلت: يا أمير المؤمنين

إن سيدي أمرني أن لا أنزل إليه حتى ينفجر من أرض هذا القبر ماء أبيض فيمتلئ منه القبر ، حتى يكون الماء مع وجه الأرض ، ثم يضطرب فيه حوت بطول القبر فإذا غاب الحوت وغار الماء وضعتة على جانب القبر وخلت بينه وبين ملحدته ! فقال فافعل يا هرثمة ما أمرت به ! قال هرثمة: فانتظرت ظهور الماء والحوت فظهر ثم غاب وغار الماء والناس ينظرون!

ثم جعلت النعش إلى جانب قبره فغطى قبره بثوب أبيض لم أبسطه ، ثم أنزل إلى قبره بغير يدي ولا يد أحد ممن حضر ، فأشار المأمون إلى الناس: أن هاتوا التراب بأيديكم واطرحوه فقلت: لا نفعل يا أمير المؤمنين قال: ويحك فمن يملؤه ؟ فقلت: قد أمرني أن لا يطرح عليه التراب وأخبرني أن القبر يمتلئ من ذات نفسه ، ثم ينطبق ويتربع على وجه الأرض ! فأشار المأمون إلى الناس: أن كفوا . قال: فرموا ما في أيديهم من التراب ، ثم امتلأ القبر وانطبق وتربع على وجه الأرض ، فانصرف المأمون وانصرفت فدعاني المأمون وخالني ثم قال لي: أسألك بالله يا هرثمة لما صدقتني عن أبي الحسن قدس الله روحه بما سمعته منه قال: فقلت قد أخبرتك يا أمير المؤمنين بما قال لي ، فقال: بالله إلا ما صدقتني عما أخبرك به غير هذا الذي قلت لي: قال فقلت: يا أمير المؤمنين فعما تسألني فقال لي: يا هرثمة هل أسر إليك شيئاً غير هذا ؟ قلت: نعم ، قال: ما هو؟ قلت : خبر العنب والرمان ، قال فأقبل المأمون يتلون ألواناً يصفرُّ مرة ويحمرُّ أخرى ويسودُّ أخرى، ثم تمدد مغشياً عليه فسمعته في غشيته وهو يجهر ويقول: ويل للمأمون من الله ، ويل له من رسول الله ، وويل له من علي بن أبي طالب وويل للمأمون من فاطمة الزهراء ، وويل للمأمون من الحسن والحسين وويل للمأمون من علي بن الحسين ، وويل للمأمون من محمد بن علي ، وويل للمأمون من جعفر بن محمد ،

ويل له من موسى بن جعفر ، ويل للمأمون من علي بن موسى الرضا عليه السلام !!

هذا والله هو الخسران المبين ، يقول هذا القول ويكرره ، فلما رأته قد أطال ذلك وليت عنه ، وجلست في بعض نواحي الدار قال: فجلس ودعاني فدخلت عليه وهو جالس كالسكران فقال: والله ما أنت عليّ أعز منه ولا جميع من في الأرض والسماء ، والله لئن بلغني أنك أعدت مما رأيت وسمعت شيئاً ليكون هلاكك فيه !

قال فقلت: يا أمير المؤمنين إن ظهرت على شيء من ذلك مني فأنت في حل من دمي . قال: لا والله وتعطيني عهداً وميثاقاً على كتمان هذا وترك إعادته ! فأخذ علي العهد والميثاق وأكده علي قال: فلما وليت عنه صفق بيديه وقال: يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا !!

هرثمة بن أعين راوي شهادة الإمام عليه السلام

ترجم المؤرخون والمحدثون لهرثمة بن أعين القائد العباسي في خلافة موسى الهادي ثم خلافة هارون ، ثم خلافة المأمون ، وذكروا ثقتهم به. فقد أرسلته الخيزران الى السجن ليوقف هارون من نومه ويخبره بموت أخيه موسى ويأتي به الى مجلس البيعة ! قال الطبري(٦/٤٤١): (لما كان الليلة التي توفي فيها موسى الهادي ، أخرج هرثمة بن أعين هارون الرشيد ليلاً ، فأقعدته للخلافة ، فدعا هارون يحيى بن خالد بن برمك وكان محبوساً ، وقد كان عزم موسى على قتله وقتل هارون الرشيد في تلك الليلة ، فحضر يحيى وتقلد الوزارة). وذلك سنة ١٧٠ هجرية .

وفي سنة ١٧١ ولاه الرشيد غزو الروم وبناء طرسوس .(اليعقوبي: ٢/٤١٠)

قال الزركلي في الأعلام (٨/٨١): (هرثمة بن أعين: أمير ، من القادة الشجعان . له عناية

بالعمران . بنى في أرمينية وإفريقية وغيرهما . ولاة الرشيد مصر سنة ١٧٨ هـ ثم وجهه إلى إفريقية لإخضاع عصاتها ، فدخل القيروان سنة ١٧٩ ولقي من أهلها ما يجب فأحسن معاملتهم . وتقدم في جيش كثيف إلى تيهرت فقاتله ابن الجارود وظفر هرثمة ، وأطاعته قبائل البربر فعاد إلى القيروان وبنى فيها القصر المعروف بالمنستير على يد زكريا بن قادم ، وبنى سور طرابلس الغرب ، واستمر والياً على إفريقية سنتين ونصفاً . وطلب من الرشيد أن يعفيه فنقله سنة ١٨١ وعقد له على خراسان فأقام فيها . وولاه غزو الصائفة سنة ١٩١ ثم ولاة ما كان لابن ماهان علي بن عيسى فانتقل إلى مرو سنة ١٩٢ ولما بدأت الفتنة بين الأمين والمأمون ، انحاز إلى المأمون ، فقاد جيوشه وأخلص له الخدمة حتى سكنت الفتنة بمقتل الأمين .

وانتظمت الدولة للمأمون فنقم عليه أمراً ، قيل اتهمه بمالأة إبراهيم بن المهدي أو بالتراخي في قتال أبي السرايا ، فدعاه إليه وشتمه وضربه وحبسه ، وكان الفضل بن سهل الوزير يبغضه فدس إليه من قتله في الحبس سرّاً بمرو) .

وقد تضافرت رواية المؤرخين في مقتل هرثمة بمرو بهذه الطريقة ، وفي رواية منها أن الفضل ضربه بالسيف حتى قتله ! ويكفي أن تقرأ رواية ابن عبدوس الجهشيارى في كتابه الوزراء / ٢٠٥ ، لتعرف اشتهاً قتل هرثمة ، قال : (قال هارون اليتيم : حضرت هرثمة بن أعين ، وقد قدم مرو إلى المأمون مغاضباً لذي الرئاستين ، وكان ذو الرئاستين يجلس على كرسي مجنح ، ويجمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون ، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه ، فإذا وقعت وضع الكرسي ونزل عنه فمشى ، وحمل الكرسي ، حتى يوضع بين يدي المأمون ثم يسلم ذو الرئاستين ويعود فيقعده عليه ، وكان فيمن يحمل الكرسي سعيد بن مسلم ويحيى بن معاذ ، قال : وإنما ذهب ذو الرئاستين في ذلك إلى مذهب الأكاسرة ، فإن وزيراً من وزرائها كان يحمل في مثل ذلك الكرسي ويقعد بين أيديها عليه ، ويتولى حمله اثنا

عشر رجلاً من أولاد الملوك ، فدخل هرثمة في أصحابه دار المأمون ، فوجد ذا الرئاستين جالساً على الكرسي في الدار ، والمأمون في دار أخرى ، فلما انتهى إلى موضعه قعد ولم يسلم على ذي الرئاستين ، وفي يدي ذي الرئاستين كتاب يكتبه وهو مقبل عليه ، فلما فرغ منه التفت إلى هرثمة فقال: مرحباً وأهلاً وسهلاً يا أبا حاتم ، أسعدك الله بمقدمك وعظم بركته عليك ، فلم يرد عليه هرثمة شيئاً ، ثم قال: إني قد عرفت أمير المؤمنين أعزه الله خبرك وأن ما حملت نفسك عليه من الدخول بغير إذن لغير معصية منك ، وصرفت ذلك إلى أحسن الجهات فقبل ذلك ، ورجع عما سبق إلى قلبه منه ، فلم يكلمه هرثمة. ثم قام ذو الرئاستين فدخل إلى المأمون ثم خرج وقال : يا أبا حاتم ، قد عرفت أمير المؤمنين مكانك ، والحال التي أنت عليها من العلة ، وأنه لا يمكنك الوصول إليه إلا على الحال التي وصلت عليها الينا فلم يكلمه ، ثم أذن له المأمون فدخل عليه فبره وأقبل عليه وأمر بأن يطرح له كرسي إلى جانبه ، وأقبل عليه بوجهه يحدّثه ويسأله ويدعوه بكنيته ودخل ذو الرئاستين فطرح كرسيه وقعد عليه . قال فقال المأمون: يا أبا حاتم ، ما كان لتجشمك هذا السفر مع علتك معنى ، فقال: بلى يا أمير المؤمنين تجشمته لأقضي حق الله علي في طاعتك وأنبهك على أمرك وأقول بالتنصح لك ، فقال: يا أبا حاتم ، ليست بك حاجة إلى هذا وأنت تعب ، فانصرف إلى منزلك ، قال: كلا ، يا أمير المؤمنين ما تجشمت طول السفر لأنصرف إلى منزلي قال : بلى ، يا أبا حاتم ، أحب أن تنصرف إلى منزلك ، وتدع ذكر ما لا نحتاج إليه ، وما أنت عنه غني ، قال: لا ، يا أمير المؤمنين ، أو أقضي الحق علي في نصحك ، لأني لا آمن أن يحدث علي في هذه الساعة حادثة فألقى ربي مقصراً في حق امامي ثم التفت وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت هذا المجوسي يعني ذا الرئاستين في هذا المجلس على كرسي ثم قال: يا أمير المؤمنين: ما لمسرور وسلام يجبان بغير ذنب ، ويأخذ هذا المجوسي أموالها وأمتعتها فيبيعها ويمزقها ! قال له: يا هرثمة وترك الكنية أمنعك عن ذكر ما لا تحتاج إليه . وغضب المأمون فقال: لا والله ، أو يدفع الينا هذا المجوسي ، فننزل به ما يستحقه، فقال له ذو الرئاستين: وما أنت

وهذا يا علج ! خذوا برجله وجروه فتبادر الناس إلى هرثمة وأخذوا برجله وجروه من بين يدي المأمون وحبس ثمانية أيام وقتل ، ثم أخرج في اليوم الثامن ميتاً في لبادة . قال: ودخل على المأمون محمد بن سعيد بن عامر أحد قواد هرثمة ، فقال: السلام عليك يا أمير المنافقين ، فوثب إليه ذو الرئاستين فضر به بسيفه حتى قتله!

وفي تاريخ اليعقوبي (٤١١/٢): (وجه الرشيد هرثمة بن أعين إلى الشام ومصر والمغرب يتقراها ويصلحها ، فلم يزل يمر ببلد بلد فيصلح ما يريد إصلاحه حتى صار إلى مصر في سنة ١٧٩ ، وقد كانوا وثبوا على عاملهم ، وصار هرثمة إلى المغرب ، فلما بلغ طرابلس من أرض المغرب أعطى جندها أرزاقهم الفاتئة وآمنهم جميعاً ، حتى قدم القيروان سنة ١٧٩ ، فأمن الناس وسكنهم . وخرج عليه قوم في ناحية من النواحي ، فوجه إليهم جيشاً ففرقهم ، وأقام هرثمة حتى أصلحها ، ثم عاد إلى مصر ، فأقام بها حتى استقامت أحوالها ، ثم انصرف .).

وروى الطبري (١٢٩/٧) قصة هرثمة كاملة.. وكلها سنة ٢٠٠

أقول: كان موته سنة ٢٠٠ هجرية، أي قبل دخول الإمام الرضا عليه السلام إلى مرو وطوس. وكانت شهادة الإمام الرضا عليه السلام في سنة ٢٠٣ أي بعد أكثر من سنتين ، فكيف يصح أن يروى هرثمة هذا شهادة الإمام عليه السلام سنة ٢٠٣ !

فلا بد أن يكون الراوي هرثمة بن أعين آخر، غير هذا القائد .

والذي يظهر من أحاديث هرثمة الراوي أنه كان خادماً عند المأمون ، لأن كلامه يدل على قربه من المأمون وثقته به ، مثل ياسر الخادم ، وأن المأمون عرف أنه يعتقد بإمامة الإمام الرضا عليه السلام ، وكان يتقبل ذلك ولا يراه خيانة له !

أما ما رواه الصدوق عن الإمام الرضا عليه السلام (٢٢٧/٢) فقد نص على أنه في المدينة قال موسى بن هارون: رأيت الرضا عليه السلام وقد نظر إلى هرثمة بالمدينة فقال: كأني به وقد

حمل إلى مرو فضربت عنقه فكان كما قال).

فالمقصود به هرثمة القائد ، وقد كانت له مهام في الحجاز .

ويؤيد ذلك أن هرثمة القائد كنيته أبو حاتم ، وهرثمة الراوي كنيته أبو حبيب .

ففي تحف العقول / ٤٤٩: (قال أحمد بن عمر ، والحسين بن يزيد: دخلنا على الرضا عليه السلام فقلنا: إنا كنا في سعة من الرزق وغضارة من العيش فتغيرت الحال بعض التغير فادع الله أن يرد ذلك إلينا؟ فقال عليه السلام: أي شيء تريدون تكونون ملوكاً؟ أيسركم أن تكونوا مثل طاهر وهرثمة وأنكم على خلاف ما أنتم عليه؟ فقلت: لا والله ما سرني أن لي الدنيا بما فيها ذهباً وفضة وأني على خلاف ما أنا عليه . فقال عليه السلام: إن الله يقول: **إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ** . فلا يبقى مجال للشك في تشيع هرثمة الراوي أو في وثاقته التي تفهم من القرائن ومن قبول علماء الشيعة لروايته !

رواية أبي الصلت الهروي في شهادة الإمام الرضا عليه السلام

قال الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/ ٢٧١): (باب ما حدث به أبو الصلت الهروي عن ذكر وفاة الرضا عليه السلام أنه سم في عنب .

ثم روى بسند صحيح: (عن أبي الصلت قال: بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام إذ قال لي: يا أبا الصلت أدخل هذه القبة التي فيها قبر هارون ، وائتني بتراب من أربعة جوانبها. قال فمضيت فأتيت به فلما مثلت بين يديه فقال لي: ناولني هذا التراب وهو من عند الباب فناولته فأخذه وشمه ثم رمى به ، ثم قال: سيحفر لي هاهنا فتظهر صخرة لو جمع عليها كل معول بخراسان لم يتهيأ قلعهها . ثم قال في الذي عند الرُّجُل ، والذي عند الرأس مثل ذلك ، ثم قال: ناولني هذا التراب فهو من تربتي، ثم قال: سيحفر لي في هذا الموضع فتأمرهم أن يحفروا لي سبع مراقبي

إلى أسفل، وأن يشق لي ضريحة فإن أبوا إلا أن يلحدوا فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين وشبراً، فإن الله سيوسعه ما يشاء. فإذا فعلوا ذلك فإنك ترى عند رأسي نداوة فتكلم بالكلام الذي أعلمك فإنه ينبع الماء حتى يمتلئ اللحد، وترى فيه حيتاناً صغاراً ففت لها الخبز الذي أعطيك فإنها تلتقطه، فإذا لم يبق منه شيء خرجت منه حوتة كبيرة فالتقطت الحيتان الصغار حتى لا يبقى منها شيء، ثم تغيب فإذا غابت فضع يدك على الماء، ثم تكلم بالكلام الذي أعلمك فإنه ينضب الماء، ولا يبقى منه ولا تفعل إلا بحضرة المأمون!

ثم قال عليه السلام: يا أبا الصلت غداً أدخل على هذا الفاجر فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فتكلم أكلمك، وإن أنا خرجت وأنا مغطى الرأس فلا تكلمني!

قال أبو الصلت: فلما أصبحنا من الغد لبس ثيابه وجلس، فجعل في محرابه ينتظر، فبينما هو كذلك إذ دخل عليه غلام المأمون فقال له أجب أمير المؤمنين فلبس نعله ورداءه وقام يمشي وأنا أتبعه، حتى دخل على المأمون وبين يديه طبق عليه عنب وأطباق فاكهة، وبیده عنقود عنب قد أكل بعضه وبقي بعضه، فلما أبصر بالرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه معه، ثم ناوله العنقود وقال: يا ابن رسول الله ما رأيت عنباً أحسن من هذا! فقال الرضا عليه السلام: ربما كان عنباً حسناً يكون من الجنة. فقال له: كل منه فقال له الرضا عليه السلام: تعفيني منه. فقال: لا بد من ذلك! وما يمنعك منه لعلك تتهمنا بشيء! فتناول العنقود فأكل منه، ثم ناوله فأكل منه الرضا عليه السلام ثلاث حبات، ثم رمى به وقام!

فقال المأمون: إلى أين؟ فقال: إلى حيث وجهتني!

فخرج عليه السلام مغطى الرأس فلم أكلمه حتى دخل الدار، فأمر أن يغلق الباب فغلق ثم

نام عليه السلام على فراشه ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً . فبينما أنا كذلك إذ دخل علي شاب حسن الوجه قطط الشعر أشبه الناس بالرضا عليه السلام فبادرت إليه فقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق؟ فقلت له: ومن أنت؟ فقال لي: أنا حجة الله عليك يا أبا الصلت! أنا محمد بن علي . ثم مضى نحو أبيه عليه السلام فدخل وأمرني بالدخول معه فلما نظر إليه الرضا وثب إليه فعانقه وضمه إلى صدره وقبل ما بين عينيه ، ثم سحبه سحباً إلى فراشه وأكب عليه محمد بن علي عليه السلام يقبله ويساره بشئ أفهمه ، ورأيت على شفتي الرضا عليه السلام زبداً أشد بياضاً من الثلج ورأيت أبا جعفر عليه السلام يلحسه بلسانه ، ثم أدخل يده بين ثوبيه وصدره فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور فابتلعه أبو جعفر ومضى الرضا عليه السلام فقال أبو جعفر عليه السلام : قم يا أبا الصلت ، إئتني بالمغتسل والماء من الخزانة ، فقلت: ما في الخزانة مغتسل ولا ماء . قال لي: إئت إليّ ما أمرك به ، فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء فأخرجته وشمرت ثيابي لأغسله ، فقال لي: تنح يا أبا الصلت ، فإن لي من يعينني غيرك . فغسله ثم قال لي: أدخل الخزانة فأخرج لي السفط الذي فيه كفنه وحنوطه ، فدخلت فإذا أنا بسفط لم أره في تلك الخزانة قط فحملته إليه، فكفنه وصلى عليه ، ثم قال لي: إئتني بالتابوت ، فقلت: أمضي إلى النجار حتى يصلح التابوت . قال: قم فإن في الخزانة تابوتاً فدخلت الخزانة فوجدت تابوتاً لم أره قط فأتيته به ، فأخذ الرضا عليه السلام بعد ما صلى عليه فوضعه في التابوت ، وصف قدميه وصلى ركعتين لم يفرغ منهما حتى علا التابوت ، وانشق السقف فخرج منه التابوت ومضى . فقلت: يا ابن رسول الله الساعة يجيؤنا المأمون ويطلبنا بالرضا عليه السلام فما نصنع؟ فقال لي: أسكت فإنه سيعود! يا أبا الصلت ، ما من نبي يموت بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا جمع الله بين أرواحهما وأجسادهما. وما أتم الحديث حتى انشق

السقف ونزل التابوت فقام عليه السلام فاستخرج الرضا عليه السلام من التابوت ووضع على فراشه كأنه لم يغسل ولم يكفن ثم قال لي: يا أبا الصلت قم فافتح الباب للمأمون! ففتحت الباب فإذا المأمون والغلمان بالباب، فدخل باكياً حزيناً قد شق جيبه ولطم رأسه، وهو يقول: يا سيداه فجعت بك يا سيدي!

ثم دخل فجلس عند رأسه وقال: خذوا في تجهيزه، فأمر بحفر القبر فحفرت الموضع فظهر كل شيء على ما وصفه الرضا عليه السلام فقال له بعض جلسائه: ألسنت تزعم إنه إمام؟ فقال: بلى لا يكون الإمام إلا مقدم الناس، فأمر أن يحفر له في القبلة فقلت له: أمرني أن يحفر له سبع مراقي وأن أشق له ضريحه، فقال: انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح، ولكن يحفر له ويلحد.

فلما رأى ما ظهر له من النداءة والحيتان وغير ذلك قال المأمون: لم يزل الرضا عليه السلام يرينا عجائبه في حياته، حتى أراناها بعد وفاته أيضاً.

فقال له وزير كان معه: أتدري ما أخبرك به الرضا عليه السلام؟ قال: لا. قال: إنه قد أخبرك إن ملككم يا بني العباس مع كثرتكم وطول مدتكم، مثل هذه الحيتان حتى إذا فئت آجالكم وانقطعت آثاركم وذهبت دولتكم، سلط الله تعالى عليكم رجلاً منا فأفناكم عن آخركم! قال له: صدقت، ثم قال لي: يا أبا الصلت علمني الكلام الذي تكلمت به، قلت: والله لقد نسيت الكلام من ساعتني، وقد كنت صدقت. فأمر بحبسي.

ودفن الرضا عليه السلام فحسبت سنة فضايق علي الحبس، وسهرت الليلة ودعوت الله تبارك وتعالى بدعاء ذكرت فيه محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم، وسألت الله بحقهم أن يفرج عني، فما استتم دعائي حتى دخل علي أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام فقال لي: يا أبا الصلت ضاق صدرك؟ فقلت: إي والله، قال: قم فأخرجني ثم ضرب يده إلى

القيود التي كانت عليّ ففكها وأخذ بيدي وأخرجني من الدار والحرس والغلمان يروني، فلم يستطيعوا أن يكلموني!

وخرجت من باب الدار، ثم قال لي إمض في ودائع الله، فإنك لن تصل إليه ولا يصل إليك أبداً! فقال أبو الصلت: فلم ألتق المأمون إلى هذا الوقت).

اتفق علماءنا على توثيق أبي الصلت الهروي

قال النجاشي في رجاله / ٢٤٥: (عبد السلام بن صالح، أبو الصلت الهروي، روى عن الرضا عليه السلام، ثقة صحيح الحديث، له كتاب وفاة الرضا عليه السلام).

وقال السيد الخوئي في رجاله (١٨/١١): (لا إشكال في وثاقته ولعلها من المتسالم عليه بين المؤلف والمخالف، ولم يضعفه إلا الشاذ من العامة كالجعفي والعقيلي. قال ابن حجر في تقريبه: عبد السلام بن صالح بن سليمان أبو الصلت الهروي مولى قریش، نزل نيسابور، صدوق له مناكير، وكان يتشيع. وأفرط العقيلي فقال: كذاب).

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢٨٥/٦): (أبو الصلت الهروي. سكن نيسابور ورحل في الحديث إلى الأمصار، وخدم علي بن موسى الرضا. وروى عن عبد السلام بن حرب، وعبد الله بن إدريس، وعباد بن العوام، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وعلي بن هشام بن البريد، وفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، وخلف بن خليفة، وجريير بن عبد الحميد، وجعفر بن سليمان، وهشيم، وغيرهم).

وعنه: ابنه محمد، ومحمد بن إسماعيل الأحمسي، وسهل بن زنجلة، ومحمد بن رافع النيسابوري، والدوري، وابن أبي داود، وعبد الله بن أحمد، وأحمد بن منصور الرمادي، وأحمد بن سيار المروزي، وعلي بن حرب الموصلية، وعمار بن رجاء، ومحمد بن عبد الله الحضرمي، والحسن بن علوية القطان، وإسحاق بن الحسن

الحربي ، ومعاذ بن المثني ، وآخرون.. وقال الدوري: سمعت ابن معين يوثق أبا الصلت). وقد توفي أبو الصلت سنة ٢٣٦ هجرية .

أبو الصلت الهروي عالم جليل

فمن ترجمة أبي الصلت في مصادر السنة والشيعة نعرف أنه كان عالماً جليلاً، فقد زار العواصم العلمية المعروفة ، وكان يهتم بالعقائد والفقه والتفسير وسيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين من عترته عليهم السلام .

وفيا يلي المواضيع التي أوردها الصدوق رحمته الله عنه فقط في عيون أخبار الرضا عليه السلام :
فمنها روايته عنه في مقام النبي صلى الله عليه وآله .

وفي صفات الله تعالى .

وفي خلق العرش والماء .

وروى مناظرات الإمام عليه السلام مع أهل الأديان والمذاهب .

وروى عنه تفسير أصحاب الرس .

وفي حقيقة الإيمان .

وفي الصبر .

وفي شجرة أبينا آدم عليه السلام .

وفي آداب استقبال شهر رمضان .

وفي بعض أحكام الصلاة .

وفي معنى أن علياً عليه السلام قسيم الجنة والنار .

وروى حديث سلسلة الذهب .

وكان أبو الصلت في بغداد يحدث عن الرضا عليه السلام .

وروى مداولاته مع المأمون على ولاية العهد .

وروى معجزة الرضا عليه السلام لما أهانه المأمون .

وروى زيارته للإمام عليه السلام لما كان في سرخس .

وسأله عن الذين يقولون لا يمكن لله أن يُسهي النبي صلى الله عليه وآله !

وروى عنه أن الإمام يعرف لغات الناس .

وأنه لا يجوز للشيعة أن يعتمد على تشييعه بدون عمل .

وفي سبب قتل المأمون للإمام الرضا عليه السلام مع مقامه عنده .

وخبر شهادة الإمام عليه السلام بتفصيل ، ثم حبس المأمون لأبي الصلت .

وحديث: ما منا إلا مقتول أو مسموم .

ومدحه لأهل قم لما زاروه بأنهم شيعة حقاً .

كل ذلك في عيون أخبار الرضا عليه السلام وروي عنه في غيره الكثير .

كالذي رواه عنه الصدوق في أماليه / ١٢٠ : (قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: والله ما منا

إلا مقتول شهيد . فليل له: فمن يقتلك يا ابن رسول الله ؟ قال: شر خلق الله في زمني

يقتلني بالسهم ، ثم يدفني في دار مضيعة وبلاد غربة) !

وروى عنه في إعلام الوري (٢/ ٦٥): (حدثني محمد بن إسحاق بن موسى بن جعفر عن

أبيه: أن موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل

محمد ، فاسألوه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم ، فإني سمعت أبي جعفر بن

محمد عليه السلام غير مرة يقول لي: إن عالم آل محمد لفي صلبك ، وليتني أدركته فإنه سمي

أمير المؤمنين عليه السلام) .



الفروقات بين رواية هرثمة و رواية أبي الصلت

أهم الفروق في رواية أبي الصلت ورواية هرثمة:

١. وصول الإمام الجواد في حالة احتضار الإمام الرضا عليه السلام ووداعه لأبيه قبل وفاته: (فخرج عليه السلام مغطى الرأس فلم أكلمه حتى دخل الدار ، فأمر أن يغلق الباب فغلق ثم نام عليه السلام على فراشه ومكث واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً ، فبينما أنا كذلك إذ دخل علي شاب حسن الوجه ققط الشعر أشبه الناس بالرضا عليه السلام ، فبادرت إليه فقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق؟ فقلت له: ومن أنت؟ فقال لي: أنا حجة الله عليك يا أبا الصلت! أنا محمد بن علي . ثم مضى نحو أبيه عليه السلام فدخل وأمرني بالدخول معه ، فلما نظر إليه الرضا وثب إليه فعانقه وضمه إلى صدره وقبل ما بين عينيه ، ثم سحبه سحباً إلى فراشه وأكب عليه محمد بن علي عليه السلام يقبله ويسأره بشيء لم أفهمه ، ورأيت على شفتي الرضا زبداً أشد بياضاً من الثلج، ورأيت أبا جعفر عليه السلام يلحسه بلسانه ، ثم أدخل يده بين ثوبيه وصدره فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور فابتلعه أبو جعفر عليه السلام ! ومضى الرضا عليه السلام ، فقال أبو جعفر عليه السلام : قم يا أبا الصلت ، إئتني بالمغتسل والماء من الخزانة ، فقلت: ما في الخزانة مغتسل ولا ماء . قال لي: ائت إليّ ما أمرك به ، فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء فأخرجته وشمرت ثيابي لأغسله فقال لي: تنحّ يا أبا الصلت فإن لي من يعينني غيرك).

أقول: في هذا المقطع عدد من أسرار الإمامة الربانية:

٢. مجيئ الإمام الجواد بمعجزة من المدينة ليودع أباه ، ويسمع بقية وصاياه .

٣. قوله: وسأره بشيء لم أفهمه، من نوع خلوة النبي صلى الله عليه وآله الطويلة عند وفاته بأمر المؤمنين عليه السلام فسأله عمر: ماذا قال لك فقال: علمني ألف باب يفتح من كل باب ألف

باب !

٤. أما الزبد على شفتي الإمام عليه السلام بعد موته، وما أخذه الجواد عليه السلام من صدره كالعصفور الصغير وبلعه ، فهذا من أسرار الإمامة نؤمن به وإن لم نعرفه.

٥. وقد تفرد الإمام الجواد عليه السلام بتغسيله كما تفرد على عليه السلام بتغسيل النبي صلى الله عليه وآله وكان الفضل يناوله الماء من خارج الغرفة وهو معصب العينين .

٦. يفهم من الأحاديث أن بدن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام كله عورة وإن نظر إليه غير المعصوم عمي ، ويبدو أنه من الأشعة الصادرة منه .

٧. قد يشكل على الإمام الرضا عليه السلام : كيف أكل من العنب وهو يعلم أنه مسموم ؟

وجوابه: أن الأئمة عليهم السلام لا يفعلون إلا ما يؤمرون ، فلا بد أنه أمر بالأكل منه. ولهذا مثل في سيرة الأئمة عليهم السلام وهو شبيه جداً بسم أبيه الإمام الكاظم عليه السلام كما في أمالي الصدوق/ ٣١٠: (فلما كان بعد ذلك حُوّل إلى الفضل بن يحيى البرمكي فحبس عنده أياماً ، وكان الفضل بن الربيع يبعث إليه في كل ليلة مائدة ومنع أن يدخل إليه من عند غيره ، فكان لا يأكل ولا يفطر إلا على المائدة التي يؤتى بها حتى مضى على تلك الحال ثلاثة أيام ولياليها ، فلما كانت الليلة الرابعة قدمت إليه مائدة للفضل بن يحيى قال: فرفع عليه السلام يده إلى السماء فقال: يا رب ، إنك تعلم أنني لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعتت على نفسي!! (لأنني لم أكن مأموراً بأكل الطعام المسموم ، أما الآن فقد أمرت به فأنا أفعله!) قال: فأكل فمرض، فلما كان من غد بعث إليه بالطيب ليسأله عن العلة . فقال له الطيب: ما حالك؟ فتغافل عنه فلما أكثر عليه أخرج إليه راحته فأراها الطيب ثم قال: هذه علتني، وكانت خضرة في وسط راحته تدل على أنه سم ، فاجتمع في ذلك الموضوع. قال: فانصرف الطيب إليهم وقال: والله هو أعلم بما فعلتم به منكم

ثم توفي عليه السلام !

٨. لم يرد وصف الإمام الجواد عليه السلام في روايتي هرثمة وأبي الصلت ، لكن ورد في رواية عبد الرحمن بن يحيى وهو من خدم المأمون ومن شيعة الإمام عليه السلام :

ففي إثبات الوصية للمسعودي المؤرخ الثقة/٢١٥: (روى علي بن محمد الخصيبي قال: حدثني محمد بن إبراهيم الهاشمي قال: حدثني عبد الرحمن بن يحيى قال: كنت يوماً بين يدي مولاي الرضا عليه السلام في علته التي مضى فيها إذ نظر إلي فقال لي: يا عبد الرحمن إذا كان في آخر يومي هذا وارتفعت الصيحة فإنه سيوافيك ابني محمد فيدعوك إلى غسلي فإذا غسلتوني وصليتم علي فأعلم هذا الطاغية لئلا ينقص علي شيئاً ولن يستطيع ذلك ! قال: فوالله إني بين يدي سيدي يكلمني إذ وافى المغرب فنظرت فإذا سيدي قد فارق الدنيا فأخذتني حسرة وغصة شديدة فدنوت إليه ، فإذا قائل من خلفي يقول: مه يا عبد الرحمن ، فالتفت فإذا الحائط قد انفرج فإذا أنا بمولاي أبي جعفر عليه السلام وعليه دراعة بيضاء معمم بعمامة سوداء فقال: يا عبد الرحمن قم إلى غسل مولاك فضعه على المغتسل. وعَسَلَهُ بثوبه كغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما فرغ صلي وصليت معه عليه ، ثم قال: لي يا عبد الرحمن أعلم هذا الطاغية ما رأيت لئلا ينقص عليه شيئاً ولن يستطيع ذلك .

ولم أزل بين يدي سيدي إلى أن انفجر عمود الصبح ، فإذا أنا بالمأمون قد أقبل في خلق كثير فمنعني هيئته أن أبدأ بالكلام فقال: يا عبد الرحمن بن يحيى ما أكذبكم ! أستم تزعمون أنه ما من إمام يمضي إلا وولده القائم مكانه يلي أمره . هذا علي بن موسى بخراسان ومحمد ابنه بالمدينة ! قال فقلت: يا أمير المؤمنين أما إذا ابتدأتني فاسمع: إنه لما كان أمس قال لي سيدي كذا وكذا فوالله ما حضرت صلاة المغرب حتى قضى،

فدنوت منه فإذا قائل من خلفي يقول: مه يا عبد الرحمن . وحدثته الحديث ، فقال: صفه لي ، فوصفته له بحليته ولباسه وأريته الحائط الذي خرج منه !
 فرمى بنفسه إلى الأرض وأقبل يخور كما يخور الثور وهو يقول: ويلك يا مأمون ؟ ما حالك وعلى ما أقدمت ؟ لعن الله فلاناً وفلاناً ، فإنهما أشارا علي بما فعلت !
 وفي هذه الرواية ظهر الإمام الجواد عليه السلام لعبد الرحمن بن يحيى فوصفه للمأمون ، لإثبات أن الإمام لا يغسله إلا إمام كما قال الرضا عليه السلام حتى لا يقول إن قوله قد انتقض ! وقد أجمل عبد الرحمن بن يحيى مراسم موت الإمام عليه السلام وتغسيه وأشار الى أنه لم يشارك في تغسيه .
 كما أنه يقصد بفلان وفلان ابني الحسن بن سهل، ويظهر أنها كانا في طوس وكانا يؤلبانه على الرضا عليه السلام بتحريك عمهما الفضل بن سهل ، فقتل الفضل ثم قتل الإمام عليه السلام :
 قال الطوسي في الغيبة: ٧٤: (روى محمد بن عبد الله بن الحسن الأفطس قال: كنت عند المأمون يوماً ونحن على شراب حتى إذا أخذ منه الشراب مأخذه صرف ندماءه واحتبسني ، ثم أخرج جواريه ، وضربن وتغنين ، فقال لبعضهن: بالله لما رثيت من بطوس قطناً فأنشأت تقول:

سقياً لطوس ومن أضحى بها قطنا من عترة المصطفى أبقى لنا حزنا

أعني أبا حسن المأمون إن له حقاً على كل من أضحى بها شجنا

قال محمد بن عبد الله: فجعل يبكي حتى أبكاني ثم قال لي: ويلك يا محمد أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن أنصب أبا الحسن علماً ، والله إن لو بقي لخرجت من هذا الأمر ولأجلسته مجلسي غير أنه عوجل ، فلعن الله عبد الله وحمزة ابني الحسن فإنهما قتلاه . ثم قال لي: يا محمد بن عبد الله والله لأحدثنك بحديث عجيب فاكتمه ، قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال: لما حملت زاهرية بيدر أتيته فقلت له: جعلت فداك بلغني

أن أبا الحسن موسى بن جعفر ، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن علي ، وعلي بن الحسين ، والحسين بن علي عليه السلام كانوا يزجرون الطير ولا يخطؤون ، وأنت وصي القوم ، وعندك علم ما كان عندهم ، وزاهرية حظيتي ومن لا أقدم عليها أحداً من جواري ، وقد حملت غير مرة كل ذلك يسقط ، فهل عندك في ذلك شيء ننتفع به؟ فقال: لا تخش من سقطها فستسلم وتلد غلاماً صحيحاً مسلماً أشبه الناس بأمه قد زاده الله في خلقه مرتبتين ، في يده اليمنى خنصر وفي رجله اليمنى خنصر .

فقلت في نفسي هذه والله فرصة إن لم يكن الأمر على ما ذكر خلعتة ، فلم أزل أتوقع أمرها حتى أدركها المخاض فقلت للقيمة: إذا وضعت فجيئني بولدها ذكراً كان أو أنثى، فما شعرت إلا بالقيمة وقد أتتني بالغلام كما وصفه زائد اليد والرجل ، كأنه كوكب دري ، فأردت أن أخرج من الأمر يومئذ وأسلم ما في يدي إليه فلم تطاوعني نفسي لكنني دفعت إليه الخاتم. فقلت: دبر الأمر فليس عليك مني خلاف أنت المقدم، وبالله أن لو فعل لفعلت). أي لو قبل لقبلت! وهذا يصدق وصف المأمون بالعفريت!

٩. اعترف المأمون بمعجزات الإمام الرضا عليه السلام وآياته فقال: (لم يزل الرضا يرينا عجائبه في حياته ، حتى أراناها بعد وفاته أيضاً).

وكان إذا سمع أن الإمام الرضا عليه السلام أمر بشيء في مراسم دفنه قال: أعملوا بما قال.

١٠. يدل سياق روايتي هرثمة وأبي الصلت على أن هرثمة قريب من المأمون أكثر ، وأن أبا الصلت قريب من الإمام الرضا عليه السلام أكثر .

١١. من تهديد المأمون لهرثمة يفهم أنه خادمه وتحت يده . أما أبو الصلت فكان يعيش مستقلاً وكان وضعه المالي جيداً وأكثر وقته عند الإمام عليه السلام .

١٢. تختلف توجهات الإمام الرضا عليه السلام لهرثمة عنها لأبي الصلت ، وهذا يتناسب مع

مقام كل منهما عند الإمام عليه السلام. فكلاهما ثقتان أمينان لأن الإمام أخبرهما بما سيفعل المأمون معه ، لكن الإمام الجواد عليه السلام لم يظهر لهرثمة وظهر لأبي الصلت لأن درجة أبي الصلت في التشيع أعلى ولأنه ليس تحت يد المأمون مباشرة كهرثمة، والمأمون يعرف تشيعهما ويتقبل ذلك ، لكن يريد أن يعرف منهما كل ما قاله الإمام عليه السلام وقد أخذ كل ما عند هرثمة ، لكن أبا الصلت بقي عنده الكثير برأيه فحبسه !

١٣. أخبر أبو الصلت المأمون عن تفسير السمك الصغار والسمكة الكبيرة فصدقه كأنه يعرف وسمعه من الإمام عليه السلام ! بينما لم يذكر ذلك هرثمة .

١٤. يظهر أن أبا الصلت وهرثمة كانا في بيت الإمام عليه السلام ، وكان أبو الصلت كالمقيم في بيت الإمام عليه السلام ، ويبدو أن هرثمة مأمور من المأمون بخدمة الإمام ومراقبته . كما يبدو أن بيت الإمام عليه السلام كبير ملاصق لبيت المأمون ، ويمكن للمأمون أن يشرف على دار الإمام عليه السلام من قصره .

١٥. أمر الإمام عليه السلام هرثمة أن يصبر حتى يرى فسطاطا منصوباً في الدار فيأخذ جثمانه ويسلمه الى من في الفسطاط وهو الجواد عليه السلام ، ولعل هذا في اليوم التالي لأن المأمون كتم وفاة الإمام عليه السلام يوماً وليلة !

قال المفيد في الأرشاد (٢/٢٧١): (ولما توفي الرضا عليه السلام كتم المأمون موته يوماً وليلة ، ثم أنفذ إلى محمد بن جعفر الصادق وجماعة من آل أبي طالب الذين كانوا عنده ، فلما حضروه نعاه إليهم وبكى وأظهر حزناً شديداً وتوجعاً ، وأراهم إياه صحيح الجسد وقال: يعز علي يا أخي أن أراك في هذه الحال ، قد كنت آمل أن أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد ، ثم أمر بغسله وتكفينه وتخنيطه وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى إلى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن فدفنه . والموضع دار حميد بن قحطبة في قرية يقال

لها سنباد على دعوة من نوقان بأرض طوس، وفيها قبر هارون الرشيد، وقبر أبي الحسن عليه السلام بين يديه في قبلته).



رواية ياسر الخادم في شهادة الإمام عليه السلام

قال الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/ ٢٧٠): (باب ذكر خبر آخر في وفاة الرضا عليه السلام عن طريق الخاصة: حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا ياسر الخادم قال: لما كان بيننا وبين طوس سبعة منازل اعتل أبو الحسن عليه السلام فدخلنا طوس وقد اشتدت به العلة فبقينا بطوس أياماً، فكان المأمون يأتيه في كل يوم مرتين فلما كان في آخر يومه الذي قبض فيه كان ضعيفاً في ذلك اليوم فقال لي لما صلى الظهر: يا ياسر ما أكل الناس شيئاً؟ قلت: يا سيدي من يأكل هاهنا مع ما أنت فيه فانتصب عليه السلام ثم قال: هاتوا المائدة ولم يدع من حشمه أحداً إلا أقعده معه على المائدة يتفقد واحداً واحداً، فلما أكلوا قال: إبعثوا إلى النساء بالطعام فحمل الطعام إلى النساء فلما فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف فوقعت الصيحة، وجاءت جوارى المأمون ونساؤه حافيات حاسرات، ووقعت الوجبة بطوس وجاء المأمون حافياً حاسراً يضرب على رأسه ويقبض على لحيته، ويتأسف ويبكي وتسيل دموعه على خديه، فوقف على الرضا وقد أفاق فقال: يا سيدي والله ما أدري أي المصيبتين أعظم علي؟ فقد لي لك وفراقي إياك؟ أو تهمة الناس لي إني اغتلتك وقتلتك!

قال: فرفع طرفه إليه ثم قال: أحسن يا أمير المؤمنين معاشره أبي جعفر عليه السلام، فإن عمرك وعمره هكذا وجمع بين سبائيه!

قال: فلما كان من تلك الليلة قضى عليه بعد ما ذهب من الليل بعضه ، فلما أصبح اجتمع الخلق وقالوا: إن هذا قتله واغتاله يعنون المأمون ! وقالوا: قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأكثروا القول والجلبة ، وكان محمد بن جعفر بن محمد استأمن إلى المأمون وجاء إلى خراسان وكان عم أبي الحسن عليه السلام فقال المأمون: يا أبا جعفر أخرج إلى النساء وأعلمهم أن أبا الحسن لا يخرج اليوم ، وكره أن يخرج فتقع الفتنة ، فخرج محمد بن جعفر إلى الناس فقال: أيها الناس تفرقوا فإن أبا الحسن عليه السلام لا يخرج اليوم ، فتفرق الناس وغسل أبو الحسن عليه السلام في الليل ودفن قال علي بن إبراهيم: وحدثني ياسر بما لم أحب ذكره في الكتاب!

ياسر الخادم مولى حمزة بن اليسع الأشعري

اتفق علماءنا على قبول حديث ياسر خادم المأمون ، وهو غير ياسر خادم الرشيد الذي أمره بقتل جعفر البرمكي، ثم أمر بقتله لأنه لا يستطيع أن ينظر إلى عزيزه!
قال المامقاني في تنقيح المقال في علم الرجال (ج ٣ ق ١ / ٣٠٧) ملخصاً: (قال النجاشي ياسر خادم الرضا عليه السلام وهو مولى حمزة بن اليسع، له مسائل الرضا عليه السلام . وظاهرهما كونه إمامياً فاذا انضم إلى ذلك ما نقل عن العلامة من قوله إنه ممدوح ، اندرج الرجل في الحسان . روى عنه إبراهيم بن هاشم وابنه علي بن إبراهيم عنه كثيراً ، كما روى عنه أحمد بن إسحق ، ويعقوب بن يزيد ، وسهل بن زياد ، عنه عن الرضا عليه السلام) .

ملاحظات على رواية ياسر الخادم لشهادة الإمام عليه السلام

١. نأسف لقول علي بن إبراهيم في آخرها: (وحدثني ياسر بما لم أحب ذكره في الكتاب) ! فليته ذكره لأن أحاديث ياسر مباشرة الإمام عليه السلام .

وقال في مكان آخر (العيون: ٢/ ١٦٠): (حدثني ياسر الخادم لما رجع المأمون من خراسان بعد وفاة أبي الحسن الرضا عليه السلام بطوس بأخباره كلها .

قال علي بن إبراهيم: وحدثني الريان بن الصلت وكان من رجال الحسن بن سهل ، وحدثني أبي عن عن محمد بن عرفة ، وصالح بن سعيد الكاتب الراشدي ، كل هؤلاء حدثوا بأخبار أبي الحسن الرضا عليه السلام).

وقد فاتنا كثير من أخبارهم مع الأسف . ومقصوده من قوله: بما لم أحب ذكره في الكتاب أنه شديد في ظلم المأمون للإمام الرضا عليه السلام في تلك الأيام حتى قتله !

٢ . تختلف روايته عن رواية هرثمة ورواية أبي السلط بأن المأمون سمه خارج طوس في مرو أو غيرها ، وجاء الى طوس عليلاً . وقد يكون المأمون حاول سمه مرتين مرة خارج طوس ثم أكمل سمه فيها .

وقد أجمل ياسر الخبر واختصره وفيه إبهام ، أو اختصره راويه علي بن إبراهيم عليه السلام .

وتفردت رواية ياسر بأن المأمون شكى للإمام الرضا عليه السلام بأن الناس يتهمونه بأنه هو اغتاله بالسم ، فلم يجب الإمام عليه السلام على ذلك ولم يبرئه ، وذلك دليل على صدق ما اتهمه به الناس ! ودليل آخر وصية الإمام له بابنه الجواد عليه السلام وإخباره بأنه إن قتله يمت هو ، لأن عمرهما متقارن ! وبالفعل كان المأمون يحافظ على حياة الجواد لأنه يعتقد بصدق كل مايقوله الرضا عليه السلام .





الفصل الثاني عشر

أقوال المأمون وسياسته حجة للشيعة

كان المأمون يقول: تعلمت التشيع من أبي!

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٧٨/١): (عن الريان بن شبيب قال: سمعت المأمون يقول: ما زلت أحب أهل البيت وأظهر للرشيـد بغضهم تقرباً إليه ! فلما حج الرشيد كنت ومحمد والقاسم معه، فلما كان بالمدينة استأذن عليه الناس وكان آخر من أذن له موسى بن جعفر، فدخل فلما نظر إليه الرشيد تحرك ومد بصره وعنقه إليه ، حتى دخل البيت الذي فيه فلما قرب جثى الرشيد على ركبتيه وعانقه ، ثم أقبل عليه فقال له: كيف أنت يا أبا الحسن وكيف عيالك وعيال أبيك؟ كيف أنتم ما حالكم؟ فما زال يسأله هذا وأبو الحسن يقول: خير خير .

فلما قام أراد الرشيد أن ينهض فأقسم عليه أبو الحسن فأقعده وعانقه وسلم عليه وودعه. قال المأمون: وكنت أجراً ولد أبي عليه ، فلما خرج أبو الحسن موسى بن جعفر قلت لأبي: يا أمير المؤمنين لقد رأيتك عملت بهذا الرجل شيئاً ما رأيتك فعلته بأحد من أبناء المهاجرين والأنصار ولا ببني هاشم فمن هذا الرجل؟ فقال: يا بني هذا وارث علم النبيين ، هذا موسى بن جعفر بن محمد ! إن أردت العلم الصحيح فعند هذا ! قال المأمون: فحينئذ انغرس في قلبي محبتهم !)

وكان المأمون يقول: أهل البيت خلؤ من هذا الخلق!

كان يقول: (ويحكم إن أهل هذا البيت خلؤ (مختلف) من هذا الخلق! أو ما علمتم أن رسول الله بايع الحسن والحسين وهما صبيان غير بالغين ولم يبايع طفلاً غيرهما! أو ما علمتم أن علياً آمن بالنبي وهو ابن عشر سنين، فقبل الله ورسوله منه إيمانه ولم يقبل من طفل غيره، ولا دعا النبي طفلاً غيره إلى الإيوان! أو ما علمتم أنها ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم!) (الإختصاص/٩٨) وروى بعضه ابن عبد البر في العقد الفريد (٢/٢٤٠).

قال المأمون: هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم!

أرسل القائد رجاء بن أبي الضحاك في سرية فأتى بالرضا عليه السلام قال (العيون: ٢/١٩٧): فلما وردت به على المأمون سألتني عن حاله في طريقه، فأخبرته بما شاهدته منه في ليله ونهاره، وطمعته وإقامته، فقال لي: يا ابن أبي الضحاك هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم، فلا تخبر أحداً بما شاهدته منه لئلا يظهر فضله إلا على لساني، وبالله أستعين ما أقوى من الرفع منه والإشادة به!

قال المأمون: لا يوجد العلم الصحيح إلا عند أهل البيت

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/٢١٦): حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا، وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له: يا بن رسول الله بأي شئ تصح الإمامة لمدعيها؟

قال بالنص والدليل، قال له: فدلالة الامام فيها هي؟ قال في العلم واستجابة الدعوة.

قال: فما وجه أخباركم بما يكون؟ قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فما وجه أخباركم بما في قلوب الناس قال عليه السلام: أما بلغك قول الرسول صلى الله عليه وآله إتقوا

فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟ قال: بلى ، قال: وما من مؤمن إلا وله فراصة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه ، وقد جمع الله للأئمة ما فرقه في جميع المؤمنين . وقال عَزَّجَلَّ في محكم كتابه: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ** . فأول المتوسمين رسول الله ﷺ ثم أمير المؤمنين **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من بعده ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة . قال: فنظر إليه المأمون فقال له: يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت . فقال الرضا **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: إن الله **عَزَّجَلَّ** أيدنا بروح منه مقدسة مطهرة ، ليست بملك ، لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله ﷺ وهي مع الأئمة منا تسددهم وتوفقهم ، وهو عمود من نور بيننا وبين الله **عَزَّجَلَّ**.

قال له المأمون: يا أبا الحسن بلغني أن قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد ! فقال الرضا **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: حدثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً ، قال الله تبارك وتعالى: **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .**

وقال علي **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: يهلك في اثنان ولا ذنب: لي محب مفرط ومبغض مفرط ، وأنا أبرأ إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ** من النصراني قال الله تعالى: **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى**

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

وقال عنه: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ . وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا .

وقال عنه: مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ! ومعناه إنها كانا يتغوطان . فمن ادعى للأنبياء عليهم السلام ربوبية ، وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة ، أو لغير الأئمة إمامة ، فنحن منه براء في الدنيا والآخرة .

فقال المؤمنون: يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة فقال الرضا عليه السلام: إنها لحق قد كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة .

فقال المؤمنون: يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ؟

فقال الرضا عليه السلام: من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم ، مكذب بالجنة والنار .

قال المؤمنون: ما تقول في المسوخ؟ قال الرضا عليه السلام: أولئك قوم غضب الله عليهم فمسخهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا، فما يوجد في الدنيا من القردة والخنازير وغير ذلك مما وقع عليهم إسم المسوخية ، فهو مثل ما لا يحل أكلها والإنتفاع بها .

قال المؤمنون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن ، فوالله ما يوجد العلم الصحيح إلا عند

أهل البيت وإليك انتهت علوم آبائك ، فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً .

قال الحسن بن جهم: فلما قام الرضا عليه السلام تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له: يا ابن رسول الله الحمد لله الذي وهب من جميل رأي أمير المؤمنين ، ما حمله ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك .

فقال عليه السلام: يا ابن الجهم لا يغرنك ما ألفيته عليه من إكرامي والإستماع مني فإنه سيقتلني بالسم وهو ظالم لي . ألا إني أعرف ذلك بعهد معهود إلي من آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإتكم هذا ما دمت حياً ! قال الحسن بن الجهم: فما حدثت أحداً بهذا الحديث إلى مضي عليه السلام بطوس مقتولاً بالسم ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي ، في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد إلى جانبه .).

قال المأمون: يا أبا الحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك !

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢/٢٥٥): (حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي قال: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: يُحكى عن الرضا عليه السلام خبر مختلف الألفاظ لم تقع لي روايته بإسناد أعمل عليه ، وقد اختلفت ألفاظ من رواه إلا أنني سأتى به وبمعانيه وأن اختلفت ألفاظه: كان المأمون في باطنه يجب سقطات الرضا عليه السلام وأن يعلوه المحتج وإن أظهر غير ذلك ، فاجتمع عنده الفقهاء والمتكلمون فدرس إليهم أن ناظروه في الإمامة ، فقال لهم الرضا: إقتصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه فرضوا برجل يعرف بيحيى بن الضحاك السمرقندي ، ولم يكن بخراسان مثله ، فقال له الرضا عليه السلام: يا يحيى سل عما شئت فقال: نتكلم في الإمامة كيف ادعيت لمن لم يؤم وتركت أم ووقع الرضا به؟ فقال له: يا يحيى أخبرني عن صدق كاذباً على نفسه أو كذب صادقاً على نفسه ، أيكون محقاً مصيباً أو مبطلاً مخطياً؟ فسكت يحيى فقال له المأمون: أجبه فقال: يعفني أمير المؤمنين من جوابه !

فقال المأمون: يا أبا الحسن عرفنا الغرض في هذه المسألة فقال: لا بد ليحيى من أن يخبر عن أئمتهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا؟ فإن زعم أنهم كذبوا فلا أمانة لكذاب ، وإن زعم أنهم صدقوا فقد قال أولهم: وليتكم ولست بخيركم ، وقال تاليه

كانت بيعته فلتته فمن عاد لمثلها فاقتلوه . فوالله ما رضي لمن فعل مثل فعلهم إلا بالقتل !
 فمن لم يكن خير الناس والخيرية لا تقع إلا بنعوت منها العلم ومنها الجهاد ومنها
 سائر الفضائل وليست فيه ، ومن كانت بيعته فلتته يجب القتل على من فعل مثلها ،
 كيف يقبل عهده غيره إلى غيره وهذه صورته ! ثم يقول على المنبر: إن لي شيطاناً
 يعتريني فإذا مال بي فقوموني وإذا أخطأت فأرشدوني ، فليسوا أئمة بقولهم إن صدقوا
 أو كذبوا فما عند يحيى في هذا جواب !
فعجب المأمون من كلامه وقال: يا أبا الحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك .

من رسالة المأمون الى بني العباس !

كتب لهم: (وأما ما وصفتم في أمر المخلوع وما كان فيه من لبس، فلعمري ما لبس
 عليه أحد غيركم ، إذ هونتم عليه النكث ، وزينتم له الغدر ، وقلتم له ما عسى أن
 يكون من أمر أخيك وهو رجل مغرب ومعك الأموال والرجال تبعث إليه فيؤتى
 به، فكذبتم ونسيتم قول الله تعالى: ثم بُغِيَ عليه لينصرنه الله .

وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا فما بايع له المأمون إلا
 مستبصراً في أمره عالماً بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلاً ولا أظهر عفةً ، ولا
 أروع ورعاً ، ولا أزهّد زهداً في الدنيا ، ولا أطلق نفساً ، ولا أرضى في الخاصة
 والعامّة ، ولا أشد في ذات ، منه . وإن البيعة له لموافقة رضا الرب عزّ وجلّ ، ولقد جهدت
 وما أجد في الله لومة لائم ، ولعمري لو كانت بيعتي معه محاباة لكان العباس ابني
 وسائر ولدي أحب إلى قلبي وأجلى في عيني ، ولكن أردت أمراً وأراد الله أمراً ، فلم
 يسبق أمري أمر الله ...

وأما ما ذكرتم من العثرة التي كانت في أبي الحسن عليه السلام نور الله وجهه فلعمري إنها

عندي للنهضة والاستقلال الذي أرجو به قطع الصراط والأمن والنجاة من الخوف يوم الفزع الأكبر ، ولا أظنني عملت عملاً هو عندي أفضل من ذلك إلا أن أعود بمثلها إلى مثله ، وأين لي بذلك وأنى لكم بتلك السعادة .

وأما قولكم إني سفهت آراء آبائكم وأحلام أسلافكم ، فكذلك قال مشركوا قريش: **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ .** ويلكم إن الدين لا يؤخذ إلا من الأنبياء ، فافقهوا وما أراكم تعقلون .

أقوال المأمون بعد مناظرة الإمام الرضا عليه السلام

لما قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل: الجاثليق ، ورأس الجالوت ، ورؤساء الصابئين ، والهريذ الأكبر ، وأصحاب زردهشت ، ونسطاس الرومي ، والمتكلمين ، ليسمع كلامه وكلامهم فجمعهم الفضل بن سهل ، ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم عليّ ففعل فرحب بهم المأمون ثم قال لهم: إني إنما جمعتكم لخير ، وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ ، فإذا كان بكرةً فاغدوا ولا يتخلف منكم أحد ، فقالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين نحن مبكرون إن شاء الله .

فبينما نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام إذ دخل علينا ياسر الخادم وكان يتولى أمر أبي الحسن عليه السلام فقال له: يا سيدي إن أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويقول: فذاك أخوك إنه أجمع إلى أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع الملل ، فرأيك في البكور إلينا إن أحببت كلامهم ، وإن كرهت ذلك فلا تتجشم ، وإن أحببت أن نصير إليك خف ذلك علينا ، فقال أبو الحسن عليه السلام: أبلغه السلام وقل له: قد علمت ما أردت ، وأنا صائر إليك بكرةً إن شاء الله .

قال النوفلي: فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورقه العراقي غير غليظه فما عندك في جمع ابن عمك علينا؟ أهل الشرك وأصحاب المقالات؟ فقلت: جعلت فداك يريد الإمتحان ويجب أن يعرف ما عندك ، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان ، وبئس والله ما بنى !

فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: إن أصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء، وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر ، وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهة إن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا: صحح وحدانيته . وإن قلت: إن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: أثبت رسالته ! ثم يباهتون ، وهو يبطل عليهم بحجته ويغالطونه حتى يترك قوله، فاحذرهم جعلت فداك ! قال فتبسم ثم قال لي: يا نوفلي أفتخاف أن يقطعوا على حجتي؟ فقلت: لا والله ما خفت عليك قط، وإني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله تعالى .

فقال لي: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم، قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم ، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وعلى أهل الزبور بزبورهم ، وعلى الصابئين بعبرانيتهم ، وعلى أهل الهرا بذه بفارسيتهم ، وعلى أهل الروم بروميتهم ، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم! فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع إلى قولي ، علم المأمون الموضع الذي هو سبيله ليس بمستحق له ، فعندئذ تكون الندامة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك إن ابن عمك ينتظرك وقد اجتمع القوم فما رأيك في إتيانه؟ فقال له الرضا عليه السلام: تقدمني فإني صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله ، ثم توضأ وضوء للصلاة وشرب شربه سويق وسقانا منه ، ثم خرج

وخرجنا معه حتى دخلنا على المأمون ، وإذا المجلس غاص بأهله ومحمد بن جعفر وجماعة من الطالبين والهاشميين والقواد حضور، فلما دخل الرضا عليه السلام قام المأمون وقام محمد بن جعفر وجميع بني هاشم فما زالوا وقوفاً والرضا جالس مع المأمون ، حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا ، فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدثه ساعة ، ثم التفت إلى الجاثليق فقال: يا جاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبينا ، وابن علي بن طالب صلوات الله عليهم ، فأحب أن تكلمه أو تحاجه وتنصفه (...).

قال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن ..

كرر ذلك المأمون في مناظرات الإمام الرضا عليه السلام وغيرها . وفي العيون (٢/٢١٧): قال الحسن بن جهم: فلما قام الرضا عليه السلام تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له: يا بن رسول الله الحمد لله الذي وهب من جميل رأي أمير المؤمنين عليه السلام ما حمله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك .

فقال: يا ابن الجهم لا يغرنك ما ألفتته عليه من إكرامي والإستماع مني ، فإنه سيقطنني بالسم وهو ظالم ألا إني أعرف ذلك بعهد معهود إلي من آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإتكم هذا ما دمت حياً . قال الحسن بن الجهم: فما حدثت أحداً بهذا الحديث إلى مضي عليه السلام بطوس مقتولاً بالسم ، ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي ، في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد إلى جانبه .

قال المأمون: فرجت عني فرج الله عنك

قال الإمام الرضا عليه السلام: وأما قوله عز وجل: لِيُبْلُوَكُمْ أَنِ كُنْتُمْ عَمَلًا ، فإنه عز وجل خلقهم ليلوهم بتكليف طاعته وعبادته ، لا على سبيل الإمتحان والتجربة ، لأنه لم يزل علياً

بكل شيء . فقال المأمون : فرجت عني يا أبا الحسن فرج الله عنك).
وقد قالها المأمون في مناسبات أخرى .

قال المأمون: أمرني سيدي أبو الحسين!

ولما جاء الفضل ورأى المأمون يتهيأ للسفر الى بغداد فقال له: يا أمير المؤمنين ما هذا الرأي الذي أمرت به؟ قال: أمرني سيدي أبو الحسن بذلك وهو الصواب.
فقال: يا أمير المؤمنين ما هذا الصواب؟ قتلت بالأمس أخاك وأزلت الخلافة وبنو أبيك معادون لك... الخ!

لما كتب المأمون كتاب الحبوة للفضل بن سهل

أني قد حبوتك بكذا وكذا من الأموال والضياع والسلطان وبسط له الدنيا أمله . فقال ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين نحب أن يكون خط أبي الحسن عليه السلام في هذا الأمان يعطينا ما أعطيت فإنه ولي عهدك ، فقال المأمون: علمت أن أبا الحسن عليه السلام قد شرط علينا أن لا يعمل من ذلك شيئاً ولا يحدث حدثاً فلا نسأله ما يكرهه فسله أنت ، فإنه لا يأبى عليك في هذا .

فجاء واستأذن أبا الحسن عليه السلام قال ياسر: فقال لنا الرضا عليه السلام : قوموا تنحوا فتنحينا ، فدخل فوقف بين يديه ساعة فرفع أبو الحسن رأسه إليه فقال له: ما حاجتك يا فضل؟ قال: يا سيدي هذا أمان ما كتبه لي أمير المؤمنين وأنت أولى أن تعطينا مثل ما أعطى أمير المؤمنين إذ كنت ولي عهد المسلمين له ، فقال الرضا عليه السلام إقرأه وكان كتاباً في أكبر جلد ، فلم يزل قائماً يقرؤه ، فلما فرغ قال له أبو الحسن الرضا عليه السلام : يا فضل لك علينا هذا ما اتقيت الله عز وجل . قال ياسر: فنغض عليه أمره في كلمة واحدة !

قتل المأمون الفضل فحاصره أتباعه فاستغاث بالإمام عليه السلام

فإذا نحن بالمأمون قد دخل من الباب الذي كان إلى داره من دار أبي الحسن وهو يقول:
يا سيدي يا أبا الحسن آجرك الله في الفضل فإنه قد أبى وكان دخل الحمام فدخل عليه
قوم بالسيوف فقتلوه وأخذ ممن دخل عليه ثلاث نفر كان أحدهم ابن خاله الفضل
ابن ذي القلمين قال: فاجتمع الجند والقواد ومن كان من رجال الفضل على باب
المأمون فقالوا: هذا اغتاله وقتله يعنون المأمون ولنطلبن بدمه وجاؤوا بالنيران
ليحرقوا الباب!

فقال المأمون لأبي الحسن عليه السلام يا سيدي ترى أن تخرج إليهم وتفرقهم؟

قال فقال ياسر: فركب أبو الحسن وقال لي: إركب فركبت فلما خرجنا من باب الدار
نظر إلى الناس وقد تراحموا ، فقال لهم بيده تفرقوا تفرقوا.
قال ياسر: فأقبل الناس والله يقع بعضهم على بعض وما أشار إلى أحد إلا ركض
ومرّ! أي استعمل الإمام الرضا عليه السلام المعجزة وصرّفهم عما جاؤوا له!

لما رأى المأمون الآيات التي أخبر عنها الرضا في دفنه

اعترف المأمون بمعجزات الإمام عليه السلام وآياته فقال: لم يزل الرضا يرينا عجائبه في
حياته، حتى أرانها بعد وفاته أيضاً. وكان إذا سمع أن الإمام الرضا عليه السلام أمر بشيء في
مراسم دفنه قال: إعملوا بما قال.

ثم قال لهرثمة: أسألك بالله يا هرثمة لما صدقتني عن أبي الحسن قدس الله روحه بما
سمعت منه قال: فقلت قد أخبرتك يا أمير المؤمنين بما قال لي ، فقال: بالله إلا ما
صدقني عما أخبرك به غير هذا الذي قلت لي .





الفصل الثالث عشر

نتائج ولاية العهد على الأمة

كل شيء في الكون بتخطيط إلهي!

كل ما يجري في هذا الكون بخطة مقررّة ومكتوبة من الله تعالى: وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

والخطط الربانية في الإنسان أعمق منها في غيره وأدق لأنه أفضل، والخطة في الأنبياء والأوصياء عليهم السلام أكثر عمقاً ودقة، لأنهم الأفضل والأهم.

وقد شاء الله أن يكون منهم من يلقونه في النار ولا يحترق وهو إبراهيم عليه السلام، وأن يكون منهم من يُسخر له بعض قوى الطبيعة كسليمان عليه السلام.

وأن يكونوا حكماً كنبينا صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام، ليرى الناس عدل السيرة.

وأن يكون منهم مبسوط اليد في البيان ليظهر للناس العلم الرباني كالإمام الرضا عليه السلام، فأدهش القريب والبعيد، وترسخت قناعة المأمون بأن بني علي عندهم العلم النبوي الصحيح، ويجب الاستفادة منهم، وتأكد لديه رأيه بالخطأ الفادح الذي وقع فيه أبوه وأجداده في اضطهاد العلويين وتقتيلهم.

بشر الإمام الصادق بالإمام الرضا وبركاته على الأمة عليها السلام

في عيون أخبار الرضا عليه السلام (٣٣/٢): (عن يزيد بن سليط الزيدي قال: لقينا أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة ونحن جماعة فقلت له: بأبي أنت وأمي أنتم الأئمة المطهرون ، والموت لا يعرى أحد منه فأحدث إليّ شيئاً ألقيه إلى من يخلفني . فقال لي: نعم هؤلاء ولدي وهذا سيدهم ، وأشار إلى ابنه موسى عليه السلام وفيه العلم والحكم والفهم والسخاء والمعرفة ، بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ، وفيه حسن الخلق ، وحسن الجوار ، وهو باب من أبواب الله تعالى عزَّجَلَّ ، وفيه أخرى هي خير من هذا كله . فقال له أبي: وما هي بأبي أنت وأمي ؟ قال: يخرج الله منه عزَّجَلَّ غوث هذه الأمة وغيائها وعلماها ونورها وفهمها وحكمها ، وخير مولود وخير ناشئ ، يحقن الله الدماء ويصلح به ذات البين، ويلم به الشعث ويشعب به الصدع ، ويكسو به العاري ويشبع به الجائع، ويؤمن به الخائف ، وينزل به القطر، ويأتمر العباد، خير كهل وخير ناشئ ، يبشر به عشيرته أو ان حلمه ، قوله حكم وصمته علم ، يبين للناس ما يختلفون فيه . قال: فقال أبي: بأبي أنت وأمي، فيكون له ولد بعده ؟ فقال: نعم...).

نتائج ولاية العهد على العلويين

قال الإمام الرضا عليه السلام في خطبة ولاية العهد يصف تكريم المأمون للعلويين ، ونصبه إياه ولي عهد: أقول وأنا علي بن موسى الرضا بن جعفر: إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووقفه للرشاد ، عرف من حقنا ما جهله غيره ، فوصل أرحاماً قطعت ، وآمن نفوساً فزعت ، بل أحيها وقد تلفت !

١. بل أحيها وقد تلفت ! هكذا كانت حال عامة العلويين ! فقد كان أبوه هارون الى

الأمس يضطهدهم ويتبعهم ويقتلهم !

قال الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام (١/١٠٠): (ذكر من قتله الرشيد من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتله لموسى بن جعفر عليه السلام بالسم ، في ليلة واحدة سوى قتل منهم في سائر الأيام والليالي:

حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن البزاز قال: حدثنا أبو طاهر الساماني قال: حدثنا أبو القاسم بشر بن محمد بن بشير قال: حدثني أبو الحسين أحمد بن سهل بن ماهان قال: حدثني عبيد الله البزاز النيسابوري وكان مسناً قال: كان بيني وبين حميد بن قحطبه الطائي الطوسي معاملة فرحلت إليه في بعض الأيام فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعليّ ثياب السفر لم أغيرها ، وذلك في شهر رمضان وقت صلاه الظهر ، فلما دخلت عليه رأيته في بيت يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلست فأتني بطشت وإبريق فغسل يديه ثم أمرني فغسلت يدي ، وأحضرت المائدة وذهب عني أني صائم وأنا في شهر رمضان ، ثم ذكرت فأمسكت يدي فقال لي حميد: ما لك لا تأكل؟ فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علة توجب الإفطار ، ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الإفطار فقال: ما بي علة توجب الإفطار وإني لصحيح البدن ثم دمعت عيناه وبكى! فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير؟ فقال: أنفذ هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب ، فلما دخلت عليه رأيته بين يديه شمعه تتقد وسيفاً أخضر مسلولاً ، وبين يديه خادم واقف ، فلما قمت يديه رفع رأسه إلى فقال: كيف طاعتك لأمر المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال ، فأطرق ثم أذن لي في الإنصراف فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إليّ وقال: أجب أمير المؤمنين فقلت في نفسي: إنا لله أخاف يكون قد عزم على قتلي وإنه لما رأيني أستحيى مني ، قعدت إلى بين يديه فرفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأمر المؤمنين فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد! فتبسم ضاحكاً ثم أذن

لي في الإنصراف ، فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد إلى الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين فحضرت بين يديه وهو على حاله فرفع رأسه إليّ وقال لي: كيف طاعتك لأمر المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين ! فضحك ثم قال لي: خذ هذا السيف وامثل ما يأمرك به الخادم قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه وثلاثة بيوت (غرف) أبوها مغلقة ، ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون ، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة ! فجعل يخرج إلي واحد بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم ! ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر ، ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلوية من ولد علي وفاطمة مقيدون، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء فجعل يخرج إلي واحد بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر حتى أتيت إلى آخرهم ، ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة مقيدون عليهم الشعور والذوائب فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضاً ! فجعل يخرج إلي واحد بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم وبقي شيخ منهم عليه شعر فقال لي: تبا لك يا ميشوم ! أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت عليه جدنا رسول الله ﷺ وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولد لهم علي وفاطمة عليهما السلام ! فارتعشت يدي وارتعدت فراصي فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني فأتيت على ذلك الشيخ أيضاً فقتلته ورمى به في تلك البئر!

فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله ، فما ينفعني صومي وصلاتي! وأنا لا أشك أي مخلد في النار !

٢. قال الصدوق عليه السلام (للمنصور مثل هذه الفعلة في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله: حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين البزاز قال... إنه لما بنى المنصور الأبنية ببغداد جعل يطلب العلوية طلباً شديداً ويجعل من ظفر منهم في الأسطوانات المجوفة المبنية من الجص والأجر فظفر ذات يوم بسلام منهن حسن الوجه عليه شعر أسود من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب ، فسلمه إلى البناء الذي كان يبني له ، وأمره أن يجعله في جوف أسطوانة ويبني عليه ، ووكّل عليه من ثقافته من يراعي ذلك حتى يجعله في جوف أسطوانة بمشاهدة فجعله البناء في جوف أسطوانة فدخلته رقه عليه ورحمه له ، فترك في الأسطوانة فُرْجَةً يدخل منها الروح ، فقال للغلام: لا بأس عليك فاصبر فإني سأخرجك من جوف هذه الأسطوانة إذا جن الليل ، فلما جن الليل جاء البناء في ظلمه فأخرج ذلك العلوي من جوف تلك الأسطوانة وقال له: إتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي وغيب شخصك ، فإني إنما أخرجتك ظلمة هذه الليلة من جوف هذه الأسطوانة لأني خفت إن تركتك في جوفها أن يكون جدك رسول الله يوم القيامة خصمي بين يدي الله عز وجل ، ثم أخذ شعره بآلات الجصاصين كما أمكن وقال: غيب شخصك وانج بنفسك ولا ترجع إلى أمك . فقال الغلام: فإن كان هذا هكذا فعرفّ أمي أنني قد نجوت وهربت ، لتطيب نفسها ويقل جزعها وبكاؤها، وإن لم يكن لعودي إليها وجه ، فهرب الغلام ولا يدرى أين قصد من وجه أرض الله تعالى ولا إلى أي بلد وقع! قال ذلك البناء: وقد كان الغلام عرفني مكان أمه وأعطاني العلامة فأنهيت إليها في الموضع الذي دلني عليه فسمعت دويّاً كدوي النحل من البكاء فعلمت أنها أمه، فدنوت منها وعرفتها خبر ابنها وأعطيتها شعره وانصرفت!)

٣. بعد ثورة الحسينيين تبني المنصور الدوانيقي إبادة بني علي عليه السلام عن بكرة أبيهم!

« عن محمد الإسكندري قال: دخلت يوماً على أبي جعفر الدوانيقي وإذا هو يفرك يديه ويتنفس تنفساً بارداً فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه الفكرة؟ فقال: يا محمد إني قتلت من ذرية فاطمة بنت رسول الله ألفاً أو يزيدون وقد تركت سيدهم! فقلت له: ومن ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذلك جعفر بن محمد! (دلائل الإمامة/ ٢٩٨، ومهج الدعوات/ ١٨، وعيون المعجزات/ ٨٠).

وقال الطبري (٣٤٤/٦): (لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي، وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأيمان لا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحداً إلا المهدي ولا هي، إلا أن يصح عندها موته، فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معها ثالث حتى يفتح الخزانة، فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحها ولا يطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته، فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة فإذا أزج (مثلث) كبير فيه جماعة من قتلاه الطالبين وفي آذانهم رقع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى! وأمر فنحرت لهم حفيرة فدفنوا فيها!) فلم يطع المهدي وصية أبيه المنصور الدوانيقي، لكن ابنه موسى الهادي تبنى سياسة جده، وتابع إبادة أبناء علي وفاطمة عليهما السلام!

٤. ثم جاء هارون وتبنى سياسة جده الدوانيقي وأخيه موسى! وبالأمس كان موقف

الإمام الرضا عليه السلام التاريخي مع الجلودي!

قال الصدوق في العيون (١٧٢/٢): (وكان الجلودي في خلافة الرشيد لما خرج محمد بن

جعفر بن محمد بالمدينة ، بعثه الرشيد وأمره إن ظفر به أن يضرب عنقه ، وأن يغير على دور آل أبي طالب ، وأن يسلب نساءهم ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوباً واحداً ! ففعل الجلودي ذلك ، وقد كان مضى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فصار الجلودي إلى باب دار أبي الحسن الرضا هجم على داره مع خيله، فلما نظر إليه الرضا جعل النساء كلهن في بيت ووقف على باب البيت، فقال الجلودي لأبي الحسن عليه السلام : لا بد من أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني أمير المؤمنين، فقال الرضا عليه السلام : أنا أسلبهن لك وأحلف أني لا أدع عليهن شيئاً إلا أخذته فلم يزل يطلب إليه ويحلف له حتى سكن فدخل أبو الحسن الرضا عليه السلام فلم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن وخلا خيلهن وأزرارهن إلا أخذهن منهن، وما كان في الدار من قليل وكثير!

فلما كان في هذا اليوم (يوم أحضره المأمون ليرى رأيه في ولاية العهد) وأدخل الجلودي على المأمون قال الرضا عليه السلام : يا أمير المؤمنين هب لي هذا الشيخ ! (وقصده أن يخلصه ويعفو عنه) فقال المأمون: يا سيدي هذا الذي فعل بنات محمد صلى الله عليه وآله ما فعل من سلبهن! فنظر الجلودي إلى الرضا عليه السلام وهو يكلم المأمون ويسأله عن أن يعفو عنه ويهبه له، فظن أنه يعين عليه لما كان الجلودي فعله فقال: يا أمير المؤمنين أسألك بالله وبخدمتي الرشيد لا تقبل قول هذا فيّ فقال المأمون: يا أبا الحسن قد استعفى ونحن نبر قسمه ! لا والله لا أقبل فيك قوله ! ألحقوه بصاحبيه ، فقدم فضرب عنقه).

٥. هكذا كانت حال أبناء علي وفاطمة عليهما السلام ، وهذا هو الذي دفعهم الى الثورة على العباسيين، حتى جاء عهد المأمون فغير سياسة الخلافة معهم كلياً فتنفس العلويون الصعداء ، وصاروا موضع احترام المأمون وإكرامه ! وكان يقول إنهم بنو عمنا ، ويجب أن نصل رحمهم !

وكفى بهذا بركة لقبول الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد ، ولو لم يقبل الإمام الرضا عليه السلام فربما قتله المأمون وعاد الى سياسة إبادة العلويين !

كانت ولاية العهد فرصة لإظهار علم أهل البيت عليهم السلام

كانت ولاية عهد الإمام الرضا عليه السلام على قصر مدتها فرصة لإظهار الحق للأمة وللعلم ، وإثبات أن الأئمة المعصومين من ذرية النبي صلى الله عليه وآله هم معدن العلم ، وورثة الكتاب ، لا يبلغ مستواهم أحد في كل العلوم !

أما نحن الشيعة فنعتقد بذلك وإن لم يظهر لنا ، لكن الذي حدث في هاتين السنتين من ولاية الإمام الرضا عليه السلام أن ذلك ظهر للمأمون ومن حوله ، ثم ظهر للعالم لما جمع له المأمون رؤساء الأديان والمذاهب الدينية والمادية ، وطلب منهم أن يناظروه ، فكلهم كلاً بلغته وبمصطلحاته !

لقد احتج الرضا عليه السلام على أهل التوراة بتوراتهم وقرأ لهم منها بلغتهم وطريقتهم . واحتج على أهل الإنجيل بإنجيلهم وقرأ لهم منه بطريقتهم ، فظهر لهم أنه أعلم منهم بالتوراة والإنجيل ، واحتج على الدهرية بلغتهم وبين لهم بطلان حججهم . واحتج على المتكلمين بأصول كلامهم وأفحمهم واحتج على المنجمين بمصطلحاتهم بدون كتاب ولا إسطرلاب .

وقال له عمران الصابي الملحد: يا عالم الناس.. وقال الإمام عليه السلام لجاثليق النصارى: يا نصراني إني أسألك بحق المسيح وأمه ، أتعلم أي عالم بالإنجيل؟ قال: نعم؟ لقد بان لي علمك بالإنجيل !

إن هذه الحقيقة المهمة في مذهب الشيعة لم تكن لتظهر لعموم الناس لولا ولاية العهد،

والفرصة التي وفرتها بمناظرة كبار علماء الأمم . وإن كان غرض المأمون أن يجد أحداً أعلم من الإمام عليه السلام فيغلبه فيسقط اجتماعياً !

وبعد مناظرات الإمام الرضا عليه السلام وما ظهر من علمه في طوس ، تغيرت نظرة أهل المذاهب الإسلامية ، بل ونظرة غير المسلمين الى الشيعة ومذهبهم وأئمتهم عليهم السلام ، فقد رأوا مستوى من العلم لا يعرفونه في كل علمائهم !
فهذه بركة كبرى من ولاية العهد ، عرّفت الناس بأن أهل البيت عندهم العلم الصحيح كما كان يقول هارون والمأمون ، ولا يوجد عند غيرهم !

انتهت حملات الإبادة ضد لشيعة في الخلافة العباسية !

فقد بدأت حرب الإبادة الإجتماعية ضدهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعزلهم عن الخلافة وجميع مناصبها ووظائفها ، وعن مواقع الحياة العامة .
والى جانب الإبادة الإجتماعية ، قرر معاوية إبادتهم حسيماً فتواصلت حملاته عليهم وعلى شيعتهم .

ثم بدأت حملات الإبادة العباسية على يد المنصور الدوانيقي ، ثم حفيده موسى الهادي ، ثم أخيه هارون حتى أوقفها المأمون واستبدلها بصلتهم وإكرامهم ، وإعطائهم بعض المناصب . وعلى نهجه سار المعتصم والواثق .

ولما جاء المتوكل كان حاقداً على أهل البيت وشيعتهم ، ناصبياً خبيثاً يقيم مجلساً للطعن والسخرية بأمر المؤمنين عليهم السلام ويأمر جواريه بالغناء بسبه ولعنه ، وقد اضطهد الشيعة لكنه لم يجد سياسة إبادتهم ، بل اضطر الى مداراة الإمام الهادي عليه السلام في الظاهر وعمل لقتله بالسم !

ثم واجه الشيعة مر التاريخ حملات إبادة عديدة ، كحملة صلاح الدين في مصر ،
وحملة الخلافة العثمانية في داخل تركيا وخارجها ، وحملة الوهابية على شيعة الحجاز ،
وأخيراً حملات الدواعش لإبادة الشيعة حيثما استطاعوا خاصة شيعة أفغانستان
المعروفين بإسم قبائل الهزارة .

صارت أقوال المأمون في التشيع والإمام الرضا والجواد حجة للشيعة

وقد تقدمت أقواله وهي من أعظم الشهادات التاريخية في أحقية أئمة العترة
النبية عليهم السلام ومذهبهم ومكانه شيعتهم ، صدرت من أعلم الخلفاء العباسية
والأموية، بل من الأعلم كافة الخلفاء .

وكذلك شهاداته في حق الإمام الرضا والإمام الجواد ، وأنها من أئمة آل الرستل
الذين لا يحتاجون الى تعليم لأن علمهم من الله تعالى ومما آتاهم من علم القرآن ، وما
ورثوه من جدتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وموارث الأنبياء عليهم السلام .

وقد صارت شهاداته حجة قوية للشيعة على أحقية مذهبهم ، بل وصارت حجة لغير
الشيعة على المتطرفين من خصوم الشيعة .

بالغ المأمون في إظهار حزنه على الإمام الرضا عليه السلام

وقال اليعقوبي (٢/٤٥٣) (حدثني أبو الحسن بن أبي عباد قال: رأيت المأمون يمشي في
جنازة الرضا عليه السلام ، حاسراً في مبطنة بيضاء ، وهو بين قائمتي النعش يقول: إلى من
أروح بعدك يا أبا الحسن ، وأقام عند قبره ثلاثة أيام ، يؤتى في كل يوم برغيف وملح
فيأكله ، ثم انصرف في اليوم الرابع!) وهذا تمثيل وفجور لا مثيل له !

قتل الإمام الرضا عليه السلام وبكي عليه

قال الطوسي في الغيبة/ ٧٤: (روى محمد بن عبد الله بن الحسن الأفطس قال: كنت عند المأمون يوماً ونحن على شراب ، حتى إذا أخذ منه الشراب مأخذه صرف ندماءه واحتبسني ، ثم أخرج جواريه ، وضربن وتغنين ، فقال لبعضهن: بالله لما رثيت من بطوس قطنا ، فأنشأت تقول:

سقياً لطوس ومن أضحى بها قطنا من عترة المصطفى أبقي لنا حزنا

أعني أبا حسن المأمون إن له حقاً على كل من أضحى بها شجنا

قال محمد بن عبد الله: فجعل يبكي حتى أبكاني ثم قال لي: ويلك يا محمد أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن أنصب أبا الحسن علماً ، والله إن لو بقي لخرجت من هذا الأمر ولأجلسته مجلسي غير أنه عوجل ، فلعن الله عبد الله وحمزة ابني الحسن فإنهما قتلاه . ثم قال لي: يا محمد بن عبد الله ، والله لأحدثك بحديث عجيب فاكتمه ، قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: لما حملت زاهرية ببدر أتيته فقلت له: جعلت فداك بلغني أن أبا الحسن موسى بن جعفر ، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن علي ، وعلي بن الحسين ، والحسين بن علي عليه السلام كانوا يزجرون الطير ولا يخطؤون ، وأنت وصي القوم ، وعندك علم ما كان عندهم ، وزاهرية حظيتي ومن لا أقدم عليها أحداً من جواربي ، وقد حملت غير مرة كل ذلك يسقط، فهل عندك في ذلك شيء ننتفع به؟ فقال: لا تخش من سقطها ، فستسلم وتلد غلاماً صحيحاً مسلماً ، أشبه الناس بأمه قد زاده الله في خلقه مرتبتين ، في يده اليمنى خنصر وفي رجله اليمنى خنصر. فقلت في نفسي هذه والله فرصة إن لم يكن الأمر على ما ذكر خلعتة ، فلم أزل أتوقع أمرها حتى أدركها المخاض فقلت للقيمة: إذا وضعت فجيئني بولدها ذكراً كان أو أنثى،

فما شعرت إلا بالقيمة وقد أتتني بالغلام كما وصفه زائد اليد والرجل ، كأنه كوكب دري ، فأردت أن أخرج من الأمر يومئذ وأسلم ما في يدي إليه فلم تطاوعني نفسي ، لكنني دفعت إليه الخاتم. فقلت: دبر الأمر فليس عليك مني خلاف أنت المقدم ، وبالله أن لو فعل لفعلت). أي لم يقبل ، ولو قبل لقبلت ! وهذا تصديق الحديث القدسي أن المأمون عفريت !

شهد المأمون بهلاك أبيه وسوئه

لما قدم دعبيل على المأمون وأمنه ، استنشده القصيدة الكبيرة:

تأسفت جارتني لما رأت زوري وعدت اللحم ذنباً غير مغتفر
فأنكرها ، فقال المأمون: لك الأمان أيضاً على إنشادها ، فأنشدها حتى إذا بلغ:

يا أمة السوء ما جازيت أحمد عن	حسن البلاء على التنزيل والسور
خلفتموه على الأبناء حين مضى	خلافه الذئب في أبقار ذي بقر
قتل وأسْرٌ وتحريرٌ ومنهبةٌ	فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا	ولا أرى لبني العباس من عُذْر
قومٌ قتلتم على الإسلام أولهم	حتى إذا استمكنوا جازوا على الكُفْر
قبران في طوس خير الناس كلهم	وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قبر الزكي ولا	على الزكي بقبر الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت	يداه فخذ ما شئت أو فذر

قال: فضرب المأمون بعمامته إلى الأرض وقال: صدقت يا دعبيل!

كشف الإمام فساد حكم الخلافة بشرطه عدم التدخل!

روى في عيون أخبار الرضا عليه السلام (١٧٧/٢): (عن معمر بن خلاد قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام، قال لي المأمون يوماً: يا أبا الحسن أنظر بعض من تثق به نوليه هذه البلدان التي قد فسدت علينا. فقلت له: تفي لي وأوفي لك فإنني إنما دخلت فيما دخلت على أن لا أمر فيه ولا أنهة ولا أعزل ولا أولي ولا أشير حتى يقدمني الله قبلك، فوالله إن الخلافة لشيء ما حدثت به نفسي، ولقد كنت بالمدينة أتردد في طرقها على دابتي، وإن أهلها وغيرهم يسألوني الحوائج فأقضيها لهم فيصيرون كالأعمام لي، وإن كتبي لنافذة في الأمصار، وما زدني من نعمة هي علي من ربي! فقال له: أفي لك).

وقال للمأمون يحثه على التحرر من الفضل والسفر الى بغداد: يا أمير المؤمنين إتق الله في أمة محمد صلى الله عليه وآله وما ولاك الله من هذا الأمر وخصك به، فإنك قد ضيعت أمور المسلمين وفوضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله، وقعدت في هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحي، وإن المهاجرين والأنصار يُظلمون دونك ولا يُرَقب في مؤمن ولا ذمة، ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته، ولا يجد من يشكو إليه حاله ولا يصل إليك، فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمور المسلمين، وارجع إلى بيت النبوة، ومعدن المهاجرين والأنصار).





الفصل الرابع عشر

بعده الأنبياء الأطفال بعث الله أئمة أطفالاً !

صار الناس ينظرون بإجلال وتقديس للأئمة وأطفالهم

شاء الله تعالى أن يكون المأمون هو المنظر لإمامة (الأطفال) من أئمة أهل البيت عليهم السلام فكان يؤكد على حقيقة أن علياً وأبناءه عليهم السلام خلّو من الناس حتى أطفالهم ! أي لا يقاسون بالناس ، وهم يلهمون العلم من الله بدون معلم !

فبعد مناظرة الإمام الرضا عليه السلام لرؤساء الأديان والمذاهب ، ورووا أن المأمون (أخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد ، وكان حاضر المجلس وتبعتهما فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك ؟ فقال: عالم ، ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم . فقال المأمون: إن ابن أخيك من أهل بيت النبي الذين قال فيهم: ألا إن أبرار عترتي وأطياب أرومتي أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً ، لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، لا يخرجونكم من باب هدى ، ولا يدخلونكم في باب ضلال)!

واحتج المأمون على بني العباس بمحمد الجواد عليه السلام وكان عمره دون العشر سنين ، وتحداهم بعلمه الذي وهبه الله إياه ، وأنه في صغر سنه أعلم من كل الفقهاء !

وحضر العباسيون ليروا علم الجواد عليه السلام فقال قال قاضي القضاة يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟

فقال له المأمون: إستأذنه في ذلك ، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت

فذاك في مسألة؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت .

قال يحيى: ما تقول جعلت فذاك في محرم قتل صيداً؟

فقال له أبو جعفر: قتله في حل أو حرم؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حراً كان المحرم أم عبداً؟ صغيراً كان أم كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم كبارها؟ مصراً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟ فتحير يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والإنقطاع، ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي. ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه! ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال له المأمون: أخطب، جعلت فذاك لنفسك، فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي، وإن رغم قوم لذلك .

إنها إرادة إلهية أن تبدأ مرحلة (إمامة الأطفال) بطفل يعتقد به الخليفة العباسي ويقدهسه ويتحدى به! فرأى الناس أن الله يؤتي الحكم لصبي من أهل البيت عليه السلام كما أتى الحكم لعيسى ويحيى في صباهم عليه السلام!

وقد مهد المأمون بذلك لإمامة الجواد بل لإمامة الإمام علي الهادي والإمام المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام وصار الشيعة يجاهرون بأن إمامهم صبي دون العاشرة ويفتخرون بالجواد كما افتخر به المأمون . وهذا من بركات ولاية عهد الإمام الرضا عليه السلام .

شق الإمام الجواد عليه السلام طريقه في الإمامة بسهولة!

أوصى الإمام الرضا بولده الجواد عليه السلام ونص على أنه الإمام بعده ، وهذا منسجم مع مذهب أهل البيت عليه السلام وأن الإمامة بعد الحسين عليه السلام تكون في ذريته ولداً عن والد ، ولا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليه السلام . ولم يكن للإمام الرضا ولد غيره فبتعين أن يكون هو الإمام بعد أبيه عليه السلام .

قال الطبري الشيعي في دلائل الإمامة/ ٣٨٨: (وحدثني أبو الفضل محمد بن عبد الله قال: حدثني أبو النجم بدر بن عمار الطبرستاني قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي قال: روى محمد بن المحمودي عن أبيه قال: كنت واقفاً على رأس الرضا عليه السلام بطوس فقال له بعض أصحابه: إن حدث حدث فإلى من؟ قال: إلى ابني أبي جعفر . قال: فإن استُصغر سنه؟ فقال له أبو الحسن: إن الله بعث عيسى بن مريم عليه السلام قائماً بشريعته في دون السن التي يقوم فيها أبو جعفر على شريعته).

وقبل عامة الشيعة وصية الإمام الرضا عليه السلام وأسكتوا من شذ، فقد اجتمع علماءهم ووجهائهم في بغداد بعد شهادة الرضا عليه السلام . وقد كتبنا ذلك في سيرة الإمام محمد الجواد عليه السلام بعنوان: مؤتمر علماء الشيعة على أثر وفاة الإمام الرضا عليه السلام جاء فيه:

قال الطبري الشيعي في دلائل الإمامة/ ٣٨٩: (فلما مضى الرضا وذلك في سنة اثنتين ومائتين وسن أبي جعفر عليه السلام ست سنين وشهور، واختلف الناس في جميع الأمصار، اجتمع الريان بن الصلت وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن عبد الرحمن، وجماعة من وجوه العصابة في دار عبد الرحمن بن الحجاج، في بركة زلزل يبكون ويتوجعون من المصيبة ، فقال لهم يونس: دعوا البكاء، من لهذا الأمر يفتي بالمسائل إلى أن يكبر هذا الصبي يعني أبا جعفر عليه السلام ! وكان له ست سنين وشهور، ثم قال: أنا ومن مثلي! فقام إليه الريان بن الصلت فوضع يده في

حلقة ، ثم قال له: إن كان أمرٌ من الله جل وعلا، فابن يومين مثل ابن مائة سنة ، وإن لم يكن من عند الله ، فلو عمر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة عليهم السلام أو ببعضه ، أو هذا مما ينبغي أن ينظر فيه ؟ وأقبلت العصابة على يونس تعذله !

وقرب الحج واجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلماءهم ثمانون رجلاً ، وخرجوا إلى المدينة ، وأتوا دار أبي عبد الله عليه السلام فدخلوها ، وبسط لهم بساط أحمر وخرج إليهم عبدالله بن موسى فجلس في صدر المجلس ، وقام مناد فنادى: هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أراد السؤال فليسأل . فقام إليه رجل من القوم فقال له: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟ قال: طلقت ثلاثاً دون الجوزاء ! فورد على الشيعة ما زاد في غمهم وحزنهم !

ثم قام إليه رجل آخر فقال: ما تقول في رجل أتى بهيمة ؟ قال: تقطع يده ، ويجلد مائة جلدة وينفى . فضج الناس بالبكاء . فهم في ذلك إذ فتح باب من صدر المجلس ، وخرج موفق (الخادم) ثم خرج أبو جعفر عليه السلام وعليه قميصان وإزار وعمامة بذؤابتين إحداهما من قدام ، والأخرى من خلف ونعل بقبالين ، فجلس وأمسك الناس كلهم ، ثم قام إليه صاحب المسألة الأولى ، فقال: يا ابن رسول الله ، ما تقول فيمن قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟ فقال له: يا هذا اقرأ كتاب الله ، قال الله تبارك وتعالى: الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ . قال: فإن عمك أفناني بكَيْتَ وكَيْتَ . فقال له: يا عم إتق الله ، ولا تفت وفي الأمة من هو أعلم منك . فقام إليه صاحب المسألة الثانية فقال له: يا ابن رسول الله ، ما تقول في رجل أتى بهيمة ؟ فقال: يعزر ويحى ظهر البهيمة وتخرج من البلد ، لا يبقى على الرجل عارها . فقال:

إن عمك أفتاني بكيت وكيت !

فالتفت وقال بأعلى صوته: لا إله إلا الله ، يا عبد الله إنه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يدي الله فيقول لك: لم أفتيت عبادي بما لاتعلم ، وفي الأمة من هو أعلم منك؟ فقال له عبد الله بن موسى: رأيت أخي الرضا عليه السلام وقد أجاب في هذه المسألة بهذا الجواب! فقال له أبو جعفر عليه السلام: إنما سئل الرضا عليه السلام عن نباش نبش قبر امرأة ففجر بها وأخذ ثيابها فأمر بقطعه للسرقة وجلده للزنا ، ونفيه للمثلة . ففرح القوم).

ورواه في عيون المعجزات/ ١٠٩، وليس فيه غضب الريان على يونس، وفيه: (فقام صاحب المسألة فسأله عن مسائله فأجاب عنها بالحق ففرحوا. وكان إسحاق بن إسماعيل ممن حج في جملتهم في تلك السنة قال إسحاق: فأعددت له في رقعة عشر مسائل، وكان لي حمل فقلت في نفسي: إن أجابني عن مسائلي سألته أن يدعو الله أن يجعله ذكراً فلما ألق عليه الناس بالمسائل وكان يفتي بالواجب فقمتم لأخفف والرقعة معي لأسأله في غد عن مسائلي، فلما نظر إليّ قال: يا إسحاق قد استجاب الله دعائي فسمه أحمد، فقلت: الحمد لله هذا هو الحجة البالغة ، وانصرف إلى بلده فولد له ذكراً فسماه أحمد!) أقول: يدل ذلك على أن علماء الشيعة ووجهاءهم يعتقدون بتسلسل الأئمة في عقب الحسين عليه السلام وفي نفس الوقت يطلبون إثبات صفات الإمام وأولها العلم ، فلم يجدوه عند أخ الإمام الرضا عليه السلام عبد الله بن موسى ، وكانت تدعى له الإمامة !

ولما رأوا علم الإمام الجواد وتطابقه مع علم آباءه الأئمة عليهم السلام اطمأنوا .

ومن طرائف الموضوع أن رجلاً من الشيعة من واسط كان يعتقد بإمامة الإمام الجواد عليه السلام في طفولته ، فزاره في موسم الحج وسأله مسأله الشرعية وأخذ له هدية ألعاباً معدنية فرفضها وقال: ما خلقنا للعب فاعتذر منه ! روى الطبري في دلائل الإمامة/ ٤٠٢: (كان ممن خرج مع

الجماعة علي بن حسان الواسطي المعروف بالعمش، قال: حملت معي إليه عليه السلام من الآلة التي للصبيان بعضها من فضة وقلت: أتخفُ مولاي أبا جعفر بها. فلما تفرق الناس عنه عن جواب لجميعهم، قام فمضى إلى صريا واتبعته فلقيت موفقاً فقلت: إستأذن لي على أبي جعفر، فدخلت فسلمت فرد علي السلام وفي وجهه الكراهة ولم يأمرني بالجلوس، فدنوت منه وفرغت ما كان في كمي بين يديه، فنظر إليّ نظر مغضب ثم رمى يميناً وشمالاً، ثم قال: ما لهذا خلقتني الله ما أنا واللعب! فاستعفيتة فعفا عني، فأخذتها فخرجت!

ومعنى هذه النصوص أن إمامة الإمام الجواد عليه السلام كانت مقبولة عند عامة الشيعة بدون صعوبة تذكر. وقد كان لولاية العهد وموقف المأمون تأثير في ذلك.

صار الإمام الجواد ابن ثمان سنين خليفة لأبيه عليه السلام

في الكافي (٣٢٢/١): (عن محمد بن الحسن بن عمار قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه يعني أبا الحسن، إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله، فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبل يده وعظمه فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم أجلس رحمك الله تعالى، فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم! فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال: أسكتوا، إذا كان الله تعالى وقبض على لحيته لم يؤهل هذه الشيبة، وأهل هذا الفتى ووضعته حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون بل أنا له عبد).

أقول: هذا الموقف من علي بن جعفر عليه السلام نشأ من إيمانه القوي وثبوت النص عنده على إمامة

أخيه الكاظم عليه السلام وقد كتب عنه (مسائل علي بن جعفر) ثم رأى نص أخيه الكاظم عليه السلام على إمامة ولده الرضا ثم نص الرضا على ولده محمد الجواد عليه السلام .

وقد كان الرضا يعرف الشيعة بولده الجواد عليه السلام بعده من صغره .

ففي الكافي (٤/٤٣) بسنده عن البرزطي قال: (قرأت في كتاب أبي الحسن الرضا إلى أبي جعفر عليه السلام يا أبا جعفر بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، وإنما ذلك من بخل منهم لئلا ينال أحد منك خيراً!

وأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، وإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألك أحد شيئاً إلا أعطيته ، ومن سألك من عمومته أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك ، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير إليك. إني إنما أريد بذلك ليرفعك الله فأنتفخ ولا تخش من ذي العرش إقتاراً» .

وقد كتبنا في كتابنا: الإمام محمد الجواد، شبيه عيسى ويحيى وسليمان عليهم السلام .. تفصيل سيرته عليه السلام ، وكيف أن المأمون حمله على رأسه وكان يبشره العباسيين ويتحدى به الفقهاء والعلماء ، وكيف أدهشهم بعلمه .

قتل المعتصم الإمام الجواد عليه السلام بالسم بيد زوجته بنت المأمون!

كان المعتصم يخاف من الإمام الجواد عليه السلام لأن القوة الحقيقية بيد قادة الجيش الأتراك ، فهم الذين خلعوا ابن أخيه العباس وبايعوه. فمن الممكن أن يقتنعوا يوماً بالإمام الهادي عليه السلام وبايعوه ويخلعوا المعتصم !

وقد كتبنا أنه بعد أن قتل المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه على المنابر طرد عائلة المأمون من قصور الخلافة فسكنوا في أحياء بغداد الفقيرة ، ومنهم أم الفضل زوجة الإمام الجواد عليه السلام

وأخوها جعفر ، فقد كانت أكثر وقتها في بغداد ، وكانت لصيقة بأخيها جعفر في حفلات القصور. ولما أراد المعتصم قتل الإمام الجواد عليه السلام أحضرها ووعدها بإرجاعها الى القصور وإعادة امتيازاتها إذا قتلته، فارتكبت جريمة سمه ، لكنها لم تنهأ بعودة امتيازاتها، فقد مرضت وهلكت!

وقال في تاريخ بغداد (٣ / ٢٦٦) : (قدم من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بغداد وافداً على أبي إسحاق المعتصم ، ومعه امرأته أم الفضل بنت المأمون ، فتوفي في بغداد ، ودفن في مقابر قريش عند جده موسى بن جعفر ، وحملت امرأته أم الفضل بنت المأمون إلى قصر المعتصم ، فجعلت مع الحرم) .

وقد أحضر المعتصم الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد مرتين ، وذلك بتدبير ابن أبي دؤاد مدبر خلافة المعتصم، فقد كان نديمه ، وقاضي قضائه، ومدبر مملكته !

قال إسماعيل بن مهران (الكافي: ١/ ٣٢٣) : (لما خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجته ، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك في هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك؟ فكر بوجهه إلي ضاحكاً وقال: ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة . فلما أخرج به الثانية إلى المعتصم صرت إليه فقلت له: جعلت فداك أنت خارج فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلت لحيته ثم التفت إلي فقال: عند هذه يخاف علي ، الأمر من بعدي إلى ابني علي) .

وروى القطب الراوندي في الخرائج (٢ / ٦٧٠) وابن حمزة في الثاقب / ٥٢٤ : (عن ابن أرومة قال: إن المعتصم دعا جماعة من وزرائه وقال: إشهدوا لي على محمد بن علي بن موسى الرضا زوراً ، واكتبوا بأنه أراد أن يخرج !

ثم دعاه المعتصم فقال: إنك أردت أن تخرج عليّ! فقال: والله ما فعلت شيئاً من ذلك.

قال: إن فلاناً وفلاناً شهدوا عليك! وأحضروا فقالوا: نعم، هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك! قال: وكان جالساً في بهو فرجع أبو جعفر عليه السلام يده وقال: اللهم إن كانوا كذبوا علي فخذهم!

قال: فنظرنا إلى ذلك البهو يرجف ويذهب ويحيى، وكلما قام واحد وقع! فقال المعتصم: يا ابن رسول الله، تبت مما قلت فادع ربك أن يسكنه. فقال: اللهم سكنه، وإنك تعلم بأنهم أعداؤك وأعدائي!

وقد كان ذلك آية للمعتصم وجماعته، لكنهم كانوا يرون أنهم إن آمنوا فقد اعترفوا بأن الجواد ولي الله وحجته وإمام الأمة وأنهم غاصبون لمقامه! فالحل عندهم أن ينكروا آياته، ويدبروا طريقة لقتله!

قال في عيون المعجزات/ ١١٨: (ثم إن المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام وأشار إلى ابنة المأمون زوجته، بأنها تسمه لأنه وقف على انحرافها عن أبي جعفر عليه السلام وشدة غيرتها عليه، لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها ولأنه لم يرزق منها ولد، فأجابته إلى ذلك وجعلت سماً في عنب رازقي ووضعت بين يديه، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي، فقال: ما بكاؤك! والله ليضربنك الله بفقر لا ينجبر وبلاء لا ينستر!

فماتت بعلة في أغمض المواضع من جوارحها صارت ناصوراً، فأنفقت مالها وجميع ملكها على تلك العلة، حتى احتاجت إلى الإسترفاد!

وقبض الإمام الجواد ببغداد آخر ذي القعدة سنة عشرين ومائتين، وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وهو أصغر الأئمة الإثني عشر سنّاً.



ثم صار الإمام الهادي ابن ثمان سنين خليفة لأبيه

كتبنا في: الإمام علي الهادي عليه السلام .. عمر حافل بالجهاد والمعجزات ، تفصيل سيرته عليه السلام وأن المعتصم بعد أن قتل أباه الجواد عليه السلام كان حريصاً أن لا يقول إن ابنه علياً علمه رباني كأبيه ، وأنه أوتي العلم صبياً ، وأصرَّ على أن يعامله كصبي صغير، ورأسل وزيره عمر بن الفرج الرخجي الى المدينة ليرتب حبس الإمام الهادي عليه السلام عن الناس بحجة كفالتة وتعليمه ! وقام الرُّخْجِي بالمهمة وحبس الهادي عليه السلام في بيت جده الكاظم عليه السلام الذي يقع خارج المدينة ، ليمنعه من الإتصال بشيعته ، وعين له الجنيدي «ليعلمه» بزعمه ، وأمر والي المدينة أن ينفذ أوامره ، ويقدم له كل ما يحتاج !

روى المسعودي في دلائل الإمامة/ ٢٣٠ ، عن محمد بن سعيد قال: «قدم عمر بن الفرج الرُّخْجِي المدينة حاجاً بعد مضي أبي جعفر الجواد عليه السلام فأحضر جماعة من أهل المدينة والمخالفين المعادين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم: أُبْعُوا لي رجلاً من أهل الأدب والقرآن والعلم لايوالي أهل هذا البيت ، لأضمه إلى هذا الغلام وأوكله بتعليمه ، وتقدم إليه بأن يمنع منه الرفضة الذين يقصدونه ! فأسموا له رجلاً من أهل الأدب يكنى أبا عبد الله ويعرف بالجنيدي ، وكان متقدماً عند أهل المدينة في الأدب والفهم ، ظاهر الغضب والعداوة «لأهل البيت» ! فأحضره عمر بن الفرج وأسنى له الجاري من مال السلطان ، وتقدم إليه بما أراد وعرفه أن السلطان «المعتصم» أمره باختيار مثله ، وتوكيله بهذا الغلام . قال: فكان الجنيدي يلزم أبا الحسن عليه السلام في القصر بصرياً «بيت الإمام في مزرعة صريا بضاحية المدينة» فإذا كان الليل أغلق الباب وأقفله ، وأخذ المفاتيح إليه ! فمكث على هذا مدة وانقطعت الشيعة عنه وعن الإستماع منه والقراءة عليه .

ثم إنني لقيته في يوم جمعة فسلمت عليه وقلت له: ما حال هذا الغلام الهاشمي الذي تؤدبه؟ فقال منكرًا عليّ: تقول الغلام ولا تقول الشيخ الهاشمي! أنشدك الله هل تعلم بالمدينة أعلم مني؟ قلت: لا. قال: فإني والله أذكر له الحزب من الأدب، أظن أني قد بالغت فيه، فيملي عليّ بما فيه أستفيده منه، ويظن الناس أني أعلمه، وأنا والله أتعلم منه! قال: فتجاوزت عن كلامه هذا كأني ما سمعته منه، ثم لقيته بعد ذلك فسلمت عليه وسألته عن خبره وحاله، ثم قلت: ما حال الفتى الهاشمي؟ فقال لي: دع هذا القول عنك، هذا والله خير أهل الأرض وأفضل من خلق الله تعالى، وإنه لربما همّ بالدخول فأقول له: تَنْظُرُ حتى تقرأ عُشْرَكَ فيقول لي: أيّ السورتحب أن أقرأها؟ وأنا أذكر له من السور الطوال ما لم يبلغ إليه فيهدّها بقراءة لم أسمع أصح منها من أحد قط، بأطيب من مزامير داود النبي ﷺ التي بها يضرب المثل! قال ثم قال: هذا مات أبوه بالعراق وهو صغيرٌ بالمدينة، ونشأ بين هذه الجوارى السود، فمن أين عَلِمَ هذا؟ قال: ثم ما مرّت به الأيام والليالي حتى لقيته فوجدته قد قال بإمامته، وعرف الحق وقال به!»!

فشلت خطة المعتصم في فرض الإمامة الجبرية على الإمام الهادي ﷺ؟

كانت خطة المعتصم ضد الهادي ﷺ متقنّة، لكنها فشلت من أساسها، لأن الشخص الذي انتدبه لهذه المهمة انبهر بالإمام ﷺ وآمن به! وكان المعتصم يخاف منه ﷺ لأن القوة الحقيقية بيد قادة الجيش الأتراك، فهم الذين خلعوا ابن أخيه العباس وبياعوه فمن الممكن أن يقتنعوا يوماً بالإمام الهادي ﷺ وبياعوه ويخلعوا المعتصم! ولذلك أنكر المعتصم بعد قتله الإمام الجواد ﷺ أن يكون ابنه الهادي ﷺ مثله، ثم وضع له الخطة المتقدمة! فأفشلها الجندي الذي اختاره كفيلاً ومعلماً للإمام ﷺ

فأعلن أن علم الإمام الهادي رباني ، وقال بإمامته وثبت على تشيعه وسكن بغداد. ويظهر أنه هو الذي ذكره الصدوق في كمال الدين/٤٤٢، فيمن رأى الإمام المهدي عليه السلام ، قال: «ورآه من الوكلاء ببغداد: العمري ، وابنه ، وحاجز ، والبلالي ، والعطار. ومن الكوفة: العاصمي . ومن أهل الأهواز: محمد بن إبراهيم بن مهزيار. ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق . ومن أهل همدان: محمد بن صالح . ومن أهل الري: البسامي والأسدي يعني نفسه . ومن أهل آذربيجان: القاسم بن العلاء . ومن أهل نيسابور: محمد بن شاذان. ومن غير الوكلاء من أهل بغداد: أبو القاسم بن أبي حليس، وأبو عبد الله الكندي، وأبو عبد الله الجنيدي ، وهارون القزاز» .

كان الواثق ليلاً مع العلويين ومعجباً بالإمام الهادي عليه السلام

لما مات المأمون كان الإمام الهادي عليه السلام طفلاً في السادسة من عمره في ظل أبيه الإمام الجواد عليه السلام . ولما مات المعتصم سنة ٢٢٧ ، انتهى قراره بمحاصرة الإمام الهادي عليه السلام وكان الإمام يومها في السادسة عشرة .

ثم حكم الواثق نحو ست سنين ومات سنة ٢٣٢، وكان عمر الإمام عليه السلام يومها نحو ٢١ سنة. وقد ترجمنا للواثق في سيرة الإمام الجواد عليه السلام ، وذكرنا أنه رغم استغراقه في شهواته ، كان ليلاً مع الطالبين فلم يقتل منهم أحداً ، مع أن كبار شخصياتهم كانوا عنده في سامراء ، تحت الإقامة الجبرية .

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين/٣٩٤: « لانعلم أحداً قُتل في أيامه «يقصد من الطالبين» إلا أن علي بن محمد بن حمزة ، ذكر أن عمرو بن منيع قتل علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ، ولم يذكر السبب في ذلك ، فحكينا عنه على ما ذكره ، فقتل

في الواقعة التي كانت بين محمد بن مكيال ومحمد بن جعفر . هذا بالري .
وكان آل أبي طالب مجتمعين بسر من رأى في أيامه ، تُدَرُّ الأرزاق عليهم ، حتى
تفرقوا في أيام المتوكل» .

وكان الواثق معجباً بالإمام الهادي عليه السلام وربما أظهر ذلك ، بخلاف أبيه المعتصم ، فقد
طَرَحَ يوماً سؤالاً على الفقهاء فعجزوا عنه ، فقال لهم: أنا أتاكم بمن يعرف الجواب،
وأحضر الإمام الهادي عليه السلام !

روى في تاريخ بغداد «١٢/٥٦»: «قال يحيى بن أكثم في مجلس الواثق والفقهاء بحضرته:
مَنْ حَلَقَ رَأْسَ آدَمَ حِينَ حَجَّ؟ فتعابى القوم عن الجواب فقال الواثق: أنا أحضركم
من ينبؤكم بالخبر! فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فأحضر فقال: يا أبا الحسن ، مَنْ حلق رأس
آدم ؟ فقال: سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا أعفيتني . قال: أقسمت عليك لتقولن .
قال: أما إذا أبيت فإن أبي حدثني عن جدي ، عن أبيه ، عن جده قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وآله: أمر جبريل أن ينزل بياقوته من الجنة ، فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثر
الشعر منه ، فحيث بلغ نورها صار حرماً» .

والظاهر أن هذه القصة كانت في موسم الحج ، لأن الإمام الهادي عليه السلام لم يذهب الى
سامراء في زمن الواثق . وقد حج الواثق مرة واحدة قبل وفاته سنة ٢٣١ ، ومعناه أن
الإمام الهادي عليه السلام كان يومها في سن العشرين .

قال اليعقوبي (٢/٤٨٣): « وحج الواثق مرة ، ففرق بالحرمين أموالاً عظيمة ، حتى لم
يبق بالحرمين فقير» .

أما المتوكل فضيق على الإمام الهادي عليه السلام وأحضره الى سامراء وحاول قتله فلم يجد حجة ، فعاد الإمام عليه السلام الى المدينة . ثم أحضره ثانيةً ، وفرض عليه الإقامة في سامراء ، واضطهد كل بني هاشم وأفقرهم وقتلهم وشردهم ، وهدم قبر الحسين عليه السلام ومنع زيارته فنقم عليه المسلمون ، حتى كتبوا شتمه على جدران البيوت في بغداد .

وثار الأتراك على المتوكل وقتلوه وولوا ابنه المنتصر فحكم شهوراً ثم قتله الأتراك . ومن يومها صار الأتراك القوة الأولى التي تنصب الخليفة وتعزله ! حتى جاء البويهيين الفرس بعد نحو قرن ، وحلوا محلهم !

قال اليعقوبي في البلدان (١/١٦) «يصف حكم خمسة خلفاء عباسيين في بضع سنوات: «مات المنتصر بسر من رأى في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين . وولي المستعين أحمد بن محمد بن محمد بن المعتصم ، فأقام بسر من رأى سنتين وثمانية أشهر ، حتى اضطربت أموره فانحدر إلى بغداد في المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، فأقام بها يحارب أصحاب المعتز سنة كاملة ، والمعتز بسر من رأى معه الأتراك وسائر الموالي . ثم خلع المستعين وولي المعتز فأقام بها حتى قتل ثلاث سنين وسبعة أشهر بعد خلع المستعين ، وبويح محمد المهدي بن الواثق في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، فأقام حوالاً كاملاً ينزل الجوسق حتى قُتل . وولي أحمد المعتمد بن المتوكل فأقام بسر من رأى في الجوسق وقصور الخلافة ، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي بسر من رأى ، فبنى قصرًا موصوفاً بالحسن سماه المعشوق فنزله فأقام به حتى اضطربت الأمور فانتقل إلى بغداد، ثم إلى المدائن».

أقول: الذي ارتكب جريمة قتل الإمام الهادي عليه السلام بالسلم هو المعتز ، وذلك في الثالث من

رجب سنة ٢٥٤ هجرية ، وكان عمره الشريف عليه السلام أربعين سنة . وفي هذه المرحلة غضب الله تعالى على العباسيين ، فاضطرب نظام الخلافة . فقد قتل المتوكل وقصرت أعمار الخلفاء ، ووقع الصراع بينهم ، وبينهم وبين قادة جيشهم الأتراك ، وبين الأتراك أنفسهم . وفي هذه الصراعات كانوا يقتلون الخليفة الذي لا يعجبهم ، ويختارون عباسياً آخر . وكانت طريقة قتل الخليفة عندهم غالباً بعصر خصيتيه حتى يموت !

(تم الكتاب والحمد لله رب العالمين)

